بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) :علي بن صالح بن محمد المقوشي

كلية : الدعوة وأصول الدين   قسم :العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه   في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((المسيح المنتظر بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى – عرض ونقد)).

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٣/٣/٣ هـ – بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ....

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم :أ. د. محمود محمد مزروعة	الاسم :أ . د . أحمد عبد الرحيم السايح	الاسم : أ . د. سعود بن عبد العزيز الخلف
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ......

يعتمد

رئيس قسم : العقيدة

الاسم : د. عبدالعزيز بن أحمد الحميدي

التوقيع : ......

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى - بمكة المكرمة

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

الدراسات العليا

المسيح المنتظر

بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى

عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب

علي بن صالح بن محمد المقوشي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

محمود محمد مزروعة

المجلد الأول

١٤٢٣ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

" المسيح المنتظر بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى – عرض ونقد "

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فموضـــوع هـــذه الرسالة هو الحديث عن : المسيح المنتظر الذي تنتظره الأمم ، لا سيما أصحاب الديانات العالمية الكبرى . وهو موضوع من الأهمية بمكان ، لا سيما في الوقت الحاضر ، حيث يشغل الحديث عنه والتفكير فيه أذهان الكثيرين في كل أنحاء العالم . ومـــن هنا كان لابد من طرح القول الصواب في هذه المسألة والتذكير به ، حفظاً لعقائد المسلمين من أن يخالطها بعض الشوائب ، وبياناً للحق الذي حُمِّلنا أمانة تبليغه .

تـــناول البحث على الترتيب ، الكلام عن منتظري هذه الديانات الرئيسة : الهندوسية / البوذية / اليهودية / النصرانية / الإسلام . وهو يعرض ما عند تلك الأمم ، ويُتبع ذلك بنقد تلك الأفكار . وكان ختام ذلك الحديث عن المعتقد الحق في هذه القضية ، الذي تضمنه دين الإسلام .

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ، وأربعة أبواب ، وخاتمة ، وفهارس .

المقدمـــة في بيان سبب اختيار الموضوع وبيان أهميته . والتمهيد في التعريف اللغوي بكلمة (مسيح) ، والكلام عن العلاقة بين هذا المصطلح ومصطلح (المهدي المنتظر) وبيان الفارق بينهما ، والإشارة إلى أشراط الساعة الكبرى ، التي يُعدُّ الحديث في هذه المسألة كلاماً فيها .

وأمـــا الأبـــواب الأربعة ، فقد تم تخصيص الباب الأول للديانتين الوضعيتين القديمتين ، الحاضرتين في عالم اليوم بكثافة : الهندوسية والبوذية ، كل واحدة منهما في فصل مستقل.

والباب الثاني في اليهودية ومسيحها المنتظر .

والباب الثالث في النصرانية ومسيحها المنتظر .

والـــباب الـــرابع في الكلام عن المسيح الذي ينتظره المسلمون ، وأنه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان، وبيان لزوم الإيمان بهذا المعتقد ، والرد على الطوائف الضالة في هذا الشأن ، وبسط الكلام في تفصيل خبر نزوله ، وعلامات ذلك.

وجـــاء خـــتام البحـــث في عرض نتائجه ، التي تضمنت التنبيه على أثر اعتقادات بعض الأمم في أحوالها ونظرتها إلى العالم والكون والحياة من حولها ، تأثراً باعتقاداتها الخاصة في هذا المجال . وخلاصة وعصارة أهم تلك النتائج هي ما يلي :

١- يكاد يكون هذا المعتقد موجوداً عند كل الأمم والشعوب والطوائف قديمها وحديثها .

٢- منتظر الهندوسية هو أحد آلهتها الثلاثة يعود في إحدى تشكلاته كما يقولون .

٣- منتظر البوذية هو بوذا نفسه ، يعود مرةً أخرى .

٤- منتظر اليهود هو مسيحٌ ملكٌ من آل داود ، يحكم العالم كله كما يزعمون من القدس .

٥- منتظر النصارى هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يعود ليحكم – على ما زعموا – بدين النصرانية .

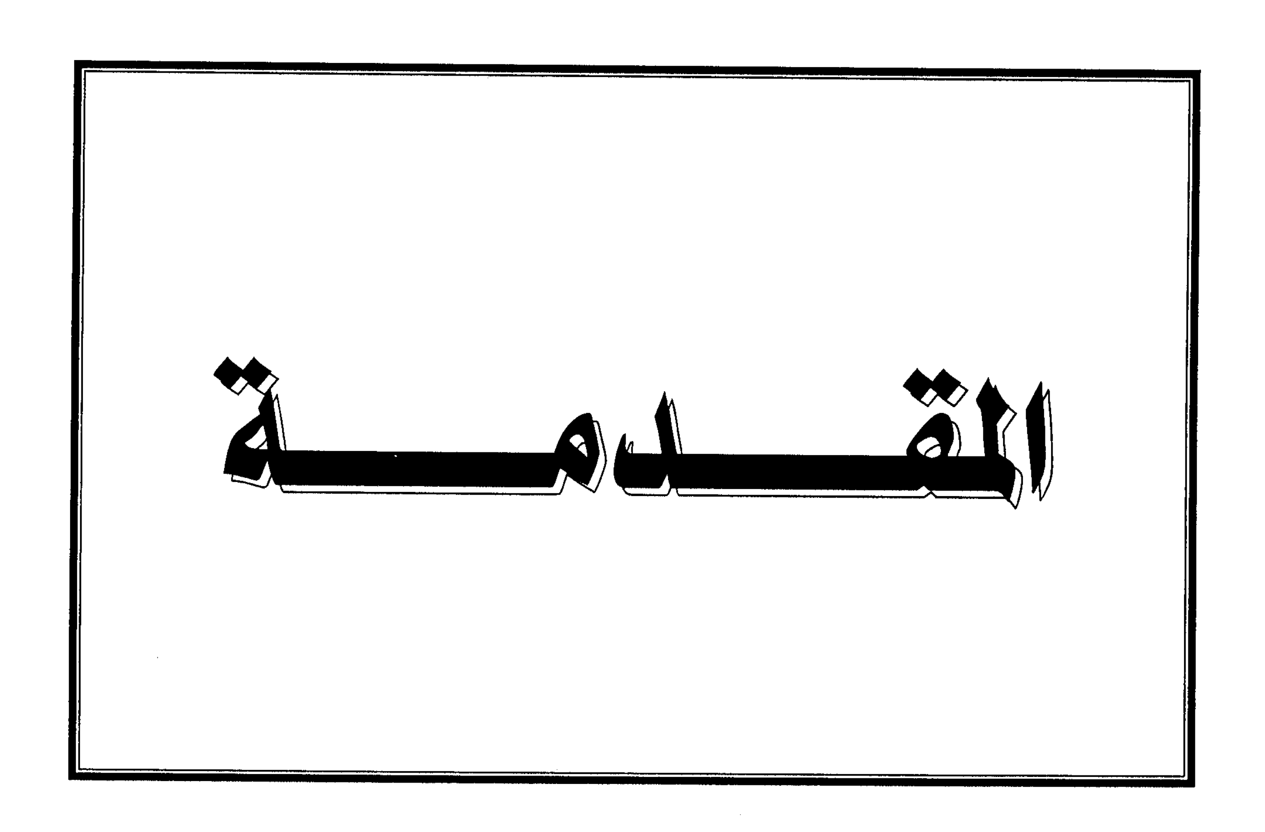
٦- منتظر المسلمين هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ينـــزل في آخر الزمان ، ليحكم بشريعة الإسلام .

والحمد لله أولا وآخراً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عميد كلية الدعوة وأصول الدين	المشرف	الطالب
د. عبد الله بن عمر الدميجي	أ.د. محمود محمد مزروعة	علي بن صالح بن محمد المقوشي
....	....	....

« فالمسلمون واليهود والنصارى تنتظر مسيحاً يجيء
في آخر الزمان ، فمسيح اليهود هو الدجال ،
ومسيح النصارى لا حقيقة له ، ....
ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو عبد الله ورسوله
وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول
عيسى ابن مريم ، ... فهذا منتظر المسلمين »

ابن القيم – هداية الحيارى (١١١)


المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين .

أما بعد : فها أنا ذا أقدِّم هذه المحاولة المتواضعة ، في رسالتي المقدَّمة لنيل درجة الدكتوراه ، تحت عنوان :

« المسيح المنتظر بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى - عرض ونقد » .

راجياً من الله سبحانه وتعالى أن تكون على قدر ما أؤمِّل ، وأن يكتب الله لها القبول ، ويكتب بها كذلك النفع للأمة والملة ، وأن يجعلها في ميزان حسناتي ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

وسأتناول في مقدمتي هذه على الترتيب التالي ، هذه العناصر الآتية :

أولاً : سبب اختيار الموضوع .

ثانياً : أهمية الموضوع .

ثالثاً : الدراسات السابقة في هذا الموضوع .

رابعاً : منهجي في البحث .

خامساً : الصعوبات التي اعترضت طريق البحث .

سادساً : خطة البحث .

سابعاً : شكر واعتذار .

أولاً : سبب اختيار الموضوع

هذا الموضوع من المواضيع الحساسة والمعاصرة ، الخطيرة والهامة ، التي كثر الجدل فيها والنقاش حولها ، في السنوات الأخيرة ، إبان انتهاء الألفية الميلادية الثانية وتصرمها ، وحلول الألفية الميلادية الثالثة ، فأثار هذا الحدث بِغِبِّ ذلك جدلاً لا ينتهي ونقاشاً لا يتوقف ، حول أهم مسائل وقضايا هذا البحث . بل حول قضيته الكبرى ومسألته العظمى : عن المسيح المنتظر ؟ مَنْ يكون ؟ ومتى يأتي ؟ وما علامات قدومه ؟

مستتبعاً ذلك بحثاً عميقاً في خبايا الأديان السماوية الرئيسة الثلاث ، ثم ما يلحق بها من كلامٍ في هذا الموضوع على وجه الخصوص في دياناتٍ ومذاهب أخرى .

كل ذلك شجعني على اقتحام هذه اللجة ، وخوض غمار هذه المعمعة .

وسهَّل لي سبيل تطلابها والحصول عليها ، الخوض الذي كثر فيها أيامئذٍ ، والجدل الذي دار حولها حينئذٍ . وكانت الانطلاقة أو الشرارة الأولى التي فتحت لي أبواب هذا الموضوع ، ورجحت اختياره على ما عداه من المواضيع .

والجدل القائم حول هذه المسألة ، جدلٌ منتشرٌ ممتدٌ منذ ما يقارب العقد من الزمن ، يختلط فيه الحق بالباطل ، والهزل بالجد ، والغث بالسمين ، والصحيح بالمكذوب ، والحق الذي عندنا – نحن معشر المسلمين – من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ، بما أشيع ونُشر واشتهر غِبَّ حوادث معينةٍ ، حول هذا الأمر مما عند أهل الكتاب وغيرهم من نبوءاتٍ ، فيها الكثير من المكذوب والمصنوع ، والمزوَّق والمجموع . فكان لابد من حسم النقاش في هذه المسألة حسماً قاطعاً بدلائل بيناتٍ ، من كتاب الله ، ثم من سنة رسول الله ﷺ ، وهي البحر الزخار ، المليء بالعجائب والغرائب في هذا الباب ، التي فيها شفاء كل سائل ، وقاطع حجة كل محتجٍ بما عند أهل الكتاب وغيرهم من سابقيهم من أهل الأمم .

فالذي عند أولئك قد يكون في قليلٍ من الأحوال حقاً ، مما بقي من آثار النبوة ووحي السماء عندهم . ومصداقه فيما نجده ثابتاً في ديننا في الكتاب والسنة .

وأكثره باطلٌ مصطنعٌ مفتعلٌ ، يلعب بهم كهانهم ، وأحبارهم ورهبانهم ، فيزيدون وينقصون ، ويفوِّفون الكلام ويزوِّقونه ، ليكون له فعل السحر في نفوس أتباعهم . و « إن من البيان لسحراً »[1] . فكان لابد من بيان ذلك ونسفه ورده .

ويجيء البيان الشافي من المنهل الصافي بالحق الكافي ، في خبر السماء الذي ما اعتراه تغييرٌ ولا تحريف ، ولا تعاوره أعلاج القوم بالتصحيف . فينسف الأباطيل ، ويزيل علة كل عليل .

ويجيء التفصيل لاحقاً وتابعاً في الوحي الثاني : السنة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ، بتفصيل ما عليه مزيد ، وبتنويهٍ هو غايةٌ في التنبيه ، لتفطين الناس إلى ما سيعتريهم في مستقبل أيامهم من حوادث ، وماهم بصدده من كوارث . تثبيتاً للمؤمن المتقي ، وتخويفاً للفاجر الشقي .

---

(١) حديث صحيح - أخرجه البخاري في صحيحه (١١١٧) كتاب النكاح - باب الخُطبة - الحديث رقم (٥١٤٦) وأخرجه كذلك في كتاب الطب - باب : إن من البيان سحراً - الحديث رقم (٥٧٦٧) . صحيح البخاري / طبعة دار السلام - الرياض / أولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م / باهتمام : عبد المالك مجاهد .

ثانياً : أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذا الموضوع في بضعة عناصر ، هي :

١ - في كونه يتناول قضيةً من أهم قضايا الإعتقاد ، أثيرحولها لغطٌ ، وفتحت حولها أبواب تساؤلات ، من زمنٍ بعيد ، منذ القرون الأولى للإسلام ، وظهرت بعض طوائف المبتدعة التي تُنكر هذا المعتقد جملةً وتفصيلاً .

فكان لابد من بيان هذه القضية العقدية وبسطها بدلائلها ، وتفصيل أحوالها ومقدماتها ووقائعها بسطاً ما عليه مزيد .

وكان لابد كذلك من رد مقالات هذه الطوائف الضالة والفرق المبتدِعة .

وكان لابد من دحر تشكيك المشككين ، بدلائل القرآن المبين ، وسنة سيد المرسلين ﷺ .

ثم مقارنة ما عندنا من الحق بما عند الأمم الأخرى ، ليتبين لنا ما عندهم من بقايا حقٍ وآثار نبوةٍ ، نُسوِّغه لهم ونوافقهم عليه ، ومالا فنرده عليهم ونضرب به عرض الحائط مما كان مخالفاً لِمَا في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ، مناقضاً لهما .

٢ - في كونه موضوعاً معاصراً ، يُعايش الواقع ويتناوله ويتحدث عنه ، فهذا الموضوع حديث كثيرٍ من الناس ، مسلمهم وكافرهم ، منذ ما يقارب العقد من الزمن حتى يومنا هذا .

وتناولُ هذه القضايا العقدية ، المنتشرة على الألسنة بين الناس انتشار النار في الهشيم ، يختلط فيها عند حديثهم عنها القليل من الصحيح بالكثير من السقيم ، هو مهمة الباحثين والدارسين ، ممن يرغب في تناول قضايا هامة ، قديمةٍ جديدةٍ في آنٍ معاً ، بالدراسة والتمحيص والبحث والتحليل .

فهي بلا مراء أَوْلَى القضايا بالدراسة والاهتمام .

فعليها ينبني ماضي الناس وحاضرهم ومستقبلهم ، وبها يتحدد مصيرهم ، ويتميز مسلمهم عن كافرهم ، وينفصل بها شريرهم عن خيِّرهم .

٣ - في كونه موضوعاً ذا حساسيةٍ خاصةٍ ، وذا أهميةٍ فائقة . لأنه يتناول قضيةً شائكةً لها تأثيراتها في أحداثنا اليومية وأحوالنا وواقعنا .

فهذا الموضوع بحقٍّ عنصرٌ مهمٌ ، بل هو - على حد زعمي - أهم العناصر التي أثَّرت في أوضاعنا الراهنة .

وصاغت ماضينا القريب وحاضرنا بعض أمم الكفر على حسب ما تعتقده في هذه المسألة .

وتخطط جازمةً لتنفيذ ما هو أبشع من كل ما مضى ، في مستقبلنا القادم القاتم - حسب تصويرهم - تحت مظلة اعتقادها في هذه القضية ، وداخل سياجها وإطارها الفكري .

ويكفي مثل هذا المبرر وحده لإبراز أهمية طَرْق هذا الموضوع وتناوله بالذكر ، ودراسته وتحليله .

والبحث في إمكان استخراج نتائج عمليةٍ منه ، قد تستطيع التأثير في مسار الأحداث القادمة وتعديله . أو على الأقل : إيقافه عن الهاوية التي يتجه إليها ، كما يخطط لذلك الآخرون وينفذون ، بكامل إرادتهم ، وكل عزمهم وجهدهم وتصميمهم ، وبكامل قواهم العقلية أيضاً .

ثالثاً : الدراسات السابقة في هذا الموضوع

تتنوع المؤلفات والكتب والدراسات والأبحاث حول هذا الموضوع وتتعدد .

فمنها :

١ - كتبٌ عامةٌ للمتقدمين : تتناول نتفاً وأطرافاً من هذا الموضوع ، ضمن ما تتناوله من مسائل في الاعتقاد ، أو الأخبار ، أو الملاحم وأشراط الساعة الكبار والصغار .

ككتب العقائد التي تذكر ذلك سرداً في الكلام عن أشراط الساعة ، في عبارةٍ من أقل العبارات طولاً وأكثرها إيجازاً . لا يكون احتمال التفصيل والتوسع فيها وارداً بالمطلق .

وكذا كتب علم مقارنة الأديان ، التي تذكر الشيء بالشيء ، لورود مثيله في مقارنةٍ ما . وتعرِضُ ذلك في عبارةٍ موجزةٍ إلى حدٍ ما كذلك .

كالفصل لابن حزم ، والملل للشهرستاني ، والتبصير للاسفراييني ، والبرهان للسكسكي ونحوها .

ويجيء التوسع والبسط في ذلك إلى حدٍ ما في كتابات المتقدمين ، في صنفين من الكتب :

أولهما : صنفٌ تناول أشراط الساعة الكبار والصغار بالتأليف والذكر والاستطالة تخصيصاً . ككتاب النهاية لابن كثير ، وأشراط الساعة للسخاوي ، ويلحق بها الإشاعة للبرزنجي ، والإذاعة لصديق حسن خان ونحوها .

فقد اقتصر مؤلفو هذه الكتب على عرض الأشراط ، والكبار منها على الأخص ، على وجه التفصيل ، فجمعوا وتوسعوا في العبارة وحققوا ودققوا واستخرجوا أشياء ونظموا مفترقاتٍ هاهنا وهناك .

ثانيهما : صنفٌ آخر اشتغل بالتأليف أو قَرَن الكلام بين علامتين أو شرطين من أشراط الساعة الكبار أو أكثر ، دون أن يستوعبها . كالشوكاني في كتابه « التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح » .

أو تخصص في الكلام عن مسألةٍ تُعدُّ من مقدمات أشراط الساعة الكبار . هي أمر « المهدي المنتظر » وخبره . وهذا مما أفرده أوائل المتقدمين بالتصنيف والتأليف . وجمعوا فيه كتباً مستقلة . لعلاقة ذلك بالخلاف العقدي المشتعل آنذاك بين فريق السنة وفريق الشيعة في تلك القرون الأولى من تاريخ الإسلام .

وهذه المسألة من الرواج منذ ذلك الوقت المبكر ، إلى درجةٍ أمكن معها رصد عددٍ من المؤلفات المستقلة في هذه المسألة لعددٍ من المؤلفين المتقدمين من رجالات القرون الهجرية الخمسة الأولى[1] .

٢ - دراسات حديثة عامة : تناولت هذه المسائل التي ذكرناها سابقاً ، كما هو حال كتب المتقدمين ، سرداً وعرضاً وبإيجازٍ في كثيرٍ من الأحوال .

مثل كتب العقائد لبعض المتأخرين .

---

(١) أشبع هذه المسألة بحثاً وتتبعاً الدكتور عبد العليم بن عبد العظيم البستوي في كتابه الذي صدر عن « المهدي المنتظر » (وأصله رسالة ماجستير بمكة - ١٣٩٨ هـ) واستوفاها غاية الاستيفاء . ورصد اهتمامات الأئمة المتقدمين بإفراد قطعٍ من كتبهم لهذه المسألة ، من عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ) في مصنفه ، وحتى ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) في صحيحه . في ذلك الوقت المبكر . ثم سرد المؤلفات المستقلة التي تناولت هذه المسألة بالذكر . وأولها لمؤلفٍ توفي سنة ٢٥٠ هـ . ومن أشهر المؤلفين فيها بعدئذٍ ابن المنادي (ت ٣٣٦ هـ) وأبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) .
ثم سرد قائمة مؤلفاتٍ في هذه المسألة ، بلغ تعدادها أربعةً وثلاثين مؤلفاً .
طالع كتابه المذكور : (المهدي المنتظر / ١ : ١١٩ - ١٢٥ / ١٢٦ - ١٣٨) . ط. أولى / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م / دار ابن حزم - بيروت ، والمكتبة المكية - مكة .

وتخصص بعضها في أشراط الساعة . مثل المؤلفات العظيمة للشيخ الكبير : حمود ابن عبد الله التويجري (رحمه الله تعالى) [1] .

وعلى الأخص كتابه الجامع الماتع المستوعِب : إتحاف الجماعة (في جزئين) . لا يكاد تفوته مسألة من مسائل الملاحم وأشراط الساعة .

وثمت دراساتٌ علميةٌ أخرى . ومن أشهرها وأتمها ، كتاب الدكتور : يوسف ابن الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل (أشراط الساعة / ماجستير) .

وللدكتور عمر بن سليمان الأشقر في هذا المجال كتاب القيامة الصغرى . ضمن سلسلة رسائله العقدية الجيدة الرائعة .

ثم صدرت بعد ذلك بعض الدراسات الحديثة التي تناولت واحداً من أشراط الساعة غير نزول عيسى ، كخروج المسيح الدجال ، أو مسألة المهدي المنتظر .

وذهب بعضهم مذهباً بعيداً في الاحتمالات والتأويلات والتركيبات ، كالمسيح الدجال لسعيد أيوب .

وغلب على أكثرها عدم الإتقان ، بل يصح أن يُقال فيها : إن أكثرها هزيلٌ جداً ، قليل المحتوى ، سيء العرض والترتيب ، عديم الجدوى والفائدة .

---

(١) هو الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري . ولد بالمجمعة عام ١٣٣٤ هـ . من تلاميذ الشيخ عبد الله ابن حميد . وولي القضاء ثم استعفى . ومن تلاميذه الشيخ صالح ابن حميد . كثير التآليف . زادت على الخمسين . ومنها في الملاحم والأشراط : إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة / الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر / إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان (طبعت جميعاً) .

توفي بالرياض سنة ١٤١٣ هـ .

انظر ترجمته في (تتمة الأعلام للزركلي / لمحمد خير رمضان يوسف / ١ : ١٥٤ - ١٥٦ / ط. أولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م / دار ابن حزم - بيروت) .

وكان من أمتعها وأوفاها وأتمها ، دراسةٌ عن « المهدي المنتظر » أعدها يوم كان طالباً بجامعة مكة (نوقشت سنة ١٣٩٨ هـ) الدكتور عبد العليم بن عبد العظيم البستوي .

ثم كتمها زمناً ، والظاهر أنه اشتغل بها تلك الفترة وزادها ، وأمعن فيها تجويداً وإتقاناً وترتيباً . حتى أخرجها في حلةٍ قشيبة في مجلدين (عام ١٤٢٠ هـ) .

فاستوعب في هذه المسألة استيعاباً . لولا أن الكمال لا يبلغه أحدٌ ، لقلت إنه بلغ الكمال أو كاد .

طالع وجمع واختصر ما قاله مَنْ سبقه ، وأتعب مَنْ لحقه .

وسبقه بعض الشيوخ المتأخرين إلى التأليف في هذه المسألة ، لا على سبيل الاستقصاء والجمع ، بل على سبيل التأكيد على ثبوت هذا المعتقد والرد على المخالفين فيه ، كالشيخ حمود التويجري رحمه الله في كتابه : « الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر » . والشيخ عبد المحسن العباد في كتابيه : « عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر » و « الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي » .

وفي علم مقارنة الأديان ، برزت بعض الدراسات الحديثة التي تطرقت إلى هذه المسألة .

ومنها :

- كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير .

- وكتاب مقارنات الأديان للشيخ محمد أبي زهرة .

اللذين عرضا لهذه المسألة (مسألة بحثنا هذا) في عدة مواضع .

٣ - دراسات تخصصية عن مسألة بحثنا هذه : المسيح المنتظر فحسب .

لا أعلم أحداً من المتقدمين أفرد هذه المسألة بالتأليف . و لم أجد طوال عمر هذه الرسالة مؤلَّفاً واحداً فيها ، حتى لو كان مخطوطاً مفقوداً .

وأول من أفرد هذه المسألة بالتأليف على الإطلاق ، في كتابٍ مستقل ، لا يخالطها مسائل أخرى ، المحدث الكشميري في كتابه الشهير : « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » .

ثم ظهرت مؤخراً بعض الدراسات القليلة جداً عن هذا الموضوع . وكلها لا يكفي ، ولا يسدُّ الفراغ الحاصل في هذا الموضوع .

وسنتناول بالعرض والتحليل الموجز ، هذا المتوفر بين أيدينا من المؤلفات والدراسات عن هذه المسألة .

فنقول :

أ - « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » للمحدث محمد أنور شاه الكشميري :

كتابه أوسع ما كتبه المتقدمون سابقو هذا القرن ، مفرداً بالتأليف في هذه المسألة . لم يسبقه إليه أحدٌ . وجمع فيه وهو من كبار المحدثين في بلده ، كل ما وقع عليه نظره من مروياتٍ في هذا الشأن .

إلا أن مؤلِّفه اقتصر فيه على إيراد الأخبار والمرويات فحسب . وقصر بحكم مهنته الحديثية عمله على هذا دونما زيادة . واجتهد في الجمع .

لكنَّ اقتصاره على إيراد الأخبار ، حتى دون الحكم عليها ، لَمْ يحلَّ مشكل هذه المسألة . وإنما جمع موارد أولية لبحثٍ يقوم في هذا الباب .

وكان جهده مشكوراً في الجمع والتبويب .

أما الموضوع فبقيَ بحاجةٍ إلى دراسةٍ وافيةٍ كافيةٍ شافية . وجاء محقق الكتاب : عبد الفتاح أبو غدة ، فأظهر محاسن الكتاب ، وأشاد به غاية الإشادة ، وأطراه غاية الإطراء . وحُقَّ له . لأن المكتبة الإسلامية كانت تفتقر في هذه المسألة إلى كتابٍ يجمع شتاتها .

وصادف أن ظهرت دعوى القادياني . فانبرى لها المؤلِّف الكشميري بهذا الكتاب ، صادّاً رادّاً ، منافحاً عن جناب هذه العقيدة ، ذابّاً مدافعاً .

إلا أن اقتصار المؤلف على إيراد الأخبار ، ثم تعليقات أبي غدة المطوَّلة وحواشيه المستفيضة ومقدماته وفهارسه . كل ذلك لم يشف غليل الباحثين ولا كفاهم . لأن هذا الجهد كله انصبَّ على جانبٍ واحدٍ من جوانب هذه المسألة وترك ما عداها .

دعك من أن تفكر بمطالبة الكشميري أو أبي غدة ، بمقارنة ما عندنا نحن المسلمين بما عند غيرنا من الأمم والملل والديانات حول هذا المنتظر ، وعرض ما عندهم . فهذا بعيدٌ جداً على محدثٍ ، قضى زمناً في استقصاء هذه المرويات وتجميعها . وهو جهدٌ يُشكر عليه ويذكر له .

ثم إن كتاب الكشميري مما قد يستغني عنه الباحث في هذه المسألة . وقد جرَّبتُ هذا في بعض المواضع فنجحت .

أكثر مواده ورواياته مبثوثٌ في كتب السنة الكبار الشهيرة ودواوينها العظام . لا تكاد تحتاج إليه إلا في بعض نوادر الأخبار ، التي قد لا يُحتاج إليها ، أو لا يُحتج بها . إما لتكرار مضمونها أو لضعفها .

ومما يُساعد على الاستغناء عنه أيضاً : أنه أورد كل هذه الأخبار والمرويات ، ثم لم يُكلِّف نفسه – وهو المحدث – تخريج هذه الروايات وتدقيقها . فبقي عبء تخريجها على مطالعها متى شاء ذلك . فعمله للمتمرس في هذا الشأن المطالع لأمهات الكتب ،

كلا شيء . بل الرجوع مباشرةً إلى تلك المصادر أولى وأقـل كلفـةً . لاسيما وكتابـه نادر الحضور ، رغم العوز إليه .

وما علّقه عليه محققه أبو غدة من تخريجات ، مما لا تطمئن إليه النفس ، لقلة خبرته بهذا الفن كما هو ظاهرٌ من تخريجاته . وإنما جوّد في استيفاء التعليق على غير ذلك من المسائل .

ب - أما الدراسات الحديثة التي تناولت هذه المسألة - مسألة بحثنا - فالمتوفر منها بين أيدينا ، مما نُشر فيها كتابان فحسب :

الأول : كتاب « حول مسيح اليهود المنتظر » للمحامي بديع السيوفي .

ولست أدري كيف خرج معه هذا الكتاب وهو محامٍ .

إلا أنه جزءٌ بديعٌ إلى حدٍ ما .

وهو رسالةٌ في جزءٍ صغير أخرجه في خمسٍ وستين ورقةٍ من القطع الصغير جداً . تناول فيه نتفاً حول ما يختص بجانب المسيح المنتظر عند اليهود ، بعد مقدماتٍ استنزفت نصف جزئه هذا .

أتقن فيه السياق والعرض إلى حدٍ ما .

إلا أنه لصغره وقلة محتوياته لا يفي بالغرض ، حتى فيما يختص بهذا الجانب وحده (المسيح المنتظر عند اليهود) . غير أنها كانت محاولةً ناجحةً إلى حدٍ ما .

ثانيها : كتابٌ مطولٌ إلى حدٍ ما ، أخرجه في خضم انشغالنا بهذا البحث ، ونحن نخوض وسط معمعته ، المؤلف المعروف : عبد الوهاب عبد السلام طويلة . صاحب جهودٍ نيِّرةٍ في إخراج بعض النوادر في علم مقارنة الأديان . وكتابه أوسع ما رأيت مما نشر حول هذا الموضوع حتى يومنا هذا .

أخرج قبل كتابه هذا رسالتين من نوادر الرسائل تخص اليهود واليهودية . هما :

- بذل المجهود في إفحام اليهود ، للحكيم السموءل بن يحيى بن عباس المغربي ، من أعاظم أحبار اليهود قبل إسلامه ، والمتوفى عام ٥٧٠ هـ .

- والرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية ، للحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي .

اشتغل عليهما زمناً طويلاً فيما يبدو ، فأخرجهما إخراجاً رائعاً وعظيماً ، قلَّ أن تجد له نظيراً عند غيره من الباحثين ، وأثقل كواهل متونهما بحواشٍ مستفيضة مستطيلة ، قد يعيبها عليه قومٌ ، إلا أنها غزيرة المعلومات عظيمة النفع . فيها من التحقيقات والتدقيقات والتهميشات والتعليقات ما يُحتاج إليه في هذا الفن (علم مقارنة الأديان) ويُنتفع به .

والحق أنه أبدع فيهما غاية الإبداع ، واختط لنفسه منهجاً في الإتقان قلَّ أن يباريه فيه أحد . وطُبع الكتابان[1] .

فأخجل مَنْ قبله ، وأتعب مَنْ بعده .

ثم سكت زمناً . حتى إذا انتصفنا في بحثنا هذا أو كدنا ، إذا به يخرج علينا بكتابه الجديد المقصود بحديثنا هنا ، أسماه : « المسيح المنتظر ونهاية العالم » . في طبعته الأولى[2] . أخرجه في ثلاثمائةٍ وخمسين ورقة تقريباً .

فجعني بخبره بعض الزملاء ، وأنا جدُّ مشغولٌ ببحثي هذا . فانطلقت لا ألوي على شيءٍ أبحث عن هذا الكتاب ، وزاد الفجيعة أني رأيته قد اختطف رأس العنوان الذي عندي ، فجعله عنواناً لكتابه . فحملته على عجلٍ ، فتصفحت فهارسه ، فإذا هو قد ضرب في عُرْض الموضوعات التي سنطرقها فانتقى منها رزماً . فأيقنت أني لا محالة ، لا أصمد لهذا الـ« طويلة » ولا أقوم له . غير أني تريثت في الحكم حتى أطالع هذا الكتاب مطالعةً فاحصةً لأهميته . فرأيت فيه حين عرضته عجباً ولا كأي عجب . حرَّضني ودفعني على إتمام ما أنا بصدده ، وشجعني على استكمال ما بدأته .

---

(١) الطبعة الأولى لكلٍّ منهما (١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م) صادرة عن دار القلم - دمشق . وشاركتها الدار الشامية - بيروت ، في إصدار الأول منهما .

(٢) عام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م . عن دار السلام - القاهرة .

نقد الكتاب :

ذلك أن هذا الكتاب تضمَّن هفواتٍ كبرى ، ما كان يُظنُّ بمثل هذا المؤلِّف الذي خبرناه في كتبه السابقة ، أن يقع فيها .

لكنْ « لكل حصانٍ كبوةٍ » ولاشك .

أيْ نعم . اختطَّ لنفسه منهجاً وسار عليه ، وجوَّد في عرض ما عنده .

لكنَّ الذي يُنتقد عليه هفواتٌ كبارٌ ، مما لا يقع فيه صغار الباحثين فضلاً عن كبارهم .

أولى هذه النقدات والملاحظات : الرجل مؤلِّفٌ معروفٌ في مجال مقارنة الأديان . لكنه حين دخل في أشراط الساعة والفتن والملاحم ، وأنفق الكثير من صفحات كتابه في الحديث عنها . لم يعرف طريقاً إليها غير طريق نعيم بن حماد وكتابه في الفتن والملاحم . وقد نُشر الكتاب المذكور مؤخراً بدون تحقيقٍ ولا تخريج . فجاء صاحبنا فأصبح ينقل ويُحيل على نعيم بن حماد بلا تمحيص . كأنه يظن أنه يُحيل على جبلٍ في هذا العلم كالبخاري مثلاً . مع أن كثيراً من المرويات الصحيحة في هذا الشأن متوافرةٌ في البخاري ومسلم وكتب السنن . والعجيب أن المؤلف اعترف في مقدمة كتابه هذا ، وقرر بنفسه أن نعيم بن حماد لا يُعتمد عليه[1] .

فإما أنه قليل الخبرة بهذا الفن ، فخاض فيه كغيره من كُتَّاب المقالات والدراسات المحدثة في هذا الخصوص ، ممن يعتبرون أو يعدُّون كل المرويات الموجودة في كتب المسلمين في هذا الشأن ، تُمثِّل وجهة النظر الإسلامية في هذا الباب .

وإما أنه واسع الخبرة . فتكون غلطته هاهنا بعشرة أضعاف غلطة جاهلٍ سواه .

---

(١) المسيح المنتظر ونهاية العالم - لعبد الوهاب طويلة (٩) ط. أولى / دار السلام - القاهرة / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

ولولا كثرة الأمثلة على ذلك لسوَّغنا السكوت عن مثل هذه الهفوات ، وعددناها في الهفوات النادرة . لكنها كثرت واستطالت[١] .

الملاحظة الثانية : عدد المراجع التي عاد إليها في بحثه ثمانيةٌ وعشرون مرجعاً . كما أثبت ذلك في قائمته في آخر كتابه . وإنْ كان قد أشار إلى أنها أهم المصادر والمراجع وليس كلها . لكنْ لا يُظنُّ به أن يُغفل ذكر مرجعٍ مهمٍ عاد إليه . فلربما كانت تلك المراجع التي أغفل ذكرها في قائمته قليلةً محدودة العدد . أو مراجع ثانويةً هامشيةً وليست أساسية .

وبحثٌ بمثل هذه الضخامة ووفرة المراجع والمصادر والمعلومات لكل فقرةٍ من فقراته ، ومبحثٍ من مباحثه ، فضلاً عن كل هذه المباحث الكثيرة المتعددة ، لا يُمكن أنْ يُكتفى فيه بثلاثين مرجعاً فحسب .

غير أن الذي لفت النظر هو : أن أول أهم مرجعين عاد إليهما في قائمة مراجعه الهامَّة التي أثبتها في آخر هذا البحث ، هما : مختصر تفسير ابن كثير وصفوة التفاسير للصابوني .

ولا أعلم هذين الكتابين لهذا المؤلف من المراجع الأصلية ولا من المراجع المهمة في هذا الشأن ، قطعاً وبلاشك .

الملاحظة الثالثة :

أكثر من ربع تلك المراجع الهامة - على ما زعم - كتبٌ محدثةٌ لبعض المحدثين ، لا هي مراجع أصلية ولا هامةٌ ولا شيءٌ من هذا بالمرة . بل هي كتب الصابوني والمهندس أمين محمد جمال الدين وعبد اللطيف عاشور والناشر مصطفى عطا . فأية مراجع هامةٍ هذه[٢] ؟

---

(١) انظر كتابه : المسيح المنتظر - الصفحات (٦٢ - ٦٣ / ٦٥ / ٧٥ - ٧٦ / ٧٨ - ٧٩ / ٨٢ / ١٢٣ / ١٢٨ / ١٤٠) . ولو أنه إذا ساق الحديث عن نعيم خرَّجه وحكم له بالصحة لَسُوِّغ له ذلك . لكنه ينقله ويسكت .

(٢) طالع إن شئت قائمة مراجعه الهامة هذه في كتابه - ص (٣٥٣ - ٣٥٥) .

وأنكى من هذا وأشد ، أنه يتكيء على شبكة المعلومات أو الشبكة المعلوماتية (العنكبوتية / أو الإنترنت) في إيراد بعض مقولات القوم (اليهود والنصارى) [(١)] . وهي - فيما أزعم - ليس مما يُعتمد عليها أو يُوثق بها تماماً . فكتب وأصول القوم (اليهود والنصارى) متوافرةٌ مطبوعة . والعودة إليها سهلة .

أما العودة إلى الشبكة ، وحكاية مقالاتهم نقلاً عنها ، فهو أشبه ما يكون بمن يحكي مقالات أهل الإسلام ، نقلاً عن بعض المواقع المغرضة ، أو الجيدة لكنها لا تخلو من خطأ ، الموجودة على الإنترنت ، ثم يُحاكم الإسلام على أساسها ، وينبزه أحياناً بما ليس منه وفيه .

والحال أن أصول الإسلام ودواوينه ومصادره معروضةٌ مبثوثةٌ متوافرةٌ بين أيدي الباحثين .

ثم يأتي مَنْ لا يعود إليها ولا ينظر فيها . فهل يُعدُّ كلام مثل هذا معتبراً ؟ وهل يُنظر في كلامه أو يُردُّ عليه ؟

الملاحظة الرابعة :

الأسلوب والصياغة التي قُدمت بها فقرات الكتاب ومعلوماته ، ليست شبيهةً بأسلوب عبد الوهاب طويلة الذي تعوَّدنا عليه وعهدناه في تحقيق « الرسالة السبعية » و « بذل المجهود في إفحام اليهود » .

تلك التحقيقات الجزلة المطوَّلة الموثقة بكل دقة . المليئة بالمعلومات الدقيقة المحققة الهامة .

---

(١) طالع إن شئت الصفحات التالية من كتابه (٢٦٣ / ٢٦٤ / ٢٦٥ / ٢٦٦ / ٢٦٨) .

أما أسلوب هذا الكتاب فعجيبٌ جداً . أقل عيوبه : السردية(١) / وعدم التحقيق والتدقيق / وقلة المراجع رغم وفرتها / وضآلة قدر بعضها رغم توفر مصادر أصلية تضم قدراً جيداً من المعلومات في هذا الشأن / ووضع بعض النصوص في غير مواضعها واستشهاده بها في غير محلها(٢) .

فإن كان الكتاب من تأليف « طويلة » حقاً ، فهي هفوةٌ ولاشك .

ولربما تعجَّل إخراجه ظناً منه أن الوقت قد ضاق عليه ، لاقتراب المواعيد المتوقعة التي يذكرها النصارى في هذا الشأن .

وتلك هفوةٌ أخرى ، لرجلٍ يريد أن يصحح للناس اعتقاداتهم في هذه المسألة ، ويذكر لهم الصواب فيها .

ومع أنه ردد في أول كتابه أن ذلك غيبٌ لا يعلمه إلا الله . لكننا نراه يتأثر من حيث لا يشعر . أو يُجاري الرأي العام ونزوات الناشرين بهذا الخصوص . فيتعجل ظهور هذه النسخة المشوَّشة استباقاً للأحداث التي كان العامة يترقبونها ، على ما أوهمهم به كُفَّار أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

الملاحظة الخامسة : قام بتقسيم بحثه تقسيماتٍ غريبةً للغاية ، تُربك الباحث والقاريء والمطالع .

فالبحث عنده مقسمٌ إلى (أقسام) لا إلى (أبواب) ، والقسم مقسمٌ إلى (فصول) ، والفصول مقسمةٌ إلى (فروع) لا إلى (مباحث) ، والفروع مقسمةٌ إلى (مباحث) لا إلى (مطالب) .

---

(١) انظر سرده للنصوص . الذي يشي بأنها نُقلت على عجل (المسيح المنتظر / ٢٥٩ - ٢٦٠) .

(٢) كاستشهاده بحديث أن المسلمين يوشك أن يحاصروا إلى سُلاَح ، قريبٌ من خيبر . على أن معناه أن السفياني يُحاصر المهدي . وهو بعيدٌ جداً . انظر (المسيح المنتظر / ٧١) وانظر توجيهه في موضعه من الباب الرابع من بحثنا هذا إن شاء الله .

فأحدثَ هذا التقسيمُ المخترع المخالفُ للمعتاد المعهود في البحوث العلمية المعتمدة المعروفة ، خلطاً شديداً وإرباكاً واضطراباً يقع فيه القاريء ، فلا يعلم ماذا مضى وماذا بقي ؟ ولا يدري أهو في بابٍ ، أم في فصلٍ ، أم في مبحثٍ متفرعٍ عن فصل ؟ لأنه لا يُطالع إلا تقاسيم جديدة محدثةً سمَّاها : (فروعاً / وأقساماً / ونحو ذلك) .

الملاحظة السادسة : حصوله على بعض المعلومات من بعض المراجع دون الإحالة إليها .

مما يدلُّ على أن العجلة والتسرع كان السمة الرئيسة لهذا البحث ، حتى بلغ درجةً من الاختلال لا تغتفر .

خذ مثلاً على ذلك أنه نقل كلاماً لابن القيم رحمه في « هداية الحيارى » . وضمَّنه كلامه ، دون أن يحيل على ابن القيم[1] .

فهو إما نقل ثم نسي ، فلابد من أن يعود ثانيةً لِيُثبت هذا المرجع ، فبحثه لم يكتمل بعد . وإما أنه أخذ نصوص ابن القيم وساقها كأنها نصوصه ، ولم يُنبِّه إلى ذلك .

وكلتاهما خصلتان مذمومتان في البحث غير مقبولتين بالمرة ، من طالبٍ مبتديء . فكيف بباحثٍ كبيرٍ كهذا .

وإثبات مرجعٍ مثل هذا في أهميته وجدارته وقوته وقوة مؤلفه أولى به من إثبات كتب الصابوني وأمثاله في المراجع الهامة على ما زعم .

---

(١) انظر كتابه : المسيح المنتظر (١٦٦ - ١٦٧) وهو من كلام ابن القيم في : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١١١) . دار الكتب العلمية - بيروت / طبعة وتاريخ : بدون .

الملاحظة السابعة : كتبت مواضيع البحث كأنـها مقـالات منفصلـة ثـم ألصقـت ببعضٍ وصدرت في كتابٍ مكتمل - هذا ما يبدو لِمُطَالِعِ الكتاب لأول مرة - .

يأتي سرد المواضيع بلا ترتيبٍ مقبول ليكشف ذلك أحياناً :

خذ هذا المثال في ترتيب مباحث هذا الكتاب :

- حقيقة المسيح .
- الخطيئة والتوبة .
- نزول المسيح .
- .....
- خروج يأجوج ومأجوج .
- .....
- موت المسيح .
- الرجاء المبارك لدى النصارى .
- اضطراب النصارى في تحديد عودة المسيح .
- معركة هرمجدون .
- تحالف الصهيونية والاستعمار .
- اجتهاد بعض المسلمين في تحديد عمر الأمة .

هذه مباحث متتالية ضمن قسمٍ واحد (كما يسميه) . أزعم أن لا رابـط يربـط بين بعضها والبعض الآخر .

فما علاقة مبحث عمر الأمة ، بهرمجدون ، بتحالف الصهيونية والاستعمار ، بعودة المسيح ونزوله . حتى تدخل في الفصل أو الباب المخصص للحديث عن نزول المسيح أو عودته .

هذه مكانها ملاحق أو مقدمات أو فصول أخرى .

ثم بعد ذلك لم تُرتَّب كذلك ترتيباً مقبولاً . « فالرجاء المبارك لدى النصارى » ، مكانه قبل « موت المسيح » . لا بعده .

وكذا مبحث اضطراب النصارى في تحديد عودة المسيح . فعودته سابقةٌ لموته لا لاحقة . فمكانها إذاً قبل لا بعد .

وفي الختام لا يُنقص هذا النقد العنيف من قدر هذا الباحث العظيم ، ولا يحطُّ من شأنه . وليس المراد به ذلك أبداً . بل المراد به – وحساب النيات على الله – أن يُوفَّى هذا الموضوع حقه ومستحقه ، حتى لا يُحتاج معه إلى النظر في غيره . والله يعلم أنه كان من أحب الأشياء إلى قلبي قراءة كتب هذا الرجل وتحقيقاته المطولة ، لكنني حين رأيت بحثه هذا ، جزمت – رغم تعلُّقي العاطفي بتآليفه – أن الرجل ما استوفى هذا الموضوع ولا وفَّاه حقه .

ووجدت لزاماً عليَّ أن أنهض لإكمال ما بدأت به ، وأن أستعين بالله على إتمام ما قصدت إليه في خطتي ومنهجي . فكان هذا النتاج المبارك إن شاء الله . وبالله المستعان .

ولا يبعدُ أن يلومني لائمٌ على ما فعلت بكتاب الرجل حين نقدته ، ولا يبعدُ أن يعتقد ذلك غيرةً أو دفعاً عن بحثي . والله يعلم وحده أني ما قصدت لذلك ولا نويته .

لكن حق العلم عندي وداعيه أقوى من كل حقٍ ، وإجابة داعيه أوجب من إجابة كل داعٍ .

ولكلٍّ وجهته وخطته ومنهجه .

هو قصد إلى مسائل فشوَّش ترتيبها ، واستكمل بعضاً منها .

وذهبتُ أنا مذهباً آخر في البحث أكثر عنفاً وأشد إثارةً وتحفيزاً – فيما أزعم –. رجوت به أن يكون نصيبي من الحسبة والجهاد والاجتهاد . وأن ينفع الله به فيكون له في الواقع شيءٌ من الأثر العملي الذي يزيح بعض الركام الهائل عن معدن هذه الأمة الأصيل ، ونورها الباهر ومشعلها الوضَّاء .

والله أسأل أن يتمم لنا الفائدة ، ويُحسن لنا العائدة ، وأن يجعلنا من النخب الرائدة ، في عملٍ خالصٍ لوجهه سبحانه وتعالى ، لا يُراد به متاع الدنيا الزائلة ولا قاذوراتها البائدة .

بقي عليَّ بعد هذا أن أشير إلى أشياء لحقت واستجدت .

فقد طالعت بعد أن فرغت من كتابة هذه الرسالة بحثاً غير منشور ، تقدم به أحد الأساتذة للترقية ، لا أعرف مَنْ هو ؟ ولا في أي جهةٍ أو جامعة ولا من أي بلدٍ هو ؟.

جعل بحثه ذلك في « دعاوى النصارى في مجيء المسيح عليه السلام - دراسة نقدية » أخرجه في سبعين صفحةٍ تقريباً .

ولم أقرأ هذا البحث ، لكنني قلبت بعض صفحاته وطالعت أكثر عناوينه وفهارسه للاستدلال على منهجه ومناحي بحثه .

وهو فيما يبدو لي مقتصِدٌ مختصِرٌ موجزٌ كالعادة في أبحاث الترقية . أفنى قسطاً جيداً منه في إبطال مصادر النصارى والتشكيك في صحة اعتمادهم على العهد القديم ، وصحة مصدرهم التالي العهد الجديد وأناجيله ورسائله .

وأنفق في ذلك ما يقارب خمساً وعشرين صفحةً[1] .

أما من ناحية المضمون فلست أهلاً لأن أحكم على مضامينه أو أتناول محتوياته بالتحليل . وإنما هو عمل كبار المشايخ والأساتذة .

لكنَّ هذا البحث قطعاً لا يغني عما صنعناه .

وهو على فرض احتمال توافقه التام مع المنهج الذي سلكناه ، والنتائج التي استخرجناها ، والأسلوب الذي تبعناه في العرض والدرس والتحليل ، وهو احتمالٌ بعيدٌ إلى حدٍ ما - بناءً على تلك المطالعة القصيرة العاجلة لبعض مضامين وتوجهات ذلك البحث - .

---

(١) الصفحات (٣٢ - ٥٠ / ٥٥ - ٥٨ / ٦٠ - ٦٢) .

أجده أشبه ما يكون بمعتصر المختصر لِمَا أفضنا في ذكره وتناولناه في بحثنا هذا على مدى سنواتٍ طوالٍ ، أنهكتنا في الجمع والعرض والتحليل ، والبسط في الشرح والاستيفاء . عسى الله أن يتقبلها منا ، وأن يأجرنا عليها . وأن لا يضيِّع اجتهاد مجتهدٍ ولا يُخيِّب رجاءه .

وقد رأيت من الأمانة إضافة هذا التعليق حول هذا البحث غير المنشور . رغم أن دوافع الإحجام ومبرراته أكثر من دوافع الإقدام . غير أني مِقْدِمٌ . تاركاً سكة الإحجام لِمَنْ عداي .

التنبيه على موضوع كتاب الدكتور أحمد حجازي السقا :

أصدر الدكتور / أحمد حجازي أحمد علي السقا كتاباً سمّاه « المسيا المنتظر نبي الإسلام ﷺ »[1] . هو في الأصل رسالة دكتوراه تقدم بها لكلية أصول الدين بالقاهرة . وأجيزت للمناقشة سنة ١٩٧٥ م .

كان عنوان رسالته أو كتابه هذا مُوهِماً . حين ربط بين البشارة بالنبي ﷺ ، وبين هذه القضية التي يتناولها بحثنا هنا : قضية المسيح المنتظر . بل كان الخلط واضحاً .

لكننا استبعدنا سوء الظن للوهلة الأولى ، وقلنا : إن الخلط الموجود في عنوان البحث ربما كان محصلة عدم تدقيقٍ في الأمر ، أو تساهلٍ أورث خلطاً من نوعٍ ما .

وكان الظاهر من حاله وأمره وحال رسالته وخبرها ، أنه يريد جلب المزيد من البشارات التي تتحدث عن النبي ﷺ وتذكره في التوراة والإنجيل ، أو أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد .

لكنَّ ذلك الخلط الأول في العنوان أورث انحرافاً لم نتوقعه ولم ننتظره .

---

(١) طبع طبعةً أولى سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

فقد اتجه الباحث المذكور نحو وجهةٍ غير محمودةٍ ، حين راح يجلب البشارات الموجودة في العهد القديم والعهد الجديد عن النبي ﷺ ، ويخلطها بحديث أسفار العهد القديم عن منتظر اليهود ، وحديث أسفار العهد الجديد عن منتظر النصارى .

موحياً بأن التحليل الصحيح والتوجيه المصيب لهذه النصوص يكون بحملها جميعاً على نبينا محمدٍ ﷺ . ما انطبق منها وما لم ينطبق .

ولم يكن مراده بذلك الاستكثار من البشارات الدالّة على نبوة نبينا محمد ﷺ في كتب اليهود والنصارى ، كما يبدو للمطالع العابر .

ولا كان مراده كذلك الإشارة إلى أنه النبي المنتظر بعد عيسى الذي بشرهم به عيسى عليه السلام .

بل كان يهدف إلى أمرٍ أبعد من ذلك ، لا نوافقه عليه ، بل يجب التنبيه إليه ورده عليه .

ألا وهو نصرة مقالة أصحاب البدع الضالة والطوائف المنحرفة بين المسلمين ، من المنكرين لنزول عيسى عليه السلام وعودته في آخر الزمان ، من الخوارج والجهمية والمعتزلة .

وقد صرح بذلك الهدف الخطير غاية التصريح في آخر كتابه أو بحثه هذا ، حين قال بكل جرأةٍ وتبجح : « ادعى النصارى – للتشكيك في نبوة محمد ﷺ – أن المسيا هو عيسى عليه السلام ، وسوف يأتي في نهاية الحياة الدنيا ..... ليقتل المسيح الدجال ..... تلك دعاويهم الباطلة . وقد تنبه الناس لها ، وعلموا يقيناً : أن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين . وإمام المرسلين ، وسيد ولد آدم ولا فخر ، ولا نبي من بعده **ولا مسيح ، ولا مسيخ** »[1] .

(١) المسيا المنتظر نبي الإسلام ﷺ – د. أحمد حجازي السقا (٢٦٦) . ط. أولى / مصر – مطبعة دار التضامن / ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م .

وهذا أمرٌ لا يُسوَّغ له على الإطلاق ، ولا تُعدُّ دراسته تلك دراسةً سليمة المضمون ولا مسوَّغةً ألبتة . لمخالفتها للمشهور المعروف من مذهب أهل السنة والجماعة ، من تقرير نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وثبوت ذلك المعتقد عندهم . بناءً على الإشارات القرآنية التي دلت على ذلك ، والأحاديث الصحيحة الصريحة في ذكر ذلك .

وقد تناولنا موقف الدكتور هذا ومقالته ضمن مقالات المنكرين للنزول والعودة بين المسلمين . ورددنا عليه في الباب الرابع من هذه الرسالة . كما سنراه لاحقاً إن شاء الله .

والذي دفعنا للتبكير بعرض ذلك والإشارة إليه في مقدمة هذه الرسالة . هو التوافق بين عنوان بحثه أو رسالته هذه ، وبين عنوان رسالتنا أو بحثنا هذا . رغم التباعد التام والاختلاف الهائل بين المضامين .

فإن لفظ « المسيا المنتظر » ، المرادُ به عين ما يُراد به لفظ « المسيح المنتظر » . وإنما الاختلاف بعد ذلك في مضامين البحث ، ووجهة كل واحدٍ منها ، ومنهجه إلى آخر هذا . لذا أحببنا التنبيه إلى هذا مقدماً .

وأخَّرنا الكلام عليه في تنبيهٍ مستقل عن بقية الكتب رغم تقدمه على بعضها في الزمن . لانحرافه التام في المنهج عن بقية تلك الكتب .

بل هو باحثٌ في إطارٍ مختلف وعلى منهجٍ مغاير ، لا نشترك معه إلا في العنوان وبعض المفردات والمعلومات الداخلية المشتركة التي تتنازعها كل البحوث التي تتناول قضيةً مشتركةً معاً ، من مفرداتٍ وتعريفاتٍ وتسمياتٍ وألقابٍ ومصطلحاتٍ ، ونصوصٍ قد ينفرد بها باحثٌ دون آخر ، حصل عليها بطريقٍ ما . ولم يتمكن الآخرون من الحصول عليها . فيكون هو سبيلهم إلى مطالعتها والحصول عليها أحياناً . وليس هذا مما يؤثِّرُ على منهجية البحث أو وجهته .

رابعاً : منهجي في البحث

تتلخص معالم المنهج الذي سلكته في عرض هذا البحث ودراسة مواده وتحليلها ، والمنهج الذي سلكته في انتقاء مواد هذا البحث ، وأسلوب استخراج النتائج منها فيما يلي :

١ – الاستشهاد بالآيات القرآنية في محل الاستشهاد بها . والبحث عن دلائل قرآنية للأمر المراد عرضه ، واستحضارها إن توفرت وكان المقام مناسباً . مع عزو الآيات القرآنية إلى موضعها من المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية بالهامش .

وفي سبيل تحقيق هذا المطلب الأهم في هذا المنهج ، التزمت باستعراض آيات المصحف الكريم آيةً آيةً من أوله إلى آخره ، في مطالعةٍ علميةٍ متأنيةٍ ، لاستخراج واستخلاص الشواهد المناسبة لبعض مواضيع البحث ، الداعمة لأفكاره الرئيسة وقضاياه الهامة .

ومن ثَمَّ استحضارها في المقام المناسب لها داخل هذا البحث عند بلوغ الموضع المراد ذكرها والاستشهاد بها فيه .

٢ – أما بالنسبة للمصدر الثاني من مصادر العقيدة الإسلامية في نظرنا نحن أهل السنة والجماعة : السنة النبوية أو الوحي الثاني ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1] .

فقد واجهتُ مشكلةً عويصةً تمثَّلت في أن نصوص الأشراط والفتن والملاحم . وكل هذه القضايا التي تناولناها بالذكر في بحثنا هذا . قد وردت في كثيرٍ من مراجع السنة المشهورة ومصادرها المتوافرة وفي غيرها . واختلطت فيها المرويات الصحيحة بالضعيفة بالموضوعة .

---

(١) سورة النجم – الآيتان رقم (٣ – ٤) .

زد على ذلك أنها ربما قُدِّرت بالآلاف .

خذ مثلاً على ذلك أن قضيةً جانبيةً من قضايا هذا البحث ومسائله ، مثل قضية « المهدي المنتظر » ، قد ورد في موضوعها الرئيسي الذي هو عن « المهدي المنتظر » فقط دون الموضوعات الملحقة بها . من المرويات في أمره وشأنه ، الصحيح منها والضعيف والموضوع ، حسب ما أمكن رصده بعد جهدٍ مكثف على يدي باحثٍ تخصص في هذه القضية وحدها ، وأفنى فيها عمراً طويلاً . قد بلغ ٣٣٨ رواية[١] .

هذا في المهدي وحده .

دعك من المرويات في الأشراط . وفي شأن نزول عيسى عليه السلام . وفي أمر المسيح الدجال وخبره . حتى لقد ثبت في خبره لوحده من الأحاديث الصحاح والحسان فحسب ما يقارب ١٩٠ حديثاً[٢] . فكيف بما سواها . وهي لاشك بالمئات . لا يُماري في ذلك مَنْ طالع كتب السنة وأجزاء المحدثين ومصنفاتهم التي طرقت هذه المسألة .

فكيف بغيرها من المسائل والقضايا .

كل هذا جعل مهمة الباحث في هذا الشأن شائكةً ومعقدةً وهائلة التكاليف ، بل شبه مستحيلة ، واستنزفت من وقت الباحث وجهده وطاقته الكثير الكثير .

لكنه استعان بالله على ما أمامه ونهض له ، مستعيناً بجهود أئمة الحديث ورجاله في جمع وتخريج هذه الأحاديث قديماً وحديثاً .

---

(١) حسب ترقيم الدكتور عبد العليم البستوي للمرويات التي تناولها بالتخريج – طالع كتابه عن المهدي المنتظر – المجلد الثاني : الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة (٢ : ٣٨٢) .

(٢) انظر : إقامة البرهان – للشيخ حمود التويجري (٦) مكتبة المعارف – الرياض / ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م . / طبعة : بدون . حيث ذكر أنه أحصى هذا العدد في مراجعته لِمَا بلغ درجة الصحيح والحسن من تلك الأحاديث فحسب .

وكان لي في هذا المقام أسلوب عملٍ أعتقد أنه وفَّر عليَّ الكثير من الجهد والوقت الذي خشيت فواته . حين قمتُ باستعراض فهارس دواوين السنة المفهرسة حسب الموضوعات . واستخراج أرقام صفحات مظان ما أبتغيه . ثم استعراض مضامينها وقراءتها قراءةً متأنيةً على رويةٍ ، في وقتٍ لاحق حسب ترتيبٍ معين . مع استخراج النتائج والتحليلات في نفس اللحظة وتهميشها لحين البدء في تدوين المباحث المتعلقة بها .

وقد استنزف هذا من الوقت والزمن جزءاً طيباً .

وكانت البداية مع صحيح البخاري ثم صحيح مسلم ثم دواوين السنة الأربعة المشهورة : سنن أبي داود فالترمذي فابن ماجه ، فالنسائي الذي لم نجد فيه إلا قدراً ضئيلاً ونزراً قليلاً للغاية مما نبتغيه . وذلك عبر النسخ التي خرَّجها الشيخ الألباني رحمة الله عليه وعمل على تحقيقها . في كلا قسميها الصحيح ، والضعيف أحياناً عند الحاجة لذلك .

ثم تنوعت المطالعات والاستخراجات والتهميشات مع عددٍ آخر من كتب السنة .

وكان لنا مقام طويل ولبثٌ متطاول مع مسند الإمام أحمد رحمه الله ، الذي أعيانا في نسخته المصححة المحققة المخرَّجة على يدي الشيخ شعيب الأرناؤوط ومن معه .

والتزمت حباً في عرض هذا السفر الهائل والكنز الأعظم من كنوز السنة النبوية ، باستعراض كل محتويات هذا الكتاب الكبير . وبدأنا وطالت الأيام والليالي ومرت الشهور ، ونحن نطالع ونعلّق ونهمّش ونستفيد ، حتى مضى زمنٌ طويلٌ على ذلك . اضطررنا معه لقطع مطالعة بقية هذا المجموع الضخم بعد أن قصدنا إلى أكثر ما نريد ، عبر الاستعراض البطيء ، أو في مظانه عبر الاستدلال عليها من المؤلفات الأخرى وبعض البرامج الحاسوبية الحديثية المتعددة . عسى أن يكون في ذلك غنية . زد على ذلك أن الأرناؤوط قد بقي عليه بقيةٌ من المسند لم تُطبع بعد .

فكان أن انطلقتُ كسير الخاطر محزون الفؤاد على هذه الترتيبات الإدارية العاجلة دونما فائدة ، التي قطعتنا عن تحصيل ما نراه ضرورياً من الاستفادة والعلم لهذا البحث ولغيره .

وكانت ثمَّ مطالعاتٌ أخرى في بعض كتب السنة ودواوينها الأخرى كالمستدرك للحاكم مثلاً . مع التأكد من صحة ما زعم أنه على شرط البخاري ومسلم و لم يخرِّجاه ، بمطالعة حكم الذهبي بعده عليه ، أو غيره .

مع مطالعة بعض الشروح والتعليقات والتخريجات والتحقيقات .

ومطالعة مستخرجات بعض أئمة المحدثين المتأخرين وكتبهم ، كالسلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله . وكتابه الأخير « قصة المسيح الدجال » الذي أداره على الحديث الصحيح الطويل لأبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، واشتغل فيه بتخريجه وذكر شواهده .

وكذا كتاب البستوي في المهدي المنتظر ، وكتب الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله التي تضمنت كمّاً كبيراً من هذه الأحاديث مستخرجةً من شتى المصادر ، دلَّت على إمامة هذا الشيخ وتبحره في هذا العلم .

أما الحكم على الأحاديث فاكتفينا فيه بتصحيح المتقدمين . ثم بما ألحقه المتأخرون ، وعلى رأسهم الشيخ الألباني في مستخرجاته وكتبه . ثم الشيخ التويجري وإن كان مائلاً إلى التساهل في كثيرٍ من أحكامه على ما ظهر لي . ثم الأرناؤوط وغيره في تخريج مسند أحمد .

واستفدت من تخريجات البستوي وأحكامه في كتابه عن المهدي واعتمدتها ، لِمَا رأيت من تحقيق الرجل وتدقيقه وأناته في البحث والحكم على الحديث وعدم تسرعه وتعجله ، وعرضه بكل أمانةٍ ودقةٍ كل ما قاله من سبقه في الحكم على هذا الحديث إلى أن يبلغ الألباني في بعض الأحيان .

و لم أدخل في هذا المضمار لعلمي بقصوري وإفلاسي في هذا المقام ، وكنت كَـلاً على المتخصصين المبدعين المقدَّمين في هذا الشأن .

وقد يتم إيراد بعض الأحاديث الضعيفة ، لا للاستشهاد بها .

وإنما للتذكير بأن هذا الحديث المشتهر على ألسنة الناس في هذه المسألة ، إنما هو من الضعيف فيها لا من الصحيح أو الحسن .

أو لبيان أن ذلك الحديث الضعيف ليس فيه إلا زيادة عبارةٍ أو معنىً لا يتأثر السياق العام للقضية بعدم إيراده .

أما فيما عدا ذلك فنلتزم بالاعتماد والاستدلال والاستشهاد بما كان من الصحيح والحسن من الأحاديث فحسب .

وإذا اختُلِف في الحديث ، أخذنا بوجهة نظر أحد الفريقين ، حسب ما نراه من قوة دلائلهم .

٣ – العزو إلى المصادر والمراجع الأصلية . أو العودة إلى مراجع وسيطة ، إن تعذر علينا مراجعة تلك المصادر الأصلية ، فتكون تلك المراجع الوسيطة واسطةً بيننا وبين تلك المراجع الأصلية ، بعد أن صعب علينا الحصول على تلك المراجع الأصلية .

مع توثيق المرجع عند ذكره لأول مرة تفصيلاً ، كما هو المعتاد في البحوث العلمية المعتمدة .

ثم توثيقه تفصيلاً ثانيةً في فهرس المراجع والمصادر في آخر الرسالة .

٤ – اعتمدنا في عرض وجهة النظر الإسلامية – إن صح التعبير – في هذه القضايا . على ما قرره أئمة السلف ، وعلى ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة .

أما مقالات أهل الفرق والأهواء والبدع . فذكرناها في مواضعها المناسبة لها عند ذكر وجهات النظر المخالفة ، مع ما يلزم من الرد عليها .

٥ – منهجي في التعامل مع النصوص . هو بالنظر فيها واستلهام دلالاتها المباشرة التي يُوحي بها النص لأول وهلةٍ ، ولا تصرفه عن دلالته الظاهرة تلك أي قرائن راجحة . دون التعويل على تأويل مؤولٍ أو صارفٍ للفظ عن ظاهره بغير قرائن راجحة .

واعتمدنا في سبيل تحقيق ذلك عند التعامل مع النصوص القرآنية على ما قرره أئمة المفسرين وأهل العلم وأئمة السلف في تفسير الآيات . وعلى ما ذكره أئمة السلف من المفسرين في كتبهم . كالطبري في تفسيره والبغوي وابن كثير .

أما في سبيل التعامل مع النصوص النبوية فقد عدنا إلى الشروح المشهورة لكبار الأئمة والعلماء . كشرح الحافظ ابن حجر للبخاري (فتح الباري) والنووي على مسلم . ونحوهما .

ثم ما اندرج بعد ذلك من التعليقات والشروح ، واستلهام الدلالات من نصوص الأشراط والآيات والملاحم ، في ثنايا كلام العديد من أئمة السلف وأهل العلم إلى أيام المتأخرين منهم في كتبهم .

٦ – أما بالنسبة لنصوص أهل الكتاب ومصادرهم المعتمدة عندهم ، التي اعتورها التحريف ، وشابها الغموض والترميز أحياناً . وتعاورتها أقلام الشُّرَّاح منهم ومن غيرهم بالتأويل والتحريف ، ولَيِّ أعناق النصوص منذ وقتٍ مبكر ، زيادةً في التحريف وضلالاً على ضلال وجهالةً فوق جهالة .

فقد آثرنا أن نسلك منهجاً أقرب إلى السلامة مما عداه . بالعودة إلى تلك النصوص في أقرب ترجماتها العربية للتحقيق والتدقيق مباشرة حسب إحدى النسخ المعتمدة عندهم .

ابتعاداً عن الدخول في إشكالاتٍ لا يعلم مداها إلا الله . ومماحكاتٍ جدليةٍ يُعرف أولها ولا يُدرى أين آخرها .

فكان ذلك . واعتمدتُ - بعد الاعتماد على الله - على منهجٍ يتفادى الكثير من إضاعة الوقت في مراجعة ركامٍ هائلٍ من الزيف والتحريف والتضليل ، أضيف إلى ما سبقه في الأصل من تحريفٍ وتدجيل .

وآثرت أن أعتمد على النص الذي تعتمده كل طوائفهم أو أكثرها مباشرةً . في صيغته النهائية الصريحة دون تعقيدٍ أو تأويلٍ ، أو تحميلٍ للنصوص مالا تحتمله من معاني أو تأويلات . سواءً كان القائل بها منهم أو من غيرهم .

٧ - ونظراً لندرة المراجع في قطاع الديانات القديمة ، فقد اضطررنا للاعتماد على عددٍ من المراجع الوسيطة الأمينة في عرضها لتلك الديانات وعقائدها ومقالاتها .

دون أن ننسى محاولة الحصول ولو على جزءٍ بسيطٍ من تلك المعلومات من مراجعها ومصادرها الأصلية ، في حال التمكن من الحصول على شيءٍ من ذلك ، في ترجمةٍ عربيةٍ مقبولة .

٨ - وفي مجال التحليل والاستنتاج واستعراض النصوص . أزعم أني اقتحمت مجالاً بكراً خصباً ، لاسيما في الباب الرابع في القطاع الإسلامي . حين حاولتُ مزج قدرٍ كبيرٍ من نصوص الملاحم وترتيبها ما أمكن ، بحسب ما ظهر لي من توارد النصوص وتقارب معانيها ودلالاتها وإشاراتها .

ثم محاولة قراءتها قراءةً جديدةً ، على ضوء دلالة النص المباشرة الظاهرة ، وإشارات الشُّرَّاح إلى عدم صرف النص عن ظاهره لدلائل أو قرائن راجحةٍ معينة .

وأنتج لي ذلك مزيجاً من النصوص المذهلة التي تُعطي دلالاتٍ وإشاراتٍ ترتبط بالمسار التاريخي للرسالة المحمدية ، وتُسايره من طرفٍ خفي ، ولا تكاد تفارقه .

وقدَّم لي ذلك رؤيةً واضحةً لِمَا يُمكن أن يكون عليه مسار الأحداث - حسب النصوص النبوية - بالنسبة لمسيرة هذه الأمة ومستقبلها ، حتى تنطلق الأحداث الكبرى من عقالها ، بظهور المهدي ، وخروج الدجال ، ونزول عيسى عليه

السلام ، وحلول السلام على العالم ، بعد قيام المملكة الإسلامية العالمية التي لا يُعبد فيها إلا الله .

٩ – اعتمدتُ منهجاً صلباً وعنيفاً في مناقشة آراء المخالفين ورد ضلالات المبطلين ، وتسفيه أقوالهم وأحوالهم ، ومجابهتهم بالعبارة الشديدة والتعليق الساخر .

ابتداءً بالطوائف الضالة المنكرة لِمَا تقرر من نزول عيسى عليه السلام بين المسلمين .

وانتقالاً إلى ما في تقريرات النصارى وترتيباتهم واعتقاداتهم في هذا الخصوص . وهي الأهم – بناءً على معطيات عصرنا الحاضر – .

وكان لي في ذلك مجاولةٌ ومنازلةٌ ومِثارُ نقعٍ طال واستطال . لعله أن يشفي الغليل ويُزيل علل كل عليل .

وصولاً إلى ما عند اليهود .

وانتهاءً بما عند حمقى الهنود .

منهجاً لم أعتمد فيه لين العبارة . ولا رجاء الإنصاف منهم إن أنا سلكت معهم طريق الدبلوماسية الواهنة والعبارة الضعيفة والمجاملة الرقيقة .

فقد أثبتت الأيام والوقائع أن العالم كله لا يحترم إلا القوة ، والقوة المفرطة فحسب .

وأن لا مكان للضعفاء ولا للمتخاذلين تحت سقف هذا العالم .

وأدركْنا زمناً لم يبق فيه رقيعٌ ولا أحمق ولا حمارٌ أو خنزيرٌ من خنازير الأمم ، لم يرفع عقيرته ويتطاول على الدين الحق ودين الله الصحيح : الإسلام . ولم يُقابلِ الصواب من المقال بالمحال من الجدال . ولم ينفعْ في كل هؤلاء لا وعظٌ ولا تذكيرٌ ولا

تخويفٌ بـالله ، ولا عقلانيـةٌ ، ولا سياسـةٌ ولا دبلوماسـيةٌ ، ولا مطالبـةٌ بإنصـافٍ أو تحكيم عقل .

وكان قصارى جهد كل هـذه الأمـم الضالـة أن يعـترف واحـدٌ مـن باحثيـهم أو كُتَّابهم بين سنين وسنين ، بما عندنـا مـن الصـواب والحـق والعـدل . ويسـلك طريقـة الإنصاف مشوبةً ببعض الهنات .

ثم لا يُقدِّم ذلك أو يُؤخِّر شيئاً في واقع الحال ولا مآله .

ثم يسقينا بعد مقالته الفارطة تلك ، الألوفُ منهم من الكُتَّاب والمؤلفين والباحثين والسياسيين وعامة المتكلمين ، السم الزعاف سنين عدداً . بلا رحمة وبلا هوادة .

كأنما نحن أصحاب ضلالةٍ ، لا نعرف للهدى طريقاً . أو كـأن لنـا ربـاً غـير رب السماوات والأرضين ، لا يُبالي بنا في أي وادٍ هلكنا . ولا ينتصر لنا إن نحـن ظُلمنـا . ولا يأمرنا بالرد على هؤلاء إن أحسنوا بالحسنى ، وبالسـيف والموت الأحمر والذبح الأعظم ، إن هم جدَّفوا وكفروا وتزندقوا وسبُّوا الله ورسوله . وأحجموا عـن سـلوك طريق الإنصاف ، وسلكوا سبيل الاعتساف .

وشرع لنا الجهاد ، فرضينا بالذلة ومقام الهـوان ، مـن أجـل خـاطر عيـني الـدول الكبرى وصانعي السياسات العالمية .

كأنه ﷺ ما قارع الفرس ولا الرومـان ، ولا رمـى بأصحابه بـين فكـي كماشـة أعظم قوتين في العالم آنذاك ، محتسباً له ولهم الأجر من الله ، صابراً علـى مـا يُصيبـهم من البلاء واللأواء .

عالماً أن هذا هو طريق التوحيد والإيمان والعزة والجهاد . وأنـه الإسـلام الصحيـح الذي لا يقبل الله سواه .

واثقاً جازماً معتقداً بموعود الله من الظفر والنصرة والتأييد بعد ابتلاءٍ ولأواء .

١٠ – حاولت قدر الاستطاعة تقديم دراسةٍ تعتمد محاولة فهم الآخر ، لا كما نعتقد أنه كذلك ، أو كما نحب أن يكون ، بل كما هو على حقيقته . ويكون ذلك بالعودة إلى مصادره الأصلية أو البديلة لمعرفة وجهة نظره في مسألةٍ محددةٍ مثلاً . كهذه المسألة .

مع استبعاد العواطف والأفكار المسبقة أو التقليدية ، ومحاولة تقديم صورةٍ صحيحةٍ صادقةٍ لذلك الآخر . إمعاناً في المصداقية ، وحرصاً على معرفة الحقيقة ، والحقيقة وحدها . وتجنباً لسوء الفهم الذي قد يؤدي إلى خللٍ له آثاره المستقبلية على أمتنا ومجتمعاتنا ، إما بإفراطٍ أو تفريط .

وليس المطلوب تقديم صورةٍ نموذجية ، أو تقديم صورةٍ سوداء قاتمة ، بل تقديم الصورة الحقيقية دون رتوشٍ ، أو زيادةٍ أو نقصان .

إيضاحاً لما خفي ، وما خفي أعظم . وكشفاً للمستور . حتى يكون المرء على بينةٍ من أمره .

١١ – وختمتُ الرسالة باستخراج نتائج تربط الحاضر بالماضي بالمستقبل . وتصلُ الواقع المر بما يُؤمَّل إن شاء الله أن تكون عليه الأحوال المستقبلَة والأزمان المنتظرة ، من خيرٍ وبرٍ وسلامٍ وهدى .

استلهاماً لذلك من تلك البشارات النبوية الكريمة الواردة في هذا الشأن .

وفي الختام عسى الله أن ينفع بكل ذلك ، وأن يجعله موافقاً للحق والصواب والخير والهدى .

والله المسؤول أن يجعل في كل ذلك قرة عينٍ لي ولأمتي وأهل ملتي . ونصرة ديني وقضاء فرضي من الجهاد . وبالله المستعان .

خامساً : الصعوبات التي اعترضت طريق البحث

لا يخلو بحثٌ من مصاعب ، ولا يسلم باحثٌ من متاعب ، غير أن لكل بحثٍ وباحثٍ خصوصيتهما ، ولكل نوعٍ من البحوث متاعبه إلا ما ندر . ولكل باحثٍ بل لكل امريءٍ مأزقٌ لابد وأن يقع فيه ، وجسر عبورٍ لابد وأن يمرَّ عليه ، ليبلغ ما يُريد بلوغه .

وقد واجهتِ البحث وباحثه مصاعب شتى ، تنوعت وتعددت من الهين المعتاد أول الأمر ، إلى الصعب الذي لا يُبلغ إلا بمشقةٍ ، ولا يُركب إلا بكلفةٍ ، ولا يُوصل إليه إلا بعناء . ثم تفاقمت المصاعب آخر الأمر وازدادت .

غير أن أعظم ما لقيته وأشده كرباً عليَّ أثناء خوض غمار هذا البحث ، وعند التخوُّض في معمعته ، أمورٌ منها :

١ – معضلة الوقت . فقد أكربني أمره وأهمَّني أشد ما يكون الهمّ . جلست يوماً واجماً حزيناً أحسب على الورق ما يكفيني من الوقت لقضاء مشاغلي على الوجه الأكمل والأتم . فإذا أنا أحتاج إلى ثمانٍ وأربعين ساعة كل أربع وعشرين ساعة ، حتى أَفِي بكل وعودي ، وأقضي كل حوائجي ، وأنجز كل ما رتبته على نفسي حينذاك .

كنت لا أجد الوقت الكافي كي أسحب نَفَساً عميقاً أملأ به رئتيَّ من الهواء النقي ، أو هكذا خُيِّل إلي .

وزادني هماً إلى هم ، ما ظننته من ضياع بركة الوقت عليّ ، وما خشيت أن يكون سبب ذلك .

فأحزنني ذلك حزناً شديداً ، وأهمَّني همّاً عظيماً ، وكنت أستغيث بالله استغاثة محزونٍ مكروبٍ ، عسى الله أن يفتح لي باب رجاء ، وأن يُيسر لي سبيل تهوين ، يُخفف ما بي من فاجعة اللأواء وشدة البلاء على ما كنت أظنه .

كنتُ أسابق الزمن ، والوقتُ ينفد . وموضوعات بحثي لا تنفد ، وألهث لهاثاً في سبيل تحصيل مطالبي حتى أفرِّغ نفسي أكبر قدرٍ ممكنٍ من الوقت ، كي أستطيع الجلوس لهذا البحث وتفصيلاته ، أطالع وأقلِّب وأكتب .

كنت أول الأمر مشغولاً ببعض الأعمال الجانبية ، وظننت أن هذا هو السبب . ففرَّغت نفسي تفريغاً تاماً حتى من أعمال بيتي وشؤون أسرتي ، لعلي أجد من الوقت الإضافي المستقطع من تلك الأعمال ما يسدُّ رْمق جوعة هذا البحث الشره .

فإذا أنا وكل أعمالي ومحاولاتي في وادٍ ، وهذا البحث وما يحتاجه من الوقت في وادٍ آخر .

كان أكثر ما آلمني أنني أُنجز أشياء كبيرةً وكثيرةً ، ثم أجدني لم أفرغ بعدُ .

كان هذا البحث - فيما يُخيَّل إلي - يلتهم كالعملاق الهائل ، كل ما أضعه بين يديه من ساعاتٍ طوال وأيامٍ وليال ، بل شهورٍ وسنين . ثم لا يتوقف بعدُ عن الزئير ، يطلبُ المزيد .

وزاد الأمر سوءاً أني بُليت بعصبةٍ من شيوخنا ليس لهم هجيرى إلا مطالبتي بالفراغ : الساعة الساعة ، وليس على ألسنتهم كلمةٌ غير : الوحا الوحا والعجل العجل .

والشيخ المشرف - أيده الله بتوفيقه - منذ أول فصلٍ دراسي استلم فيه الإشراف عليَّ ، وكنا لم نكتب حينئذٍ إلا التمهيد وبعض الباب الأول ، يُبادرني إلى القلم فأكفُّ يده وأرجِّيه خيراً ، يريد أن يكتب لي إذن طبعٍ هكذا .

فلم أزلْ أتقلب على ذلك الجمر ، كالطير على السفود ، سنين عدداً ، أداجي هذا وأماري ذاك ، وأسترحم هذا وأستعتب ذاك .

والكلُّ مجمعٌ على أني قد بالغت في التطويل ، وأنا لم آكل من عمر كتابتي في البحث حينئذٍ أزيدَ من حولين .

وعجبت لذلك عجباً مفرطاً . فإني الذي أعهده منهم الإمهال وعدم الاستعجال . فما الذي جرى ؟

وأسرف بعضهم في العتب عليَّ ، وشدة اللوم والتعنيف ، حتى أبرمني ذلك وظننت بقائله سوءاً .

ولقد كان لي مع الوقت حكايةٌ ، لو وقفت أسردها على التفصيل ، لوقف الزمان يستمع ، وَلَعَجِبَ مما وقع ويقع . ولكن أكفُّ القلم كفّاً ، وأزفُّه إلى معضلةٍ أخرى زفّاً .

٢ - ضخامة الموضوع .

كان الموضوع من الضخامة والسعة ، بحيث أحتاج معه إلى ثلاث مددٍ نظامية أو أربع مدد ، حتى أُنهيه على الوجه الأكمل .

ولقد فطنتُ إلى هذا مبكراً ، منذ اللحظات الأولى لوضع خطة الرسالة وعرضها على مجلس القسم الموقر . لكن ماذا أصنع بأشياخي الذين استقلُّوا الموضوع واستكثروا من الزيادات ، حتى أثقلتْ ظهري بل كادت أن تكسره . هذا يقترح أن نبحث في البوذية ، وثانٍ زاد علينا البرهمية . واضطررنا رغماً لقبول كل ذلك . والتوسع في كل ما نوينا صناعته وإنشائه . حباً في المعرفة والعلم . واستكثاراً منهما .

وثقةً بالله ثم بالقدرة على لملمة أطراف الموضوع واختصاره ، والبراعة في ذلك إن شاء الله .

لكنَّ الموضوع كان أثقل مما تصورناه ، وأكبر مما تخيَّلناه . واجتهدنا في الظفر به حتى أدركنا الوقت .

وها نحن نخرج منه بعد أن أصبنا منه ، وظفرنا منه بروائع وفوائد وخرجنا منه بجوائز . لكنه كذلك أصاب منا ، وحَطَمَ منَّا أضلاعاً ، وهدَّ منَّا قدرات ، وأخمد لنا نوازع كبرى للظفر بما هو أعظم وأكبر مما ظفرنا به منه .

وإن شئت بسطاً أوسع من هذا يُقرِّبُ ذلك ويُصوِّره ، فتبيَّنْ أن بحثاً كهذا يتكلم عن قضايا كبرى مجتمعة ويربط بينها ، ويخرج من ذلك بتحليلاتٍ واستنتاجات ، لطويلٌ وكبيرٌ وضخمٌ وواسع ، فوق أنه عويص ، متشعب المآخذ ، متسع المدركات ، متفاوت المدخلات .

فيه إن أردت كلاماً وبسطاً وشرحاً طويلاً ، وتحليلاً وربطاً لقضية المهدي المنتظر بهذه القضية . في أوسع مداركها ، من أجل أن نبلغ غايتنا ، ونصل إلى النتيجة التي نريد .

فيه حديثٌ طويل كذلك عن قضية المسيح الدجال ، وهي مسألة طويلةٌ وهائلة الاتساع . وهي ولاشك قضيةٌ مرتبطةٌ أشد الارتباط ، متداخلة المباني والمعاني ، مع مسألة نزول عيسى عليه السلام ، أو عودته كما عند النصارى . وهي مسألةٌ كذلك طويلةٌ إلى حدٍ ما .

والإيجاز عند الكلام على هاتين القضيتين ، وهما صلب موضوع هذه الرسالة غير واردٌ بالمرة .

غير أنني أزعم أن ما دوَّنته في هذه الرسالة عنهما ليس إلا شيئاً موجزاً بكل ما تعنيه هذه العبارة من دقة .

فالذي رأيته في المراجع التي بين يديَّ ، لاسيما عن القضية الأولى منهما ، شيءٌ هائلٌ في كثرته وتفصيلاته وتشعُّبه وارتباطه بمسائل أخرى ، فضلاً عن أهميته لقضايا بحثنا في بعض الأحيان - فيما أزعم - .

غير أننا اقتصرنا في كل ما طوَّلنا هاهنا ، على أهم المـهم - فيمـا أزعـم - . وإن كنت أعلم أن ثمة مَنْ سيُنكر هذا أو لا يُصدِّقه .

كنتُ لا ألوم هؤلاء قبل أن أدخـل وأغـوص في تفصيـلات الموضـوع ، حتـى إذا غامرت بركوب أمواجه وغصت في لجحه ، كدتُ أغرق ، وعلمت أن من رمـاني في كل أمواج بحاره المتكسِّرة هذه ، لم يعلم جليَّة الأمر ، ولا أدرك خطـورة الموضـوع ، قبل أن يُقرر ما قرر ، وإلاَّ لَمَا فعل ذلك ولَمَا أقرَّه .

هذه هي أهم ثلاث قضايا في هذا البحث في القطاع الإسلامي فحسـب . دعـك مما سواها من قضايا . كقضية ابن صيَّاد المتفرِّعة من مسألة الدجال . وقضية السفياني المتفرِّعة من مسألة المهدي المنتظر . وقضية القادياني وأمثاله المتفرِّعة مـن مسـألة نـزول عيسى عليه السلام .

وكلٌّ يعلم أن قضيةً من هذه القضايا ، فيها من المؤلفات والأبحاث الكثير ، وفيها من التفاصيل والكلام الشيء الكثير الكثير جداً .

ومع هذا لم أتطرق إلى كل واحدةٍ من هذه المسـائل إلا ببضـع صفحـات أو دون هذا بكثير في بعض الحالات . فكيف بغيرها من القضايا : مثل نهاية العالم ، أو مسألة يأجوج ومأجوج .

هذه كلها قضايا ترتبط ببعضها ، وتتداخل فيما بينـها ، ويتصـل الكـلام في هـذا الموضوع بها جميعاً .

إذ لا يمكن الكلام عن نزول عيسى عليه السلام في القطـاع الإسـلامي ، دون أن نذكر ما يكون بينه وبين يأجوج ومأجوج ، وما يصـير إليـه حـالهم ، وتفصيـل ذلـك وتقريره ، بناءً على المرويات النبوية التي فصَّلت ذلك وبيَّنته .

ثم نحن بعد هذا كله لم نلفت الانتباه إلى قضايـا وموضوعـات البـاب الخـاص بمـا عند النصارى وما فيه من تفصيلاتٍ وتداخلات ، وباب اليـهود ، وبـاب الهنـود . إلى آخر كل ذلك .

فهل رأيتَ بحثاً كهذا البحث يحتملُ ، بل يستلزم أن تدخل فيه مناقشة كل هذه القضايا ، والخروج منها بالرأي الصائب والقول الراجح ، والرد على المنكرين أو المخالفين . ثم يعمد بعدئذٍ إلى الربط والتحليل والاستنتاج . فأيُّ بحثٍ هو هذا البحث ؟

أزعم بعد كل ما رأيتُ وسمعتُ وقرأتُ ، وعجنت وطحنت في هذا البحث ، ولقيت منه ، أنه ليس بحثاً ككل البحوث .

أزعم زعماً أنه مشروعٌ وليس موضوعاً .

هو مشروعٌ بحثيٌ ، يحقُّ أن تقوم عليه وتهبَ له كل جهدها وطاقاتها وخبراتها وإمكاناتها ، دور دراساتٍ ودور نشرٍ ودور أبحاثٍ ، ودورٌ غيرها إن شئت ، لا يخفى على المتأمل الفطن اهتمامها بهذا الجانب من الدراسات .

٣ - حساسية الموضوع وتعقيده .

كما كانت قضايا البحث المطروحة في أثنائه كثيرةً ، فإنها كانت كذلك شائكة . تحتاج إلى تمحيصٍ في الدراسة ، وتقليب وجهات النظر فيها ، والتأمُّل برويةٍ ، والدراسة بتمعن ، ومطالعتها بعينٍ فاحصةٍ وذهنٍ رائقٍ في جوٍ خالٍ من المنغصات والمكدرات والمزعجات . ومثل هذا قليل الحصول صعب الوجود إلا نادراً . وهو الذي كنت أريده وأبحث عنه ، حتى ظفرتُ بِنُبَذٍ منه .

فكنت أستعرض قضايا البحث وأدرسها وأحلِّلها ، وأعيد النظر فيها مراراً وتكراراً ، ثم أعيد تقليب أوجه النظر فيها ، فلربما بدا لي فيها غير ما مضى ، وأمضي فيها على سَنَنٍ في التفكير وطرائق غير تقليدية في البحث ، لعلي أظفر بمدخلٍ جديدٍ للموضوع المراد بحثه .

وهو ما أرهقني فكرياً وذهنياً ، « شيَّبتني هذه الرسالة » .

فلله ما لقيت بسببها .

ولولا الطمع في الجزاء من الله والثقة بما عنده ، ما كان لذلك حافزٌ يقوم له ولا يدفع به قُدُماً ، لا وظائف ولا مناصب ولا كل أموال الدنيا .

فَلْيُبارِكِ الله هذه الرسالة ، وَلْيُبارِكْ صاحبها . وَلْيُبارِكْ مشرفها ، وَلْيُبارِكْ مناقشيها .

والمعوَّل على الله في سعة البركة وحلول الخيرات ، والمعتمد عليه في كل ذلك .

٤ - تسلُّط الانشغالات ، وكثرة الإشغالات من كل الجهات ، وتحدُّرُها عليَّ من كل حدبٍ وصوب .

تكاثرت الظباء على خراشٍ   فما يدري خراشٌ ما يصيد

أمَّا هذه الإشغالات ، فإنها والله ما هي كالظباء ، بل هي كالسهام استهدفتني ، حتى جعلت إهابي مثل جلد القنفذ ، لا تدري أبشرٌ هو أم شوكٌ يمشي على الأرض .

وكان لذلك أثره في مضاعفة المصاعب والمهمَّات والملمَّات .

تخيَّل نفسك عاملاً في هذا البحث ، منشغلاً به أتم الانشغال ، ففي كَمْ يا تُرى من السنين ، يُمكنك الفراغ منه ؟

في ثلاث أم في أربع سنين ؟؟؟

فكيف إذا أُشغلت كل هذه السنين بأعمالٍ أخرى ، ما بين ضروريةٍ وأساسيةٍ وجانبيةٍ وهامشيةٍ ، تُرى كم يكفيك ؟؟؟

فكيف إذا قطعك عن هذا كله ، في كل فصلٍ دراسي تمرُّ به ، جدول محاضراتٍ يبتديء يوم الأحد وينتهي يوم الأربعاء مثلاً . فلا يترك لك إلا السبت ، والجمعة للصلاة والزيارة وقضاء حقوق وواجبات الأهلين . والخميس للراحة إن كنتَ منهكاً متعباً .

ويتصلون بك أول أسبوعين من الفصل الدراسي (وهـو في أقصى حدوده ستة عشر أسبوعاً) للإرشاد الأكاديمي . وآخر أسبوعين من ذلك الفصل المسكين للمراقبة ، وأسبوعٌ في منتصفه للاختبارات النصفية ، وأسبوعين في ختامه للاختبارات النهائية ، ثم أَنْجز عملك بإتقان ، وسلِّم نتائجك خلال ثلاثة أيام (حسب نظام عمادة القبول والتسجيل الأخير) ثم يسألونك : أين بحثك ؟ أنتَ غير جاد !!! ولو كنت جاداً لفرغت من البحث بين العشاءين . وطبعته بعد العشاء الآخرة ، وسلَّمته وقت الصبح حين يستفتح بالبيع بائعو الخبز التميس والفول .

وأجد من الواجب عليَّ أن أشير إلى مظلمةٍ لم أسلم أنا من بلائها ، ولا كُفيت شر نارها ولا بلوائها .

ألا وهي التمييز الذي مورس ويُمارس ضد نفرٍ من طلاب الدراسات العليا - لاسيما مرحلة الدكتوراه ، ومنهم صاحب هذا البحث - .

كنا نرى زملاء لنا في نفس المرحلة ونفس التخصص ونفس الدفعة ، يرتعون في سعةٍ من الوقت ، ويتربعون على عروش رخاءٍ منحتها إياهم أنظمةٌ إدارية . أُعطوها وحُرِمْنَاها . أولئك هم الطلاب الملتحقون بالدراسات العليا معنا ، المفرَّغون تفريغاً كاملاً للقيام بشئون بحثهم ، يأخذ أحدهم راتبه وهو جالسٌ في بيته أربع سنين عدداً . لا يقدر أن يماريه في ذلك أو يجادله أحد . ونحن وقوفٌ بجانب الشطّ نتحسر على مظلمتنا وننادي برفع البلوى عنا . ولا مجيب . لا يُسمح لنا بأخذ تفرغٍ إلا بالاحتيال ، ولزمنٍ محدود الرقعة جداً ، كأننا لصوصٌ نسرق مال الدولة . أو همجٌ نحترف الصَّولة .

بينما يتمتع أولئك بوضعٍ نظامي وقانوني ، لا أقول : إنه مريح ، بل هو فوق الراحة بمراحل .

لكأنما نتعلَّم نحن في إحدى جمهوريات إفريقيا الوسطى ، بينما يتعلَّم أولئك في إحدى الدول الصناعية الكبرى . أو كأننا من جنسٍ دون ، وهم من جنس الملائكة مثلاً .

عجبٌ وأي عجب .

ومظلمةٌ ولا كأي مظلمة ، يجب رفعها ودفعها ، والإنصاف في حلها . والمبادرة إلى ذلك .

ولو أن مَنْ فوقنا اشتغل برفع هذه المظالم عنا بدلاً من أن يشتغل بنا ويستعجلنا ، لكان ذلك أولى به . ولرجونا له من الله المثوبة وتخفيف العقوبة .

ولقد سمعت كثيراً عن سلق الأبحاث . لكنني غير خبيرٍ بطرائق السلق البحثية والعلمية والأكاديمية . فكيف أسلق وليس عندي مقلاة . ورأيت آخرين . أحدهم يُراجع له ، وآخر يُبيِّض له ، وثالثٌ يجمع له تراجم الأعلام ، ورابعٌ يصنع الفهارس ، بل فيهم من يُخرِّج له الأحاديث .

ثم يزهو على أقرانه بدعوى المعرفة هذه ، وهو كذَّاب كذَّاب . ربما كان يقدر أن يصنع هذه الأشياء . لكنه لم يجلس و لم يصنعها ، بل صُنعت له . لأنه يلهث وراء أمورٍ أخرى ، ويجري خلف أشتاتٍ شتى .

أما أنا فما يطمئن قلبي إلى أحدٍ في مثل هذه الأشياء . ولا أشتهي أن يرى أحدٌ ما صنعت حتى أفرغ منه فراغاً تاماً . ومن ذلك اشتكى شيخيَ المشرف . فوق أن ذلك خلاف الأمانة . بل هو الغش بعينه ، والخيانة المجردة ذاتها .

٥ - قلة توافر المراجع المطبوعة بالعربية ، ثم الموجودة داخل الدولة ، المسموح ببيعها ونشرها وعرضها ، عن النصرانية واليهودية والديانات الهندية .

وزاد الأمر سوءاً - ولربما كان في ذلك رحمة من حيث لا أشعر - تعذُّر الحصول على رحلةٍ علميةٍ رغم تقديم طلبٍ بذلك . لعدم موافقة إدارة الجامعة السابقة عليها ، أو نحواً من هذا .

وكان الجواب الرسمي حينذاك لرئيس القسم آنذاك ، أن « اكتفِ بالمراجع العربية والمتوفرة » . فكان أن اقتصرت عليها . فما كفاني لها كل هذا الوقت ، فكيف لو دخلتُ في غيرها .

٦ - وفرة المراجع الإسلامية وكثرتها . وربما ظن بعضهم إيراد هذا العائق وهماً ، أو عجب لذلك .

لكنه في الحقيقة كان عائقاً . لأن كثيراً من هذه المصادر والمراجع ، كان أحوج ما يكون خلال مطالعته ، إلى تحقيق وتدقيق .

فعددٌ من تلك المصادر كان يعوزها التحقيق الدقيق ، وفي بعضها خلطٌ كثيرٌ وإرباكٌ كبير . لابد معه من التأنّي والتروّي والتمحيص قبل قبول أي شيءٍ منها .

واستوجب ذلك أن يكون الباحث على درجةٍ عاليةٍ من الحساسية الفائقة ، والتمييز بين الغث والسمين ، وتمحيص الأخبار والأقاويل ، وحسن الاختيار ، ووضع المنتقى من ذلك كله في الموضع المناسب له . بدرجةٍ تفوق - فيما أزعم - ما في البحوث الأخرى من توخّي الحذر وتحرّي الدقة بأضعاف المرّات .

وأنا بعد كل هذا ، أعوذ بالله أن أغرُّ بهذا البحث أحداً أو أغترّ بما صنعت فيه ، فإني أخبرُ الناس به . وانا أعلم أن ما صنعت جهد مقلٍ . لأنه جهد فردٍ . والفرد مهما كانت إمكانياته وقدراته لا تبلغ مبلغ القليل من العمل من عمل الجماعة الضعيفة المتكاسلة .

وأعوذ بالله كذلك أن أضرُّ به أحداً أو أُضَرَّ أو أُضَارَ به ، فما هو إلا جهدٌ فكري وعملٌ أكاديميٌ بحثيٌّ بحت . هدفه العلم والمعرفة والإتقان والحياد الفكري فحسب . فأنا الذي صنعته ، ومَنْ صنع ، فهو أدرى بما صنع .

ثم إني بعد كل ذلك أسأل الله أن يتقبله ، وأن يجعل ما لقيت فيه في ميزان أعمالي الخالي من كثيرٍ من الحسنات ، الراجح بالسيئات .

لعل الله أن يمحو به زلاتي ، ويغفر سيئاتي . إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

سادساً : خطة البحث

تتكون هذه الرسالة من مقدمةٍ - هي هذه - وتمهيدٍ وأربعة أبوابٍ وخاتمةٍ وفهارس ، على النحو التالي :

المقدمة : وفيها نتناول ما يلي :

١ - سبب اختيار الموضوع .

٢ - أهمية الموضوع .

٣ - الدراسات السابقة في هذا الموضوع .

٤ - منهجي في البحث .

٥ - الصعوبات التي اعترضت طريق البحث .

٦ - خطة البحث .

٧ - شكر واعتذار .

التمهيد :

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : المسيح في اللغة . والعلاقة بينه وبين المهدي المنتظر .
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى المسيح في اللغة .

المطلب الثاني : العلاقة بين المسيح المنتظر والمهدي المنتظر .

- المبحث الثاني : علامات الساعة الكبرى .

- المبحث الثالث : خبر الغيب المستقبلي ولزوم الإيمان به .

الباب الأول : المسيح المنتظر في الأديان الوضعية القديمة .

وفيه فصلان :

- الفصل الأول : المسيح المنتظر في الهندوسية .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في التعريف بالهندوسية .

المبحث الثاني : عن التناسخ في الهندوسية ، وعلاقته بفكرة المنتظر .

المبحث الثالث : عن الخلاص والمخلّص المنتظر في الهندوسية .

- الفصل الثاني : المسيح المنتظر في البوذية .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : في التعريف بالبوذية .

المبحث الثاني : عن المنتظر في البوذية .

الباب الثاني : المسيح المنتظر عند اليهود .

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول .

- **التمهيد : في التعريف باليهودية** ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : عرض تـاريخي موجـز للديانـة اليهوديـة ، وفيـه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : لفظ يهود في اللغة والنسب .

المطلب الثاني : أنبياء بني إسرائيل .

المطلب الثالث : التاريخ السياسي لبني إسرائيل .

المبحث الثاني : مصادر اليهود المقدسة ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التوراة .

المطلب الثاني : العهد القديم .

المطلب الثالث : التلمود .

المبحث الثالث : أهم عقائد اليهود ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معتقد اليهود في الله - سبحانه وتعالى - .

المطلب الثاني : موقفهم من أنبياء الله عليهم السلام .

المطلب الثالث : عقيدتهم في اليوم الآخر .

المبحث الرابع : أشهر فرق اليهود .

- **الفصل الأول : عن موقف اليهود من المسيح عيسى عليه السلام .**

- **الفصل الثاني : عن المسيح المنتظر في المصادر اليهودية** ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نبوءات العهد القديم .

المبحث الثاني : نبوءات يهودية ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : نبوءات اليهود عن مسيحهم المنتظر .

المطلب الثاني : نبوءة اليهود بإعادة بناء الهيكل .

المطلب الثالث : المسيح الدجال عند اليهود .

المطلب الرابع : أدعياء المسيحانية بين اليهود .

- **الفصل الثالث : عن نهاية المسيح المنتظر في الفكر اليهودي** ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مدة المنتظر .

المبحث الثاني : نهاية المنتظر .

المبحث الثالث : ما بعد المنتظر .

- **الفصل الرابع : مناقشة ونقد** ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : قضية الوعد بأرض الميعاد .

المبحث الثاني : مناقشة المقولات اليهودية حول نبي الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

المبحث الثالث : مناقشة معتقدهم في نهاية المسيح عيسى عليه السلام .

المبحث الرابع : بين مسيحٍ ومسيح .

« بين المسيح الحق عيسى عليه السلام ، ومسيح الضلالة الدجال لعنه الله » .

الباب الثالث : المسيح المنتظر عند النصارى .

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول :

- **التمهيد** : في التعريف بالنصرانية .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الرابع : عن عقائد وطقوس النصرانية ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : اعتقادهم في الله .

المطلب الثاني : اعتقادهم في عيسى عليه السلام .

المطلب الثالث : اعتقادهم في الروح القدس .

المطلب الرابع : القول بالتثليث .

المطلب الخامس : عقائد وطقوس أخرى .

المبحث الخامس : عن فرق النصرانية .

- الفصل الأول : دعوة المسيح عيسى عليه السلام حسب الرواية النصرانية .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دعوة المسيح .

المبحث الثاني : الحواريون .

المبحث الثالث : يهوذا الإسخريوطي .

- الفصل الثاني : عقيدة النصارى في الصلب والقيامة .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الصلب .

المبحث الثاني : القيامة .

المبحث الثالث : الصعود .

- **الفصل الثالث : المسيح المنتظر في المصادر النصرانية** ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : نبوءات العهد الجديد عن المسيح المنتظر .

المبحث الثاني : نبوءات نصرانية ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : علامات المجيء الثاني .

والعلامات اثنتا عشرة علامة ، على النحو التالي :

العلامة الأول : انتشار الإنجيل في العالم ، ودعوة الأمم .

العلامة الثانية : تنصُّر بعض اليهود .

العلامة الثالثة : ارتدادٌ عظيمٌ في الكنيسة .

العلامة الرابعة : دخول الكنيسة في ألفيةٍ جديدةٍ تكون فيها مهيمنةً على العالم .

العلامة الخامسة : عودة اليهود إلى فلسطين .

العلامة السادسة : إنشاء إسرائيل الكبرى .

العلامة السابعة : استيلاء اليهود على القدس .

العلامة الثامنة : هدم الأقصى وبناء الهيكل الثالث .

العلامة التاسعة : تجفيف نهر الفرات .

العلامة العاشرة : حصار أورشليم بالجيوش .

العلامة الحادية عشرة : خروج المسيح الدجال .

العلامة الثانية عشرة : إشعال معركة هَرْمَجدُّون .

- **الفصل الرابع : مناقشة ونقد** . وفيه اثنا عشر مبحثاً :

المبحث الأول : مسألة نسب المسيح . وتعلّقها بدعواهم حول المنتظر .

المبحث الثاني : دعوى ألوهية المسيح . وتعلّقها بسكوتهم عن خاتمة المنتظر .

المبحث الثالث : نقض القول بالتثليث .

المبحث الرابع : دعوى الصلب والقيامة .

المبحث الخامس : دعواهم حول عالمية النصرانية .

المبحث السادس : حَمْلهم كل النبوءات الواردة في العهدين على مسيحهم المنتظر .

المبحث السابع : حول العودة المنتظرة .

المبحث الثامن : حول حقيقة منتظر النصارى .

المبحث التاسع : العُقْدة الكبرى، إرغام المنتظر على الظهور.

المبحث العاشر : أسطورة الخطف .

المبحث الحادي عشر : دعوى بركة إسرائيل .

المبحث الثاني عشر : البشارة بمحمدٍ ﷺ في الإنجيل وأسفار العهد الجديد .

الباب الرابع : المسيح المنتظر عند المسلمين .

ويشتمل على مقدمة وأربعة فصول :

- مقدمة : في تسمية المسيح عيسى عليه السلام مسيحاً منتظراً عند المسلمين .

- الفصل الأول : المسيح عيسى عليه السلام في القرآن والسنة .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المسيح عيسى عليه السلام في القرآن .

المبحث الثاني : المسيح عيسى عليه السلام في السنة .

- الفصل الثاني : علامات نزول المسيح عيسى عليه السلام .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ظهور المهدي .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ثبوت أمر المهدي .

المطلب الثاني : أقوال الناس في المهدي المنتظر .

المطلب الثالث : تفصيل أحوال المهدي .

المبحث الثاني : خروج الدجال . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ما قبل الخروج . وفيه خمسة مقاصد :

المقصد الأول : ثبوت أمر الدجال .

المقصد الثاني : تحذير الأنبياء عليهم السلام لأممهم منه .

المقصد الثالث : ظهور الدجاجلة الصغار قبله .

المقصد الرابع : خبره قبل ظهوره ، ومكان وجوده .

المقصد الخامس : العلامات المنذرة بظهوره .

وفيه إحدى عشرة علامة :

العلامة الأولى : نسيان ذكره .

العلامة الثانية : السنين الخدَّاعة قبله .

العلامة الثالثة : ثلاث سنواتٍ شدادٍ قبله .

العلامة الرابعة : نخل بيسان لا يُثمر .

العلامة الخامسة : جفاف بحيرة طبرية .

العلامة السادسة : ضعف الدين .

العلامة السابعة : فتنة الدُّهَيْماء .

العلامة الثامنة : ظهور المهدي .

العلامة التاسعة : قلة العرب .

العلامة العاشرة : الملحمة مع الروم .

العلامة الحادية عشرة : فتح القسطنطينية الفتح الثاني .

المطلب الثاني : ما بعد الخروج . وفيه عشرة مقاصد :

المقصد الأول : وقوع الفتنة الكبرى على الخلق بظهوره.

المقصد الثاني : أوصافه الشخصية .

المقصد الثالث : مكان خروجه .

المقصد الرابع : زمان خروجه . والمواعيد المكذوبة في ذلك .

المقصد الخامس : دعاواه وخُدَعُهُ وخوارقه وأفعاله .

المقصد السادس : حرز المؤمن من فتنته .

المقصد السابع : أتباعه .

المقصد الثامن : فتحه لأكثر الدنيا .

المقصد التاسع : مدته .

المقصد العاشر : مصرع الدجال .

- الفصل الثالث : نزول مسيح الهدى المسيح الحق عيسى عليه السلام في آخر الزمان .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أحداث النزول . وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : أوصاف المسيح الشخصية .

المطلب الثاني : تقرير معتقد النزول عند أهل السنة والجماعة .

المطلب الثالث : تفصيل قصة النزول .

المطلب الرابع : منكرو النزول والعودة .

المطلب الخامس : أدعياء المسيحانية بين المسلمين .

المبحث الثاني : أحداث العودة . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : لقاؤه بالمهدي .

المطلب الثاني : قتله الدجال .

المطلب الثالث : الصراع مع يأجوج ومأجوج .

المطلب الرابع : إقامة مملكة الإسلام .

- **الفصل الرابع : النهاية** . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نهاية المسيح المنتظر عند المسلمين .
(نهاية المسيح عيسى عليه السلام) .
وفيه ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : مدة المسيح عيسى عليه السلام .
المطلب الثاني : وفاة المسيح عيسى عليه السلام .
المطلب الثالث : ما بعد زمن المسيح .
المبحث الثاني : نهاية الدول والدنيا .
وفيه ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : نهاية دولة الإسلام .
المطلب الثاني : نهاية دولة الباطل .
المطلب الثالث : نهاية العالم .

- **خاتمة بأهم نتائج البحث .**

- **الفهارس :**

- فهرس المراجع والمصادر .

- فهرس الموضوعات .

سابعاً : شكر واعتذار

أشكر الله سبحانه وتعالى في أول ما أذكر ، على ما يسره لي من الفراغ من هذه الرسالة ، على ضخامة حجمها ، وتشعب مباحثها ، واستعصاء بعض مسائلها .

والحمد لله على تمام المنة وكمال النعمة ، وتحصيل المطلوب ، وتسهيل بلوغ المرغوب .

ثم الشكر بعد ذلك موصولٌ لهذه الجامعة البرّة الكريمة التي فتحت ذراعيها لي ولأمثالي من طلاب العلم وطالبي المعرفة ، وعلى رأس هؤلاء حضرة صاحب المعالي مدير الجامعة الموقر الأستاذ الدكتور / ناصر بن عبد الله بن عثمان الصالح ، أدام الله رياسته في خيرٍ وبرٍ وهدى .

وأُتبِعُ ذلك بالشكر والثناء على الخيرة من أساتذة الكلية والقسم ، ممن ساهم في دعم البحث وباحثه ، أو تعاطف معه وشدَّ على يده ، وعلى رأس هؤلاء شيخنا الدكتور : عبد الله بن عمر الدميجي عميد كلية الدعوة وأصول الدين سلمه الله .

وإن نسيت فلن أنسى فضل الشيخ المشرف ، والعَلَم الفاضل ، شيخنا الأستاذ الدكتور : **محمود محمد مزروعة ، المشرف على هذه الرسالة** في أكثر مراحلها . وأحمد الله على ما يسر من المقادير في سوقي إلى العمل تحت إشرافه .

ومن قبله الأستاذ الدكتور / محمود خفاجي .

وكان لثلّةٍ من الشيوخ والأساتذة فضلٌ كبير عليَّ ، لا ينقطع مداه ولا أمده ، تمثّل في تزويدي بكمٍّ هائلٍ من المراجع الصالحة لهذه الرسالة ، وكنت أحوج ما أكون إليها حين استفتحت الكتابة في هذه الرسالة ، فجاء مدد هؤلاء في الوقت المناسب والمكان المناسب ، كالغيث إذا نزل بأرضٍ مجدبةٍ سنين متطاولة .

ومن هؤلاء ، بل أولهم :

- الدكتور / عبد الشكور العروسي ، الأستاذ بقسم العقيدة .
الذي أمدني أيده الله وجزاه عني خير الجزاء بقسطٍ كبير من تلك المراجع.
فله مني كل الشكر والثناء .

- ومنهم الدكتور سعدي الهاشمي الأستاذ بقسم الكتاب والسنة . الذي زوَّدني ببعض المراجع النادرة الهامة .

والشكر موصولٌ لكل من سعى في سوق منفعةٍ أو فائدةٍ لي ، فيما يخص هذا البحث ، ممن غابت أسماؤهم عن ذاكرتي ، وأجرهم على الله . إذ كيف أطيق رد جميلهم ، وأنا لا أذكرهم اليوم .

فلهم مني جزيل الدعاء وجميل الوفاء .

وأسوق الشكر إلى قومٍ كان لهم وافر العطاء وأجمل الأثر ، وأولهم أبي وأمي (أبواي اللذان ربياني مذ كنت صغيراً إلى أن بُلِّغْتُ كبيراً) .

أبي الذي علّمني صغيراً ، واجتهد أن أحفظ القرآن ، وأن أشدو طرفاً من العلم .

وأمي التي وصلت الليالي بالليالي ، والسهر بالسهر ، والدمعة بالدمعة ، رجاء أن تراني بمقامٍ ، لي فيه مقامٌ في الدين والدنيا .

ولزوجي وأم ولدي التي صبرت وصابرت وكابدت وسهرت ، وإني لأرجو أن تكون بعد ذلك كله قدْ ظفرت .

ومن أعظم الناس عليَّ مِنَّةً في هذا المقام ، الشيخ الإمام الدكتور / عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس إمام وخطيب المسجد الحرام أدام الله عزه .

أجد كثير الثناء قليلاً بجنب ما أسداه إليّ ، ووافر الشكر ضئيلاً أمام ما أفاضه عليّ ، فله مني جزيل الشكر ، ووافر الدعاء بكثير الأجر .

وكان لي في المكتبة الخيرية التي أنشأها – مكتبة مجدد عصره شيخ الإسلام إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله – ، خيرُ معينٍ لي على ما أنا بصدده ، وكان لي فيها قعداتٌ وجلَساتٌ ومراجعاتٌ ومطالعات .

كانت حديثة العهد ، قريبة التأسيس ، فكنت أنعم فيها بهدوء المكان وصفاء الجو وسعة المقام وراحة البال ، وتوافر المراجع الجيدة الطبع الحديثة الإصدار ، المحقَّقة تحقيقاً جيداً في أكثر الأحوال ، مما يجعلني بعد أن انتهيت من هذا العمل أرفع أكف الضراعة إلى المولى العلي القدير ، أن يجزي خير الجزاء مَنْ ساهم في إنشاء هذه المكتبة الخيِّرة ، والدُّرَّة النيِّرة ، والمنحة الخيرية ، والهبة العلمية ، وأن يجعله موفقاً في أعماله ، مسدداً في أقواله ، مُبَلَّغاً كل آماله .

وأن يجزي شيخنا أبا عبد العزيز خيراً ، على ما صنع بطلاب المسلمين ، حين اجتهد وصمم على إقامة وإتمام إنشاء هذه المكتبة ، لتكون قبلةً لطلاب العلم وراغبي المعرفة .

ثم إني بعد كل ذلك أعتذر عن هذا البحث واستطالته ، وقصوري مع ذلك عن استيفائه وإعطائه حقه .

وأعترف بعد كل ما صنعت بقصور الذات ، وضعف البدايات .

وإني لأرجو بعد كل ذلك أن يكون عذري هذا مقبولاً لكل مُطالعٍ لِمَا صنَّفت ، مُرَاجِعٍ لِمَا جمعت ، وقلتُ وكتبت .

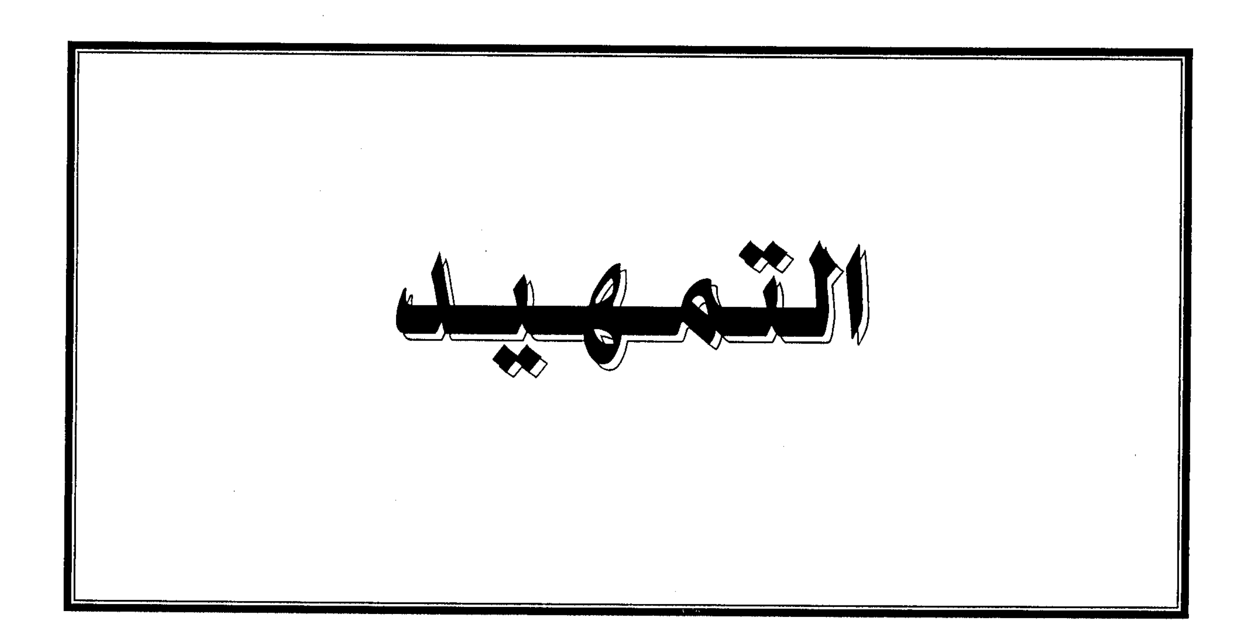
والله أسأل أن يجعل هذا العمل مقبولاً عنده ، مرضياً عنه ، مقبولاً عند الخلق ، نافعاً لأهل الحق .

فيه خير الدنيا والدين والآخرة لي قبل غيري ، ونفعٌ لأمتي ، ودفعٌ عن أهل ملتي (ملة محمدٍ ﷺ) .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سبحانك اللهم وبحمدك . نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



التمهيد

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المسيح في اللغة . والعلاقة بينه وبين المهدي المنتظر .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى المسيح في اللغة .

المطلب الثاني : العلاقة بين المسيح المنتظر والمهدي المنتظر .

المبحث الثاني : علامات الساعة الكبرى .

المبحث الثالث : خبر الغيب المستقبلي ولزوم الإيمان به .

المبحث الأول

المسيح في اللغة ، والعلاقة بينه وبين المهدي المنتظر

المطلب الأول : معنى المسيح في اللغة :

وسيكون حديثنا - بحول الله تعالى - في الفقرات الآتية :

- **أولاً** : هل كلمة مسيح عربية أم لا ؟

- **ثانياً** : اشتقاق لفظ مسيح .

- **ثالثاً** : كثرة المعاني في العربية لكلمة مسيح وما اشتقت منه .

- **رابعاً** : إطلاق لفظة مسيح على نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام ، وعلى نبينا محمد ﷺ .

ثم ... على الدجال الخبيث لعنه الله .

أولاً : هل كلمة مسيح عربية أم لا ؟

اختلف علماء اللغة في لفظة « مسيح » « هل هي عربية أم لا » ؟

١ – « فقال بعضهم سريانية وأصلها مشيحا بالشين المعجمة ، فعربتها العرب ، وكذا ينطق بها اليهود »[١] .

وقد نقل ذلك الأزهري[٢] عن أبي عبيد[٣] قال أبو عبيد : « المسيح عيسى أصله بالعبرانية مشيحا فَعُرِّب وغيِّر »[٤] . وقال الأزهري في موضع آخر : « والمسيح عيسى ابن مريم قد أعرب اسمه في القرآن على مسيح . وهو في التوراة مشيحا »[٥] .

ومعنى المسيح بالعبرانية « الصديق » وأن عيسى عليه السلام سُمِّيَ به لذلك كما نُقِل ذلك عن عددٍ من علماء اللغة[٦] .

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٢ : ٢٢٤) لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي / ط. وتاريخ : بدون .

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي . فقيه شافعي ولغوي كبير . خرج للحج فأسره القرامطة سنة ٣١١ هـ وبقي في أسرهم فترة واستفاد منهم فوائد لغوية أودعها كتابه هذا . عاش بين (٢٨٢ هـ – ٣٧٠ هـ) . انظر ترجمته في (معجم الأدباء لياقوت / ١٧ : ١٦٤) ط. ثالثة . (١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م) دار الفكر / و(وفيات الأعيان لابن خلكان / ٤ : ٣٣٤) ط. دار صادر – بيروت – تحقيق د. إحسان عباس . و(سير أعلام النبلاء للذهبي / ١٦ : ٣١٥) تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون / ط. رابعة (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٣) هو على ما يظهر : أبو عبيد القاسم بن سَلاَّم الإمام الحافظ . ولد بهراة وقدم بغداد وصنف بها وتوفي بمكة . عاش بين (١٥٧ – ٢٢٤ هـ) . له كتاب « الأموال » و« غريب الحديث » و« الغريب المصنَّف » في اللغة . انظر ترجمته في (تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي / ١٢ : ٤٠٣) ط. دار الكتاب العربي – بيروت – تاريخ : بدون . و(السير للذهبي / ١٠ : ٤٩٠) .

(٤) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (٤ : ٣٤٨) / تحقيق : عبد الكريم العزباوي / الدار المصرية للتأليف والترجمة / ط. وتاريخ : بدون .

(٥) تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٧) .

(٦) انظر : تاج العروس (٢ : ٢٢٤) .

٢ – « والذين قالوا إنها عربية اختلفوا في مادتها فقيل من « س ي ح » وقيل من « م س ح » ثم اختلفوا :

فقال الأولون مفعل من ساح يسيح لأنه يسيح في بلدان الدنيا وأقطارها جميعها ، أصلها مسيح فأسكنت الياء ونقلت حركتها إلى السين لاستثقالهم الكسرة على الياء »[1] .

٣ – أما الفريق الثاني من القائلين بأنها عربية فقالوا : « مسيح مشتق من مسح إذا سار في الأرض وقطعها ، فعيل بمعنى فاعل »[2] .

وقد لاحظتُ أن أكثر من ذكر هذه الكلمة ممن رجعت إلى كتبهم من أئمة اللغة وأصحاب المعاجم ذكرها في مادة مسح ، فكأنَّ أكثرهم كان على هذا الرأي الأخير . مما سيأتي بيانه وتفصيله في الفقرة التالية عند الحديث عن اشتقاق لفظ مسيح .

---

(١) تاج العروس (٢ : ٢٢٤) والكلام المنقول للفيروزأبادي نقله الزبيدي في شرحه بنصه عن كتاب للفيروزأبادي اسمه « بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز – ست مجلدات » . وأشار الزبيدي كذلك إلى أنه ذكر ذلك أيضاً – أي الفيروزأبادي – في شرحه لصحيح البخاري ، وفي كتابه الثالث « شوارق الأسرار العلية شرح مشارق الأنوار النبوية للصاغاني » .

(٢) تاج العروس (٢ : ٢٢٤) .

ثانياً : اشتقاق لفظ مسيح

وذاك على قول القائلين بأنه مشتق من مسح لا من ساح .

يقال : « مسحت الشيء بيدي وغيرها أمسحه مسحاً ومسحت العضو بالسيف إذا قطعته »[1] و« مسح مسحاً »[2] و« مسح برأسه وتمسح بالأرض . ومسح الأرض مساحة أي ذرعها . ومسح المرأة : جامعها » .... « ومسحت الإبل يومها أي سارت »[3] « ومسح في الأرض يمسحُ مُسُوحاً : ذهب »[4] و« مسحه يمسحه مسحاً ومسحه وتمسح منه وبه »[5] .

والخلاصة في نظري أن الكلمة (مسيح) في حق الاثنين - المسيح عيسى عليه السلام ثم ... المسيح الدجال لعنه الله - مشتقة من مسح لا من ساح ، لاشتمال الكلمة الأولى على المعنيين . فقد مَرَّ معنا أن من معاني مسح : الذهاب والسير في الأرض . وهذا هو معنى ساح . فيشمل إذا قيل بأنه من مسح معاني هذه المادة من القطع والقتل والذهاب في الأرض ، وما في " ساح " من معانٍ .

وهذان المعنيان يصدقان على المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - ، ثم .. على الدجال - لعنه الله - .

---

(١) كتاب جمهرة اللغة (٢ : ١٥٦) لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري / ط. أولى / حيدر أباد / ١٣٤٥ هـ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٤ : ٣٥٣) .

(٣) الصحاح (١ : ٤٠٤ - ٤٠٥) لاسماعيل بن حماد الجوهري / تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين / بيروت / ط. ثانية / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

(٤) لسان العرب (٢ : ٥٩٤) لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري / ط. دار صادر ودار بيروت / ١٩٥٥ م - ١٣٧٤ هـ .

(٥) تاج العروس (٢ : ٢٢٢) .

ثالثاً : كثرة المعاني في العربية لكلمة مسيح وما اشتقت منه

لكلمة مسيح وما اشتقت منه معانٍ كثيرة في العربية . وقد أورد أصحاب المعاجم تحت هذه المادة عشرات المعاني . ولم أكن أظن أنها تبلغ هذا الحد من الكثرة. وكان من آخر ما طالعت من تلك المعاجم « تاج العروس » للزبيدي[١] . فرأيته يحكي عن صاحب القاموس « الفيروزأبادي »[٢] . أنه حاول استقصاء معاني هذه اللفظة . يقول - الفيروزأبادي - : « وذكرت في اشتقاقه (أي لفظ مسيح) خمسين قولاً في شرحي لمشارق الأنوار النبوية للصاغاني[٣] » وعلق بعد ذلك الزبيدي قائلاً : « قلت : وقد أوصله المصنف - يعني الفيروزأبادي - في بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز ..... إلى ستة وخمسين قولاً »[٤] .

---

(١) محمد بن محمد الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضى . علامةٌ باللغة والحديث والرجال والأنساب . من كبار المصنفين . أصله من العراق وولد بالهند ونشأ بزبيد ورحل إلى الحجاز ثم مصر وأقام بها حتى توفي . عاش بين (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) . له « تاج العروس في شرح القاموس » و« إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين » وغيرها .

انظر ترجمته في (الأعلام لخير الدين الزركلي / ٧ : ٧٠) ط. سادسة - ١٩٨٤ م - دار العلم للملايين - بيروت .

(٢) محمد بن يعقوب أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزأبادي . من أئمة اللغة والأدب . كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير . أشهر كتبه « القاموس المحيط » و« بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » . توفي بزبيد . عاش بين (٧٢٩ - ٨١٧ هـ). انظر ترجمته في (الأعلام للزركلي/ ٧ : ١٤٦).

(٣) المحدث اللغوي رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد القرشي الصاغاني . ولد بلُهَوْر سنة ٥٧٧ هـ ونشأ بغزنة وقدم بغداد . وتوفي بها سنة ٦٥٠ هـ . ورحل إلى اليمن وحج .

وكتابه المذكور « مشارق الأنوار في الجمع بين الصحيحين » . انظر ترجمته في (معجم الأدباء / ٩ : ١٨٩) و(السير / ٢٣ : ٢٨٢) .

(٤) تاج العروس (٢ : ٢٢٤) ثم ذكر بعد ذلك نص الفيروزأبادي في كتابه ذلك حول هذه المسألة وإشارته إلى من سبقه إلى مثل هذا الاستقصاء . يقول : اختلف في اشتقاق المسيح في صفة نبي الله وكلمته عيسى وفي صفة عدو الله الدجال أخزاه الله على أقوال كثيرة تنيف على خمسين قولاً . وقال ابن دحية الحافظ في كتابه « مجمع البحرين في فوائد المشرقين والمغربين » : فيها ثلاثة وعشرون قولاً ولم أر من جمعها قبلي ... فأضفت إلى ما ذكره الحافظ من الوجوه الحسنة والأقوال البديعة فتمت بها خمسون وجهاً » .

وسنعرض هنا نماذج مما وجدناه في تلك القواميس في معنى هذه اللفظة (مسيح) وما اشتقت منه .

فمن المعاني التي ذكروها للفظة مسيح في العربية :

١ - المسيح : العرق[١] .

٢ - مسيح : رجل ممسوح الوجه ... وذلك أن لا يبقى على أحد شِقَّيْ وجهه عين ولا حاجب إلا استوى .. والمسيخ الدجال على هذه الصفة .

وقال في موضع آخر : والمسيح الأعور ، وبه سمي الدجال .

٣ - المسيح : الصديق . وبه سمي عيسى ﷺ[٢] .

٤ - المسيح : الكذاب .

٥ - المسيح : سبائك الفضة .

٦ - المسيح : المنديل الأخشن .

٧ - المسيح : الذرَّاع . (لأنه يذرع الأرض أي يقطعها) .

٨ - المسيح : الكثير الجماع[٣] .

٩ - المسيح : الدرهم الأطلس[٤] .

١٠ - المسيح : الممسوح بمثل الدهن . أو الممسوح بالبركة أو بالشؤم .

١١ - المسيح : الرجل الكثير السياحة[٥] .

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد (٢ : ١٥٦) .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٤ : ٣٤٧ - ٣٤٨) .

(٣) تهذيب اللغة (٤ : ٣٥٠) .

(٤) الصحاح (١ : ٤٠٥) .

(٥) تاج العروس (٢ : ٢٢٥) .

١٢ - المسيح : الضِّليل ضد الصديق .

١٣ - المسيح : الحسن الوجه الجميل .

١٤ - المسيح : السيف .

١٥ - المسيح : المكاري .

١٦ - المسيح : الملك[١] .

هذا في معنى لفظة المسيح . دعك مما أوردوه في مادة مسح من المعاني المتعددة لكلمة مَسْح أو مَسَح أو مسيحة أو ماسح أو أمسح . وإن كان مثل هذا الاستقصاء والتوسع لا يدخل في بحثنا ولا يهمنا ، إلا أننا أحببنا الإشارة إليه ، لاجتهاد بعضهم في صرف سبب تسمية نبي الله عيسى عليه السلام بالمسيح ، إلى كل واحد من هذه المعاني . أو صرف سبب تسمية المسيح الدجال بهذا اللفظ إلى كل واحد من هذه المعاني . كما فعل الفيروزأبادي حين لم يترك شاردة ولا واردة إلا استقصاها ، ثم أبعد النجعة حين نسب اشتقاق المسيح لعيسى عليه السلام ، أو للدجال إلى أكثر تلك المعاني إن لم تكن كلها حتى بلغ في ذلك العجب في الإغراب . وخذ على ذلك مثالين لا زيادة .

فقد ذكر في المادة نفسها لفظ « التمساح » - الحيوان المعروف - وقال معلقاً : « وبه سمي المسيح الدجال لضرره وإيذائه » .

والثاني قال : « المسيحة القوس الجيدة ، قيل : وبه سمي المسيح عيسى لقوته وشدته واعتداله »[٢] .

---

(١) تاج العروس (٢ : ٢٢٦) .

(٢) تاج العروس (٢ : ٢٢٥ - ٢٢٦) .

وقس على هذا . إذ لم يترك معنى جيداً من المعاني التي أوردناها ونقلها عنه الزبيدي ، إلا وجعله سبب اشتقاق المسيح في حق المسيح عيسى عليه السلام . ولا معنى خبيثاً إلا وجعله للدجال . محيلاً في كل ذلك على لفظة « قيل » .

والخلاصة أن بعض اللغويين قد أبعد النجعة في البحث عن سرٍّ لاشتقاق كلمة مسيح لكلٍّ من المسيح عيسى عليه السلام والمسيح الدجال . مع أن بعضهم أورد في ثنايا كلامه معاني هي الصحيحة - فيما أرى - . ولا يُظَنُّ بهم الغفلة عن تلك المعاني بل كان مرادهم جمع كل شاردةٍ وواردةٍ لغويةٍ ، دون التنبيه على المعنى الذي يرونه موافقاً ومناسباً .

والمعنيان اللذان ظهر لي أنهما الأصوب في معنى كلمة مسيح بالعربية هما :

١ - المسيح هو الصديق . وهو مطابق لمعناه في العبرانية . وهذا في حق عيسى عليه السلام .

٢ - ويقابله في حق الدجال : المسيح : الأعور / الضِّليل الكذاب .

على أنهما من الأضداد .

وهذا هو أول ما يبدر إلى الذهن لقربه من الواقع المستلهم .

وقد أشار إلى ذلك عدد من اللغويين في ثنايا كلامهم[1] .

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤ : ٣٤٧ - ٣٤٨) وقد أحال في ذلك على جمع من علماء اللغة منهم : ثعلب وابن الأعرابي وأبو عبيد والمنذري وإبراهيم - النخعي كما في التاج - وأبو بكر - ابن دريد (؟)- وجاء ابن منظور فنقل هذا المعنى في حق الدجال (لسان العرب / ٢ : ٥٩٤) وأحال فيه على الأزهري ومصادره . وانظر كذلك (تاج العروس / ٢ : ٢٢٣ / ٢٢٦) في حق المعنى الثاني . و(تاج العروس / ٢ : ٢٢٥) في المعنى الأول وأشار فيه إلى نحوٍ مما أشار إليه الأزهري مِنْ ذكر مَنْ سبقه إلى قول ذلك وهم : إبراهيم النخعي والأصمعي وابن الأعرابي ... وابن سيده .

رابعاً : إطلاق لفظ مسيح
على نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام
وعلى نبينا محمدٍ ﷺ
ثم ... على الدجال الخبيث لعنه الله

قد ورد إطلاق هذه اللفظة في النصوص المنقولة على النبيين الكريمين نبي الله عيسى عليه السلام ونبينا محمد ﷺ .

كما ورد إطلاقها أيضاً على الدجال الخبيث لعنه الله .

وسنتناول إطلاق هذه اللفظة وما قيل في سبب الإطلاق والتسمية في حق كل واحدٍ منهم - بحول الله تعالى - .

أ - إطلاق لفظ مسيح على عيسى ابن مريم عليه السلام :

وهذا أمرٌ مفروغٌ منه ، لا يستدل عليه لبداهته بنصوص القرآن الكريم أو غيره لكثرة وروده . وإنما الكلام هنا عما قيل في سبب تسمية نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام بالمسيح .

وقد توسع اللغويون في ذلك . وذكروا الكثير من الأقوال .

منها :

١ - أن المسيح اسم سماه الله عز وجل به[(١)] . أو أنه اسم خصَّه الله به[(٢)] .

٢ - أن عيسى عليه السلام سمي مسيحاً لسياحته في الأرض .

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد (٢ : ١٥٦) وأضاف بعد ذلك قائلاً : « لا أحب أن أتكلم فيه » .

(٢) لسان العرب (٢ : ٥٩٤) .

٣ - أو لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها .

٤ - أو لما روي عن ابن عباس أنه كان لا يمسح بيده ذا عاهةٍ إلا برأ[١] .

٥ - أو لأنه كان أمسح الرِّجْل ، ليس لرجله أخمص .

٦ - أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن . أو كأنه ممسوح الرأس أو مسح عند ولادته بالدهن[٢] .

٧ - أو لأنه صديق . أو لصدقه .

٨ - أو لأنه مُسِحَ بالبركة[٣] .

٩ - أو لمسح زكريا إياه[٤] .

١٠ - أو لأن جبريل مسحه بالبركة .

١١ - أو لأن الله مسح عنه الذنوب[٥] .

١٢ - أو لأنه مسحت عنه القوة الذميمة من الجهل والشره والحرص وسائر الأخلاق الذميمة[٦] .

ثم لم يترك الفيروزأبادي - ونقل ذلك عنه الزبيدي - كلمة في هذه المادة إلا وجعل اشتقاق المسيح منها في حق عيسى عليه السلام إن ناسبت كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق . فلا يُلتفت إلى ذلك ولا يُعوَّل عليه لبعد تلك المعاني وإغرابها .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (٤ : ٣٤٧) وأصل معنى هذا القول الأخير واردٌ في القرآن . والمقصود به : إبراؤه الأكمه والأبرص . ونقل كذلك هذه المعاني بعبارة قريبة ابن منظور (لسان العرب / ٢ : ٥٩٤) و(تاج العروس / ٢ : ٢٢٥) .

(٢) تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٧) وتاج العروس (٢ : ٢٢٥) .

(٣) تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٨) ولسان العرب (٢ : ٥٩٤) .

(٤) لسان العرب (٢ : ٥٩٤) .

(٥) تاج العروس (٢ : ٢٢٤) وذكر أنهما منقولان عن أبي نعيم في « دلائل النبوة » .

(٦) تاج العروس (٢ : ٢٢٤) وذكر أنه نقله عن الراغب .

١٣ - على أن بعض أصحاب المعاجم قد تناقلوا روايةً تُقلّل من شأن كل تلك الأقوال ، وفيها أن : « المسيح ابن مريم (هو) الصديق ، وضد الصديق المسيح الدجال أي الضِّليل الكذاب ، خلق الله المسيحين أحدهما ضد الآخر ، فكان المسيح ابن مريم يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، وكذلك الدجال يحيي الميت ويميت الحي ، وينشيء السحاب ، وينبت النبات ، فهما مسيحان : مسيح الهدى ، ومسيح الضلالة » .

وحين اعتُرض على ذلك القائل بأن عيسى « إنما سمي مسيحاً لأنه مسح بالبركة ، وسمي الدجال مسيحاً ، لأنه ممسوح العين » ، أنكر ذلك وقال : « إنما المسيح ضد المسيح ، يقال مسحه الله أي خلقه خلقاً حسناً مباركاً ، ومسحه أي خلقه قبيحاً ملعوناً »[1] .

وثمت إشارةٌ نختم بها الكلام في هذه الفقرة لفت النظر إليها الزبيدي .

وهي : أن لفظ المسيح عند الإطلاق (دون تقييد) لا ينصرف إلا لعيسى عليه السلام كما حققه بعض العلماء[2] .

ومعنى ذلك أن لفظة (المسيح) إذا جردت من السوابق واللواحق لا تنصرف إلاَّ إلى نبي الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولا تدل إلاَّ عليه ، ولا تدل على غيره كالدجال مطلقةً ، كأن يُقال : المسيح . ويُقصد به الدجال ، بل يُقيَّد ذلك بإكمال العبارة بلفظ : المسيح الدجال أو مسيح الضلالة ، أو المسيح الكذاب ونحو ذلك .

---

(١) تهذيب اللغة - الأزهري (٤ : ٣٤٨) . ونقل ذلك أيضاً ابن منظور في (لسان العرب / ٢ : ٥٩٥) وعلّق قائلاً : « وفي الحديث : أمَّا مسيح الضلالة فكذا ، فدل هذا الحديث على أن عيسى مسيح الهدى وأن الدجال مسيح الضلالة » .

ونقل هذه الرواية كذلك الزبيدي في (تاج العروس / ٢ : ٢٢٣) .

(٢) تاج العروس (٢ : ٢٢٤) .

ب - ورود هذا اللفظ في صفة نبينا محمد ﷺ وفي البشارة به في بعض الأناجيل

وقد ورد هذا اللفظ في إطار معنىً لغوي آخر في صفة نبينا محمد ﷺ . وأشار إلى ذلك عددٌ من أصحاب المعاجم .

يقول الأزهري : « وفي صفة النبي ﷺ « مسيح القدمين » أراد أنهما ملساوان : ليس فيهما وسخ ولا شُقاقٌ ولا تكسُّرٌ إذا أصابهما الماء نبا عنهما »[1] .

هذا أولاً . أما ثانياً فقد وردت البشارة بمحمد ﷺ في بعض الأناجيل ، والمقصود : إنجيل برنابا . وإن كان النصارى مختلفين في شأنه .

يقول مترجم إنجيل برنابا عن الإنجليزية خليل سعادة : « يباين هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة المشهورة في عدة أمور جوهرية ، ......

والثالث (منها) : أن « مسيا » أو « المسيح » المنتظر ليس هو « يسوع » بل « محمد » »[2] . يريد بذلك النبي المنتظر بعد عيسى ، الذي بشرهم به عيسى عليه السلام .

وقد وردت بالفعل الإشارة بهذا اللفظ في إنجيل برنابا إلى نبينا محمد ﷺ عند الحديث عن البشارة برسولٍ من بعده سمَّاه مسيا ، ومشيراً بما قد يفهم منه أن يُقصد به كعبة مكة والحج ، في حديث المسيح للمرأة السامرية في « الفصل الثاني والثمانين » من إنجيل برنابا .

ونصه : « ولكن صدقيني أنه يأتي وقتٌ يعطي الله فيه رحمته في مدينةٍ أخرى (إشارة إلى مكة على ما يبدو) ويمكن السجود له في كل مكان بالحق ويقبل الله الصلاة الحقيقية في كل مكان برحمة . أجابت المرأة إننا ننتظر مسيا فمتى جاء يُعلِّمنا .

---

(١) تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٩) . وانظر كذلك لسان العرب (٢ : ٥٩٤) ، وتاج العروس (٢ : ٢٢٥).

(٢) نظرات في إنجيل برنابا المبشر بنبوة النبي محمد ﷺ - محمد علي قطب (٢٧) ط. مكتبة القرآن . القاهرة. تاريخ وط : بدون .

أجاب يسوع أتعلمين أيتها المرأة أن مسيا لابد أن يأتي ..... فاعلمي إذاً أنه بالإيمان بمسيا سَيُخلِّص كل مختاري الله .... قالت المرأة لعلك أنت مسيا أيها السيد . أجاب يسوع إني حقاً أرسلت إلى بيت إسرائيل نبي خلاص . ولكن سيأتي بعدي مسيا المرسل من الله لكل العالم .... ، وحينئذٍ يُسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة . حتى إن سنة اليوبيل التي تجيء الآن كل مائة سنة سيجعلها مسيا كل سنة ... (الحج على ما يبدو) »[1] .

والنص من وضوح الإشارة والأهمية بمكان . إلا أننا نجادل في المعاني التي ربما استخلصها قوم من ذلك النص ، كما فعل مترجم الإنجيل الذي جعل ذلك إشارة إلى أن المسيح المنتظر هو محمد ﷺ .

أما الحقيقة فهي أن الإنجيل يشير إلى نبي منتظر بعد عيسى عليه السلام سيكون له كل ذلك الفضل العظيم كما هو ثابت في شأن النبي ﷺ ، وقد ثبت في القرآن أن المسيح عيسى عليه السلام بشَّر برسولٍ يأتي من بعده اسمه أحمد . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2].

أما نعته بمسيا فهو على ما يبدو بمعناه اللغوي في اللغة العبرانية أي : الصديق . وهو مطابقٌ لِمَا كان يُلقب به النبي ﷺ أنه : الصادق الأمين .

---

(١) الوثيقة الرسمية لإنجيل برنابا (٨٢ : ٨ - ١٨) / ص (٩٧ - ٩٨) / ط. دار الوثائق - الكويت / أولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(٢) سورة الصف - جزء من آية رقم (٦) .

وقد مَرَّ معنا أن المسيح من معانيه بالعربية : الصديق[١] ومعنى المسيح بالعبرانية : الصديق[٢] أيضاً .

والسؤال الآن هو : هل يُطلق على رسول الله الخاتم محمد ﷺ اسم « المسيح » ؟ وهل يُعدُّ ذلك اسماً من أسمائه ؟ وهل يصح ذلك شرعاً ؟ وهل نعتمد ما ورد في إنجيل برنابا ونُسلِّم به ؟

الجواب : لا . وتفصيل ذلك :

أولاً : أن لفظة « المسيح » ليست من أسماء الرسول ﷺ ولا هي من صفاته التي ورد بها الشرع كتاباً وسنة . فيجب علينا أن نقف حيث وقف الشرع .

ثانياً : أن ذلك الوصف ورد في حقه ﷺ في سياقٍ لغوي في إطار الوصف الجسدي لشخصه ﷺ (مسيح القدمين) . وأوردنا ما جاء في ذلك الإطار اللغوي وألحقنا به ما جاء في إنجيل برنابا استكمالاً للبحث حول هذه القضية . وجمعاً لشواردها لا غير .

ثالثاً : وكان الاهتمام بما في إنجيل برنابا من وصف النبي الذي ينتظرونه بعد عيسى عليه السلام بـ« مسيا » استكمالاً لذلك . ثم إنه يتضمن توجيه نصوص إنجيلهم ذلك وهي واضحة كل الوضوح لبيان أن النبي الذي ينتظرونه بعد عيسى عليه السلام. وورد وصفه بتلك الصفات التي تنطبق على نبي الإسلام ، هو الخاتم محمد ﷺ ودينه « الإسلام » .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (٤ : ٣٤٧) وقال : « روي عن إبراهيم أن المسيح الصديق . قال أبو بكر : واللغويون لا يعرفون هذا ، قال : ولعل هذا قد كان مستعملاً في بعض الأزمان فدرس فيما درس من الكلام . قال : وقال الكسائي : قد درس من كلام العرب شيء كثير » . (٤ : ٣٤٧) ثم نقل عن ثعلب عن ابن الأعرابي (أن) : المسيح : الصديق . انظر (٤ : ٣٤٨) من تهذيب اللغة للأزهري .

(٢) تاج العروس (٢ : ٢٢٤) .

ونعتهم له بـ« مسيا » معناه : أنه المنتظر بالنسبة لهم بعد عيسى عليه السلام ، وبشرهم به عيسى عليه السلام ، وقد بُعث صلوات ربي وسلامه عليه .

ومنه يُفهم أن ذلك النعت الوارد في ذلك النص من إنجيل برنابا ينطبق في حقهم فقط على محمد ﷺ الذي كان منتظراً بالنسبة لهم .

ولا يُقصد به منتظر آخر الزمان الذي تتحدث عنه أكثر الأديان بصيغة أخرى .

بقي أن نشير في ختام ذلك إلى أن هذا الإنجيل - إنجيل برنابا - الذي تضمَّن هذه الإشارة والبشارة ، إنجيلٌ غير معتمدٍ عند النصارى بعد تحريفهم لِمَا أنزل الله على عيسى عليه السلام . وأخذهم بالأناجيل الأربعة الأخرى المليئة بالتحريف والتغيير .

جـ - إطلاق لفظ مسيح مُقيَّداً على الدجال الخبيث لعنه الله

وقد ورد إطلاق لفظ مسيح عليه في نصوص كثيرة من السنة . وعُرِف هذا واشتهر فلا يُحتاج إلى الاستدلال عليه .

أَمَّا ما ذكره اللغويون في سبب تسمية الدجال بالمسيح من أقوالٍ فهي :

١ - أن اليهود هم الذين سموا الدجال مسيحاً لأنه ممسوح إحدى العينين[١] . وهو من أغرب الأقوال . إذ يجعل اليهود هم الذين سمَّوا الدجال مسيحاً .

٢ - أو لأنه ممسوح الوجه (وهو قريبٌ من المعنى الأول) أي ليس على أحد شِقَّيْ وجهه عين ولا حاجب . يقول الأزهري : « ورجلٌ ممسوح الوجه : مسيح ، وذلك أن لا يبقى على أحد شِقَّيْ وجهه عينٌ ولا حاجب إلا استوى .. والمسيخ الدجال على هذه الصفة »[٢] .

٣ - أو لأنه أعور . وأن « المسيح (هو) الأعور ، وبه سمي الدجال »[٣] .

٤ - أو لأنه المسيح الدجال أي الضِّلِّيل الكذاب ضد الصديق الذي هو المسيح ابن مريم . وأن هذا اللفظ من الأضداد[٤] . يطلق على الشيء وضده . فعيسى صديق، ومن معاني المسيح : الصديق . وهذا كذاب ومن معاني المسيح : الكذاب[٥].

قال الزبيدي : « (و) المسح (الكذب) قيل وبه سمي المسيح الدجال لكونه أكذب خلق الله »[٦] .

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد (٢ : ١٥٦) .

(٢) تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٧) ولست أدري هل النقطة على الحاء من كلام الأزهري ، أم من تصحيف النساخ ، أم غلطٌ مطبعي .

(٣) تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٨) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٨) .

(٥) تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٩) .

(٦) تاج العروس (٢ : ٢٢٣) .

٥ - أو لأنه خُلِقَ على خلقةٍ قبيحة . يقال : مسحه الله « أي خلقه (خلقاً) قبيحاً ملعوناً »[1] .

٦ - أو لأن الدجال مسحت عنه القوة المحمودة من العلم والعقل والحلم والأخلاق الحميدة[2] .

٧ - أو لأنه ممسوح بالشؤم .

٨ - أو لأنه يسيح في الأرض .

٩ - أو لِمَا يفعله من كثرة القتل . « والماسح القَتَّال » .

ثم توسع الفيروزأبادي والزبيدي في استنباط المعاني من كل كلمة اشتقت من هذه المادة . ومن أغرب ما ذكراه :

- المسيح (المنديل الأخشن) ... « قيل : وبه سمي المسيح الدجال لاتساخه بدرن الكفر والشرك » .

- الأمسح الذئب الأزلّ المسرع « قيل : وبه سمي المسيح الدجال لخبثه وسرعة سيره ووثوبه »[3] .

وأمثال ذلك من الأقوال الغريبة .

غير أن ما يجدر التنبيه إليه في ختام الكلام حول هذه المسألة ما يلي :

---

(١) تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٨) ولسان العرب (٢ : ٥٩٥) .

(٢) تاج العروس (٢ : ٢٢٤) نقلاً عن الراغب .

(٣) تاج العروس (٢ : ٢٢٥ - ٢٢٦) .

أولاً : أن لفظ مسيح لا يطلق على الدجال إلا مُقيَّداً ، فيقال : المسيح الدجال . ولا يطلق عليه لفظ مسيح مجرداً ، فإنه حينئذٍ عند الإطلاق ينصرف إلى نبي الله عيسى عليه السلام[1] - كما أشرنا إلى ذلك قبلاً - .

ثانياً : أراد بعض العلماء التفريق بين اللفظين : المسيح في حق عيسى عليه السلام والمسيح في حق الدجال أخزاه الله . فجعل السين مخففة والميم مفتوحة في حق عيسى عليه السلام (مَسِيْح) . وجعل الميم مكسورة والسين مشددة في حق الدجال (مِسِّيح) على وزن « فِعِّيل من المسح »[2] .

ومعناه « الذي مُسِح خَلْقه أي شُوِّه » . وقد ردّ ذلك عليهم غيرهم من العلماء وعدوا قولهم « ليس بشيء » وجعلوه تصحيفاً[3] .

ثالثاً : وجعل آخرون الفرق بين اللفظين : أنه المسيح بالحاء المهملة في حق نبي الله عيسى عليه السلام ، والمسيخ بالخاء المعجمة في حق الدجال .

وقد رُدَّ عليهم ذلك أيضاً . قال ابن عبد البر[4] : « منهم من قال ذلك بالخاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ . ولذا ثبت عن النبي ﷺ أنه نطق به بالحاء المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه »[5] .

فالصواب إذاً أن « صحة اسمه المسيح الدجال بالحاء المهملة »[6] .

---

(١) انظر : تاج العروس (٢ : ٢٢٤) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (٤ : ٣٤٨) ، ولسان العرب (٢ : ٥٩٥) ، وتاج العروس (٢ : ٢٢٤) وانظر كذلك : لوامع الأنوار للسفاريني (٢ : ١٠٠) طبعة ثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - مؤسسة الخافقين - دمشق .

(٣) لسان العرب (٢ : ٥٩٥) ، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢ : ١٠٠) .

(٤) الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الأندلسي المالكي ابن عبد البر . ولد سنة ٣٦٨ هـ . وتوفي سنة ٤٦٣ هـ . له مؤلفات فائقة منها « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » و« الاستيعاب » في أسماء الصحابة . و« جامع بيان العلم وفضله » و« بهجة المجالس وأنس المجالس » . وكان يلقب بحافظ المغرب والخطيب البغدادي حافظ المشرق وماتا في عامٍ واحد . ترجمته في (وفيات الأعيان / ٧ : ٦٦) و(السير للذهبي / ١٨ : ١٥٣) .

(٥) لوامع الأنوار للسفاريني (٢ : ١٠٠) .

(٦) دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي (٨ : ٧٨٨) ط. ثالثة - ١٩٧١ م / دار المعرفة - بيروت .

المطلب الثاني : العلاقة بين المسيح المنتظر والمهدي المنتظر

ليس ثمة علاقة أو تداخلٌ يورث الاشتباه بين الاثنين ، لتشابه وصف الاثنين بالمنتظر ، وكل ما في الأمر أن ثمة أموراً تتردد في أمر الرجلين معاً ، تجعل من المهم أن يُشار إليها بكل دقة وتفصيل .

أما ما يوجد في النصوص الإسلامية من ذكر خبر المهدي المنتظر ومعاصرته لزمن المسيح عليه السلام ، المسيح المنتظر بحق ، فما هذا مكان الحديث عنه ولا أوانه .

بل مكانه الباب الرابع إن شاء الله .

وإنما نريد في هذا المطلب التمهيدي إبعاد فكرة المهدي المنتظر عن مسار بحثنا ، مؤكدين أننا نريد الحديث عن « المسيح المنتظر » لا عن « المهدي المنتظر » ، فتلك قضيةٌ أخرى ، تناولها كثير من العلماء والباحثين بالدراسة ، وحُقِّقت في خبره عدة رسائل علمية[1] .

---

(١) منها على سبيل المثال : عقد الدرر في أخبار المنتظر وهو المهدي عليه السلام ليوسف بن يحيى المقدسي السلمي - حقق في رسالة ماجستير على يدي: مهيب بن صالح البوريني. وطبع طبعة أولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) من نشر مكتبة المنار بالأردن .

ومنها : القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر الهيثمي - تحقيق مصطفى عاشور - مكتبة القرآن - القاهرة - تاريخ وطبعة : بدون . و: العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي (مطبوع ضمن كتابه : الحاوي للفتاوي) .

ومن أبحاث المتأخرين : عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر للشيخ عبد المحسن العباد (ط/ ١٤٠٢ هـ) . وطبع معه أيضاً كتابٌ آخرٌ له في : (الرد على من كذّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي) . ورسالة ماجستير في السنة بجامعة أم القرى في « الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل » لعبد العليم عبد العظيم البستوي (نوقشت سنة ١٣٩٨ هـ) . وقد طبع كتاب البستوي هذا طبعته الأولى سنة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (عن دار ابن حزم - بيروت / والمكتبة المكية - مكة) تحت عنوان آخر هو : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة - في مجلد . وألحق به مجلداً آخر سماه : الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة . وأصدره في طبعة رائقة فائقة . وبوَّبه تبويباً جيداً .

وثمة رسائل أخرى تناولت فكرة المهدوية في الإسلام / ورسالة عن « المهدي المنتظر عند الاثني عشرية » من إعداد جلال الدين صالح الأرتيري بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - دكتوراه - .

والمقصود إبعاد شبهة هذا التداخل اللفظي تحديداً لمسار بحثنا . وتحذيراً من وهمٍ قد يتبادر إلى ذهن متعجلٍ يختلط عليه الأمر . وكل ما أراه من إمكانية وجود تداخلٍ بين الفكرتين أو الشخصين يكمن - في نظري - في ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : في كلمة منتظر التي وُصِفَتْ بها هاتان الشخصيتان .

أما وصف المهدي بالمنتظر فهذا موجودٌ في المصادر الإسلامية . في كلام الأئمة والعلماء كما هو معروف متداول . كما هو عنوان كتابي المقدسي والهيثمي .

وأما شخصية المسيح المنتظر فإنك تجد لها ذكراً في المصادر الإسلامية بأسلوبٍ آخر . ففي المصادر الإسلامية حديثٌ عن المسيح عيسى عليه السلام ونزوله في آخر الزمان ولقائه بالمهدي وقتله المسيح الدجال الخبيث الملعون . كما وردت بذلك النصوص .

أما في مصادر أهل الكتاب ، فإنك تجد هذا اللفظ في المصادر اليهودية ويعنون به مسيحاً ينتظرونه بعد موسى عليه السلام - تبعاً لتكذيبهم بعيسى عليه السلام المسيح الحق - وهو في اعتقادهم لم يظهر بعد . وظهوره سيكون متأخراً ، أي يجيء في آخر الزمان .

وأما في المصادر النصرانية فإنك تجد هذا اللفظ يشيرون به إلى عودة عيسى عليه السلام « المسيح المنتظر » .

وبصورةٍ عامة ، فالمهدي منتظر . والمسيح عيسى عليه السلام هو الآخر منتظر .

ومع ذلك فلا اشتراك أو اختلاط بين الشخصين . بل هذا شخص وذاك شخصٌ آخر . خلافاً لِمَنْ جعلهما شخصاً واحداً كما سنبينه ونستدل عليه في الوجه التالي .

وكما سنشير إلى ذلك في الباب الرابع في مبحث « المهدي » .

الوجه الثاني : يجيء الخلط أو الاشتراك بين الشخصين عند بعضهم انطلاقاً من حديث : « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم »[١] .

ومن ثم يجزم هؤلاء أن عيسى عليه السلام بنزوله في آخر الزمان هو المهدي المنتظر . فيقع بذلك الدمج عندهم بين المسيح المنتظر والمهدي المنتظر ويكونان شخصاً واحداً .

وللعلماء المحققين في إزالة هذا الاشتباه والخلط عدة ردود ، منها :

١ - الطعن في هذا الحديث وتوهينه . فقد صرح بكونه حديثاً منكراً الإمام النسائي[٢] . ونقله كذلك الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري[٣] ووهّنه وبيّن أنه إنما نقله متعجباً لا محتجاً به[٤] .

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه . والحاكم في مستدركه . ولفظه في ابن ماجه : « ولا المهديُّ إلا عيسى ابن مريم » - سنن الحافظ ابن ماجه - تحقيق محمد مصطفى الأعظمي (٢ : ٣٨٩) باب شدة الزمان من (أبواب الفتن) حديث رقم (٤٠٨٨) / ط . أولى / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م / شركة الطباعة العربية السعودية - الرياض .

والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤ : ٤٤١) كتاب الفتن والملاحم / ط. دار الكتب العلمية - بيروت / ط وتاريخ : بدون .

(٢) نقل ذلك عنه ابن الجوزي في (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية / ٢ : ٣٨٠) ونقل كذلك قول غيره. قال النسائي : هذا حديث منكر (العلل / بتحقيق الاستاذ : إرشاد الحق الأثري / الناشر : إدارة ترجمان السنة - لاهور / ط. وتاريخ : بدون) / والإمام النسائي هو الإمام : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني الحافظ صاحب السنن . كان إمام أهل عصره في الحديث ، سكن العراق ودمشق ومصر ودفن بمكة . توفي سنة ٣٠٣ هـ . انظر ترجمته في (المنتظم / ٦ : ١٣١) لابن الجوزي / ط. أولى - ١٣٥٧ هـ - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن / ووفيات الأعيان (١ : ٧٧) / والسير للذهبي (١٤ : ١٢٥) .

(٣) الحافظ أبو عبد الله بن البَيِّع واسمه محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري . ولد سنة ٣٢١ هـ . وكان فيه تشيع . توفي سنة ٤٠٥ هـ . رحل إلى العراق وسمع من نحو ألفي شيخ . نعته الذهبي بـ« شيخ المحدثين » . انظر ترجمته في (تاريخ بغداد / ٥ : ٤٧٣) و(المنتظم / ٧ : ٢٧٤) و(السير / ١٧ : ١٦٢) .

(٤) المستدرك للحاكم (٤ : ٤٤٢) .

وساقه ابن الجوزي[1] في الأحاديث الواهية . ونقل توهين الإمام الحافظ أبي بكر البيهقي له[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[3] : « الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة .... وهذه الأحاديث غَلِطَ فيها طوائف . طائفة أنكروها واحتجوا بحديث ابن ماجه أن النبي ﷺ قال : « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » . وهذا الحديث

(١) انظر العلل المتناهية (٢ : ٣٧٩ - ٣٨٠) / والإمام ابن الجوزي هو : الإمام الحافظ المفسر المؤرخ الواعظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي القرشي التيمي من نسل أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولد ومات ببغداد . فقيه حنبلي وواعظ مؤثر . ومؤلف ذائع الصيت . له ما يزيد على الثلاثمائة مصنف . اشتهر بمجالسه الوعظية . وصارت له مكانة عند خلفاء بني العباس ثم امتحن وسجن فترة . توفي سنة ٥٩٧ هـ . انظر ترجمته في (وفيات الأعيان / ٣ : ١٤٠) و(السير / ٢١ : ٣٦٥) و(الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب / ١ : ٣٩٩) ط. دار المعرفة - بيروت / ط وتاريخ : بدون .

(٢) انظر (العلل المتناهية / ٢ : ٣٨٠) / والإمام الحافظ أبو بكر البيهقي هو : أبو بكر أحمد ابن الحسين الخراساني . ولد سنة ٣٨٤ هـ . ومن شيوخه الحاكم وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو بكر بن فورك . له مؤلفات فائقة ، منها : السنن الكبير ، والأسماء والصفات ، والبعث والنشور ، ودلائل النبوة ، وشعب الإيمان وغيرها . توفي سنة ٤٥٨ هـ . وكان شافعياً وقرأ علم الكلام على مذهب الأشعري . انظر ترجمته في (المنتظم / ٨ : ٢٤٢) و(وفيات الأعيان / ١ : ٧٥) و(السير للذهبي / ١٨ : ١٦٣) و(طبقات الشافعية الكبرى / لعبد الوهاب بن علي السبكي / ٤ : ٨) تحقيق : عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي / ط. أولى / ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م - مؤسسة قرطبة .

(٣) شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية . أشهر من أن يُعرَّف به . ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وقدم دمشق وهو صغير مع أهله . وطلب العلم . وكان ذكياً حافظاً واسع العلم إماماً مقدماً في علوم عدة . وله مصنفات كثيرة مشهورة طبع محققاً الكثير منها . وكان لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض دور رائد في ذلك فأصدرت من كتبه « منهاج السنة النبوية » في الرد على الشيعة و« الاستقامة » و« درء تعارض العقل والنقل » . وجُمعت فتاويه في مجموع كبير فوق الثلاثين مجلداً وطبعت طبعة فاخرة مفهرسة . حصل له مع معاصريه خصومة ومناظرات في مسائل من الاعتقاد وشنعوا عليه وألبوا عليه السلاطين وسجن مراراً . وجرّد نفسه للرد على خصوم أهل السنة من أشاعرة وجهمية وصوفية ، وغيرهم من النصيريين والنصارى . وله في كل ذلك مؤلفات مشهورة طبع الكثير منها مما هو معروف . توفي بدمشق محبوساً سنة ٧٢٨ هـ . انظر ترجمته في (البداية والنهاية لابن كثير / ١٤ : ١٣٥) ط. ثالثة / ١٩٨٠ م / مكتبة المعارف - بيروت . و(الأعلام للزركلي / ١ : ١٤٤) .

ضعيف ، ... وليس مما يعتمد عليه »[١] .

وقال ابن القيم[٢] عن هذا الحديث : « أنه لا يصح »[٣] .

وفي أقوال مثل هذا العدد الجم من أئمة الإسلام كفاية .

٢ - ولبعضهم محاولة في إزاحة هذا الاشتباه بالبحث عن تأويلٍ لهذا الحديث على فرض ثبوت صحته . ومن تلك التأويلات :

أ - أن يكون على حذف مضاف ، أي لا مهدي إلا مهدي عيسى « أي الذي يجيء في زمن عيسى عليه السلام ، فهو احترازٌ ممن يُسمَّى بالمهدي قبل ذلك من الملوك وغيرهم » .

ب - « أو يكون التقدير : إلا زمن عيسى ، أي الذي يجيء في ذلك الزمن ، لا في غيره »[٤] .

وهما تأويلان بعيدان كما ترى . وقد ذكر تأويلين أقرب منهما وأملح الإمام ابن القيم . قال :

---

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية - الطبعة القديمة (٤ : ٢١١) / دار الكتب العلمية - بيروت / تاريخ وط : بدون .

(٢) العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية . ولد سنة ٦٩١ هـ . وكان من أخص تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية وأعظم مناصريه . وأكبر من بث علمه . له مؤلفات غاية في البراعة والإجادة والتفنن . طبع وحقق الكثير منها . وله على نسق شيخه ابن تيمية كتبٌ كثيرة في الرد على الطوائف والمبتدعة والديانات المختلفة . وله القصيدة النونية في الاعتقاد على مذهب السلف . وكتبٌ كثيرة جيدة غيرها . توفي سنة ٧٥١ هـ . انظر ترجمته في (شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي / ٦ : ١٦٨) ط. دار الفكر - ط وتاريخ: بدون / و(الأعلام للزركلي / ٦ : ٥٦) .

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف - لابن قيم الجوزية (١٤٨) - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب / ط. أولى / ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

(٤) عقد الدرر في أخبار المنتظر وهو المهدي عليه السلام - ليوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السلمي (٦٤) تحقيق : مهيب بن صالح البوريني - ط. أولى - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - مكتبة المنار ، وقد نقل المقدسي هذين التأويلين عن أبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ .

جـ - « لو صح (أي الحديث) لم يكن فيه حجة ، لأن عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول الله ﷺ وبين الساعة .... فيصح أن يقال : لا مهدي في الحقيقة سواه وإن كان غيره مهدياً » .

د - « كما يصح أن يقال : إنما المهدي عيسى ابن مريم ، يعني المهدي الكامل المعصوم »[١] .

وعيسى ابن مريم عليه السلام .. « لا ريب في نزوله .. لكن إذا نزل كسر الصليب ، وقتل الخنزير ، وأباد الملل كلها سوى ملة الإسلام . وهذا معنى الحديث : (في حال ثبوته) « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » »[٢] .

الوجه الثالث : الزمان والمكان في حق هاتين الشخصيتين المنتظرتين . إذ ثمت توحدٌ زماني ومكاني بين هاتين الشخصيتين ربما أورث الخلط الذي استبعدناه سابقاً ونستبعده لاحقاً .

فإن من الثابت بالنصوص الإسلامية اتفاق زمانهما والتقاؤهما وحربهما للمسيح المخرِّب الدجال الملعون .

كما أن مكان ظهورهما محددٌ بمكانٍ هو الآخر يكاد يكون متفِقاً ، بالنصوص الإسلامية في حق المهدي .

وبنصوص الأديان الثلاثة في حق المسيح الحق المنتظر عيسى عليه السلام[٣] .
وهذا آخر ما يمكن أن يقال في هذا المطلب . وبالله التوفيق .

---

(١) المنار المنيف (١٤٨) .

(٢) المنار المنيف (١٥٥) .

(٣) أما في حق المهدي فإن من الثابت بمجموع النصوص الواردة في شأنه أنه يكون بمكة والمدينة وبيت المقدس ويقاتل الدجال في فلسطين .
أما المسيح عيسى عليه السلام فينزل حسب النصوص الإسلامية بدمشق ويقتل الدجال بفلسطين .
وفي المصادر الكتابية إجماعٌ على أن فلسطين هي مسرح الحرب بين المسيح المنتظر وقوى الشر . وهو في بعض تلك المصادر في سهل هرمجدون بالتحديد في شمال فلسطين .

المبحث الثاني

علامات الساعة الكبرى

أشراط الساعة : علاماتها[١] . أو آياتها ، كما هو لفظ الحديث الصحيح المخرج في مسلم[٢] .

وأمة محمد ﷺ آخر الأمم ، بعث الله فيها آخر أنبيائه ورسله وخاتمهم وسيدهم محمداً ﷺ في أواخر أيام الدنيا ، كما قال عن ذلك ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين »[٣] .

ولهذا جاءنا نبينا محمد ﷺ ببيان أمر الساعة وقرب أوانها وعلامات ظهورها وأشراط وقوعها ، بياناً ما عليه مزيد ، لأن الساعة آتية لا ريب فيها . وليس بعد محمدٍ ﷺ نبي آخر يُبيِّن للناس هذه العلامات ، ويحذرهم مما سيكون في آخر الزمان من اختلالاتٍ كونيةٍ وأمورٍ عظامٍ مؤذنةٍ بزوال هذا العالم وخرابه .

ولـمَّا كان من العقائد التي يجب الإيمان بها : الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب ، ولـمَّا كان نظر الإنسان قد لا يعدو هذه الحياة وما فيها من متاع ، فينسى اليوم الآخر ولا يعمل له ، جعل الله بين يدي الساعة أماراتٍ تدلُّ على تحققها ، وأنها ستقع حتماً ، حتى لا يخامر الناس أدنى شكٍ فيها ، ولا يفتنهم شيء عنها . فمن المعلوم أن الصادق المصدوق ﷺ إذا ذكر من أشراطها شيئاً ، ورأى الناس وقوع ذلك الشيء ، علموا يقيناً أن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها ، فعملوا لها واستعدوا لذلك اليوم .

---

(١) مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر الرازي (٢٩٤) مكتبة لبنان / ١٩٨٩ م / طبعة : بدون .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٢٧) ط. المطبعة المصرية / ١٣٤٩ هـ / طبعة : بدون .

(٣) صحيح البخاري / طبعة دار السلام - الرياض (١٣٧٣) ، كتاب الرقاق - باب قول النبي ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

وأشراط الساعة من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها كما جاءت ، ولا يجوز ردها ، أو جعلها رموزاً للخير أو للشر أو ظهور الخرافات . وإن كان كثيرٌ منها قد ورد في أخبار آحاد[١] .

وعلامات أو أشراط الساعة نوعان : كبرى وصغرى . أما الصغرى فهي كثيرة ووقع الكثير منها . تتبعها بعض العلماء والباحثين المتأخرين ، وعدُّوا منها ما بين الخمسين والسبعين علامة ، بدءاً ببعثة النبي ﷺ وموته وفتح بيت المقدس وظهور الفتن ونحو ذلك مما وقع . وانتهاءً بما ورد منها ككلام السباع والجماد للإنسان وقتال اليهود إلى آخره[٢] . ولا يهمنا في هذا المقام إلا التنبيه إليها والتنويه بها .

وأما الكبرى فهي التي يتعلق بها بحثنا . ونودُّ أن نقدم في هذا المبحث من التمهيد إشارة موجزةً عنها كلها على سبيل الإجمال لا التفصيل .

أما موجز معتقد السلف فيها . فهو الإيمان بها كما جاءت في بعض آيات القرآن أو في صحيح السنة .

قال صاحب الطحاوية : « ونؤمن بأشراط الساعة : من خروج الدجال ، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها ، وخروج دابة الأرض من موضعها »[٣] .

---

(١) انظر : أشراط الساعة – يوسف بن عبد الله الوابل (٨ – ٩ / ١٢) ط. ثانية / ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م / دار ابن الجوزي – الدمام / ودار طيبة .

(٢) انظر السفاريني في (لوامع الأنوار / ٢ : ٦٨ – ٦٩) فقد عدّ منها اثنتين وسبعين . وذكر غيرها قبل ذلك (٢ : ٦٦ – ٦٧) .

وانظر كذلك كتاب : القيامة الصغرى – للدكتور عمر الأشقر . فقد تناول بالذكر والتعليق بعضها في كتابه هذا . انظر الصفحات (١٣٩ – ٢١٥) وعدَّ منها خروج المهدي / ط. خامسة / ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م / دار النفائس – عمان .

والدكتور : يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل في كتابه المطبوع « أشراط الساعة » وهو في الأصل رسالة علمية لنيل درجة الماجستير تقدم بها لفرع العقيدة بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٤ هـ . وحصل على تقدير ممتاز . وقد جعل الفصل الثالث من الباب الأول من رسالته تلك في أشراط الساعة الصغرى – انظر الصفحات (٧٩ – ٢٣١) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٤٩٩) والعقيدة للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١ هـ) وشرحها للعلامة محمد بن علي بن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢ هـ)/ ط. ثامنة – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م/ المكتب الإسلامي – بيروت ودمشق – بتخريج الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني وآخرين .

وقد وردت الإشارة إلى بعض تلك الآيات مفرقةً في القرآن . كما وردت كل تلك الآيات مسرودةً في بعض الأحاديث .

روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ خرج على أصحابه يوماً وهم يتذاكرون الساعة ، فقال : « إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آياتٍ فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفٍ خسفٌ بالمشرق وخسفٌ بالمغرب وخسفٌ بجزيرة العرب وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن (وفي الرواية الأخرى : من قعرة عدن) تطرد الناس إلى محشرهم »[1] .

فهي - لا من جهة ترتيب الوقوع - على النحو التالي :

١ - الدُّخان : وهو على قول جمهور السلف[2] آيةٌ من آيات الساعة الكبرى المنتظرة التي لم تقع بعد . وشاهده من القرآن قوله تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

٢ - الدجال : عصمنا الله وإخواننا المسلمين من فتنته . شرٌّ غائبٍ يُنتظر[4] .

ولم يُذكر أمر الدجال صريحاً في القرآن ، لكنَّ بعض العلماء ذكر أن الإشارة إلى أمره وردت في آيتين كريمتين ، وذكر وجهاً في تفسير الآيتين يفيد أن المقصود بهما

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي (١٨ : ٢٧ - ٢٩) . قال الإمام النووي : من قعرة عدن « معناه من أقصى قعر أرض عدن » (١٨ : ٢٨) .

(٢) انظر تفصيل الخلاف في ذلك في : شرح النووي على مسلم (١٨ : ٢٧) وأشراط الساعة للوابل (٣٨٣ - ٣٨٩) . والقيامة الصغرى للأشقر (٢٢١ - ٢٢٣) .

(٣) سورة الدخان - الآيتان (١٠ - ١١) .

(٤) ورد وصفه بذلك في حديثٍ ضعيف أخرجه الترمذي في سننه . وفيه « بادروا بالأعمال سبعاً » وذكر منها « ... أو الدجال ، فشرٌّ غائبٍ يُنتظر » . (ضعيف سنن الترمذي - للألباني / ٢٢٤) . طبعة مكتبة المعارف - الرياض / ط. أولى / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

الدجال . وذلك في قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾[١] . وفي قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

وسنذكر ذلك بتفصيل في مبحث الدجال من الباب الرابع -إن شاء الله تعالى-.

أما في السنة فقد ورد خبر الدجال وأمره في أمهات كتب السنة وفي ذكر ما في صحيح البخاري وصحيح مسلم منها كفاية .

فقد عقد الإمام البخاري رحمة الله عليه في صحيحه في « كتاب الفتن » باباً في « ذكر الدجال » ساق فيه بضعة أحاديث . وزاد بعده « باب لا يدخل الدجال المدينة »[٣] .

وساق الإمام مسلم رحمه الله أحاديثه في صحيحه في « كتاب الإيمان » في باب « ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام والمسيح الدجال »[٤] .

وساق في خبره كذلك أحاديث كثيرة في آخر صحيحه في « كتاب الفتن وأشراط الساعة » . وساق أحاديث فيه في أول الكتاب ثم عقد باباً في « ذكر ابن

(١) سورة الأنعام - جزء من الآية رقم (١٥٨) .

(٢) سورة غافر - الآيتان رقم (٥٦ - ٥٧) .

(٣) صحيح البخاري بحاشية السندي (٤ : ٢٣١ - ٢٣٢) كتاب الفتن - ط. دار المعرفة - بيروت - ١٩٧٨ م .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٢ : ٢٣٣ - ٢٣٧) كتاب الإيمان .

صياد » وباباً في « ذكر الدجال » وباباً في « قصة الجساسة » وباباً في « بقية من أحاديث الدجال »[١] .

٣ - **الدابة** : وشاهدها من القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[٢] .

وسبق ذكرها في أدلة السنة في الحديثين اللذين أخرجهما الإمام مسلم في صحيحه .

٤ - **طلوع الشمس من مغربها** : ودليلها من القرآن سبق ذكره وهو قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾[٣] .

وأن الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه فسَّر هذه الآية . وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض »[٤] .

وقد ساق الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما أحاديث أفردت هذه العلامة بالذكر .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٢٢ - ٨٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة .

(٢) سورة النمل - الآية رقم (٨٢) .

(٣) سورة الأنعام - جزء من الآية رقم (١٥٨) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٢ : ١٩٥) .

روى البخاري في « الرقاق » حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ... »[١] . ورواه مسلم كذلك في صحيحه[٢] .

وأخرجا كذلك أحاديث أخرى في ذكر هذه العلامة[٣] .

٥ - نزول عيسى ابن مريم عليه السلام : وشاهد ذلك من القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ إلى قوله - عز وجل - : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾[٤] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾[٥] . وغيرها مما سنذكره لاحقاً - إن شاء الله تعالى - .

وبوَّب البخاري رحمه الله « باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام »[٦] . وبوَّب مسلم رحمه الله « باب بيان نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ »[٧] . وفيهما أحاديث أكثرها في مسلم .

---

(١) صحيح البخاري بحاشية السندي (٤ : ١٣٠) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢ : ١٩٤) .

(٣) انظر صحيح البخاري (٤ : ٢٣١) كتاب الفتن . وصحيح مسلم (١٨ : ٨٧) .

(٤) سورة النساء - آية رقم (١٥٧) وبعض الآيتين (١٥٨ - ١٥٩) .

(٥) سورة الزخرف - آية رقم (٥٧) وبعض الآية رقم (٦١) .

(٦) صحيح البخاري (٢ : ٢٥٦) .

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي (٢ : ١٨٩ - ١٩٣) .

ينزل عليه السلام فيقتل الدجال ثم يقاتل يأجوج ومأجوج ويحكم بشريعة الإسلام ويبيد مخالفيها .

قال صديق حسن خان[١] « الأحاديث في نزوله عليه السلام كثيرة ، ذكر الشوكاني[٢] منها تسعة وعشرين حديثاً ... ثم قال : منها ما هو مذكور في أحاديث الدجال ... ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر ... فتقرر أن ... الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة »[٣] .

وجمع بعض العلماء[٤] الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام في كتابٍ فبلغت أكثر من سبعين حديثاً .

وسبق لنا ذكر معتقد السلف في ذلك في عبارة صاحب العقيدة الطحاوية .

وأنكر بعضهم نزوله . وردوا الأحاديث الواردة في ذلك وقالوا : إنها أحاديث آحاد .

---

(١) صديق حسن هو : الإمام العلامة أبو الطيب محمد صديق خَان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي . ولد بقنوج بالهند سنة ١٢٤٨ هـ وطلب العلم بالهند واليمن والحرمين . ثم استقر ببهوبال من الهند وتزوج بملكتها . له أكثر من الستين مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية . توفي سنة ١٣٠٧ هـ . انظر ترجمته في (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين - للنعمان الآلوسي / ٦٢) / مطبعة المدني - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) و(الأعلام للزركلي / ٦ : ١٦٧) .

(٢) الشوكاني : هو الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني . ولد سنة ١١٧٣ هـ بشوكان من بلاد خولان باليمن ونشأ بصنعاء . وطلب العلم حتى بلغ فيه مبلغاً عظيماً . وكان لا يرى التقليد . ولي قضاء صنعاء . وبها توفي سنة ١٢٥٠ هـ . له فوق المئة مصنف . من أشهرها « نيل الأوطار » و« فتح القدير » في التفسير . انظر ترجمته في (جلاء العينين / ٦٠) و(الأعلام / ٦ : ٢٩٨) .

(٣) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة - للسيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري (١٦٠) - دار الكتب العلمية - بيروت / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / طبعة : بدون .

(٤) هو الشيخ المحدث محمد أنور شاه الكشميري الهندي (ت ١٣٥٢ هـ) وكتابه المشار إليه هو كتاب : « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » طبع بتحقيق : عبد الفتاح أبو غدة / ط. خامسة / بيروت - دار القلم / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

والأدلة على نزوله من القوة بحيث لا يقف في وجهها معارض .

٦ – **يأجوج ومأجوج** : وهم أمتان من الأمم من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام على الصحيح من أقوال أهل العلم على ما ثبت في صحاح الأحاديث[١] . يخرجون في آخر الزمان فيعيثون في الأرض فساداً على « أيام عيسى ابن مريم بعد قتله الدجال فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم »[٢].

والشاهد من القرآن على هذه العلامة قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[٤] .

والأحاديث الشواهد في السنة كثيرة . وبوَّب البخاري رحمه الله في آخر « كتاب الفتن » « باب يأجوج ومأجوج » وفيه حديث « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ... »[٥] .

والحديث كذلك عند مسلم في صحيحه في أول « كتاب الفتن وأشراط الساعة »[٦] . وغيره كثير[٧] .

---

(١) انظر : النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١ : ٢٠٠ – ٢٠١) تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز / طبعة : المكتب الثقافي – القاهرة / تاريخ وطبعة : بدون ، وأشراط الساعة (٣٦٦) .

(٢) النهاية (١٩٤) .

(٣) سورة الكهف – جزء من الآية رقم (٩٤) .

(٤) سورة الأنبياء – آية رقم (٩٦) .

(٥) صحيح البخاري (٤ : ٢٣٣) .

(٦) صحيح مسلم (١٨ : ٢ – ٣) .

(٧) انظر على سبيل المثال : صحيح مسلم (١٨ : ٦٨) وصحيح البخاري : باب قصة يأجوج ومأجوج (٢ : ٢٣٢ – ٢٣٣) . كتاب بدء الخلق .

٩/٨/٧ - خسف المشرق وخسف المغرب وخسف جزيرة العرب:

والصحيح من أقوال أهل العلم أنها لم تقع بعد . وأنها خسوفات عظيمة تكون في آخر الزمان مع العلامات الأخرى شرطاً من أشراط الساعة الكبرى .

وما وقع فيما مضى من خسوفات غير هذه المقصودة[١] .

١٠ - النار العظيمة التي تخرج من اليمن فتجمع الناس إلى محشرهم :

وأنها آخر العلامات كما ورد في مسلم[٢] . وفي البخاري أنها أولى العلامات وأنها تحشر الناس من المشرق[٣] . وجمع العلماء بين الخبرين فقالوا : لعل الأولية المقصودة في الحديث الثاني « باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً » وأن خروجها يكون من عدن ثم تنتشر في الأرض فتحشر أهل المشرق أولاً . أو أن الآخرة نارٌ حقيقية والأولى كناية عن الفتن التي ظهرت من المشرق[٤] .

وبعدُ ، فهذه مقدمةٌ ممهِّدةٌ عن أشراط الساعة الكبرى أراها تفي بالغرض ولا تزيد عن الحد . فليس مقصود بحثنا ودارستنا تتبع تفصيل علم أشراط الساعة ، فقد تصدى لجمعها غيرنا فكفانا المؤونة .

على أن أهم ما يُلاحظ هاهنا بعد سرد هذه العلامات . وله علاقةٌ إلى حدٍّ ما ببحثنا هذا أننا لم نجد في كل ما ذكر خبراً عن ظهور « مهدي منتظر » من آل البيت النبوي .

---

(١) انظر : أشراط الساعة للوابل (٣٨٢) .

(٢) صحيح مسلم بالنووي (١٨ : ٢٨) .

(٣) صحيح البخاري (٢ : ٢٢٨) باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته - كتاب بدء الخلق .

(٤) انظر (أشراط الساعة / ٤١٨ - ٤١٩) .

والسبب في ذلك عائدٌ إلى أن أمره لا يُعدُّ من أشراط الساعة الكبرى على ما هو مدون في صحاح الأحاديث . بل هو كالمقدمة لها . وقد وردت الأخبار المتواترة في شأنه في غير هذه الأحاديث المنقولة من الصحيحين . ذلك أن ذكره لم يرد مُصرَّحاً به في أيٍّ من الصحيحين . ولا يعني ذلك إنكار أمره كما فعله بعضهم[١] محتجاً بذلك . إذ ليس كل السنة في الصحيحين .

وقد جزم بعض العلماء بتواتر أحاديث المهدي . ونقل الشيخ المحدث صديق حسن خان عن الشوكاني جزمه بأن « الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة » وأنه – أي الشوكاني – جمع في ذلك كتاباً سماه « التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح »[٢] .

وليس بحث هذا مرادنا ولا هذا مقامه . وإنما أحببنا الإشارة إليه هاهنا تكميلاً لما نحن بصدده من الكلام عن « المسيح المنتظر » ، وأن نزوله يكون من أشراط الساعة الكبرى وعلاماتها العظمى .

ثم كان التنبيه إلى أن خروج « المهدي المنتظر » من أهل البيت يكون في آخر الزمان قبل نزول عيسى ، حتى يدركه عيسى عليه السلام وهم في قتال الدجال فيصلي بهم ذاك الإمام الصالح من أمة محمد ﷺ . وهذا قد جاء مُصرَّحاً به في

---

(١) منهم الشيخ محمد رشيد رضا ومحمد فريد وجدي وآخرهم الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود (ت ١٤١٧ هـ) الذي ألف كتاباً سماه « لا مهدي ينتظر بعد الرسول ﷺ خير البشر » . وقد تكفل بالرد عليه الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله في كتاب سماه « الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر » وطبع سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م – طبعة أولى . ونشرته رئاسة الإفتاء بالرياض . وقد أشار الدكتور الوابل إلى آراء هؤلاء في كتابه (أشراط الساعة / ٢٦٥ وما بعدها) وناقش حججهم وآراءهم وردّ عليها .

(٢) الإذاعة (١١٣ / ١٦٠) .

أحاديث في الصحيحين ، لكنْ لم يُذكر فيها لفظ « المهدي المنتظر » أو أنه من أهل البيت[١] .

« والحاصل أن الواجب اعتقاده من ذلك ما دلت عليه الأخبار والآثار الصريحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال و.... عيسى ابن مريم في زمنه ويصلي عيسى عليه السلام خلفه .. »[٢] .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله[٣] : « أمر المهدي معلوم ، والأحاديث فيه مستفيضة ، بل متواترة متعاضدة ، وقد حكى غير واحدٍ من أهل العلم تواترها ، وتواترها تواترٌ معنوي ، لكثرة طرقها ، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق ... وقد اطلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها كما قال الشوكاني وغيره ، وكما قال ابن القيم وغيره : فيها الصحيح ، وفيها الحسن ، وفيها الضعيف .... .. ويكفينا من ذلك ما استقام سنده ، ... والحق أن الجمهور من أهلم العلم - بل هو كالاتفاق - على ثبوت أمر المهدي ، وأنه حق »[٤] .

---

(١) حديث أبي هريرة في البخاري (٢ : ٢٥٦) « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » كتاب بدء الخلق - باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام / وهو في مسلم أيضاً . وفي مسلم غيره ، وفيه : « فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا ... » (صحيح مسلم/ ٢: ١٩٣-١٩٤) كتاب الإيمان - باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني (٢ : ١٢٧) .

(٣) الشيخ الإمام العلامة المحدث الزاهد : عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز . ولد سنة ١٣٣٠ هـ وتلقى العلم على عدد من كبار المشايخ في الرياض . وعلى رأسهم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية آنذاك . تولى القضاء فترةً ، واشتغل بتدريس العلم وبثه . واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد . وله الكثير الكثير من الطلاب . هم اليوم من كبار المشايخ والعلماء والقضاة والمفتين ، وله الكثير من المؤلفات . تولى رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . وآخر أيامه أصبح مفتياً للمملكة العربية السعودية ورئيساً لهيئة كبار العلماء (١٤١٤ - ١٤٢٠ هـ) . وتوفي بالطائف في ٢٧ / ١ / ١٤٢٠ هـ . وصلي عليه بالمسجد الحرام . ودفن بمكة في جمع عظيم .
وتناقلت خبر وفاته وسردت ترجمته الجرائد والمجلات والدوريات . وكُتب في ذلك مؤلفات .

(٤) الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي - لعبد المحسن العباد (١٥٧) ط. أولى / دار الرشيد / المدينة) نقلاً عن كتاب : القيامة الصغرى للدكتور عمر الأشقر (٢٠٨ - ٢٠٩) .

وقد أحصى الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد في كتابه « عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر » عدد الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي فبلغوا ستة وعشرين صحابياً ، وأحصى كتب السنة التي أخرجت هذه الأحاديث ، فبلغت ستة وثلاثين كتاباً[١] .

وقد جمع هذه الأحاديث كثير من العلماء في مؤلفات خاصة[٢] . ونص على صحة أحاديث المهدي جمع كبير من نقاد الحديث وأئمته ... لذلك لا يُلتفت لمن ضعَّف هذه الأحاديث أو كذَّب بها ممن ليس من فرسان هذا العلم .

وعقيدة أهل السنة والجماعة موافقة لما في تلك الأحاديث الصحيحة[٣] .

وهو « المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممرّ الاعصار »[٤] .

و لم يشذ عنهم غير أفراد من المنسوبين إلى أهل السنة ، ليس لهم باعٌ طويل في تخريج الأحاديث ولا هم من فرسان هذا الفن ، ورد عليهم العلماء شبهاتهم وأقاويلهم . وبعض تلك الردود في مؤلفات خاصة[٥] .

وسيأتي تفصيل ذلك وبيانه في المبحث الخاص بالمهدي لاحقاً - إن شاء الله - .

وبهذا أختم الحديث في هذا المبحث آملاً أن يكون ما عرضته فيه كافياً مع مراعاة الإيجاز . وبالله التوفيق .

---

(١) القيامة الصغرى - د. عمر الأشقر (٢٠٩) .

(٢) أشرنا إلى بعضها في أول هذه الرسالة في المبحث الأول من هذا التمهيد في المطلب الثاني منه .

(٣) القيامة الصغرى - د. عمر الأشقر (٢٠٩ - ٢١٠) .

(٤) مقدمة ابن خلدون (٣١١) / ط. رابعة / ١٩٨١ م / دار القلم - بيروت .

(٥) انظر : القيامة الصغرى (٢١١) . ومن ردود المتأخرين على أولئك : كتاب الشيخ العباد المار ذكره ، وكتاب الشيخ حمود التويجري رحمه الله « الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر » .

المبحث الثالث

خبر الغيب المستقبلي ولزوم الإيمان به

تعريف الغيب لغة واصطلاحاً

الغيب لغة : كل ما غاب عنك . وهو أيضاً كل ما غاب عن العيون سواءً كان محصَّلاً في القلوب أو غير محصَّل . وكل مكانٍ لا يُدرى ما فيه فهو غيب . وكذلك الموضع الذي لا يُدرى ما وراءه .

والغيبُ من الأرض ما غيَّبك . وما اطمأن من الأرض . وجمعه غُيُوبٌ[١] .

والغيب مصدرُ غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين ، يقال : غاب عني كذا .

والغيب هو : كل غائبٍ عن الحاسَّة وما يغيب عن علم الإنسان[٢] .

أو هو : ما غاب عن الحس وعلمه الإنسان بتحليله الفكري أو بالخبر اليقيني عن الله ورسوله ، أو يبقى سراً مكتوماً يعجز الإنسان عن إدراكه ، ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير[٣] .

« ويُقال للشيء غيبٌ وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى فإنه لا يغيب عنه شيء » كما قال تعالى : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٤] .

---

(١) لسان العرب (٢ : ١٤٧ - ١٤٨) طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، والدار المصرية للتأليف والترجمة / ط وتاريخ : بدون .

(٢) المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد - تحقيق : محمد سيد كيلاني (٣٦٦) طبعة دار المعرفة - بيروت / ط. وتاريخ : بدون .

(٣) الإيمان بالغيب - بسام سلامة (١٠ - ١١) ط. أولى / ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م / مكتبة المنار - الأردن .

(٤) سورة سبأ - جزء من الآية رقم (٣) .

أقسام الغيب

والغيب باعتبار علمه ومعرفته نوعان :

- نوع قد يعلمه بعض الناس ابتداءً (مثل يا سارية الجبل) .

- نوع لا يعلمه أحد من الناس ، وهو الغيب المطلق .

وهو باعتبار زمانه ثلاثة أقسام : ماضٍ وحاضر ومستقبل ، فأما القسمان الأولان فيمكن معرفتهما إذا تيسرت أسباب ذلك للمخلوقين و لم يكن ذلك الغيب غيباً مطلقاً.

أما المستقبل فلا يعلمه حقاً إلا الله(١) .

إذن فعلم الغيب المطلق والمستقبل مما اختص الله تعالى نفسه به ، لا يطَّلعُ مخلوقٌ على شيء من ذلك الغيب ، لا مَلَكٌ مقرب ولا نبي مرسل إلا بإذنه سبحانه وتعالى وبقدرٍ مقدور وحدٍّ محدود . قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٢) .

وقال : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾(٣) .

وقال جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾(٤) وقال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾(٥) .

---

(١) الإيمان بالغيب (٣٢ - ٣٣) .

(٢) سورة النمل - جزء من آية رقم (٦٥) .

(٣) سورة الأنعام - جزء من آية رقم (٥٩) .

(٤) سورة الجن - آية رقم (٢٦) وجزء من الآية رقم (٢٧) .

(٥) سورة الأنعام - جزء من آية رقم (٥٠) .

﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾[١] .

وليس البشر وحدهم هم الممنوعون عن علم الغيب المطلق ، بل حتى الجن والملائكة ممنوعون عن هذا ، رغم أنهم يعرفون بعض ما لا نعرفه لأن الأمر نسبي . وقد أوضح الله عز وجل عدم علم الجن للغيب المطلق في قصة سليمان عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[٢] .

فمعرفة الغيب المطلق والإحاطة به من خصائص الله سبحانه وتعالى . ومع هذا فبعض الأنام قد يعلمون بعض الغيب أو شيئاً من الغيب ، لكنهم لا يعلمون الغيب بإطلاق ، أو كل الغيب .

« وهذا القليل من الغيب تحصَّل لهم بتعريف الله تعالى لهم إياه ، .. ليس بذكاءٍ ولا بجهد ، وإنما (اصطفاءٌ من) الله عز وجل لأناسٍ من خلقه وتخصيصٌ منه لهم بذلك »[٣] .

وخبر الغيب المستقبلي داخلٌ في ذلك ، فلا يصح التنبؤ بالغيوب المستقبلة أو الزعم بالاطلاع على مجرياتها أو أحوالها أو تصاريف أقدارها دون الاعتماد على مصدرٍ إلهي .

وقد أطلع الله سبحانه وتعالى رسله على شيء من الغيب . وَأَطْلَعَ رسوله الكريم محمداً ﷺ على شيء من تلك الغيبيات، فأخبرنا ﷺ عن بعض تلك الغيوب المستقبلة ،

(١) سورة الأعراف - جزء من آية رقم (١٨٨) .
(٢) سورة سبأ - جزء من آية رقم (١٤) .
(٣) الإيمان بالغيب (١٣ - ١٤) .

فمنها ما تحقق ومنها ما لم يتحقق بعد ، ومن هذا النوع الأخير الأحاديث التي أخبرت عن نزول المسيح عيسى عليه السلام في آخر الزمان حكماً مقسطاً حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ .

وجوب الإيمان بالغيب وضرورته

أما من ناحية وجوبه ولزومه . فلأن الإيمان بالأركان الستة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره ، من الإيمان بالغيب .

ولا يُقبل إيمان مؤمنٍ يستثني منها واحداً . ولأن مصدر المعرفة في كل ركنٍ منها هو مصدر الغيب . وهذه ناحية الإلزام .

وأما كون ذلك ضرورةً فإن الإيمان بالغيب ضرورة من عدة جهات ، فهو ضرورة بشرية واجتماعية وخُلُقية . وهو كذلك ضرورة سياسية واقتصادية وقانونية . وهو كذلك ضرورة عقلية وفطرية[١] .

وأشراط الساعة من ذلك الغيب فوجب الإيمان بها « لأنها إخبارٌ عن الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علماً ، وقد امتدح الله المؤمنين الذين يُصدِّقون بالغيب الذي يخبر به ، أو يُخبر به رسوله ﷺ »[٢] . قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[٣] .

---

(١) لمن أراد التوسع في ذلك : انظر كتاب : الإيمان بالغيب – بسام سلامة – الباب الثاني = الفصل الأول في ضرورة الإيمان بالغيب . فقد تناول هذه النواحي جميعاً بإسهاب كاف واستشهد لذلك ماضياً وحاضراً . الصفحات (٦٥ – ٨٧) .

(٢) عالم السحر والشعوذة – د. عمر الأشقر (٢٦٦) ط. أولى / ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م / دار النفائس – الكويت .

(٣) سورة البقرة – الآيات (١ – ٢ – ٣) .

ومعتقد أهل السنة والجماعة في ذلك أنه « لا فلاح إلا باتباع الرسول ﷺ والإيمان بما جاء به ﷺ . ومن جملة ما ورد عن سيد الخلق نبينا محمد ﷺ وأنه حقٌّ لا يُرد : أشراط الساعة وعلاماتها » « (و) ما ورد عن سيد الخلق (ﷺ) .. حقٌّ يجب اعتقاده ولا يسوغ رده ... ... فكله .. حقٌّ واقع »[١] .

ومن المعلوم أن من قواعد معتقد السلف أنه « يجب على كل أحدٍ أن يُؤمن بما جاء به الرسول (ﷺ) إيماناً عاماً مجملاً »[٢] .

ومما جاء به الرسول ﷺ بل أعظم ما جاء به الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده والإيمان به . وأركان هذا الإيمان جاءت مفصلةً في الحديث الصحيح : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »[٣] . ومن هذه الأركان كما هو مبين في الحديث : الإيمان باليوم الآخر .

ويشمل ذلك الإيمان بمقدمات ذلك اليوم الآخر وهي أشراط الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى .

إذاً فـ« الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان بالغيب الذي لا يتم إيمان المسلم إلا بالإيمان به » ... وهو « داخلٌ في الإيمان باليوم الآخر »[٤] .

فوجب إذاً التصديق بخبر الغيب المستقبلي الثابت الصحيح الوارد عن الله وعن رسوله ﷺ . فقد غادر رسول الله ﷺ هذه الدنيا وقد ترك أمته على المحجة البيضاء وما ترك شيئاً يهمهم في أمر دينهم إلا وأعلمهم به على ما أعلمه الله به وأوحاه إليه

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني (٢ : ٦٥ / ٧٠) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٧٠) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ١٥٧) .

(٤) أشراط الساعة – الوابل (٤٣١) .

« وقد أخبر (ﷺ) أمته بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة ، وقد نالت أشراط الساعة من أخباره النصيب الأوفر »[١] .

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به ، حفظه مَنْ حفظه ونسيه من نسيه .. »[٢] .

فـ« أشراط الساعة قد نالت من الإخبار بالغيب النصيب الأوفر ، ولهذا جاءت أحاديث أشراط الساعة كثيرةً جداً ، ورويت بألفاظٍ مختلفة ، لكثرة من نقلها من الصحابة رضي الله عنهم »[٣] .

أما فوائد معاناة ذلك والاشتغال به – أي دراسة أخبار أشراط الساعة والمغيبات المستقبلية – فيمكن تلخيصها فيما يأتي :

١ – الإيمان بما صح من هذه الأخبار من الإيمان بالله والإيمان برسوله ﷺ .

٢ – وقوع تلك المغيبات على النحو الذي روته الأخبار يُثبِّت الإيمان ويقويه .

٣ – تثبيت الإيمان بيوم القيامة . فالقيامة وأهوالها من الغيب .

٤ – توجيه النبي ﷺ للاحقين به من أمته كيف يتصرفون حيال الأحداث التي قد يخفى عليهم وجه الحق فيها .

٥ – بيانه ﷺ الحكم الشرعي للاحقين من أمته في بعض ما يعرض لهم من نوازل في تلك الأيام . كالصلاة في أيام الدجال[٤] .

---

(١) أشراط الساعة (٤٣١) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ١٥) .

(٣) أشراط الساعة (٥٥) .

(٤) بتصرف من (القيامة الصغرى) للدكتور عمر الأشقر (١٣٠ – ١٣٢) .

مصادر معرفة الغيب

الإنسان بطبعه ذو فضولٍ زائد مغرمٌ بمحاولة استكشاف القَدَر المجهول والاطلاع على مكنون الغيب . لذلك كثرت المحاولات في كل الأمم وكل الديانات وعلى مدى العصور من أجل استشفاف القَدَر المستور والاطلاع على تصاريفه قبل وقوعها .

ثم إن « التطلع إلى ما يحدث في المستقبل أمر فطري ، فالإنسان يجد في نفسه رغبة شديدة في معرفة الوقائع والكائنات التي قد تحدث للجنس الإنساني ، أو تحدث للأمة التي هو منها ، أو قد تحدث له »[١] .

قال ابن خلدون[٢] في الفصل الثالث والخمسين من « مقدمته » في « الكلام على الملاحم » : « إعلم أن من خواص النفس البشرية التشوّق (أو التشوُّف) إلى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها ، والتطلع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها . ولذلك تجد الكثير من الناس يتشوقون إلى الوقوف على ذلك »[٣] .

« وقد أشبعت الشرائع الإلهية والرسل المبعوثون من عند الله هذه النزعة البشرية في النفس الإنسانية ، فحدثت الناس عن العوالم غير المنظورة .....

---

(١) القيامة الصغرى - د. عمر الأشقر (١٣٢) .

(٢) أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي المالكي . فيلسوف مؤرخ . بحاثة عالم في الاجتماع . يعد كتابه « المقدمة » من أصول علم الاجتماع . وله في التاريخ « العبر » وفي العقائد « شفاء السائل » وله رسالة في المنطق . رحل إلى مصر وولي بها قضاء المالكية وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ ترجم لنفسه ترجمة مطولة في آخر تاريخه . راجع في ترجمته (تاريخ ابن خلدون / ٧ : ٥٠٣ - ٧٤٢) ط. أولى / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / دار الفكر - بيروت . و(نفح الطيب لأحمد بن محمد المقري / ٣ : ٢٧٤ - ٢٧٦) ط. أولى / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م / دار الفكر - بيروت - تحقيق : يوسف البقاعي . و(الأعلام للزركلي / ٣ : ٣٣٠) .

(٣) مقدمة ابن خلدون (٣٣٠) .

وأطلعهم (الله سبحانه وتعالى عن طريق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم) على كثير من الحوادث التي ستقع فوق ظهر هذه الأرض ، ....

وأنذر كل نبي أمته المسيح الدجال ..... ومن نظر في الغيوب التي أخبرنا بها القرآن ، وأخبرنا بها رسولنا ﷺ وجد كمّاً هائلاً من الأخبار في هذا المجال ، .... ومن هذه الأخبار أشراط الساعة »[١] .

ومصادر الإخبار عن الغيوب المستقبلة متعددة مختلفة بحسب اعتقادات البشر ودياناتهم واختلاف نزعاتهم . وليس معنى ذلك أن كل هذه المصادر أو جُلّها يُعدُّ مصدراً موثوقاً وصحيحاً .

ثمة مصدر إلهي موثوق صحيح معتمد . وثمة مصادر شتى تطيش سهامها أحياناً كثيرة وتوافق القدر حيناً وتستجلي بعض الغيب غير المطلق بحسب إمكاناتها .

والمصدر الإلهي الشرعي الحق الذي طريقه الوحي هو الذي حكى لنا تداعيات آخر الزمان وأحوال أيام الدنيا في مستقبلها، وهو الذي به نؤمن وعليه نُعوِّل ونعتمد ، ما جاءنا من ذلك في الكتاب المنزل من عند الله أو ما جاءنا عن رسول الله ﷺ في الإخبار عما يستجد ويقع من حوادث مستقبلية كأشراط الساعة ونحوها .

(١) عالم السحر والشعوذة - د. عمر الأشقر (٢٦٤ - ٢٦٥) .

التنبؤ بالغيب[١] مجالاته وشرعيته

لئن كان ذلك الطريق - طريق الوحي - هو الطريق الشرعي الموثوق المعتمد ، فإن لبني البشر طرائق أخرى يحاولون بها جاهدين - غير موفقين - استجلاء الغيب واستشفاف القدر المخبوء .

وهذه الطرائق هي ما يُمكن أن نسميه « مجالات التنبؤ بالغيب » ، ولا تحظى تلك الوسائل والطرائق بالشرعية المطلوبة ، ولا تُقبل مطلقاً ، وليس لها كذلك مصداقية حقيقية ، بل هي « مجالات خصبة » للكثير الكثير من الدجالين والمدلِّسين الذين يتلاعبون بعقول وعواطف ضعاف العقول والنفوس ، وهم يمارسون عملهم ذلك في سريةٍ تمنحهم الكثير من الحماية والأمان من اكتشاف ألاعيبهم وأضاليلهم .

من تلك المجالات :

١ - دعاوى عامة ، تشترك فيها جميع الأمم وتوجد في كل أصحاب الديانات وفي أكثر البلدان . وهي محاولة بطرائق غير أخلاقية لمعرفة الغيب أو التنبؤ به أو ادعاء العلم به .

وهذا موجود منتشر بين الأمم قديماً وحديثاً من محاولة الاطلاع على الغيب المستقبلي أو التنبؤ به أو ادعاء معرفته عن طريق : الكهانة والعرافة أو التنجيم أو استخدام الجن وتسخيرهم في سرقة خبر السماء كما كان عليه الحال قبل بعثة النبي ﷺ ، أو استخدام الجن في معرفة الخبر الغائب ، ونحو ذلك[٢] .

ومما يلحق به خرافة تحضير الأرواح الحديثة الظهور .

---

(١) للأستاذ أحمد الشنتناوي كتاب عنوانه : التنبؤ بالغيب - طبعته دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ م .

(٢) كعمل المندل والرمل واستخدام خواص الحروف والأسماء والأعداد والأشياء عند أصحاب « أبي جاد » و« الحروفية » وأصحاب الخطوط وقراءة الكف والبرج ومعرفة الحظ .

والكاهن : « هو الذي يُخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدَّعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب »[١] . أو « هو الذي يُخبر عن المغيبات في المستقبل » أو « الذي يُخبر عما في الضمير » .

والعراف : « الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالّة ونحو ذلك »[٢] .

والتنجيم هو « الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية »[٣] .

وأكثر ذلك بل جُلُّه ، قد جاءت الإشارة إليه في الشرع الحنيف مصحوباً بالوعيد الشديد والنكير الأكيد على مرتكبيه ، متضمناً في طيّ ذلك إمكان وقوعه .

فقد جاء في القرآن الكريم خبر استراق الجن للسمع من السماء وجاء بيان ذلك وشرحه في الأحاديث النبوية .

قال تعالى على لسان الجن : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا ﴾ أي السماء ﴿ مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾[٤] .

فمُنعوا من ذلك أشد المنع حين اقترب مبعث النبي ﷺ ولذلك جاء في تتمة الآية ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ .

وجاء بيان ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه ، وفيه : « ... ولكنَّ ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ثم سبَّح أهل السماء ... (إلى أن قال) فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه

(١) التعريفات للجرجاني علي بن محمد (١٩٢) طبعة مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٥ م / ط : بدون .
(٢) كتاب التوحيد - للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥٣) طبعة مكتبة شمس - الرياض/ ط وتاريخ: بدون .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٥٠٣) .
(٤) سورة الجن - جزء من آية رقم (٩) .

السماء الدنيا فتخطف الجن السمعَ فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم ... يزيدون » .

وفي الحديث الآخر في صحيح مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : « إن الكهان كانوا يُحدثوننا بالشيء فنجده حقاً . قال : تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة »[١] .

ولذلك جاء النهي عن تصديقهم والوعيد الشديد في حق من تعرَّض لسؤالهم عن ذلك الغيب . ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة »[٢] .

٢ - دعاوى الصوفية ، مثل دعواهم في « الكشف » و« العلم اللدني » ، وادعائهم « الإلهام » بمثل قولهم : « حدثني قلبي عن ربي » ، أو دعواهم في « العلم الباطن » المقابل لعلم الظاهر (علم الشريعة)[٣] أو دعواهم في « الخواطر » و« المنامات » وجعلهم ذلك من قبيل الفراسة والرؤيا الصالحة .

و« الكشف » عندهم هو : « الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية »[٤] .

وقد عدّ ابن الجوزي - أشهر علماء السنة قبل ابن تيمية المتصدين للتصوف وبدعه - ما يدّعونه في ذلك من « الوساوس والخيالات الفاسدة » التي سببها الظاهر فيهم تقليل المطعم وتجويع النفس وتعذيبها[٥] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤ : ٢٢٤ - ٢٢٦) باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤ : ٢٢٧) .

(٣) انظر : تلبيس إبليس لابن الجوزي (٤٣٦) - تعليق د. محمد الصباح / ط. أولى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م / دار مكتبة الحياة - بيروت .

(٤) معجم مصطلحات الصوفية / د. عبد المنعم الحفني (٢٢٥) ط. ثانية / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م / دار المسيرة - بيروت .

(٥) تلبيس إبليس (٣٩٤) .

و« العلم اللدني » عندهم هو « العلم الذي يتعلمه العبد من الله تعالى ، من غير واسطة ملك أو نبي ، بالمشافهة والمشاهدة »[١] ويتكئون فيه على قصة الخضر عليه السلام وقول الله تعالى عنه : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[٢] .

ومثله « الإلهام » وهو عندهم : « ما يُلقى في الروع بطريق الفيض (أو) ... ما وقع في القلب من علم »[٣] .

وقد رد عليهم ابن الجوزي ذلك قائلاً : « الخضر .. قد قيل (إنه) نبي ولا يُنكر للأنبياء الإطلاع بالوحي على العواقب ، وليس الإلهام من العلم في شيء ، إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد . فأما أن يترك العلم ويقول إنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء ، إذ لولا العلمُ النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس ، أمن الإلهام للخير ، أو الوسوسة من الشيطان ؟ »[٤] .

وأما جعلهم « الخواطر » من قبيل الفراسة وأخذهم بكل ما جاء عن طريقها ، ففيه نظر ، إذ ليس كل خاطر يكون خاطراً صحيحاً شرعياً من قبيل الفراسة الإيمانية . والفراسة في الأصل كذلك أنواع :

أ - « إيمانية ، وسببها نورٌ يقذفه الله في قلب عبده ، وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب ، ... وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان » .

ب - وهناك « فراسة رياضية .. تحصل (لطالبها) بالجوع والسهر والتخلي ، ... وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ، ولا تدل على إيمان ، ولا على ولاية ، ولا تكشف عن حق نافع ، ولا عن طريق مستقيم » .

---

(١) معجم مصطلحات الصوفية - الحفني (١٨٨) .

(٢) سورة الكهف - جزء من آية رقم (٦٥) .

(٣) معجم مصطلحات الصوفية (٢٣) .

(٤) تلبيس إبليس (٤٣٨) .

جـ - وهناك فراسة خِلقية . التي يُستدل بها عند الأطباء بالخَلق على الخُلُق[١] .

وأما « المنامات » التي يتكئون عليها أحياناً ويجعلونها من قبيل « الرؤيا الصالحة » التي وردت الإشارة إليها في الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »[٢] .

ففيها تفصيلٌ كذلك . إذ ليس كل الرؤى تكون من قبيل الرؤيا الصالحة ، بل ما يراه المرء من ذلك أنواع :

أ - منه الرؤيا الصالحة .

ب - ومنه الحلم من الشيطان .

جـ - ومنه حديث النفس .

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان »[٣] .

وفي مسلم : « ... والرؤيا ثلاثة فرؤيا الصالحة بُشرى من الله ، ورؤيا تحزينٌ من الشيطان ، ورؤيا مما يُحدِّث المرء نفسه .. »[٤] .

إذاً فقول الصوفية باقتباس شيء من الغيب أو التشريع عن طريق الرؤى مردودٌ عليهم . إذ ما علامة الرؤيا الصالحة من غيرها ؟ ثم إن التشريع والغيب لا يؤخذ إلا من الثابت المنقول من الكتاب والسنة . أما الرؤى والأحلام فلا يُبنى عليها شيء . ولا يُؤخذ منها شيء .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٤٩٨ - ٤٩٩) .

(٢) صحيح البخاري بحاشية السندي (٤ : ٢٠٨) باب رؤيا الصالحين .

(٣) صحيح البخاري بحاشية السندي (٤ : ٢١٢) باب الحلم من الشيطان .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ : ٢٠ - ٢١) كتاب الرؤيا .

وكل دعاواهم تلك مدخل زعمٍ باطل لكل من هب ودب . إذ ربما ادعى ذلك كل أحدٍ فلم يُعرف المحق من المبطل . ثم ما شاهد كل مدعٍ على دعواه وما دليله على معرفته تلك ؟ فكان لابد من دفع تلك الدعاوى المستفيضة بالجملة في شئون العبادة والتشريع والغيوب المطلقة والمستقبلة من قِبَل هؤلاء الأدعياء الأغبياء المنتسبين إلى أولياء الله زوراً وبهتاناً .

وبهذا نختم الكلام في هذا المبحث . وبه ختام الكلام في هذا التمهيد . وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الباب الأول

المسيح المنتظر في الأديان الوضعية القديمة

الباب الأول

المسيح المنتظر في الأديان الوضعية القديمة

وفيه فصلان :

- **الفصل الأول** : المسيح المنتظر في الهندوسية (البرهمية)
- **الفصل الثاني** : المسيح المنتظر في البوذية .

الفصل الأول

المسيح المنتظر في الهندوسية

الفصل الأول

المسيح المنتظر في الهندوسية (البرهمية)[(١)]

الأصح أن يُقال في عنوان هذا الفصل : هل هناك مسيحٌ منتظر في الهندوسية أو البرهمية ؟ بصيغة الاستفهام .

إذ أن الكم القليل من المعلومات المتوفرة لدينا لا يكفي لملء المساحة الضخمة لكل هذا العنوان ، ولا يليق بفخامته .

وقد بنينا هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في التعريف بالهندوسية .

المبحث الثاني : التناسخ في الهندوسية ، وعلاقته بفكرة المنتظر .

المبحث الثالث : الخلاص والمخلّص المنتظر في الهندوسية .

---

(١) هذا الفصل والفصل الذي يليه من هذا الباب الذي يتحدث عن مسيحٍ منتظر في الأديان الوضعية القديمة لم يكن موجوداً في الخطة الأصلية المقترحة لهذا البحث . لكن ثلةً من شيوخنا الأفاضل أعضاء مجلس القسم الموقر أشاروا على مجلس القسم بإضافة هذا الباب . ولم يكن من المتوقع منذ ذلك الوقت أن أجد كمّاً هائلاً من المعلومات الكافية . غير أن إشارة أولئك الأفاضل – وإشارتهم أمرٌ – كان المقصود منها استكمال المقارنة بين الأديان الكتابية والوضعية في هذا الموضوع استكمالاً للحديث في هذا الشأن وجمعاً لشتات المعلومات ونتفها في هذه القضية . وكان ذلك .

غير أن السمة الغالبة على هذا الباب في فصليه ستكون السلبية في الجواب . وسيكون أسلوب البحث في هذا الباب معتمداً على عرض التساؤلات التي نجد لها شَبهاً في الأديان الأخرى . لكن الجواب – إجمالاً – يكون في الغالب سلبياً إلا في نقاطٍ محددة .

هذا ما أردت التنبيه عليه في مقدمة هذا الباب حتى لا يصطدم القارئ بكثرة التساؤلات وقلة الإجابات إذ أن ذلك سيكون الطابع العام لهذا الباب .

وسنتناول في المبحث الأول منها - بمشيئة الله تعالى - : نشأة الهندوسية والتعدد والتثليث في الآلهة عند الهندوس .

أما المبحث الثاني فسنعرض فيه لفكرة التناسخ ، تعريفها ومضامينها ونتائجها ، ثم نحاول بعدئذ تحليل العلاقة بين هذه الفكرة وفكرة المنتظر ، مشيرين إلى أثر تلك الفكرة في بعض الطوائف الإسلامية التي قالت بالرجعة .

وسنتحدث في المبحث الثالث - بحول الله تعالى - عن فكرة الخلاص في الهندوسية ، وما جاء في كتبهم المقدسة عندهم من نصوصٍ تتحدث عن المخلِّص المنتظر واليوم الأخير .

مع استنباط وجه الشبه أو المقارنة بالمنتظر الذي نتحدث عنه في بحثنا هذا . فإلى ذلك وبالله التوفيق .

المبحث الأول

التعريف بالهندوسية

« الهند أمة كبيرة ، وملة عظيمة ، وآراؤهم مختلفة . منهم البراهمة »[١] .

بهذه العبارة الموجزة استفتح الشهرستاني[٢] « الباب الرابع » في « آراء الهند » من كتابه الشهير في « الملل والنحل » .

و« الهند بلد .... الغموض »[٣] « أنتجت الهند (عبر تاريخها الطويل) جملة ضخمة من النصوص ... المتناقضة المحتوى »[٤] .

وللتعريف بالهندوسية نقدم هذا التعريف السريع بالهند .

فالهند هي مهد الهندوسية . ولذا فإن التعريف بالهند يُعدُّ كالمدخل للتعريف بالهندوسية .

يبلغ عدد سكان الهند (حسب تعداد ١٩٨١ م) = (٨٤٠) مليون نسمة ، لكن هذا الرقم قد تغير كثيراً بعدئذٍ . فقد تناقلت وكالات الأنباء مطلع العام ٢٠٠٠م

---

(١) الملل والنحل – محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٠٦) تحقيق : عبد العزيز الوكيل / دار الفكر – بيروت / ط. وتاريخ : بدون .

(٢) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني . متكلم متفلسف أشعري ، فقيه شافعي ، له « نهاية الإقدام في علم الكلام » و« تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام » . قال السبكي عن كتابه « الملل والنحل » هو : « خير كتاب صُنِّف في هذا الباب » . كان متهماً بالميل إلى الشيعة . ولوحظ ذلك في لين عبارته عنهم في كتابه « الملل والنحل » . توفي سنة ٥٤٨ هـ ، وقيل ٥٤٩ هـ . انظر ترجمته في (وفيات الأعيان / ٤ : ٢٧٣) (السير / ٢٠ : ٢٨٦) (طبقات الشافعية الكبرى / ٦ : ١٢٨) .

(٣) فلسفات الهند – جان فيليوزات (١١٥) ترجمة : علي مقلد / الناشر: المنشورات العربية / ط. وتاريخ : بدون .

(٤) فلسفات الهند (٨٩) .

أن المواطن رقم مليار في الهند قد أضحى حقيقةً بعد أن كان خيالاً . وهذا يعني أن عدد سكان الهند قد بلغ مطلع العام ٢٠٠٠ م مليار نسمة .

يدين بالهندوسية منهم حسب إحصاء ١٩٨١ م (٨٢,٦٤ ٪) . والمسلمون في الهند أقلية يحتلون المركز الثاني في الهند من حيث الديانة بنسبة (١١,٣٥ ٪) من جميع سكان الهند . وعددهم يفوق المئة مليون نسمة[١] . وهم بذلك يُمثِّلون ثانية دول العالم في عدد المسلمين بعد إندونيسيا[٢] .

أما عدد معتنقي الهندوسية في العالم كله فيصل - حسب إحدى الإحصائيات الحديثة - إلى (٧٨٠) مليوناً[٣] .

وتعتبر الهندوسية الديانة الرسمية للهند ، وهي كذلك في دول أخرى الديانة الرسمية لمثل نيبال وبورما . وتوجد أقليات هندوسية في باكستان وبنغلاديش وأندونيسيا وماليزيا . وبعض الدول في قارتي إفريقيا وأمريكا[٤] .

وقد « اشتهرت الهند بكثرة الأديان والمعتقدات التي تضارع في كثرتها لغات الهند أو تقرب منها ، وكانت الهندوسية أشهر هذه الأديان وأوسعها انتشاراً ، بل إنها الدين العام الذي حوى غالبية الهنود أو كلهم »[٥] .

---

(١) في الهند ١٥٠ مليون مسلم (حسب مجلة الدعوة السعودية) / عدد (١٥٤٢) / الخميس ٦ محرم ١٤١٧ هـ / ٢٣ مايو ١٩٩٦ م / ص (٦) .

(٢) النظام الطبقي في البرهمية - عرض ونقد - للزميل : عبد الرحمن محيي الدين بوتامل (٥ / ١٩) رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة ، بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بإشراف الدكتور : أحمد بن ناصر الحمد / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

(٣) مجلة المجتمع / العدد (١٣١٤) / ٣ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ / ٢٥ - ٨ - ١٩٩٨ م / ص (٦٥) .

(٤) النظام الطبقي (٥) .

(٥) أديان الهند الكبرى - د. أحمد شلبي (٣٨) / ط. تاسعة / ١٩٩٠ م / مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

والأديان المشهورة في الهند بعد الهندوسية هي : الإسلام والبوذية (انتشرت قبل الميلاد بنحو ٥٠٠ سنة) والسيكية (السيخ) والنصرانية[١] .

تُسمَّى الهندوسية بالديانة البرهمية . أُطلق عليها هذا الاسم ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد نسبةً إلى براهما[٢] .

وتسمَّى كذلك الديانة الآرية لأنها ديانة الآريين .

والوَيدِية نسبةً إلى كتبهم المقدسة عندهم (الويدات) أو الفيدات . وغير ذلك من الأسماء (مثل : الإِرشية / الويدانتية / ديانة الورنات والآشرمات) .

وأطلق عليها أخيراً اسم « الهندوسية » لكونها نشأت في أرض الهند ، ولشمولها جميع الحضارات والعقائد والعادات والتقاليد الوثنية التي نشأت في هذه البلاد المترامية الأطراف .

ويُطلِق عليها بعض الكتاب العرب لفظ « الهندوكية » أيضاً . وهما (الهندوسية والهندوكية) منسوبتان إلى كلمة « الهند »[٣] وكلاهما كلمة مستحدثة (أي الهندوكية أو الهندوسية) ليس لها أصل في اللغة السنسكريتية[٤] .

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند – عبد المنعم النمر (٢٤) ط. أولى / ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٩ م / دار العهد الجديد للطباعة .

(٢) أديان الهند – شلبي (٤٣) . والإنسان في ظل الأديان (١٨١) للدكتور : عمارة نجيب – مكتبة المعارف – الرياض / ط. بدون – ١٤٠٠ هـ – ١٩٧٩ .

(٣) النظام الطبقي (٢٣) .

(٤) انظر ذلك بتفصيل في كتاب : فصول في أديان الهند – د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي (١٦ – ١٧) دار البخاري – المدينة / ط. أولى / ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

والبراهمة هم طبقة المفكرين والكهنة ورجال الدين عند الهنود . وهم كذلك الذين ينتسبون بالولادة إلى أولئك[١] .

« ومن براهما اشتقت الكلمة « البراهمة » لتكون عَلَماً على رجال الدين الذين .. يُعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي »[٢] .

وقد ذكر الشهرستاني « البراهمة » وعدَّهم طائفة من طوائف الهند ، وقال : إنهم « المنكرون للنبوات أصلاً ... المخصوصون بنفي النبوات أصلاً ورأساً ... انتسبوا إلى رجل منهم يقال له براهم ، ... ومنهم أصحاب التناسخ »[٣] .

ويبدو أن الشهرستاني كان يتحدث عنهم على ضوء المعلومات التي وردت إليه عنهم ، وفي حدود تلك المعرفة التي وصلت إليه مشوشةً على ما يظهر . لأنه لم يدخل الهند كما فعل البيروني ، ولم يتعلم اللغة الهندية على أقل الأحوال ليقرأ كتبهم وهو في بلده .

دخل الإسلام إلى الهند في آخر القرن الأول الهجري حين غزا محمد بن القاسم الثقفي[٤] الهند فاتحاً بين سنة ٨٩ هـ - ٩٣ هـ[٥] .

---

(١) انظر : النظام الطبقي (٨٥) وفلسفات الهند (٢١) .

(٢) أديان الهند - شلبي (٤٣) .

(٣) الملل والنحل (٥٠٦ - ٥٠٨) . وانظر كذلك (البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / ص ٨٧ / لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي (ت ٦٨٣ هـ) بتحقيق د. بسام العموش / مكتبة المنار - الأردن / ط. أولى / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) حيث عقد فصلاً عنهم وعن غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى . لكن في كثير من المعلومات التي ساقها عنهم نظر .

(٤) محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي . فاتح قائد . ولاه الحجاج أيام الوليد بن عبد الملك على جيش السند . فغزاها وفتح بها فتوحاً متصلة من سنة ٨٩ هـ إلى سنة وفاة الوليد ٩٥ هـ . فلما توفي الوليد عزله سليمان بن عبد الملك عن السند وحبسه بواسط ثم قتله مع بقية أهل الحجاج . انظر ترجمته وخبر فتحه للهند وهو ابن سبع عشرة سنة في (الكامل لابن الأثير / ٤ : ١١١ / ١٣٣ - ١٣٤) طبعة دار الكتاب العربي - بيروت / ط. خامسة / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . و(البداية والنهاية لابن كثير / ٩ : ٨٧) .

(٥) الكامل (٤ : ١١١ / ١٣٣ - ١٣٤) والبداية لابن كثير (٩ : ٨٧ / ٩٥) .

وتوالت الفتوحات بعد ذلك خلال القرون اللاحقة مع محمود بن سبكتكين[١] ودخل الإسلام أعماق الهند مع غزوات ابن سبكتكين المظفرة[٢] .

وتتابعت الفتوحات والدول الإسلامية بعدئذٍ من غزنوية وغورية وتركية ومغولية وإمارات وممالك هندية ، واستمر الحكم الإسلامي فيها زهاء الثمانية قرون[٣] .

وكان للثقافة الإسلامية والعربية بالغ الأثر في الهند والثقافة الهندية والحياة الاجتماعية هناك . وعلى سبيل المثال فإن « لغة الأوردو » نشأت هناك قبل خمسة قرون كخليط مشترك من العربية والفارسية والتركية والهندية .

وللهند مع اللغة وتعددها حكاية عجيبة هي الأخرى كذلك ، ككل غرائب الهند وعجائبها .

ففي الهند نحوٌ من ٢٤٠ لغة و٣٠٠ لهجة . غير الفارسية والبهلوية والأوردية . واللغة الرسمية للبلاد : الهندية التي قامت على أنقاض اللغة الهندية القديمة = السنسكريتية . وهي لغة غير شائعة لا يجيدها إلا القلة من علماء البراهمة لأنها لغة كتبهم الدينية القديمة . والآريون هم أصحاب هذه اللغة الهندية القديمة .

ونظراً لعدم انتشارها تم الاعتراف بالإنجليزية لغة رسمية بالإضافة إلى ثلاث عشرة لغة أخرى[٤] .

---

(١) يمين الدولة وأمين الملة . أحد ملوك الإسلام العظام . ملك غزنة وخراسان والسند بعد وفاة والده وارث الملوك السامانية ، وأولع بغزو الهند فكان يغزوها كل عام وفتح منها مناطق كثيرة أضافها إلى بلاد الإسلام . توفي بغزنة سنة ٤٢١ هـ أو ٤٢٢ هـ . انظر ترجمته في (المنتظم / ٨ : ٥٢) و (وفيات الأعيان / ٥ : ١٧٥) و (السير / ١٧ : ٤٨٣) .

(٢) انظر (وفيات الأعيان / ٥ : ١٧٨ - ١٧٩) و (السير / ١٧ : ٤٨٥ / ٤٨٩ - ٤٩١) و (البداية والنهاية / ١١ : ٣٣٠ / ٣٣٨ / ٣٥٢) (١٢ : ٨ / ٢٢ / ٢٧) .

(٣) انظر مقالة الأمير شكيب أرسلان الرائعة عن : تاريخ الممالك الإسلامية الهندية في (حاضر العالم الإسلامي / ٤ : ٢٨٧ - ٣٢٢) طبعة دار الفكر / الرابعة / ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٣ م .

(٤) أديان الهند - شلبي (٣١ - ٣٢) و: تاريخ الإسلام في الهند - النمر (١٧ - ١٨) و(٢١ - ٢٢) والنظام الطبقي (٥) .

نشأة الديانة الهندوسية

« أقدم الجماعات التي سكنت الهند .. من الجنس الزنجي .. أما العنصر الدرافيدي فقد جاء إلى الهند حوالي ٢٠٠٠ ق. م »[١] . وجاء بعدهم التورانيون من الشرق[٢] والآريون[٣] من الغرب من أوروبا أو أواسط آسيا . فقد غزا الآريون الهند قبل الميلاد بألف وخمسمائة سنة[٤] أو بألفي سنة . وبعض الباحثين يُرجع ذلك إلى أكثر من أربعة آلاف سنة على وجه التقريب[٥] .

وقد « اندمجت فيهم العناصر القديمة أو هاجرت إلى الجنوب »[٦] .

والآريون هم أصحاب اللغة الهندية القديمة - السنسكريتية[٧] - وهم الذين اتخذوا الديانة الهندوسية ديانةً رسمية لهم ونشروها في كافة أرجاء الهند .

وهم كذلك الذين جاؤوا بكتبها الرئيسية المقدسة عندهم إلى الهند حين دخلوها.

وخلطوا ديانتهم الآرية تلك ببعض عادات وعقائد السكان الأصليين للهند (الدرافيديين أو الدراوديين) ، ومن هذا المزيج تكونت الديانة الهندوسية[٨] .

---

(١) الهند - تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها - محمد مرسي أبو الليل (٢٩) / نشر : مؤسسة سجل العرب - القاهرة / ١٩٦٥ م - ط: بدون .

(٢) أديان الهند - شلبي (٢٧) .

(٣) والآريا معناها العشائر (الهند / أبو الليل / ٣٤) أو أن كلمة آري معناها: النبلاء (أديان الهند / ٥٨) .

(٤) أديان الهند - شلبي (٢٨) . والهند - أبو الليل (٣٠) .

(٥) تاريخ الإسلام في الهند - النمر (١٧) .

(٦) انظر : معالم تاريخ الإنسانية / هـ. جـ. ولز / ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد (١ : ١٧٠) ط. ثالثة / ١٩٦٧ م / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة . والهند - أبو الليل (٣٠) .

(٧) تاريخ الإسلام في الهند - النمر (١٧) .

(٨) انظر : النظام الطبقي (١٧) .

ومن الآريين تناسلت طبقتا الكهنة (البراهمة) وطبقة المحاربين (الكشتريا)[١] .

وسنتحدث عن نظام الطبقات المذكور لاحقاً - بحول الله وقوته - .

أما سكان الهند الأصليون الذين يُسمون « زنوج الهند » فهم « المنبوذون » . « لم يدخلوا التقسيم (في نظام الطبقات) و لم يكونوا إحدى طبقات المجتمع الهندوسي .. و لم تمتد لهم الحضارة الآرية .. لأنهم انعزلوا » عنها ، وبقوا بعيدين عن التقسيم ، وظلوا طريدي المجتمع أو منبوذين[٢] .

نشأت عقائد الهندوسية وعاداتها وتقاليدها من تنظيم الآريين لحياتهم منذ قدومهم إلى الهند ، ومن احتكاكهم واختلاطهم وتأثرهم بالسكان الأصليين على مَرِّ التاريخ ، ثم تطورت عن طريق حكمائها القدماء .

---

(١) أديان الهند - شلبي (٢٩) .

(٢) انظر : معالم تاريخ الإنسانية / هـ. جـ. ولز (١ : ٢٣٤ - ٢٣٥) وأديان الهند - شلبي (٢٩ / ٥٧ / ٦٠) . على أن هناك من الباحثين من يرى أن المنبوذين يشكلون أفراد الطبقة الرابعة (الشودرا = الخدم والعمال) أو بعضها . ويقولون : إن معنى كلمة شودرا : منبوذة . أي طبقة منبوذة أو طبقة المنبوذين . وأن تلك الطبقة تتكون منهم ومن فقراء الآريين أو من خالط وتزوج من الآريين أولئك السكان الأصليين والقبائل البدائية (النظام الطبقي / ٨٥ / ١٠٠) . لكن المطلع على المراجع في هذا الشأن يرى أن أكثرها لا تذكر إلا التقسيم الرباعي المعروف ولا تعدّ المنبوذين ضمن تلك الطبقات الأربع . وهذا هو المشهور والمعروف وهو الذي قررناه قبلاً : من أن المنبوذين لا يشكلون طبقة من طبقات الهندوسية . بل لا يسمح لهم باعتناقها أو مزاولة شعائرها ودخول معابدها - حسب قوانين منو - فالطبقات إذن أربع : براهمة / كشتريا / ويشيا / شودرا = هم الخدم والعمال من الهندوس أنفسهم . وليسوا من المنبوذين أو طبقة خاصة بهم . وبعض الباحثين يجعل المنبوذين طبقة خامسة . ويقول : إنهم يسمون طبقة « الباريا » (قصة الحضارة / ول ديورانت (٣ : ٢٤) ترجمة د. زكي نجيب محمود / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / ١٩٦٨ م / ط. ثالثة) .

ويبلغ عدد المنبوذين - حسب إحصاءات سابقة - ما بين الأربعين إلى الستين مليوناً . (قصة الحضارة / ٣ : ٢٤) و(تاريخ الإسلام في الهند / ٣٤) .

والحكماء هم الذين وضعوا مباديء البرهمية وبنوا على أساسها أنظمة الحياة وأحكامها ، فلا ترجع إذاً كالديانات الأخرى ... إلى مصدر واحد يمكن الرجوع إليه كمرجع أساسي لتعاليمها وأحكامها ، والهندوس يدَّعون أن حكماءهم شخصيات إلهية اتصلوا بالإله الأزلي وتلقوا منه مبادئ وأحكام دينهم[١] .

وقد تشكلت البرهمية عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد[٢] . مع غزو الآريين للهند حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد[٣] . أو قبل ذلك (القرن ٢٠٠٠ ق. م / ٤٠٠٠ ق. م) كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق . إذ أن هناك قولاً لبعض المؤرخين يقول باحتمال ظهور الهندوسية كديانة « قبل المسيح (عليه السلام) بنحو أربعة آلاف عام »[٤] كأبعد تاريخٍ يُذكر لظهور هذه الديانة .

ثم ارتقت الهندوسية عندما تجمَّع البراهمة في القرن الثامن قبل الميلاد تقريباً ، وأعادوا التفكير في ديانتهم ، ووضعوا أسس الديانة البرهمية[٥] ، ومن تلك اللحظة تبلورت الديانة الهندوسية في شكلها الرسمي .

خلاصة القول أن الديانة الهندوسية نشأت في الهند قبل آلاف السنين ، ثم مَرَّت بمراحل عديدة تعرضت خلالها للاضمحلال والازدهار حيناً بعد حين ، ثم تطورت بعد ذلك ، وحوت كل الاتجاهات والمعتقدات التي نشأت في الهند على مَرِّ التاريخ حتى أصبحت على صورتها الحالية[٦] .

---

(١) النظام الطبقي (٢٤ - ٢٥) .

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٥٣١) من إصدار : الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض / ط. ثانية / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

(٣) مقارنات الأديان - الديانات القديمة / للشيخ محمد أبو زهرة (١٩) ط. دار الفكر العربي - القاهرة / ط. وتاريخ : بدون .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين (١٠ : ٥٤٥) . وانظر كذلك : الإنسان في ظل الأديان (١٨١) .

(٥) أديان الهند - شلبي (٩٩) .

(٦) النظام الطبقي (٢٦) .

تطور الديانة الهندوسية

مرَّت الهندوسية بعدة مراحل وتطورت عبر العصور ، ونشأت فيها تصورات كثيرة عن الألوهية ، من الوحدانية ووحدة الوجود والثالوث وتعدد الآلهة ، وما إلى ذلك . حتى استقرت في الاعتقاد بتعدد الآلهة .

ويمكننا أن نقول : إنه يوجد في التفكير الهندوسي فيما يختص بالإله ثلاث نزعات مختلفة تمام الاختلاف : نزعة الوحدانية ، ونزعة التثليث ، ونزعة التعدد . لكنَّ « نزعة التعدد أقوى وأكثر انتشاراً »[1] وهي التي سيطرت في نهاية الأمر وغلبت على هذه الديانة .

النزعة الأولى : نزعة الوحدانية : وهي النزعة التي تعترف بالإله الذي لا تدركه الحواس . بل يدركه العقل ، وهذا الإله « هو مصدر الكائنات كلها ، .... الذي منه يستمدُّ العالم وجوده »[2] .

كأنما يقولون : في البدء كان هناك إلهٌ واحد ، ثم تسلسلت منه الآلهة ، أشبه ما يكون بنظرية الفيض .

وعلى هذه النزعة يُحمل ما يوجد في كتب البراهمة من « إشارات واضحة إلى وحدانية الإله وصفاته وأفعاله الأزلية . » « فهو خالق جميع الكائنات ومصدرها ، وإليه مصير جميعها . خلق العالم كله ويحفظه ويهيمن عليه .. يعجز البشر عن إدراكه ، وهو واحدٌ لا مثيل له »[3] . كما يُعبِّرون عن ذلك .

---

(١) أديان الهند - شلبي (٥١) . والنظام الطبقي (٤٥) .

(٢) انظر : الفكر الفلسفي الهندي (٤٤ - ٤٥) من تأليف : د. سرفبالي راداكرشنا رئيس جمهورية الهند ود. شارلز مور / ترجمة : ندره اليازجي / طبعة دار اليقظة العربية / ١٩٦٧ م / الطبعة : بدون .
وأديان الهند - شلبي (٥٤) . والإنسان في ظل الأديان (١٨٦ - ١٨٧) وما بعدها .

(٣) النظام الطبقي (٤٦) .

وهكذا تمضي مصادرهم في الحديث عنه مع تسميته بعدة أسماء . منها : (هِرَنْتَا جَرْبَها) (بَرَجَابَتِي) (وِشْوَاكَرمَا) (برَهْمَا) (آتْمَا)[١] .

و(آتْمَا) أو (آتمان) « هو روح الأشياء كلها ، هو روح الأرواح كلها ، هو القوة الواحدة التي وراء جميع القوى وجميع الآلهة ، وتحت جميع القوى وجميع الآلهة ، وفوق جميع القوى وجميع الآلهة »[٢] حسب تعبيرهم . وربما كان مرادهم إحاطته بكل شيء .

وهو كذلك « الإله الواحد » و« الروح الأعظم »[٣] .

وفي قولهم : إنه إلهٌ فوق جميع الآلهة ، ما يُفسر ما ذكرناه قبلاً من أن نزعتهم التوحيدية تلك المراد منها : أنه الإله السابق في الوجود على بقية الآلهة فحسب .

وليس معنى ذلك أن نقول كقول بعض المتحدثين في هذه القضية : إن البرهمية كانت على الأقل في بداياتها ديانة توحيد[٤] . كالتوحيد الذي يقرره الإسلام .

وإنما يقال : إن اعترافهم في هذا الإطار بإله واحد فوق كل آلهتهم أشبه باعتراف المشركين من غيرهم من الأمم ، بالخالق الحق وإقرارهم بتوحيد الربوبية وحده دون توحيد الألوهية . وهو الأمر الذي لم يستنقذهم من الوثنية ، ولم يستخرجهم من حمأة

---

(١) النظام الطبقي (٤٦) .

(٢) قصة الحضارة (٣ : ٤٨) .

(٣) الديانات القديمة - أبو زهرة (٢٤) .

(٤) يقول أحد الباحثين : كانت البرهمية في أول الأمر ديانة توحيد (انظر / النظام الطبقي / ٤٦) والعجيب أن ابن حزم في « الفصل » زعم أن : « البراهمة .. يقولون بالتوحيد على نحو قولنا » (انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل / ١ : ١٣٧ / تحقيق د. محمد إبراهيم نصر + د. عبد الرحمن عميرة / ط. أولى / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع - جدة) وهو وهمٌ أو خطأ ليس بالهين، من إمامٍ كابن حزم في اطلاعه وتقدمه في علم الأديان . لكن ربما كان للبعد المكاني وعدم معرفة اللغة الهندية وعدم الاطلاع على تواليف أهلها والاعتماد على ما قد ينقله بعض المشارقة أو الراحلين إلى المشرق دورٌ في ذلك . والكمال لله وحده .

الشرك . بل ظلوا كفاراً مشركين لعدم إقرارهم بتوحيد الألوهية الذي ضل فيه أكثر البشر ولأجله جاء الرسل بدعواتهم - عليهم صلوات الله وسلامه - .

وذلك الإقرار بتوحيد الربوبية فطري عند جميع بني البشر . فلا يختص بالإشارة إليه الهنادكة دون مَنْ عداهم من ضُلاَّل الأمم والديانات .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة[١] : « لا يصح أن نفهم من هذا أن البراهمة يعتقدون التوحيد المطلق الذي نفهمه من كلمة التوحيد ، وإلا كان العرب موحدين ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الله خالق كل شيء ، ولكنهم كانوا يعبدون الأوثان ، ويقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[٢] وهذا ليس من التوحيد في شيء ، لأن التوحيد الكامل هو التوحيد في العبادة والخلق والاعتقاد ، وليس توحيد البراهمة ولا جاهليي العرب شيئاً منه »[٣] .

النزعة الثانية : نزعة التثليث : فقد نشأ في الفكر الهندوسي منذ القرن التاسع قبل الميلاد تصورٌ خاص ، أشبه ما يكون بفكرة التثليث عند النصارى[٤] .

حيث « جمع الكهنة (الهنود) الآلهة في إلهٍ واحدٍ أخرج العالم من ذاته »[٥] وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء فهو :

---

(١) الشيخ محمد بن أحمد أبو زهرة . من كبار العلماء في مصر في عصره . ولد بالمحلة الكبرى . طلب العلم . ثم اشتغل بالتدريس الجامعي والعالي . وألف أكثر من أربعين كتاباً . منها : « الخطابة » و« تاريخ المذاهب الإسلامية » وله فيه هنات في موقفه من الدعوة السلفية وأعلامها بنجد . توفي بالقاهرة سنة ١٣٩٤ هـ . ترجمته في (الأعلام / ٦ : ٢٥ - ٢٦) . وانظر كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية / ٢٠٨ / ط. وتاريخ : بدون / طبعة دار الفكر العربي) : حيث عدَّ الوهابية ضمن المذاهب الحديثة مع البهائية والقاديانية . ولا يستغرب ذلك منه فقد « تربَّى في الجامع الأحمدي » ببلده كما يقول الزركلي . والصوفية فكيف بالأحمدية منهم أخصامٌ لأولئك أشد ما تكون الخصومة .

(٢) سورة الزمر - جزء من آية رقم (٣) .

(٣) الديانات القديمة - أبو زهرة (٢٤) .

(٤) انظر : النظام الطبقي (٥١) .

(٥) الموسوعة الميسرة (٥٣٣) .

- براهما من حيث هو موجود . وهو الإله الخالق الذي صدرت عنه جميع الأشياء.

- وهو فشنو (أو ويشنو) من حيث هو حافظ . وهو الذي يقي العالم من الفناء التام .

- وهو سيفا (أو شِوَا أو سيوا) من حيث هو مهلك . وهو الإله المخرِّب المفني .

وهذه الآلهة الثلاثة ، أقانيم لإلهٍ واحد في زعمهم ... اسمه بلغتهم (آتما)[١] .

فجعلوا للإله الأزلي ثلاثة أشكال وقسموا وظائفه بينها ، فبرهما هو إله الخلق والإيجاد . ووشنو إله الحفظ والتدبير ، وسيفا إله الدمار ، وهؤلاء يُسمَّون « ترِيمُورْتي » . ثم حاولوا تقريب هذا التصور إلى نزعة التوحيد بتأويله بأسماء مختلفة للإله الواحد الذي يظهر بأشكال عديدة بأعماله من خلقٍ وحفظٍ وتبديل[٢] .

وبهذا أصبح للألوهية أو للإله عندهم « ثلاث صور : براهما الخالق ، وفشنو الحافظ ، وسيفا المدمر ، (و) تلك هي الأشكال الثلاثة التي يقدسها الهنود أجمعين » .

وهذا هو الثالوث الهندي السابق للثالوث النصراني : براهما وسيفا وفشنو[٣] . « فمن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعاً ، أو عَبَدَ الواحد الأعلى ، ولا يوجد أي فارق بينها . وهم بذلك قد فتحوا الباب أمام النصارى للقول بالتثليث »[٤] .

وبهذا « .. ظهرت بدعة التعدد في وحدة والوحدة في تعدد ... (التي) قال بها الهنود قبل (النصارى) بأكثر من ألف عام »[٥] .

وبه « فتح الكهنة الهنودُ البابَ للنصارى فيما يُسمَّى : تثليثٌ في وحدة ، ووحدةٌ في تثليث »[٦] .

---

(١) الديانات القديمة - أبو زهرة (٢٣ - ٢٤) وأديان الهند - شلبي (٥٢) .
(٢) النظام الطبقي (٥١) .
(٣) انظر : قصة الحضارة (٣ : ٢٠٤)
(٤) الموسوعة الميسرة (٥٣٣) .
(٥) المسيحية - د. أحمد شلبي (١٣٦) ط. ثامنة / ١٩٨٤ م / مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
(٦) أديان الهند - شلبي (٥٢) .

النزعة الثالثة : نزعة التعدد : أي نزعة تعدد الآلهة والقول بأكثر من ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم لإله واحد .

وقد فتحوا الباب على مصراعيه لعددٍ غير محدد من الآلهة بميلهم إلى هذه النزعة ، حتى « بلغ التعدد عند الهنود مبلغاً كبيراً ، ... (و) كثرت الآلهة عندهم كثرةً زائدة »[١] .

فقد سبق أن قالوا بثلاثة آلهة فحصل بذلك التعددُ ابتداءً ، غير أنهم زادوا على ذلك حين قالوا بأن ثمة آلهة أخرى غير هذه الآلهة الثلاثة ودونها « سلطاناً وقوة وعبادة وهم من هؤلاء (أي بالنسبة للآلهة الثلاثة) في الدرجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة »[٢].

وتطورت تلك النزعة تبعاً للتحولات « التي حدثت في تصوراتهم للمظاهر الكونية وعلاقاتها بحياة الإنسان »[٣] فـ« كانوا يعبدون القوى المؤثرة في الكون وتقلباته »[٤] وصوروا لكل قوة طبعية إلهاً .. واعتقدوا أن لكل مظهرٍ من المظاهر الطبعية روحاً كامنة[٥] وصاروا « يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهاً يُعبد »[٦].

فعرف الهنود عبادة الحيوانات ، وبخاصةٍ البقرة التي كان لها من بين بقية الحيوانات قدسية خاصة . وحظيت في الهند بأسمى مكانة . وصارت من المعبودات الهندية التي لم تضعف قداستها على مَرِّ السنين . وتتحدث كتبهم عن قدسيتها والصلاة لها[٧] .

---

(١) أديان الهند – شلبي (٥١) .

(٢) الديانات القديمة – أبو زهرة (٢٤) .

(٣) النظام الطبقي (٤٨) .

(٤) الديانات القديمة – أبو زهرة (٢٣) .

(٥) النظام الطبقي (٤٨) .

(٦) الموسوعة الميسرة (٥٣٣) .

(٧) أديان الهند – شلبي (٣٣) يقول المهاتما غاندي : « إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال وأنا أعدّ نفسي واحداً من هؤلاء الملايين » (أديان الهند / ٣٦) هذا وهو يعد من عقلائهم وأذكيائهم وكبار الساسة بينهم ، بل هو أبو الاستقلال الهندي عن الاستعمار الإنجليزي . خريج حقوق واشتغل بالمحاماة زمناً . لكن عجائب الدنيا لا تنقضي . فلله الحمد على نعمة الإسلام وهداية رب الأنام . وقد ذكر ول ديورانت أن عدد البقر في عصره في الهند بلغ ربع عدد السكان (قصة الحضارة / ٣ : ٢٠٨) .

وعرف الهنود كذلك عبادة قوى الطبيعة . وعبادة عضو التلقيح[١] .

وتعددت الآلهة عندهم . وصار لديهم منها العدد الكبير . وبلغت من الكثرة والإغراب والسخف في بعض الأحيان حدّاً جعل بعض المستشرقين يقول : « هيهات أن تجد هندوسياً لا يعبد عدداً من الآلهة ، فالعالم عنده زاخر بها ، حتى أنه يصلي للنمر الذي يفترس أنعامه ، ولجسر الخط الحديدي الذي يصنعه الأوروبي ، وللأوروبي نفسه عند الاقتضاء »[٢] .

« وحينما زار ولي عهد انكلترا الهند أحاطوه بمظاهر التقديس لاعتقادهم أن روح الإله « فشنو » قد حلَّت فيه »[٣] .

وتمكنت عقيدة تعدد الآلهة في كتبهم ومعتقداتهم حتى صارت أصلاً من أصول العقائد البرهمية .

وأصبحت الديانة البرهمية في صورتها الحالية ، ديانةً وثنيةً ذات آلهةٍ كثيرةٍ[٤] . ويذكر بعض الباحثين هنا أعداداً كبيرة وأرقاماً مدهشة لأعداد الآلهة عندهم[٥] .

وقد حدا ذلك بعض الباحثين - حتى من الهنود أنفسهم - إلى إطلاق عباراتٍ مثيرة تقرر هذه الحالة الهندوكية العجيبة .

يقول أحدهم : « الهندوكية نهر من العبادات والمؤلَّهات »[٦] .

---

(١) أديان الهند - شلبي (٣٣) .

(٢) غوستاف لوبون : حضارة الهند (٣٦٨) بواسطة : أديان الهند - شلبي (٣٢) .

(٣) تاريخ الإسلام في الهند - النمر (٤٨) .

(٤) انظر : النظام الطبقي (٤٥ / ٤٨) .

(٥) انظر أمثلة على ذلك في كلٍّ من : قصة الحضارة (٣ : ٤٨ / ٢٠٧) والديانات القديمة - أبو زهرة (٢٣) والنظام الطبقي (٤٥) .

(٦) الفلسفات الهندية - قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية - د. علي زيعور (١٦٦) ط. ثانية / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م / دار الأندلس - بيروت .

ويصف أحد الزعماء الهنود المعروفين[١] الهندوسية بقوله : « إن الهندوسية كعقيدة ديانة مبهمة وذات صورة خفية واتجاهات متعددة ، لا يستطيع أحد تعريفها ولا القطع بها أنها ديانة أم لا ؟ على معنى الديانة المعروف ، وقد حوت قديماً وحديثاً عادات واعتقادات عديدة متفاوتة المستوى ... متناقضة في معظم الأحيان »[٢] .

ويصفها باحثٌ بقوله : « الهندوسية .... ليست لها صيغ محددة المعالم ، ولذا تشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة ، ... والمعتقدات الدينية .. هي أساس جميع النظم الاجتماعية » . والخلاصة أنها : « عبارة عن تقاليد وأوضاع تولّدت من تنظيم الآريين لحياتهم »[٣] .

وتحدث عنها فيلسوف أوروبي فقال : « الفيدا .. (هو) الكتاب الأقدم (للبراهمانية) » . و« الديانة الفيدية هي بصورة أساسية ديانة طبعية النزعة ... فالآلهة في نظرها هي في الغالب قوى من الطبيعة .. متعددة الأشكال مندمجة مع كائنات عليا »[٤] .

لذا يرى بعض الباحثين أن : « من الصعب أن يطلق على الهندوسية ديناً بالمعنى الشائع ، فالهندوسية أشمل ... من الدين ، إنها صفةٌ لملامح المجتمع الهندي ، بنظامه الطبقي .. ، إنها الحياة الهندية بأسلوبها الخاص .. ، إنها خليطٌ يشمل الأمور المقدسة والأمور الدنيوية جميعاً .. ، إنها الاتجاهات الروحية والخلقية والقانونية . وهي إلى جانب ذلك مبادىء وقيود وعادات تُوجِّه الحياة الهندية وتسيطر عليها »[٥] .

---

(١) هو الزعيم الهندي السابق : جواهر لال نهرو .

(٢) جواهر لال نهرو : العثور على الهند (٧٨) باللغة المليبارية – بواسطة : النظام الطبقي (٢٦) .

(٣) تاريخ الإسلام في الهند – النمر (١٨ / ٢٠ / ٢٦) .

(٤) فلسفات الهند – جان فيليوزات (٧) .

(٥) أديان الهند – شلبي (٣٨) .

وهي مع تعدد مصادرها وفروعها وطبقاتها ، وكونها خليطاً من عقائد وطقوس وعادات وتقاليد ، إلا أن أتباعها يشتركون في أربعة أشياء :

- نظام الطبقات .

- زعامة البراهمة .

- تقديس البقرة .

- القبول بقانون كارما (قانون الجزاء) وتناسخ الأرواح[١] .

ولنا في ختام هذا الحديث في التعريف بالهندوسية ملاحظتان :

الأولى : عن النبوات . إذ لا نجد أية إشارة لدى الباحثين المتأخرين حول موقف البراهمة من النبوة . أما عند المتقدمين فقد ذكر ابن حزم أن البراهمة أنكروا النبوات . وساق حججهم ثم ناقشها وردَّ عليها[٢] . والشهرستاني وصف البراهمة بأنهم « المنكرون للنبوات أصلاً » .. « المخصوصون بنفي النبوات أصلاً ورأساً » وزعم أن براهم الذي انتسبوا إليه هو الذي « مهَّد لهم نفي النبوات أصلاً وقرر استحالة ذلك في العقول » ثم ساق حججهم في ذلك[٣] .

و لم أجد في ذلك شيئاً إلا ما نقله بعض المتأخرين عن بعض كتب الهنود الدينية - على ما ذكر - وفيه يذكر اسم نبيٍ لهم سماه : نبي الهنود « نارد » . وما زاد على ذلك شيئاً[٤] .

---

(١) قصة الحضارة (٣ : ٢٠٣) .

(٢) انظر (الفصل / ١ : ١٣٧) وما بعدها .

(٣) الملل والنحل (٥٠٦ - ٥٠٧) .

(٤) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية / محمد طاهر التنير (١٢١) تعليق : محمد بن إبراهيم الشيباني / مكتبة ابن تيمية - الكويت / ط. ثانية / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م / لكن يبدو أن هذا الذي سماه نبي الهنود ، إنما هو أحد كهنتهم ، إذ أنهم معروفون بإنكار النبوات كما ذكره المتقدمون .

الثانية : عن الطبقات في الفكر الهندوسي . وفيها نجد أبشع صور التمييز العنصري الذي لا يتغير أو يتزحزح ، ولم يتغير ولم يتزحزح نظامه رغم مرور آلاف السنين .

والطبقات الرئيسة أربع طبقات[١] . وهذه الطبقات الأساسية غير الفرعية ليس الحديث عنها إلا « تبسيطاً للحديث عن نظام الطبقات في الهند » الذي تكثر فيه الطبقات . إذ أن لديهم عدداً – ليس بالقليل – من الطبقات الفرعية[٢] .

والطبقات الرئيسة في الهند هي :

– الطبقة الأولى : طبقة البراهمة . أعلى طبقات المجتمع . وهم الكهنة والرهبان .

– الطبقة الثانية : طبقة الكشتريا . وكانوا في بادئ الأمر أصحاب الطبقة الأولى ثم انحدروا . وهم المحاربون والأشراف ورجال الدولة والحكم .

وأبناء هاتين الطبقتين في الغالب من نسل الآريين .

– الطبقة الثالثة : طبقة الويشية . وهم المزارعون والتجار والصناع . وهم من التورانيين في الغالب .

– الطبقة الرابعة : طبقة الشودرا . وهم الخدم والعمال . المنبوذون على أحد القولين . وهم فقراء الآريين ، والسكان الأصليون من الدرافيديين والقبائل البدائية ومن خالطهم أو تزوج منهم من الآريين .

---

(١) ثمة من يجعل من المنبوذين طبقة خامسة تسمَّى « طبقة الباريا » ويذكر أنهم سكان الهند الأصليون الذين لم يدخلوا التقسيم الطبقي الهندوسي ولا اشتركوا في تنظيماته الاجتماعية وبقوا بمعزلٍ عن حضارته الآرية . انظر (قصة الحضارة / ٣ : ٢٤) (أديان الهند / ٢٩ / ٥٧ / ٦٠) .

(٢) انظر : أديان الهند – شلبي (٦٠) والنظام الطبقي (١٨) حيث ذكرا عدداً كبيراً لتلك الطبقات .

ولا يزال هذا النظام الطبقي سائداً في الهند[1] .

تلك هي باختصار تقسيمات النظام الطبقي الهندوسي .

وهذه هي الهندوسية أو البرهمية في عرضٍ مختصر .

فإلى المبحثين اللاحقين في خبرهم مع « التناسخ » وفكرة « المخلِّص » .

(١) انظر : الفكر الفلسفي الهندي (٢٦٤ - ٢٦٨) وأديان الهند (٢٩ / ٦٢ - ٦٤) والنظام الطبقي (٨٥ / ٩٤ / ٩٧ / ٩٩ - ١٠٠) .

المبحث الثاني

التناسخ في الهندوسية وعلاقته بفكرة المنتظر

تمهيد : طبيعة الفكر الهندي

الثقافة الهندية تتميز بأفكار معينة تلتقي فيها كل الديانات والمذاهب التي نشأت فوق أرض الهند .

ومن تلك الأفكار التي تلتقي فيها تلك الديانات الهندية : فكرة التناسخ . أو عقيدة التناسخ .

تجدها في الهندوسية وتجدها كذلك في الجينية والبوذية .

حتى أصبح التناسخ من العقائد الأساسية الموجودة في كل ديانة هندية تقريباً . وفي الديانة الهندوسية على الأخص لأنها أكبر وأقدم تلك الديانات الوثنية .

ومنها استقت الكثير من الديانات اللاحقة الناشئة فوق التراب الهندي ، الكثير من الأفكار والنظريات والتطبيقات .

يقول البيروني[1] : « الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والإسبات علامة اليهودية ، كذلك التناسخ علَم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يك منها »[2] .

---

(١) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي . فيلسوف رياضي مؤرخ . أقام في الهند بضع سنين . واطلع على فلسفة اليونانيين والهنود . صنف كتباً كثيرة متقنة . منها كتابه الذي نقلنا عنه هنا في عقائد الهنود . وسمَّاه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » وقد طبع الكتاب طبعةً حديثة . وعليه يعتمد الكثيرون من دارسي أديان الهند لدقة معلوماته ومصادره ، وتوثيقه العلمي لمادة كتابه ، فقد كان ينقل أقوالهم من كتبهم المقدسة بلا واسطة . توفي سنة ٤٤٠ هـ . انظر ترجمته في (الأعلام للزركلي / ٥ : ٣١٤) .

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة - للبيروني (٣٩) ط. ثانية / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م / عالم الكتب - بيروت .

وتحتل « هذه العقيدة منزلة أساسية في الفكر الهندي ، بل .. لعلها .. تُميِّز إلى حدٍ بعيد الشخصية الهندية »[١] .

تعريف التناسخ

التناسخ هو أن تعود النفس إلى جسمٍ آخر. لأنها لم تُشبع في الأول سائر أعمالها، ولأنها لم تُؤد واجباتها ، ولم تتمتع بثمرة النشاطات التي نفذتها في حياتها السابقة .

ومتى « أشبعت كل الرغبات وأدت النفس كل ما عليها بلا آثام - عبر التجسدات الكثيرة أو في جسمٍ واحد - تسقط ضرورة التناسخ . وعندها تنجو النفس »[٢] . وتنطلق للاتحاد ببراهما بشروط أخرى إضافية يلزم توفرها .

فالنفس إذاً عندهم « خالدة باقية لا يعروها الفناء ... تنتقل من جسمٍ إلى جسم »[٣] .

وبمثل ذلك قال مقلّدوهم من القائلين بتناسخ الأرواح من المنتسبين إلى الإسلام .

يقول الإمام ابن حزم حاكياً مقالتهم : « قالوا : إن النفس لا تتناهى » بل هي « متنقلة أبداً »[٤] .

---

(١) الفلسفات الهندية - علي زيعور (١٥٧) .

(٢) الفلسفات الهندية - علي زيعور (١٣٣ - ١٣٤) .

(٣) الديانات القديمة - أبو زهرة (٣٨) .

(٤) الفصل (١ : ١٦٦) .

تاريخ التناسخ

والقول بالتناسخ على هذا النحو موجودٌ منذ القدم عند الهنود وغيرهم .

والشهرستاني يَعدُّ نشأة القول بالتناسخ والحلول وأصله ، ظهر مع جماعةٍ من الصابئة ، يُقال لهم « الحِرْنَانِيَّة »[١] .

وقد انتقل القول بالتناسخ إلى بعض الفرق المنتسبة للإسلام[٢] . ومن هؤلاء :

١ – بعض فرق المعتزلة : فقد نقل عن بعض المعتزلة القول بالتناسخ[٣] .

---

(١) الملل والنحل (٣٠٨ – ٣٠٩) وممن قال بالتناسخ من الطوائف وأصحاب الديانات الأخرى غير الهنود والصابئة : التناسخية من الثنوية (الملل والنحل / ٢٥٤) والسمنية والمانوية وبعض اليهود ، وبعض الفلاسفة (الفرق بين الفرق – عبد القاهر بن طاهر البغدادي / ٢٧٠ – ٢٧٢ / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / دار المعرفة – بيروت / طبعة وتاريخ : بدون) .

(٢) انظر : دائرة المعارف الإسلامية (٥ : ٤٨٦) نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي ، وآخرون – الناشر: انتشارات جهان – طهران / ط. وتاريخ : بدون .

(٣) نسب القول بالتناسخ لبعض مقدمي المعتزلة كأحمد بن محمد القحطي وعبد الكريم بن أبي العوجاء على ما ذكره صاحب (الفرق بين الفرق / ٢٧٣) ونسب كذلك لبعض فرق المعتزلة كالحمارية (الفرق / ٢٧٨) والخابطية أصحاب أحمد بن خابط (ت ٢٣٢ هـ) أحد تلاميذ النظام المعتزلي . ذكره ابن حزم في الفصل ، وقال عنه : كان من أهل البصرة من تلاميذ إبراهيم النظام يظهر الاعتزال . انظر : (الفصل / ١ : ١٤٩ / ١٦٥) و (٥ : ٦٤ – ٦٥) . وانظر كذلك عنه : (الملل والنحل / ٦٠ – ٦١) (والبرهان / ٦٠) .

وأخذ بقوله في التناسخ تلميذه وتلميذ النظام أيضاً : أحمد بن أيوب بن بانوش (أو نانوس أو مانوس) وكان شيخ المعتزلة في زمانه . انظر : (الفرق / ٢٧٣) و(الفصل/ ١ : ١٦٥) (٥ : ٦٥) و(الملل والنحل / ٦٢) .

ومن طوائف المعتزلة القائلين بالتناسخ : الحَدْثية أصحاب الفضل الحدثي (ت ٢٥٧ هـ) من أصحاب النظام وتلاميذه (الفصل / ٥ : ٦٤) و(الملل والنحل / ٦٠) .

وقد عدَّهم مؤلفو كتب الفرق من الخارجين عن الإسلام بمقالتهم تلك ، وبغيرها[١] .

٢ – غلاة الرافضة : فقد عُدَّت بعض فرق غلاة الرافضة بين القائلين بالتناسخ[٢].

يقول ابن حزم حين ذكر القائلين بالتناسخ من المنتسبين إلى الإسلام : « وهو قول ... غالية الرافضة »[٣] .

ويبدو أن ذلك لم يقتصر على هذا فحسب ، بل ظهر في صورة أخرى عند بعض فرقهم ، فقد تسرب « إلى بعض فرق الشيعة متصلاً بالتناسخ ، القول بالرجعة ، (وهي) عودة الروح لحياة جديدة » لكنها في الرجعة تعود إلى الجسم الذي خرجت منه « أي أن الشخص نفسه جسماً وروحاً يعود للحياة بعد الموت »[٤] .

ومن صور ذلك عندهم :

– قول بعضهم بعودة علي بن أبي طالب .

– وقول عامَّة الإمامية بعودة الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر المغيَّب في سرداب سامراء .

والقائلون بالرجعة يشبهون القائلين بالتناسخ في بعض جوانب قولهم هذا . وليسوا قائلين بالتناسخ حقيقةً . إذ القول بالتناسخ قائمٌ على أن النفس واحدة ، لكنها تنسخ جسماً بعد جسم في دوراتٍ متتالية لا تكاد تنتهي .

---

(١) الفرق بين الفرق (٢٧٠) والفصل (١ : ١٤٩) .

(٢) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع – لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي (٣١ – ٣٣) تحقيق : يمان سعد الدين المياديني / ط. أولى / ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م / رمادي للنشر – الدمام .

وانظر كذلك : الفرق بين الفرق (٢٧٠ – ٢٧٢) والبرهان للسكسكي (٧٠) .

(٣) الفصل (١ : ١٦٥) .

(٤) انظر : أديان الهند – شلبي (٦٩) .

أما عودة النفس إلى نفس جسمها ، فهي تعني عودة الشخص نفسه روحاً وجسماً .

وثمة فرقٌ آخر : هو أن الشيعة القائلين بالرجعة لإمامهم لا يعتقدون انهدام جسد إمامهم ، أي لا يبلى جسده ولا يموت ، بل يرون أنه حيٌّ يُرزق ، بنفسه وجسده منذ غيبته حتى يرجع .

٣ – وقال به كذلك الإسماعيلية والقرامطة والنصيرية[1] . يرى الإسماعيلية انتقال النفس إلى أجسام الحيوانات . ويقولون بتعاقب الحياة ، وأن النفوس خلال ذلك تكون فاعلة إلى أن تتعرف بالإمام وعند ذلك ترتفع إلى عالم النور .

ويعتقد النصيرية أن من يقترف ذنباً في حق دينهم يعود إلى الدنيا على صورة يهودي أو سني مسلم أو نصراني . والكفار الذين لم يعرفوا علياً يُمسخون جمالاً

---

(١) الإسماعيلية : فرقة باطنية تدعي التشيع لآل البيت وتنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق . مارسوا أدواراً تخريبية واستخدموا أساليب مرعبة منذ ظهورهم وعبر التاريخ الإسلامي . وهم عدة طوائف : منهم الفاطميون بمصر والحشاشون بالشام والآغاخانية والبهرة بالهند – انظر (الملل والنحل / ١٦٧ / ١٩١) و(الموسوعة الميسرة / ٤٥ – ٥٢) .

والقرامطة : حركة باطنية هدامة . أقامت المذابح والمجازر لأهل الإسلام حين ظهرت . واقتحم أتباعها الحرم الشريف في أوائل القرن الرابع الهجري وسرقوا الحجر الأسود . وأقاموا دولة في الأحساء تطبق شكلاً من أشكال الاشتراكية في الأموال والنساء . مع الإلحاد والزندقة . تلاشت بعد قرنين من الزمان وانصرمت دولتهم (الملل والنحل / ١٩٢) و(الموسوعة الميسرة / ٣٩٥ – ٣٩٨) وهناك رسالة ماجستير عن هذه الفرقة للدكتور سليمان السلومي بجامعة أم القرى .

والنصيرية : حركة باطنية . مقرهم الأساسي بالشام ينتسبون إلى محمد بن نصير النميري . وهم يعتقدون ألوهية علي بن أبي طالب . ولشيخ الإسلام ابن تيمية فتوى مطبوعة في النصيرية عَدَّهم فيها أكفر من اليهود والنصارى . للتوسع انظر (الملل والنحل / ١٨٨) ، و(طائفة النصيرية – تاريخها وعقائدها / للدكتور سليمان الحلبي / طبعة المطبعة السلفية – القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون) و(الموسوعة الميسرة / ٥١١ – ٥١٦) .

يتمركزون الآن في جبال العلويين غرب الشام على ساحل سوريا . ومنهم قليل في شمال لبنان . وطائفة كبيرة في جنوب تركيا .

وبغالاً وحميراً وكلاباً وما شابه ذلك من حيوان . ويقولون : إن التناسخ على سبع درجات ، وترتفع النفس المؤمنة التي تمرُّ بهذه الدرجات السبع إلى النجوم التي هبطت منها بادئ الأمر[١] .

سبب التناسخ

وسبب التناسخ أو تكرار المولد أو تجوال الروح[٢] - في نظر الهنود - هو :

١ - أن الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد .

٢ - أو أنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لابد من أدائها . فلا مناص إذاً من أن تستوفي شهواتها في أجسادٍ أخرى ، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة . وأن تنال جزاء أعمالها في الحياة الثانية[٣] .

ويستمر تناسخ الروح المتردية من أجسام رديئة إلى أردأ منها ، حتى تتدنى إلى حيوانات خبيثة ، وتُعطى فرصاً للاستقامة والصلاح في كل مرة ، لكي تبدأ من جديد وترتفع إلى حياةٍ أعلى من الأولى ، ولا تزال تتناسخ كذلك دون فناءٍ آلاف المرات ، لعلها تجد في مرحلةٍ من المراحل فرصةً للصلاح والاستقامة ، فتندفع إلى السعادة « والاندماج في الإله الأعلى » .

---

(١) انظر : الفصل (١ : ١٦٥) . ودائرة المعارف الإسلامية (٥ : ٤٨٧) . و: طائفة النصيرية - تاريخها وعقائدها / الصفحات (٨٥ - ٩٤) .

(٢) انظر : أديان الهند - شلبي (٦٥) .

(٣) انظر : منوسمرتي - كتاب الهندوس المقدس / تعريب : إحسان حقي (٦٩٤) ط. أولى / تاريخ : بدون / دار اليقظة العربية . وأديان الهند - شلبي (٦٧) .

وثمة أسباب أخرى للتناسخ أو تكرار المولد أو تجوال الروح . وتلك الأسباب أو الشروط واحدة في جملتها ، وإن اختلفت في كثير من التفاصيل بين طوائف وأديان الهند .

ومؤدى ذلك « أن الأرواح النجسة التي (لم) تتأهل للحياة مع الأرواح العالية في الملأ الأعلى ترتد إلى الأرض في أجساد بعض الحيوانات العاملة فتلاقي ما كسبت يداها ، وربما عادت في تلك الأجساد مراراً حتى تُكفر عن سيئاتها وتتطهر »[١] .

ولقد كان الآريون الأوائل يعتقدون أن الروح تذهب إلى العالم الآخر .

أما فلاسفة العهد الجديد في القرن السابع ق. م. فقد اعتقدوا أن الروح لابد لها أن تتطهر وتصفو قبل أن تنضم إلى الروح الأعلى . ولهذا فهي تنتقل من كائن إلى آخر ، وفي كل مرة ترقى أو تهبط حسب أعمال صاحبها[٢] .

و « الروح في عالمها الجديد لا تذكر شيئاً عن عالمها السابق ، فكل دورةٍ منقطعة تماماً بالنسبة للروح (عما) سواها من الدورات »[٣] .

ويستطيع الإنسان أن يتخلص من شر أعماله - في نظرهم - بالتوبة والندم ، وبتعذيب النفس .

وقد تفرع من هذه العقيدة عقيدة اليوجا[٤] التي ترجع إلى القرن الثاني أو القرن

---

(١) انظر : منوسمرتي (٦٨٠ - ٦٩٣) . ودائرة معارف القرن العشرين (١٠ : ٥٥٨) ، والنظام الطبقي (٥٦) .

(٢) الهند - أبو الليل (٥٣) .

(٣) أديان الهند - شلبي (٦٨) .

(٤) اليوجا هي : جهد منهجي - كما يقولون - للوصول إلى الكمال من خلال السيطرة على العناصر المختلفة للطبيعة الإنسانية . وهي حالة من التأمل تُمارَس من أجل الحصول على البصيرة . ويعدونها طريقاً للمعرفة أو العمل . واليوجي الكامل عندهم هو المتحرر من كل الرغبات ، وهو في نظرهم أعظم من المتقشف (الفكر الفلسفي الهندي / ١٦٢ - ١٨٨ / ٥٤٣ - ٥٤٥) .

واليوجا أو اليوغا : علم خاص للاستفادة من (الإمكانات) النفسانية الجسدية ... تجد جذورها في أغلب الفلسفات الهندية وفي (السلوكيات) المرتكزة على أساس هذه الفلسفة (فلسفات الهند / ٢٥ / ٧٤) .

الخامس قبل الميلاد[١] .

متى يسقط التناسخ

لا يسقط التناسخ إلا عندما تُشبع النفس جميع رغباتها . وتؤدي كل ما عليها من ديون ومتعلقات دون أن ترتكب شروراً أو آثاماً جديدة ، أو تتعلق برغبات أو أهـواء جديدة ، وتذوق جميع « ثمرات أعمالها وتتلقى الموت من جديد .. » (مرةً بعد مرة) وحينئذٍ « تحصل على الانعتاق ... عن طريق معرفـة براهمـا »[٢] وعندهـا فقـط تنعتـق النفس « من حلقات التجسد ، وتتحد بالإله براهما . ومع أن النفس تنسى ما حـدث لها في حياةٍ سابقة فهي تحاكم على ذلك »[٣] .

فالخلاص من الدورات التناسخية الفادحة إذن ، والتخلص من العودة إلى الـولادة من جديد ممكنٌ « إذا اقتلع الإنسان بالتزهد كل شهوات نفسه ... (وحينئذٍ يُمكنه)

= وقد انتشر هذا الفن في العصر الأخير بصورة مشبوهة تروج لوحدة الأديان بشكل غير مباشر . يقول أحد المشاركين في هذه العمليات اليوغية المتأثرين بأفكارها : « كلمة يوجا .. لفظ سنسكريتي .. تعني الاتحـاد والاتصال بالله ، أي الاتحاد بين الجسم والعقل والله ، وهي توصل الإنسـان إلى المعرفـة والحكمـة وتُطـوِّر تفكيره بتطوير معرفته للحياة ، وتُجنِّبه .. التعصب الديـني (؟) وضيـق الأفـق الفكـري (؟) » إلى أن قـال « اليوجا لا تتطلب ممن يمارسونها تغيير معتقداتهم الدينية (؟) » .

أما ممارسات اليوجا العملية ، فيشرحها قائلاً : هي أربع مجموعات : « كارمايوجا/ بهاكتي يوجا : تبحث في التعبد (؟) والتقرب إلى الله (؟) وحب الإنسان لأخيه الإنسان (؟) / جيانا يوجا / راجا يوجا (اليوجا النفسية) » . ومن تعليماتها : « ... / ١١ - قبل أن تقوم بتمرينـات التنفـس كـرر بعضـاً مـن الآيـات القرآنية أو أي كلمات مقدسة من الكتب السماوية (؟) ١٢ - اذكر الله وحيِّـه (مـن التحيـة) عقليـاً ، وسلم نفسك إليه مع الشعور بأنـه يبـاركك ويقـودك خـلال أداء التمريـن إلى الطريـق الروحـاني » ومـن نصائحها العامة : « ١ - يراعى أداء التمرين على سجادة (؟) » .

انظر كتاب : اليوجا والتنفس / محمد عبد الفتاح فهيم / دار المعارف - القاهرة / ط. وتاريخ : بـدون . الصفحات (١٩ - ٢١ / ٣٣ / ٣٥) .

(١) الهند - أبو الليل (٥٣) ، وفلسفات الهند (٢٥) .

(٢) فلسفات الهند (١٥) .

(٣) الفلسفات الهندية - علي زيعور (١٥٧) .

أن يتحد في نعيمٍ أسمى مع روح العالم ، وبهذا الاتحاد يخلص من العودة إلى الولادة من جديد »[١] .

وقد كان بين البراهمة جماعاتٌ « يُفتشون عن الخلاص ... من عملية التناسخ ... بواسطة المعرفة » حتى إذا جاء بوذا قلدهم زمناً ثم عاد فجعل « طريق الخلاص » ... عن طريق الانضباط لا عن طريق المعرفة .

والنصوص البرهمية تَعِدُ بالخلاص (موكشا) كل مَنْ أخلص « للبراهما »[٢] .

والإيمان بالتناسخ « متسلِّطٌ على الهندي .. ينغص عليه حياته . والخوف من العودة للحياة (يكاد) .. يكون خوفاً مَرَضِياً متمكناً من النفوس . وبالتالي يعني ذلك أن الغاية المثلى هي القضاء على تكرار الولادة ، ومنع التناسخ بالتخلص من ربقته التي لا ترحم »[٣] .

و« أسمى وآخر ما يتمناه الهندي هو أن ينجو من العودة إلى الحياة في جسدٍ آخر »[٤] .

و« الإيمان بحقيقة التناسخ أو تقمص الروح في أجسادٍ متتالية ، له في الهند قوةٌ وشمولٌ بحيث يعتنقه كل هندوسي على أنه بديهية أو فرضٌ لابد من التسليم بصحته ، ولا يكاد يكلف نفسه عناء التدليل عليه »[٥] .

ويكاد يكون « الاعتقاد ... في التناسخ .. أعظم عقبةٍ من الوجهة النظرية تحول دون محو نظام الطبقات في الهند ، لأن الهندي المتمسك بعقيدته يرى أن الفوارق الطبقية قد تقررت نتيجةً لسلوك النفس »[٦] في حياتها السابقة .

---

(١) قصة الحضارة (٣ : ٥٠) .

(٢) انظر : فلسفات الهند (٢٩ / ٥١) .

(٣) الفلسفات الهندية – علي زيعور (٨٢) .

(٤) قصة الحضارة (٣ : ٢٢٠) .

(٥) قصة الحضارة (٣ : ٨٤) .

(٦) قصة الحضارة (٣ : ٢١٧) هامش .

علاقة التناسخ بفكرة المنتظر « تحليل واستنتاج »

ثمة علاقةٌ بين « التناسخ » الذي تحدثنا عنه فيما مضى ، وبين « فكرة المنتظر » التي عليها مدار بحثنا .

فالتناسخ ما هو إلا حديثٌ عن عودةٍ مرتقبةٍ لشخصٍ ما . وذلك الشخص - من وجهة النظر التجريدية تلك - هو منتظرُ تلك العملية التناسخية . لكنَّ تلك العملية التناسخية شاملةٌ ، بحيث إنها تشمل عدداً كبيراً من أفراد البشر ولا تقتصر - كما هو الحال عليه في فكرة المنتظر - على فردٍ أو أفراد معينين .

ثم إن تلك العملية التناسخية تلقائية في التفكير الهندي . فكل من أنهى فترةً من فترات حياته دون أن يستكمل رغباته أو يكفر عن سيئاته ، سيعود حتماً وبطريقةٍ شبه آلية إلى الولادة من جديد في حياةٍ جديدة .

والعملية من هذه الوجهة يقع تحت طائلتها كل البشر .

والناجون من هذه العملية بالطبع في أول الأمر قليلون ، ثم يتكاثرون مع تكاثر عدد الناجين من الدورات اللاحقة .

لكن هل يعني هذا : أن الفكر الهندي بمقولته التناسخية يقول بوجود منتظرٍ على هذا النحو الذي هو في الحقيقة قولٌ بوجود آلاف بل ملايين المنتظَرين .

الجواب بالطبع : لا .

ففرقٌ ما بين فكرة المنتظر التي نتناولها ، والتي تتحدث عن شخصية هامةٍ منتظرة تَقْدُمُ في فترة حالكةٍ لاحقةٍ من تاريخ البشرية بصفة نادرة ومفاجئة ، لتستنقذ البشرية من طوفان رعبٍ يجتاح العالم كله .

وبين العودة المنتظرة في العملية التناسخية لكل شخصٍ غير ناج . فهذا الأخير في صورته الحقيقية ليس منتظراً منقذاً ومخلّصاً . وليس شخصيةً هامةً تجيء في وقتٍ حاسمٍ بصفةٍ مفاجئةٍ وبصورةٍ نادرة .

بل هو مجرد شخصٍ ناقص الإمكانيات والقدرات . هو بحاجةٍ إلى الخلاص الـذي يُنقذه من تتابع الدورات التناسخية - حسب تفكيرهم - .

وهو شخصٌ لا يَقدُمُ في دورته اللاحقة لتقديم مساعدةٍ من أي نوعٍ كـانت لأي شخصٍ آخر . بل يبحث عن خلاص نفسه ، وهو في هذه الصـورة محتـاجٌ للمسـاعدة وليس قادراً على تقديمها .

هو في هـذه الصـورة شـخصٌ لم يستطع تجاوز عقبات طريقـه الروحـي فانـهار وتـردَّى تحـت وطـأة نزعاتـه الشـخصية ، واضطـر إلى الدخـول في محـاولات أخـــرى - حسب طرائق تفكيرهم - .

وهو باحثٌ عن خلاصٍ فردي .

وليس كما هو الحال عليه في فكرة المنتظر في الأديان الكتابية الأخرى الـتي تُقـدِّم لنا شخصيةً منتظرةً ليست في حالة عجزٍ وحاجةٍ للمساعدة من الآخرين .

بل هي شخصيةٌ قادمةٌ لمساعدة الآخرين وتخليصهم .

وهنا يكمن الفرق الأهم بين هاتين العودتين المنتظرتين .

لكنْ هل يعني ذلك أنه لا يوجد في الديانة الهندوسية أي أثـرٍ لفكـرة المنتظـر ، أو أي حديثٍ - حتى لو كان قليلاً جداً - عنها ؟

الجواب : لا ، فقد وجدتُ بعد طول تقصٍ حديثاً مجتزئاً يتضمن الكلام عن عدة شخصياتٍ هامةٍ منتظرةٍ على غرار ما يوجد في الأديان الكتابية الثلاثة .

لكنْ ثمة فرق كذلك بين ما عند الهنادكة وما عند غيرهم من ناحيتين :

الأولى : الحديث في الهندوكية يشير إلى وجود أكثر من شـخصيةٍ منتظـرة . أمـا الأديان الكتابية فإنها تتحدث عن شخصيةٍ واحدةٍ منتظرة . وإن كانت هناك محاولاتٌ جانبيةٌ مزيفة ، إلا أنها لا تؤثر على الفكرة الرئيسة في الإجمال .

وقد يقول قائل : إن فكرة المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي تنقل التصور الإسلامي لفكرة المنتظر من مرحلة الإفراد إلى مرحلة التعدد على نفس النمط الهندي .

والجواب : أن الحديث عن المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي ليس حديثاً عن الشخصية الرئيسة المنتظرة ممثلةً بالمسيح . بل هو حديثٌ عن شخصيةٍ رديفةٍ ستنضم إلى ركب المنتظر الحقيقي وتلتحم بمسيرته .

نعم . هناك غلوٌ وتجاوزٌ في الجانب الشيعي على الأخص حول تصورهم لتلك الشخصية الرديفة المنتظرة ، قد ينقلها – ضمن إطار الشيعة ودون أن يتعداهم إلى السنة وتصورهم للفكرة – من مرحلة الإفراد إلى مرحلة التعدد . وهو وجه المقاربة الذي كنا نتحدث عنه في التناسخ ، من حيث إن ثمت أثراً هندياً في الفكر الشيعي الغالي منه والمعتدل في تصورهم عن « الإمام الغائب » و« المهدي المنتظر » .

الثانية : الحديث في الهندوكية عن شخصياتهم المنتظرة حديثٌ عن شخصياتٍ يختلط في تصورهم عنها عنصرها البشري بالعنصر الإلهي . فالمنتظر إلهٌ ينزل ويتقمص أشكالاً بشرية .

أما الأديان الثلاثة فإنها تتحدث عن شخصيةٍ منتظرة بشرية العنصر . اللهم إلا ما كان من مقالة النصارى في هذا المجال التي يختلط فيها عنصر اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح عليه السلام كما هو معروف .

أما حديث الهندوكية عن شخصياتها المنتظرة تعييناً ، وبتفصيلٍ يستحق الذكر والعرض ، فهذا ما سنتحدث عنه في المبحث الثالث من هذا الفصل – بحول الله وقوته تعالى – فيما يلي .

المبحث الثالث

الخلاص والمخلِّص المنتظر في الهندوسية

كل ما نجده في البرهمية متعلقاً ببحثنا هو الحديث عن : الخلاص والمخلِّص ، واليوم الأخير ، و« فيشنو المنتظر » ، و« كرشنا » الذي هو صورةٌ له .

غير أن ذلك التعلُّق لا يعدو أن يكون مجرد تعلُّقٍ شكلي لفظي بحت . فلهذه الألفاظ معاني في الهندوكية غير المعاني المتداولة عند النصارى مثلاً .

وليس ثمة تشابهٌ موضوعي ، اللهم إلا ما كان من التشابه الذي فطن له بعض الباحثين في مجال مقارنة الأديان بين تفاصيل قصة « كرشنا » في الهندوسية ، وقصة « المسيح » (عليه السلام) في أيامه الأولى عند النصارى(١) .

وأول فكرة هندوسية تظهر في هذا المجال : فكرة الخلاص من العودة إلى الولادة من جديد ، إذا لم تتطهر النفس في حياتها السابقة جيداً . إذ تجيء الفكرة المقابلة لفكرة الخلاص على أنها عودةٌ منتظرةٌ لذلك الشخص من جديد . والقلة هم الذين يحصلون على الخلاص . والأكثرية تضطر إلى العودة وتعجز عن بلوغ الدرجة التي تؤهلها للخلاص ، مما يترتب عليه كثرة العائدين وكثرة المنتظَرين - إن صح التعبير -.

غير أن ذلك لا يهمنا مطلقاً ، لدلالته على مفاهيم بعيدة كل البعد عن مفهوم الفكرة التي نتحدث عنها . ألا وهي فكرة الشخصية المنتظَرة التي تبرز وتظهر في آخر الزمان منقذةً ومخلِّصةً للبشرية من كوارث حاقت بها .

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية - لمحمد طاهر التنير (١١٩ - ١٣١) حيث عقد مقارنة مطولة في هذه النقطة بين ما يقوله الهنود عن كرشنا وما يقوله النصارى عن المسيح عليه السلام .
وقد أشار الشيخ محمد أبو زهرة إلى مثل ذلك ونقل جزءاً طويلاً من المقارنة المجدولة السابقة في كتابه : الديانات القديمة (٢٥ - ٣٧) . وسنعرض جدولاً بالمقارنة في آخر هذا المبحث نعرض فيه ما يخصنا في هذا البحث من تشابهات - بحول الله وقوته - .

لذا فإن كل ما يرد في هذا الإطار التناسخي ليس مما يدخل ضمن نطاق فكرة « المنتظر » التي نتحدث عنها . غير أنه يُعدُّ كالمدخل لفكرة المنتظر في الديانة الهندوسية على الأخص . وأمراً لابد من عرضه لإدراك أبعاد هذه الفكرة في الثقافة الهندية .

أما الشخصيات المنتظرة في الهندوسية ، بمعنى أن الحديث عنها في الفكر الهندوسي ، يُركّز عليها كشخصيةٍ منتظَرةٍ بكل ما تعنيه هذه الكلمة من أبعاد . فهي كما سيظهر للقارئ عدة شخصيات ، نعم تتعدد ، لكنها من ناحيةٍ أخرى تتوحَّد ، ككل عجائب العقائد الهندية .

فلدينا حديث عن « كرشنا المنتظر » ، ثم حديث عن « فيشنو المنتظر » ، وإشارةٌ إلى أن كرشنا ليس إلا صورةً له . وفيشنو كما سبق وأن عرضنا ذلك أحد الآلهة الهندوسية في عرضها الثالوثي (التثليث) .

ولدينا بعدئذٍ حديثٌ عن « كَلْكِي » . والنزول المنتظر (أوَتَارا) للإله . على التفصيل التالي :

١ - كِرِشْنَا المنتظر[١] :

أول هذه الشخصيات أو أول صورةٍ لفكرة المنتظر في الفكر الهندوسي صورة « كرشنا » .

يقول كرشنا - كما جاء في أحد المراجع الهندوسية - : « سأنزل في كل عصرٍ يضعف فيه الحق ويتغلب الباطل ، أنزل في كل عصر لأنجي الأخيار وأهلك الأشرار وأقيم الحق »[٢] .

---

(١) قدمنا الحديث عن كرشنا قبل الحديث عن فشنو . مع أن فشنو هو الإله والأقنوم الثالث المختص بالتشكُّل والنزول ، وكرشنا ليس إلا صورةً له أو شكلاً يتشكل به فشنو في بعض مرات نزوله . لأننا نبحث عن منتظرٍ من البشر ، لا عن نزول إلهٍ أو تشكله بصورة بشرية . وكانت صورة كرشنا تتضمن ذلك الجانب ، أي تُقدِّم لنا نمطاً بشرياً لا إلهياً في فكرة المنتظر في أحد جانبيها ، أما جانبها الآخر فيقدم لنا كرشنا كصورةٍ للإله فشنو . واستكملنا بها الحديث عن كرشنا . ثم ذكرنا فشنو إله النزول والتشكل المنتظر في الفكر الهندوسي . ثم تحدثنا عن نزوله (أوتارا) وشكل آخر من أشكال نزوله (كلكي) .

(٢) بواسطة : النظام الطبقي (٥٢) .

وتُقدم بعض المراجع الهندوسية « كرشنا » بصورة شهيدٍ مخلِّص « قُتل مصلوباً على شجرة وهبط إلى جهنم ثم صعد إلى السماء على أن يعود في اليوم الآخر ليحاسب الناس أحياءهم وأمواتهم »[١] .

والهندوس يعتقدون أن بعض آلهتهم حلَّت في « كرشنا » والتقى فيه الإله بالإنسان ، أو حلَّ اللاهوت في الناسوت في « كرشنا » ، كما يُعبر النصارى عن المسيح عليه السلام . ويصف الهندوس « كرشنا » بأنه « البطل الوديع المملوء ألوهيةً ، لأنه قدَّم شخصه فداءً للخليقة عن ذنبها الأول » ، ويذكرون عنه من الأساطير والعجائب ما يُشبه ما جاء في الأناجيل عن المسيح عليه السلام[٢] .

وقد دفع ذلك بعض العلماء الباحثين في هذا المجال إلى أن يقول : « إذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرفة ، فقد عُلِم إذن المشتق والمشتق منه ، والأصل وما تفرع عنه ، وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم »[٣] .

وفي أحيانٍ أخرى يذكر الهندوس كرشنا بصيغةٍ مقاربةٍ ، مشابهةٍ لا مطابقة ، حين يُقدِّمونه على أنه إلهٌ « قد حَلَّ في شكل بشري ، هبط هذا الإله الأرض كي يُخلِّص البشرية . وحيث أنه جاء ليخلِّص ، فهو بمثابة إلهٍ شخصي ، يهتم بالعالم ويساعد الإنسان »[٤] .

فهو على كلا الحالين : إمَّا إنسانٌ مخلِّص قدَّم نفسه فداءً للبشرية ، أو أنه إلهٌ هبط إلى الأرض ليساعد البشرية ، مخلِّصاً لها من طغيان الباطل ، وعناء العودة في تجسداتٍ أخرى ، ومخلِّصاً لها مما يعوقها عن الانطلاق والانعتاق من أجل الوصول إلى براهما والاتحاد به على حد زعمهم .

---

(١) قصة الحضارة (٣ : ٢٠٤) .

(٢) الديانات القديمة - أبو زهرة (٢٤ - ٢٥) .

(٣) الديانات القديمة - أبو زهرة (٢٥) .

(٤) الفلسفات الهندية / د. علي زيعور (١٦٨) .

وحين نواصل مسيرتنا مع البراهمة حول هذا الموضوع لنستجلي بعض غوامضه ، ولنتتبع ما قد يرد فيه من مشابهةٍ لِمَا نهدف إليه ، ونحوم حواليه .

نراهم يتحدثون عن « كرشنا » ويصفونه بأنه « الوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس ، وهو (كذلك) الأب والابن وروح القدس »[1] في سياقٍ يجيء متتابعاً على نفس نمط السياق النصراني في تطابقٍ مدهشٍ .

ويواصل الهنود حديثهم عن كرشنة قائلين : « عرفت البقرة أن كرشنة إلهٌ وسجدت له ... وآمن الناس بكرشنة واعترفوا بلاهوته ... وسمع نبي الهنود « نارد » بمولد الطفل الإلهي كرشنة فذهب وزاره ... وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يُعبد »[2] ... ثم إن « كرشنة صُلِبَ ومات على الصليب ... ثم قام من بين الأموات ، ونزل .. إلى الجحيم ، وصعد .. بجسده إلى السماء ، وكثيرون شاهدوه صاعداً . ولسوف يأتي كرشنة إلى الأرض في اليوم الأخير ، ويكون ظهوره كفارسٍ مدججٍ بالسلاح وراكبٍ على جواد أشهب ، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء »[3] .

وحين نتأمل هذه النصوص جيداً يتضح لنا أنهم إنما يتحدثون عن مخلّصٍ قدَّم نفسه فداءً للبشرية وصعد إلى السماء وسيعود لاحقاً .

ومما يلفت الانتباه أننا لا نراهم يتحدثون عن عودته كما تتحدث الأديان السماوية الثلاثة عن منتظرها ، الذي يجيء ليُقيم دولة العدل وليقضي على الباطل في أواخر عمر الدنيا ، وليس في آخر لحظةٍ من لحظات هذه الحياة . اللهم إلا ما كان من ذلك النص الأول الذي نقلناه عنهم بخصوصه .

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية - محمد طاهر التنير (١١٩) .

(٢) العقائد الوثنية (١٢١) .

(٣) العقائد الوثنية (١٢٥ - ١٢٧) .

أما الصورة التي تقدمها باقي النصوص لهذه الشخصية ، فهي صورةٌ تختلف إلى حدٍ ما عن الصورة التي تقدمها الأديان السماوية الثلاثة لمنتظرها الموعود . وتفارقها في كثيرٍ من المواصفات . اللهم إلا ما كان من النصرانية في أحد سياقاتها عن المنتظر حين تقرر أنه يجيء في اليوم الأخير ليدين الناس ، كما سنقرره لاحقاً .

يتحدث الهندوس في جزءٍ كبيرٍ من نصوصهم تلك عن « إلـهٍ » سيجيء في « يومٍ أخير » ليدين العباد ويحاسبهم وليجازيهم عن سابق ما فعلوه . وهذا هو الذي أشارت إليه نصوصهم اللاحقة للنص الأول . ويزيد ذلك تأكيداً نصوص أخرى تؤكد هذا التصور وترسخه ، إذ نراهم يتحدثون عن « كرشنا » بهذا الخصوص فيقولون عنه : « هو يدين الأموات في اليوم الأخير » . فهم إذن يتحدثون عن بعث وحساب ، وإلـهٍ يجيء لحساب العباد ، وليس هو - حسب هذه النصوص - كما قد نتصور لأول وهلةٍ شخصيةً منتظَرةً يجيء لبسط سلطان العدالة والحق .

وهم يؤكدون ذلك حين يقولون عنه أيضاً : « إنه الخالق لكل شيء ، ولولاه لَمَا كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي »[1] .

إذن فهم في هذا القسم الأخير من النصوص يقدمون لنا فكرة أخرى وتصوراً آخر غير التصور الأول يتضمن الحديث عن إلهٍ يأتي يوم الجزاء للحساب .

لكن حديثهم في بعض النصوص الأولى كان حديثاً صريحاً عن شخصية منتظَرة .

أما هذا التداخل الذي نراه بين الشخصيتين فليس بغريبٍ على الفكر الفلسفي الهندي . بل ذلك التداخل والاختلاط سمةٌ من سمات ذلك الفكر . ونتيجةٌ منطقيةٌ لمقولاتهم في التناسخ والحلول وتعدد الآلهة وكثرتها بشكل خرافي .

ومما يلاحظ بوضوح ذلك التشابه بين ما عند الهنود في عقيدتهم عن كرشنا وما عند النصارى في عقيدتهم عن المسيح . فالنصارى لديهم كذلك المسيح المنتظَر ، الذي سيحاسب الناس يوم الدينونة .

---

(١) العقائد الوثنية (١٢٧) .

٢ - فِيشْنُو المنتظر :

لا تقف المسيرة الهندية عند حد معين . ولا يُعرف لعجائبها الفكرية نهاية . حتى في فكرة المنتظر التي لم نكن نتوقع أن نجد لها ذكراً في الفكر الهندي ، هانحن نجد أكثر من منتظر ، يجيء الواحد منهم في أكثر من صورة ، ففشنو يجيء مرةً فشنو . ومرةً كرشنا . على سبيل المثال . وهم بتعبيرٍ هندي آخر ، شيءٌ واحد ، كتعدد الآلهة : فهناك توحيد ، وتعدد خرافي، يفضي إلى تعددٍ أقل ثم أقل . (حتى يبلغ مرتبة التثليث - القول بثلاثة آلهة فقط) وهكذا دواليك .

والمنتظر الثاني في هذه المسيرة هو : فيشنو ، وفيشنو أو ويشنو كما نعلم ، أحد الآلهة الثلاثة الرئيسة أو هو أحد الأقانيم الثلاثة الكبار . فكيف أصبح الآن منتظراً ؟

فيشنو عند الهنادكة هو : « إله الحب الذي كثيراً ما انقلب إنساناً ليتقدم بالعون إلى بني الإنسان ، وأعظم من يتجسد فيه « فشنو » هو « كرشنا » »[١] .

يتحدث الهنود عن فيشنو وعودته المرتقبة فيقولون : إن الإله فيشنو يعود إلى الدنيا أحياناً . يقولون على لسان فيشنو : « في أي وقتٍ يعجز القانون ويسود الظلم ، أعود إلى الوجود المادي لكي أحمي الخير وأدمِّر الشر وأعيد العدل إلى الأرض ، ولهذا أولد زمناً بعد زمن »[٢] .

والنزول والتشكل عندهم من اختصاص وشنو هذا . وهم يزعمون أنه نزل إلى الأرض بهذه الطريقة بأشكالٍ مختلفة في مناسباتٍ شتى . منها عشرٌ مشهورات ، ومن تلك العشر المناسبات نزوله بصورة كرشنا[٣] .

وهذه الجملة الأخيرة هي التي قدمت لنا جواب السؤال السالف ذكره .

وبينت أن فكرتهم عن هذا المنتظر تتداخل مع حديثهم عن كرشنا المنتظر .

---

(١) قصة الحضارة (٣ : ٢٠٤) .

(٢) الهند - أبو الليل (٥٩ - ٦٠) .

(٣) النظام الطبقي (٥٢ - ٥٣) بتصرف .

فـ« ويشنو » يحلّ في صورة كرشنا أو غيره ، ثم ينزل إلى الأرض ليقيم العدل إلى آخره . فـ« كرشنا » إذن ليس إلا صورةً يتجلّى فيها هذا الإله فيشنو ويتشكل بها ، ثم ينزل إلى الأرض .

وهذا يُفسر لنا بكل وضوح النصين السابقين . وينفي أي إشكالٍ واردٍ بهذا الخصوص .

وثمة حديث آخر عند الهنود عن فشنو يتضمن ترقب عودةٍ منتظرةٍ له ، هي التي تقدم في الحقيقة التفصيل الذي نبحث عنه . والصورة النمطية التي نطلبها إلى حدٍ ما .

تقول كتب الهنود الدينية « إنه متى عادت النجوم الثوابت إلى المكان الذي كان منه ابتداء دورتها والحين الذي ابتدأ منه كل شيء .... يظهر فشنو بين الناس بهيئة فارسٍ مدججٍ بالسلاح ، وراكبٍ على فرسٍ أشهبٍ ذي أجنحةٍ ، يحمل باليد الأولى حساماً مشتعلاً كَمُذَنَّبٍ يُهلك به الأشرار (الذين) لا يزالون أحياء على وجه الأرض ، ويحمل في اليد الثانية خاتماً مضيئاً ، إشارةً لابتداء « الياكوس » أي الأجيال العظيمة ، (وأن) الآخرة أتت ، وعند مجيئه تُظلم الشمس والقمر وتهتز الأرض وتسقط النجوم »[١].

وفي مقدمة النص حديثٌ عن منتظَرٍ يظهر مؤذناً ببداية فترة الأجيال العظيمة (الياكوس) وهو ما يُذكّرنا – من بعيدٍ – بمصطلح أشراط الساعة الكبرى ونزول المسيح عيسى عليه السلام حكماً عدلاً لدينا نحن المسلمين .

غير أن تتمة النص تلغي ذلك الاكتشاف ، حين تتحدث عن أحداثٍ تُشابه ما يرد في النصوص الإسلامية عن « يوم القيامة » ، ويزيد ذلك تأكيداً النصوص الأخرى في كرشنا التي تضافرت على تأكيد هذا المعنى .

(١) العقائد الوثنية (١٠٦) .

٣ - أَوَتَارا :

مصطلح هندي يُقصد به : النزول المنتظر للإله بعد تشكله .

وفي اعتقادهم أن الإله يتشكَّل بأشكال ، وينزل إلى الأرض عند الضرورة لأجل إهلاك المفسدين وكبت الأعداء وإنقاذ الصالحين وإقامة الحق[١] . وقد تقدم أن التشكل والنزول عندهم من اختصاص الإله فيشنو .

٤ - كَلْكِي :

« كَلْكِي آخر الأشكال (للإله فيشنو) سينزل على شكل إنسان بوجه حصان عندما يكون الناس كلهم منكرين لوجود الإله ومفسدين في الأرض فيُهلك الأشرار وينقذ الأخيار ويرجع إلى سَوَرْكَ لُوك أي الجنة »[٢] .

٥ - بِرِشْ رَامْ :

برش رام برهمن ، يعتقد الهندوس أنه حي في السماء ، وأنه جاء إحدى وعشرين مرة ، وأنه سيعود مرةً لاحقة .

ويقولون : إن « ناراين » يظهر في صورة « رام » مجرداً للشجاعة وقهر الأشرار .

وقد أشار البيروني إلى (ناراين) الذي يأتي في صورة كل بن جشو أو كرك بن جشو ، فلربما كان هو المذكور هنا . وذكر نعته عند الهنود وأنه يأتي حين « بلوغ الشرغاية مداه .. فيجرد سيفه على الأخلاف الخلف ويطهر وجه الأرض من دنسهم ويخليها منهم ، ويجمع الأطهار البررة ... ويعود الزمان والعالم (معه) إلى النزاهة والخير المحض والطيبة »[٣] .

---

(١) انظر : النظام الطبقي (٥٢) .

(٢) النظام الطبقي (٥٣) .

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة (٢٩٠ / ٣٠٣) .

٦ - باسديو :

باسديو هو المرسل لإصلاح العالم وإفناء الجبابرة . يتشكل « نارابن » بصورته . ويجيء إلى الدنيا للقضاء على الشر والجبابرة[١] . وقد وضع البيروني رسالةً في باسديو ومجيئه (ذكرها مقدِّم كتابه : الآثار الباقية عن القرون الخالية) ، سمَّاها : مقالة في باسديو الهند عند (مجيئه) الأدنى[٢] .

الخلاصة : أن صورة المنتظر في الفكر الهندوسي ، صورةٌ مغايرةٌ لِمَا نراه في الأديان السماوية الثلاثة التي تقدم نموذجاً بشرياً ينزل في آخر الزمان ، لتخليص العالم من كارثةٍ ماحقة ولإقرار العدالة .

أما الفكر الهندي فخلاصة كل ما ذكرناه عنه يُقدم لنا إلهاً - هو أحد أعمدة الثالوث الهندي المؤلهة الرئيسة (فيشنو) - ينزل إلى الأرض لتخليص الناس من الطغيان ونيره وليقر الحق ، ويتشكل في نزوله ذلك بأشكال عدة . فمرةً يظهر في صورة « كرشنا » المخلص ، ومرة يظهر في صورة « كلكي » ، ومن المحتمل أن يظهر في أشكال أخرى ، لأنهم تركوا الباب في هذا المجال مفتوحاً حين جعلوا أشهر تشكلاته عشراً فقط . فما بالك بغير المشهورة المعروفة .

ثم يعود ذلك الإله المتشكل بشكلٍ بشري إلى السماء ، بعد انتهاء مهمته .

وقد يتعدد نزوله حسب الحاجة . وهو في الختام هو الذي يجيء في اليوم الأخير - على صورة كرشنا - لبعث الأموات وعرض العباد بين يديه للحساب .

ومن الواضح تماماً ابتعاد هذه الصورة إلى حدٍ كبير عن الصورة المعروفة للمنتظر عند المسلمين واليهود . وكذلك عند النصارى في بعض التفاصيل .

إذن فالتشابه لفظي إلى حد كبير ، ونقاط الاتفاق محدودة جداً .

وهذه هي الخلاصة التي استنتجتها من هذه النصوص - على حد فهمي القاصر - وبالله التوفيق .

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة (٢٨٩ / ٣٠٢ - ٣٠٤) .

(٢) الآثار الباقية لأبي الريحان البيروني/ مكتبة المثنى - بغداد / ط. وتاريخ : بدون / المقدمة بغير العربية .

بعد هذا العرض الذي أشرنا فيه إلى بعض أوجه التشابه بين الهندوسية والديانة النصرانية فيما يتصل بالمسيح المنتظر ، وما يقوم به من أعمال . أرى من المناسب أن أعرض نماذج من تلك الأوجه في هذا الجدول اللاحق لمزيدٍ من الإيضاح والتنوع في العرض . فإلى ذلك :

منتظر الهنود	منتظر النصارى
كرشنا هو المخلّص والفادي والوسيط وابن الله ، الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس .	يسوع المسيح هو المخلّص والفادي والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس .
كرشنا الطفل الإلهي .	الطفل الإلهي يسوع .
كرشنا صلب ومات على الصليب .	يسوع صلب ومات على الصليب .
مات كرشنا ثم قام من بين الأموات .	مات يسوع ثم قام من بين الأموات .
ونزل كرشنا إلى الجحيم .	ونزل يسوع إلى الجحيم .
ولسوف يأتي كرشنا إلى الأرض في اليوم الأخير ، ويكون ظهوره كفارسٍ مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب ، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .	ولسوف يأتي يسوع إلى الأرض في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكبٍ على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .

منتظر الهنود	منتظر النصارى
وهو - أي كرشنا - يدين الأموات في اليوم الأخير .	ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير . (١)

وبعد . فهذه نماذج تعرض لنا ليس أوجه شبهٍ فحسب ، بل تطابقاً في اللفظ والمعنى بين الذي يذكره الهندوس عن منتظرهم « كرشنا » ، والذي يذكره النصارى عن مسيحهم « المنتظر » . موضحةً بجلاء جانباً كبيراً من العلاقة بين الديانتين في هذه القضية وغيرها .

هذا ما أحببنا لفت النظر إليه في ختام هذا المبحث . وبه نختم هذا الفصل . والله الموفق .

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (١١٩ - ١٣١) ، والديانات القديمة للشيخ محمد أبو زهرة (٢٦ - ٣٧) .

الفصل الثاني

المسيح المنتظر في البوذية

الفصل الثاني

المسيح المنتظر في البوذية

سيكون حديثنا في هذا الفصل - بمشيئة الله تعالى - تحت مبحثين :

المبحث الأول : في التعريف بالبوذية . نتناول فيه نشأة هذه الديانـة وحقيقتـها ، ومؤسس هذه الديانة وحياته . والأفكار أو المضامين الرئيسة لديانتـه . ومواقـع نفـوذ هذه الديانة وانتشارها .

المبحث الثاني : عن المنتظر في البوذية . نبرز فيه ما وجدنا من معلومات وعقـائد تتصل بـ« المنتظر » لدى أتباع هذه الديانة الوضعية ، التي يقيم الكثير من الباحثين بينها وبين النصرانية علاقةً وثيقةً بنوها على التشابه الموجود بينهما ، بل التماثل شبه الكامل في كثيرٍ من العقائد . وبخاصةٍ في الاعتقاد بـ« المنتظر » في الديانتين .

المبحث الأول

التعريف بالبوذية

البوذية أحد الأديان العالمية المشهورة والكبيرة . تُعدُّ البوذية من أقدم الأديان في الهند بعد الهندوسية . بدأت الدعوة إليها قبل الميلاد « بنحو خمسمائة سنة » . وتُسمَّى « البوذية » أو « البُدِّيَّة » أو « البدهية »[١] . والاسم المعروف والمشهور لها ، هو البوذية . يبلغ عدد المنتسبين لهذه الديانة في العالم اليوم ، حسب إحدى الإحصائيات الحديثة (٣٢٣) مليوناً[٢] .

نبتت هذه الديانة في الهند ، ثم انتقلت إلى البلدان المجاورة لها حتى أصبحت هذه البلدان الآن هي الموطن الحقيقي للبوذية .

وازدهرت فيها البوذية بعد أن « اضمحل شأنها وتقلص ظلها في الهند »[٣] .

مؤسس هذه الديانة هو : بوذا ، وبوذا أو بودا[٤] أو بُدًّا ، كلمة هندية تعني الحكيم المستنير ، أو المبارك ، أو العالِم ، أو العارف المستيقظ والعالم المتنوِّر ، أو العارف المستنير[٥] .

وبوذا لقبٌ له. أما اسمه الشخصي فهو: سدهارتا (سدذارتا / سذهاتا/ سيذاتا/ سداثنا) . وسمِّي أو لقِّب كذلك بـ« غوتاما » (جواتاما / كَوتاما) أي الراهب . وهو

---

(١) تاريخ الإسلام في الهند - عبد المنعم النمر (٢٤) .

(٢) مجلة المجتمع / عدد (١٣١٤) / ٣ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ / ٢٥ - ٨ - ١٩٩٨ م / ص (٦٥) .

(٣) انظر : قصة الحضارة - ول ديورانت (٣ : ٥٧) وانظر كذلك إشاراته إلى هذا الجانب من النشأة في صفحات (٦٣ - ٦٤) ، وتاريخ الإسلام في الهند (٥١) .

(٤) تاريخ الإسلام في الهند (٥١) .

(٥) الديانات القديمة - أبو زهرة (٤٦) والفلسفات الهندية - علي زيعور (٢٣٠). وأديان الهند الكبرى - د. أحمد شلبي (١٤٣ - ١٤٤) ط. خامسة - ١٩٧٩ م - القاهرة . والموسوعة الميسرة (١٠٧) .

لقبٌ لحقه بعد تزهّده ، أو أنه اسم عشيرته . أو أنه اسم عائلته ، وأن اسم عشيرته هو ساكيا[١] .

ويسمى كذلك « شاكيا - موني » أي حكيم جماعة شاكيا . أو سكيا موني أي المنعزل أو الصموت المتحدر من عائلة سكيا . أو المتبتل المنعـزل مـن قبيلـة ساكيا أو المعتكف من أسرة سكيا ، ويسمى كذلك « تاذاجاتا » أي الرجل الذي ظفـر بـالحق . وتنغاتا أي الكامل[٢] .

بعد قرون من تأسيس البرهمية ولد بوذا بين ٦٠٠ و ٥٠٠ قبل الميـلاد (٥٥٧ / أو : ٥٦٠ / ٥٦٣ ق. م)[٣] في مجتمعٍ قبلي صغير شمالي البنغال تحت سـفح الهملايـا على حدود نيبال . وكانت تحكم هذه الإمارة الصغـيرة عشـيرته (عشـيرة سـاكيا) ، وكان ينتسب إلى طبقة المقاتلين الكاشتريا[٤] .

ماتت أمه في الأسبوع الأول من ولادته فحضنته خالته ، وعاش أميراً مترفاً غارقـاً في النعيـم ولي عـهدٍ لأبيـه الأمـير . تـزوج في التاسـعة عشـرة مـن عمـره وأنجـب ابنـه « راهولا » .

في التاسعة والعشرين من عمره تقريباً هجر حياة النعيم والترف وانقطع إلى الزهد والتقشف وبدأ مسيرته الروحية الجديدة[٥] .

---

(١) انظر : قصة الحضارة (٣ : ٦٥) هامش الصفحة نفسها / ومعالم تاريخ الإنسانية - ولز (٢ : ٤٧٣). وأبو زهرة - الديانـات القديمـة (٤٦) وتـاريخ الإسـلام في الهنـد (٥١) وأديـان الهنـد - أحمـد شـلبي (١٣٨ - ١٤٠) .

(٢) قصة الحضارة (٣ : ٦٥) والديانات القديمة - أبـو زهـرة (٤٦) والفلسـفات الهنديـة - علـي زيعـور (٢٦٣) وأديان الهند - ط. خامسة (١٤٠) بالهامش . والموسوعة الميسرة (١٠٧) .

(٣) انظـر : معـالم تـاريخ الإنسـانية - ولـز (٢ : ٤٧٣) + تـاريخ الإسـلام في الهنـد (٥١) + الديانـات القديمـة - أبـو زهـرة (٤٧) ، والموسـوعة الميسـرة (١٠٧) + قصـة الحضـارة (٣ : ٦٤) ، وأديـان الهند - أحمد شلبي - ط. خامسة (١٣٧) .

(٤) معالم تاريخ الإنسانية - ولز (٢ : ٤٧٣) .

(٥) انظر : الديانات القديمة - أبو زهرة (٤٧) والفلسفات الهنديـة (٢٣١) وأديـان الهنـد - ط. خامسـة (١٣٨ - ١٤٠) والموسوعة الميسرة (١٠٧) .

شك بعضهم في وجود بوذا فظنوه مجرد شخصيةٍ هنديةٍ خياليةٍ من نسج خيال الهنود لا أكثر ولا أقل . حتى لقد عدَّه بعض المؤرخين شخصيةً خرافيةً لا وجود لها[1] . لكنَّ ذلك لم يثبت أمام الأبحاث العلمية التي أكدت وجوده وتواترت على ذلك[2] . وكان سبب بعض هذه الشكوك كثرة الأساطير التي نسبها أتباعه له .

عرض ملخص لرحلته الروحية

كان بوذا يعيش عيشةً مترفة ، لكنه كان ذا إحساس مرهف . شاهد ذات يوم شيخاً كبيراً في السن قد هدّت السنون قواه . ورأى مريضاً أنشب الموت فيه مخالبه . ورأى ميتاً فارق الحياة . فأدرك أن لهذه الحياة سراً ولهذا الوجود غاية . لكنه لم يكن يدري شيئاً عن حقيقة هذه الحياة ولا عن سبيل الخروج منها بسلام . وَمِنْ هنا برزت إلى العيان أزمته الروحية أو بدأت مسيرته الروحية .

ترك المباهج وغادر قصر أبيه وخلع عنه ملابسه الفاخرة وحلاه الثمينة ولحق بالزهاد والنساك في الأدغال والغابات. بدأ بالزهد والتقشف والرياضات النفسية والجسمية الشاقة بحثاً عن المعرفة . ولحق به آنذاك خمسة من النساك حين رأوا اجتهاده وتقدمه عليهم . أدرك بعد فترة أن هذه الطريقة عقيمة لا تفضي إلى معرفة ولا تهدي إلى حقيقة ، ففارقها غير آسفٍ وفارقه بفراقه إياها رفاقه النساك آسفين[3] .

قرر أن يسعى لنيل المعرفة وكشف أسرار الكون ، وسلك من أجل هذا وسائل متعددة كالتصوف والتفلسف .

وبعد سبعة أعوام أمضاها في الرياضات الروحية ، تحقق له ما كان يطلبه ، ووجد تحت شجرةٍ في حدائق أحد المعابد ، إشراق المعرفة المحررة أو التنوُّر - حسب تعبيرهم - ، وتمَّ له في هذه الجلسة الإشراقة التي كان يترقبها[4] .

---

(١) الديانات القديمة - أبو زهرة (٥٨) .

(٢) انظر : الفلسفات الهندية - علي زيعور (٢٣٢) .

(٣) انظر : معالم تاريخ الإنسانية - ولز (٢ : ٤٧٤ - ٤٧٨) حيث ساق قصة بوذا بأسلوب أدبي أخاذ . وانظر كذلك : قصة الحضارة (٣ : ٦٩) . وأديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٣٨ - ١٤١) .

(٤) انظر : الفلسفات الهندية (٢٦٣) ، وأديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٤٠ / ١٤٢ - ١٤٤) .

دعوته إلى مذهبه

حين وصل بوذا إلى مبتغاه وبلغ درجة الإشراق والعرفان - حسب تعبير أتباعه - بدأ بعدئذٍ محاولة إيصال تلك المعرفة إلى بني جنسه ، لأنها طريق الخلاص كما يقول . يقول : « جئت أخلّص جميع الناس . النرفانا وحدها هي الخلاص »[١] .

وكان آنذاك في عامه السادس والثلاثين .

دعا رفاقه النساك الخمسة أولاً لمذهبه فأجابوه ، ثم جمع حوله مجموعة من الشبان بلغ تعدادهم الستين ، وعلمهم مبادئه ولقنهم دعوته ، ووكل إليهم القيام بنشرها ، واشتهرت دعوته بتسميتها « النظام » أو « عجلة الشريعة » ، وقد ظل بوذا يدفع عجلة شريعته هذه إلى الأمام أكثر من أربعين عاماً حتى وصلت سنه الثمانين ، مختاراً طريقة « المبشر المتسول » حسب تعبير بعض الباحثين[٢] .

معنى النرفانا

النرفانا مفهومٌ متعدد المعاني في الفكر الهندي . وُجِدَ قبل بوذا . لا نملك له تعريفاً إيجابياً . غير أن إنقاذ النفس من التناسخ هو غاية النرفانا[٣] .

فالنرفانا إذن طريقٌ للتخلص من تكرار المولد ، ويتحقق ذلك بقتل الشهوات والرغبات ، والتوقف عن العمل السلبي والإيجابي ، أو عمل الخير والشر ، فمتى استطاع الإنسان أن يجتاز هذا الطريق ، وصل إلى النرفانا .

---

(١) الفلسفات الهندية (٢٦١) .

(٢) انظر : أديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٤٦ - ١٤٧) .

(٣) انظر : الفلسفات الهندية (٢٧٤ - ٢٧٥) .

واختلفت أقوال البوذيين في معناها :

١ - قال بعضهم: هي القضاء على الأنانية والتحرر من الهوى وسلطان النفس .

٢ - أنها عبارة غامضة . وأن بوذا رفض أن يشرح النرفانا .

٣ - أن النرفانا تعني « وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه ، والقضاء على جميع رغباته المادية[١] .

أو بعبارة أخرى : فناء الأغراض الشخصية الباطلة »[٢] .

٤ - أن النرفانا تعني « إنقاذ الإنسان نفسه من ربقة الكارما ، ومن تكرار المولد ، بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر »[٣] .

أو هي بعبارة أخرى « إخماد شهوات الفرد وما يترتب على ذلك من عدم تكرار المولد » .

٥ - أو أنها « السكينة التي لا يشوبها ألم ، ورضى النفس » .

وعلى العموم فالنرفانا كلمة غامضة ، ومعناها الإجمالي في السنسكريتية « منطفئ » ، ولها في كتب البوذيين معانٍ متعددة أخرى مثل : حالة من السعادة / أو : فردوس من السعادة بعد الموت / أو : انعدام شعور الفرد بفرديته[٤] .

---

(١) أديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٥٨ - ١٦١) .

(٢) معالم تاريخ الإنسانية - ولز (٢ : ٤٨٢) .

(٣) أديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٦١) .

(٤) انظر : قصة الحضارة (٣ : ٨٤ - ٨٥) .

حقيقة بوذا وحقيقة البوذية

تعددت آراء الباحثين في هذا الخصوص وتباينت :

١ - فبينما يقرر بعضهم أن البوذية « ليست فلسفة ، ولا علماً ، ولا هي دين » بل هي .. « طريقة خاصة ... أقرب إلى التصوف والروحانيات » و.. « نظام حياة » فحسب . وأن بوذا لم يكن نبياً ، و لم يكن كذلك فيلسوفاً لأنه لم يؤسس مذاهب فلسفية ، وإنما أسس دعوته بناءً على تجربته الروحية .

٢ - يقرر آخرون « أن أتباع بوذا ... يرفعون فلسفة بوذا إلى مستوى الدين ، ... أما بوذا على الحقيقة فهو مجرد باحث فيلسوف مفكر عاش على الأرض » .

٣ - وبعض المفكرين الغربيين يرون البوذية ديناً :

أ - لأنها ترسم الطريق للتخلص من الذنوب .

ب - ولأن فيها جانباً روحياً .

جـ - ولأن معتنقيها كانوا يمتازون بحماسة قوية لا تتوافر إلا مع الأديان[1] .

والبوذية في رأيي لم تكن إلا مذهباً إصلاحياً تبنَّى نظاماً خُلُقياً معيناً . لكنها لم تكن ديناً لأن بوذا أنكر وجود الإله . وبعد وفاة بوذا تحوَّل هذا المذهب إلى ديانةٍ وضعية أرسى قواعدها أتباعه بعد وفاته .

ربما يمكننا القول أن البوذية كانت في حياة مؤسسها نظاماً خلقياً ، واتجاهاً تربوياً ، ولكنها أخذت تتطور من قرن إلى قرن ، فدخلتها مسائل عن الإلهيات

---

(١) الفلسفات الهندية (١٨٠) وأديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٧١ - ١٧٢) . لكن هذه المبررات لا تكفي للقول بأنها دين لمجرد وجود حماسة بين أتباعها ، وطريق روحي يسلكونه ، ونحو ذلك . مع قولهم بإنكار وجود الإله الذي هو الأساس لمعتقد أصحاب كل ديانة .

والكون ... فأصبحت بذلك مذهباً فكرياً ومباحث عقلية ، وبَعُدَتْ البوذية الجديدة بذلك عن البوذية القديمة .

وكانت البوذية القديمة تزكيةً وتربيةً ، فأصبحت البوذية الحديثة فكراً وفلسفة . وقسمها العلماء بسبب ذلك إلى البوذية القديمة والبوذية الجديدة . « فالبوذية القديمة صِبْغَتُها خُلُقية ... أما البوذية الجديدة فهي عبارة عن تعاليم بوذا مختلطة بآراء دقيقة في الكون ، وأفكارٍ ... مؤسسةٍ على نظريات فلسفية ، وقياسات عقلية »[١] .

وعلى هذا فإن البوذية لا تعتبر « إضافةً في صميم العقائد الدينية ، بل إضافةً في آداب السلوك وفلسفة الحياة ، وإضافةً في عرض الآراء ..... قديماً »[٢] .

من ناحية أخرى كان بوذا « معنياً بكثرة الوصايا والإرشاد العملي .... لكنَّ .. الذين جاءوا من بعده .. » نسبوا إليه من الأوصاف والأوهام والخرافات الكثير الكثير . و« كثرة هذه الأساطير » جعلت بعض « المؤرخين .. يزعم .. أن البوذية ليست إلاَّ مجموعة تعاليم انتُحلت لها هذه الشخصية انتحالاً »[٣] .

ولبعض الباحثين عبارات موجزة في وصف البوذية وبيان حقيقتها، يقول أحدهم: « البوذية تصوف » أو هي « فلسفة أخلاقية .. متشائمة » أو هي « نظامٌ يهتم .. بالدلالة على الطريق المؤدية إلى الانعتاق »[٤] .

يقول ول ديورانت في وصف هذه الديانة : « لن تجد في تاريخ الديانات ما هو أغرب من بوذا ، يؤسس ديانة عالمية ، ومع ذلك يأبى أن يدخل في نقاشٍ عن الأبدية والخلود والله ، فاللانهائي أسطورة – كما يقول – وخرافة من خرافات الفلاسفة

---

(١) أديان الهند – شلبي – ط. خامسة (١٧٧) .

(٢) الله – عباس محمود العقاد (٥٩) مطابع الأهرام التجارية – طبعة وتاريخ : بدون .

(٣) الديانات القديمة – أبو زهرة (٤٧ / ٥٨) .

(٤) الفلسفات الهندية (٢٨٣ – ٢٨٤ / ٢٨٧) .

.... وهو يسمي هذه المشكلات « غاية التأمل النظري وصحراءه وبهلوانه والتواءه وتعقيده » ويعتزم ألا يكون له شأن بأمثال هذه المسائل ، فهي لا تؤدي بالباحثين فيها إلاَّ إلى الخصومة الحادة ، والكراهية ... ويستحيل أن تؤدي بهم إلى حكمة ... إن القدسية والرضى لا يكونان في معرفة الكون والله ، (كما يقول) وإنما يكونان في العيش الذي ينكر فيه الإنسان ذاته ويبسط كفه للناس إحساناً »[١] .

ولم يكن في البوذية إبان عهد بوذا طقوس ولا رهبانية ولا معابد ولا هياكل[٢] . وعلى الرغم من ازدراء بوذا للمعجزات فقد انتحل له تلاميذه العديد منها[٣] .

لكنَّ البوذية فيما بعد – وعلى يد أتباعها – « التقطت معظم الأدواء المعيبة بالديانات الفاسدة التي حاولت أن تحل محلها . فأخذت عنها الأصنام والمعابد والمذابح » كما يقول ولز[٤] .

غاية البوذية

« أهم ما تعمل له البوذية هو .. التخلص من تكرار المولد والوصول إلى النرفانا »[٥] و« الغاية عند البوذي هي خلاص النفس ، وطلب الاستنارة وبلوغ الإشراق »[٦] .

أما غاية البوذي من النسك فهي « رياضة الإرادة على الحرمان ، وتعويدها السيطرة على الرغبة في الملاذ ، لكيلا تشقى بطلبها ويحزَّ فيها الحرمان »[٧] .

---

(١) قصة الحضارة (٣ : ٧٨) .

(٢) الفلسفات الهندية (٢٣٨ / ٢٤٥ / ٢٤٧) .

(٣) قصة الحضارة (٣ : ٨٦) .

(٤) معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٤٨٦ / ٥٠٠) .

(٥) أديان الهند – شلبي – ط. خامسة (١٦٢) .

(٦) الفلسفات الهندية (٣٠٥) .

(٧) الديانات القديمة – أبو زهرة (٦٤) .

موقف البوذية من قضية الألوهية

لم يُعن بوذا بالحديث عن الإله ، و لم يشغل نفسه بالكلام عنه إثباتاً أو إنكاراً ، وتحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية وما وراء الطبيعة أو الحديث عن القضايا الدقيقة في الكون ، إذ كان يرى أن خلاص الإنسان متوقفٌ عليه هو لا على الإله . ولكنَّ بوذا اتجه أحياناً إلى جانب الإنكار الصريح ، أكثر من اتجاهه إلى جانب الإثبات ، ونعته جراء ذلك براهمة عصره بالإلحاد[١] .

كان الداخلون في البوذية كثيراً ما يظلون على اعترافهم بآلهتهم التي كانوا يعبدونها في البرهمية[٢] . ووقفت البوذية آنذاك موقفاً محايداً من آلهة الهنادكة المتعددة[٣] .

لم يكن بوذا إذاً « يُحرِّم عبادة الآلهة الشائعة بين الناس » آنذاك[٤] .

لكنه كان أمام أتباعه « يتهكم بفكرة الألوهية – وبآلهة البراهمة على الأخص – » وكان حاداً مع كهنة عصره من البراهمة « يهزأ بدعواهم أن أسفار الفيدا من وحي الآلهة » ويرفض ذبح الحيوانات قرباناً للآلهة[٥] .

خلاصة ذلك أن البوذية لم تكن تؤمن بإلهٍ ولا بعالَمٍ آخرٍ وما إلى هذا من أخرويات[٦] .

---

(١) انظر : أديان الهند – شلبي – ط. خامسة (١٦٧ – ١٦٨) .

(٢) تاريخ الإسلام في الهند – النمر (٥٤) .

(٣) معالم تاريخ الإنسانية – ولز (٢ : ٤٨٦) .

(٤) قصة الحضارة (٣ : ٨٢) .

(٥) قصة الحضارة (٣ : ٧٩ / ٨١) .

(٦) الفلسفات الهندية (٢٨٨) .

لكنَّ « الإيمان بإله ، اتجاه نفسي قوي (في النفس البشرية) ، .... وإهمال هذا الاتجاه يحدث ارتباكاً واضطراباً ، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله ، ويعملون على الوصول إليه أو التعرف عليه . ولـمَّا كان بوذا قد ترك هذا المجال خالياً ، فقد لعبت بهم الأهواء »[١] وتعددت أقوالهم في ذلك :

١ - ذهب بعضهم إلى القول بأن بوذا إله . ويرون أنه لم يتكلم عن الله لأنه هو الله[٢] .

٢ - وذهب بعضهم إلى أن بوذا هو ابن الله . وأن تجسده كان بواسطة حلول روح القدس على العذراء « مايا »[٣] .

٣ - وذهب بعضهم إلى أن بوذا ليس إنساناً محضاً ، بل إن روح الله قد حلَّت به . وهي صياغةٌ مختلفة للقول السابق تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها النصارى في المسيح[٤] .

٤ - وذهب بعض البوذيين إلى القول بأن بوذا كائن لاهوتي هبط إلى هذا العالم لينقذه مما فيه من شرور[٥] .

ولعدم تعارض البوذية مع آلهة الهندوس ، كان كثيرٌ من الهنود يتبعون البوذية في أخلاقها ويظلون مع ذلك على ولائهم لآلهة الهندوس ، ومن هنا بدأت البوذية تختلط في مظاهرها بالهندوسية ، وبدأ البوذيون الذين يقوم مذهبهم على عدم الاعتراف بالإله يعترفون بالآلهة الهندوكية . ووضع البوذيون - الذين قالوا بأن بوذا كائن إلهي - تمثال

---

(١) أديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٦٨) .

(٢) معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٤٨٩) وأديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٧١) .

(٣) الموسوعة الميسرة (١٠٧) .

(٤) المسيحية - د. شلبي (٢٨٦) وأديان الهند - ط. خامسة (١٦٨) .

(٥) أديان الهند - ط. خامسة (١٦٨ - ١٦٩) والمسيحية (٢٨٧) .

بوذا بين آلهة الهندوس ، وظهرت البوذية بمظهر الهندوسية ، وبدأت معابدهم تظهر فيها آلهة الهندوس[١] .

إذاً رفضت البوذية الحديث عن الإله . لكنْ سرعان ما ألَّه البوذيون بوذا[٢] .

أما موقف البوذية الغريب هذا من قضية الألوهية فقد « كان رد فعلٍ لسوء تصرف طبقة البراهمة واستبدادهم » فخاف بوذا أن تتكوَّن في البوذية طبقة لاهوتية - كما في البرهمية - إن أقرَّ بالإله . فما كان منه إلا أن رفض التحدث عنه وأهمل الكلام حوله . أو أنكر وجوده أصلاً[٣] .

التناسخ عند البوذية

ككل الفلسفات والديانات الهندية تقول البوذية بالتناسخ وتكرار المولد . فالإنسان في نظر البوذية « مركبٌ من جسم وروح ، يفنى الجسم فقط ، وتبقى النفس ، ويطول عمرها وتعيش في كثيرٍ من الأجساد متعذبة هائمة على الأرض حتى تنتقي وتكمُل . وعندئذٍ ترتفع إلى النرفانا »[٤] .

فإذا « انفصلت الأواصر المادية بالموت - من جسد - تقمصت قوى المادة الأولية جسداً جديداً ... فيسعد الشخص الجديد أو يشقى حسبما تهيأ له من السلوك السابق »[٥] وهو ما يسمى عندهم بقانون كارما أو قانون الجزاء .

وخلاصة ذلك أن حياة الفرد هي في الحقيقة نتيجةٌ لحاصل أعماله في حياته السابقة[٦] . ولذلك نجد من جملة التعاليم البوذية قولهم « إذا أصاب الإنسان حزن وآلام وبؤس وقنوط ، فإن ذلك يدل على أنه ارتكب آثاماً ، وهذه الآلام جزاءٌ

---

(١) أديان الهند - ط. خامسة (١٦٩) وتاريخ الإسلام في الهند (٥٥) .

(٢) انظر : أديان الهند - ط. خامسة (١٩٤) .

(٣) أديان الهند - ط. خامسة (١٩٧) .

(٤) الفلسفات الهندية (٢٠٧) .

(٥) أديان الهند - ط. خامسة (١٥٧) .

(٦) انظر : الفلسفات الهندية (٢١٠) .

عليها ، وإذا لم يكن ارتكب شيئاً من الآثام في هذا الدور الحاضر من حياته لابد وأن يكون قد ارتكبه في أحد الأدوار السابقة من ظهوره (أي في أحد أدوار تقمصه)[١] » وقد يمر على هذا الإنسان (في نظر البوذيين) ملايين الأعوام « حانياً عنقه لسيف التناسخ ، مجبوراً على العودة للجسد »[٢] .

ولذلك كان أهم ما تعمل له البوذية : التخلص من تكرار المولد والوصول إلى النرفانا .

وتتكلم كل الفرق البوذية عن التناسخ وارتباطه بالكارما . لكنَّ بعض هذه الفرق ترى تناسخ النوع الإنساني مقصوراً عليه[٣] .

وعقيدة كرما البوذية - أو قانون كارما - تعني أن : الخير والشر في حياة فرد ... يحددان السعادة والشقاء في حياةٍ تاليةٍ (لذلك الفرد) .

وأن كل مرحلة من مراحل وجود النفس تعاني العذاب أو تتمتع بالثواب ، جزاءً وفاقاً لما وقع من النفس في حياةٍ ماضية من رذيلة أو فضيلة ، إذ يستحيل على فعلٍ صغير أو كبير ، خيِّرٍ أو شرير ، أن يمضي بغير أثر . وكل شيء - حسب اعتقادهم هذا - لابد له من أثر يظهر ذات يوم .

ذلك هو قانون كارما ، أو قانون الجزاء[٤].

سلَّم بوذا في الحقيقة « تسليماً بعجلة التناسخ في دورانها ، وبقانون « كارما » ، وتفكيره كله إنما يدور حول سبيل الفرار من هذه العجلة الدوارة ، (و) كيف يمكن للإنسان أن يحقق لنفسه النرفانا »[٥] . يقول بوذا : « ركزت عقلي

---

(١) العقائد الوثنية (١٤٤ - ١٤٥) .

(٢) الفلسفات الهندية (٢٤٤) .

(٣) انظر : أديان الهند - ط. خامسة (١٦٢ / ١٧٨) .

(٤) معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٤٨٥) وقصة الحضارة (٣ : ٢١٥) .

(٥) قصة الحضارة (٣ : ٨٤) .

... في فناء الكائنات وعودتها إلى الحياة في ولادةٍ جديدة ، وبنظرةٍ قدسية ... رأيت الكائنات الحية تمضي ثم تعود فتولد ... سعيدةً أو شقية ، حسب ما يكون لها من « كارما » وفق ذلك القانون الشامل الذي بمقتضاه سيتلقى كل فعل خيِّرٍ ثوابه ، وكل فعلٍ شريرٍ عقابه ، في هذه الحياة ، أو في حياةٍ تاليةٍ تتقمص فيها الروح جسداً آخر »[١] .

والبوذية بذلك تجعل الجزاء دنيوياً محضاً . وهذا متفق تماماً مع انتفاء وجود تصورٍ خاص بهم عن عالم آخر ، يكون فيه الجزاء على الأعمال في العالم السابق عليه . فليس لديهم داران ، دار الدنيا ودار الأخرى ، وليس لديهم إيمانٌ إلا بهذا العالم الدنيوي ، وأنه خالدٌ أبداً .

الأخلاق البوذية :

الجزء الخصب في البوذية هو مذهبها في الأخلاق وإصلاح المجتمع ، وكان العماد الذي أقام عليه بوذا مذهبه في السلوك ، أن يجاهد الشخص الشهوات ، ويُروِّض إرادته[٢] . و « كانت فكرته (أي بوذا) خُلُقية خالصة ، فكان كل ما يعنيه سلوك الناس ، وأما الطقوس و .. شعائر العبادة ، وما وراء الطبيعة واللاهوت ، فكلها عنده لا تستحق النظر »[٣] .

تهتم البوذية بالسمو الأخلاقي والطهر النفسي غير عابئةٍ بمظاهر العبادة .

والعملُ الصحيح في البوذية هو تطهير الباطن[٤] .

---

(١) قصة الحضارة (٣ : ٧١) .

(٢) الديانات القديمة – أبو زهرة (٦٠) .

(٣) قصة الحضارة (٣ : ٧٨) .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام في الهند (٥٥ – ٥٦) .

من أهم مفردات الأخلاقِ البوذية :

١ - إحترام الحياة ، إنسانية كانت أو حيوانية .

٢ - المحبة الشاملة .

٣ - التسامح ، وعدم التعصب ، ونبذ الحروب[١] .

هذا في جانب الأفكار الخلقية المفردة .

غير أن ثمت فلسفةً بوذيةً خُلُقيةً أوسع وأشمل وأعقد من ذلك بكثير ، تقوم على سلسلةٍ من الوصايا والأوامر والنواهي تتناول كثيراً من مناحي الحياة وتعاملات البشر ، توسعت وترسخت عبر السنين والأيام . يقول أحد الباحثين : « كانت البوذية في أول أمرها مذهباً خُلُقياً يرمي إلى تزكية النفس ... ثم أخذت .. تتعقد وتتشعب حسب .. عقول .. الدارسين لها ... وتفلسفت »[٢] .

ونجد في هذه الأخلاقَ البوذية ما يُسمَّى بالحقائق الأربع ، والطريق المثمَّن الجوانب ، والرذائل الثلاث ، والوصايا العشر وغير ذلك .

وسنقدم فكرة موجزة عن هذه النقاط التي ذكرناها حتى نحصل على صورة متكاملة إلى حدٍ ما عن هذه الفلسفة الأخلاقية البوذية .

[١] - الحقائق الأربع : « هي طرائق لتخليص النفس ، أو أنها عبارة عن السبل التي تؤدي إلى النور » . وهذه الحقائق هي : الألم موجود / لهذا الألم سبب / هذا السبب قابلٌ للزوال / الوسيلة لزواله موجودة / أو هي بعبارة أخرى : الحياة ضَرْبٌ من الألم / الألم يرجع إلى الشهوة / الحكمة أساسها قمع الشهوات جميعاً / يكون وقف الألم بسلوك السبيل ذي الشعب الثمان / أما سبب الشقاء فهو الجهل .

---

(١) انظر : أديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٧٣ / ٢٠٣) و : الفلسفات الهندية (٢٨٦) .

(٢) تاريخ الإسلام في الهند - عبد المنعم النمر (٥٣ - ٥٤) .

وأهم شيء في التعليم البوذي هو (هذه) الحقائق الأربع . وخلاصة الفلسفة التي أتى بها بوذا هي تقريره هذه المبادئ الأربعة[١] .

[٢] – الطريق المثمَّن الجوانب أو سبيل النجاة ذات الشعب الثمان . وهي سبيل إعدام الألم وإزالته ، وقد صاغها عددٌ من الكتاب بعبارات مختلفة ، ومنها قولهم إنها : الاعتقاد الصحيح / العزم الصحيح / القول الصحيح / العمل الصحيح / العيش الصحيح / الجهد الصحيح / الفكر الصحيح / التأمل الصحيح .

أو هي بعبارة أخرى : الآراء السليمة / الشعور الصائب / القول الحق / السلوك الحسن / الحياة الفضلى / السعي المشكور / الذكرى الصالحة / التأمل الصحيح[٢] .

وقد صاغها الشيخ أبو زهرة بعبارة أخرى خلاصتها أنها : الاتجاه الصحيح المستقيم / الإشراق الصحيح المستقيم / التفكير الصحيح المستقيم / الإيمان أو الاعتقاد المستقيم / اللفظ المستقيم / السلوك المستقيم / الحياة الصحيحة / الجهد الصحيح[٣] . وقد صاغها غيره بأسلوب آخر مثل القول : إنها : سلامة الرأي / والنية / والقول / والفعل / والعيش/ والجهد / وما نعنى به / وسلامة التركيز /[٤] .

أو أنها : الآراء / والأماني الصائبة / والحديث / والسلوك / والارتزاق / والكد / والتنبه / والجدل الصائب /[٥] .

---

(١) انظر : الفكر الفلسفي الهندي (٣٥٣ – ٣٥٤) وقصة الحضارة (٣ : ٧٥ – ٧٦) والله – للعقاد (٥٩ – ٦٠) والفلسفات الهندية (٢٦٩) وأديان الهند – ط. خامسة (١٦٣ – ١٦٥) .

(٢) أديان الهند – ط. خامسة (١٦٢ – ١٦٣) .

(٣) الديانات القديمة (٦٠ – ٦١) .

(٤) قصة الحضارة (٣ : ٧٦) .

(٥) معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٤٨٤ – ٤٨٥) .

ومن الملاحظ أن كل تعبير يختلف قليلاً عن سابقه متضمناً المزيد من المفردات الأخلاقية مما يؤكد أن المقصود بذلك وضع أسس فلسفةٍ أخلاقية شاملة .

[٣] - الرذائل الثلاث : يُرجع البوذيون الرذائل إلى أصول ثلاثة : الاستسلام للملاذ / سوء النية / الغباء وعدم إدراك الأمور على الوجه الصحيح /[١] . وذكرها بعض الكتّاب بأسلوب آخر فقال : أشكال الشر الثلاثة عند بوذا هي : الرغبة في إشباع الحواس (الرغبة الشهوانية) / الرغبة في الخلود الشخصي / الرغبة في الخلود في الدنيا / . وعندما تُقهر هذه الرغبات يصل الإنسان إلى الحكمة العليا والسعادة الخالدة (النرفانا = التي هي صفو الروح وسكينته)[٢] .

[٤] - الوصايا العشر : ذُكر في كتب البوذية عشر رذائل ، جاء النهي عنها في تلك الكتب على صورة وصايا تُنسب إلى بوذا ، وهي : لا تقضِ على حياة حي / لا تأخذ مالا يقدم إليك ، فلا تسرق ولا تغتصب / لا تكذب / لا تتناول مسكراً / لا تباشر علاقة جنسية محرمة / لا تأكل طعاماً نضج في غير أوانه / لا تكلل رأسك بالزهر ولا تستعمل العطور / لا تقتن فراشاً وثيراً / لا تحضر حفلة رقص أو غناء / يجب ألا تقتني ذهباً أو فضة / . هذه هي الوصايا العشر التي يأخذ بها البوذي ليروض إرادته على ترك الملاذ ، والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات[٣] .

ولئن كنا قد عرضنا صورةً للأخلاق البوذية ، فلا يعني ذلك أن تلك الفلسفة الوضعية لم تشتمل على الكثير من النقائص . إن شئنا مثالاً على ذلك وجدناه في صورٍ قاتمة تضج بها البوذية بكل وضوح ، منها :

---

(١) الديانات القديمة (٦٢) .

(٢) معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٤٨١ - ٤٨٢) .

(٣) انظر : الديانات القديمة (٦٢ - ٦٣) و : أديان الهند - شلبي - ط. خامسة (١٦٦) .

[١] – السلبية : ففي البوذية دعوةٌ إلى الانكفاء على الذات[1] .

[٢] – النظرة التشاؤمية : فالبوذية ترى الحياة ظلاماً .... والعالم كله سوءاً والرغبات شريرة ولا مكان عندها للرغبات والأماني الصالحة[2] .

[٣] – الجمود : فالبوذية تدعو إلى وجوب الزهد في كل شهوة وفي كل كفاح .. ومَثَلُها الأعلى ، هو حالة جمودٍ لا تعرف الرغبات[3] .

[٤] – البطالة : فبوذا يتجه للبطالة ويدعو إليها ، حين يجعل أسلوب الاستجداء والصدقات والتسول طريقة بداية المريد الذي يفرض عليه أن « يحمل في يده طبق الإحسان أو " الكشكول " ... ليجمع قوت يومه »[4] . ولا ندري ماذا يكون عليه الحال إذا ما تحوَّل الناس جميعاً إلى مثل ذلك الذي يدعو إليه بوذا ، فمن ذا الذي يعطيهم حينئذٍ ؟ وَمِنْ أين سيجدون قوتاً وكلهم متسولون ؟ .

انتشار البوذية وأتباعها :

انتشرت البوذية في عهد بوذا انتشاراً واسعاً بين الطبقات العليا والدنيا . لكنها بدأت تنكمش بعد وفاة بوذا[5] . حتى جاء الامبراطور أشوكا (أو أسوكا) امبراطور الهند الشمالية في القرن الثالث قبل الميلاد ، الذي اعتنق البوذية وتبناها ونشرها في كل أرجاء الهند ، ثم بدأ بإرسال البعوث التبشيرية بها إلى مناطق متعددة خارج الهند ، فانتشرت البوذية واكتسحت الهندوسية ، حتى إذا مات ذلك

(١) الفلسفات الهندية (٢٥٨) .

(٢) انظر : أديان الهند – ط. خامسة (١٩٩) .

(٣) قصة الحضارة (٣ : ٢٣٢) .

(٤) أديان الهند – ط. خامسة (١٧٤ / ٢٠٠) .

(٥) أديان الهند – ط. خامسة (١٧٨ – ١٧٩) .

الإمبراطور انحسرت البوذية عن الهند ، وعادت الهندوسية بقــوة ، ولم يعـد للبوذيـة في الهند إلا القليل من الأتباع ، لكنها نجحت نجاحاً منقطع النظـير في موطنـها الجديـد في بلدان شرق وجنوب شرق آسيا[١] .

ولئن كانت البوذية قد ازدهرت في الهند ردحاً من الزمان ، فإن الهندوسية ظلت مزدهرة ثم ازدادت قوةً فطردت البوذية من الهند طرداً تاماً[٢] . ولم يعد للبوذية اليوم في موطنها الأصلي (الهند) إلا القليل من الأتبـاع يستوطن أكثرهم شمـال الهنـد[٣] . ويشكلون نسبة قليلة جداً من سكان الهند[٤] .

تنتشر البوذية الآن في أكثر من ثلاثين قطراً آسيوياً[٥] . مثل : اليابان التي دخلتها البوذية سنة ٥٢٢ بعد الميلاد ويعتنقها اليوم حوالي ثلثي السكان[٦] .

وتنتشـر البوذيـة كذلـك في بورمـا وتـايلاند والصـين ونيبـال والتبـت وسـيلان ، وكوريا وكمبوديا وفيتنام ولاوس ومنغوليا .

وأصبحت هذه البلدان الآن هي الموطن الحقيقي لازدهار البوذية بعد أن اضمحـل شأنها وتقلص ظلها في الهند[٧] .

---

(١) أديان الهند - ط. خامسة (١٨٠ - ١٨٢) وتـاريخ الإسـلام في الهنـد (٥٣) . والامـبراطور أشـوكا تولى العرش سنة ٢٧٣ ق.م - وللتوسع في قصة نشره للبوذية بعد اعتناقه لهـا : انظـر (قصـة الحضـارة / ٣ : ١٠١ - ١٠٥) و (معالم تاريخ الإنسانية / ٢ : ٤٩٢ -٤٩٤) .

(٢) انظر : معالم تاريخ الإنسانية / ٢ : ٥٠٢ - ٥٠٣) .

(٣) تاريخ الإسلام في الهند (٥٣) .

(٤) النظام الطبقي (٢٢) .

(٥) أديان الهند - ط. خامسة (١٨٣) .

(٦) الفلسفات الهندية (٣٠٠) .

(٧) انظـر : قصـة الحضـارة (٣ : ١٠٥) وأديـان الهنـد - ط. خامسـة (١٨٢ / ١٨٤ - ١٨٥) وتـاريخ الإسلام في الهند (٥١) .

ومنذ القرن التاسع عشر (الميلادي) اتصل الفكر البوذي ببعض دول أوروبا ، فأصبح للفكر البوذي أثره في الفلسفة الغربية والأدب الأوروبي[١] . واعتنق البوذية تبعاً لذلك بعض مواطني تلك الدول . ولحق بهم أخيراً بعض الأمريكيين ، ومنهم بعض المشاهير .

والبوذيون فرق كثيرة إذ « لم يمض على موت بوذا قرنان من الزمان ، حتى انقسم تراثه ثمانية عشر مذهباً متبايناً »[٢] . إلا أن أقسامها الرئيسة تنحصر في الوقت الحاضر في مذهبين كبيرين :

١ - مذهب هنايانا ومعناها : البلاغ الأصغر ، ويسمّى البوذية القديمة والمذهب الجنوبي . وهم أتباع البوذية في جنوب الهند وجزيرة سيلان وبورما وتايلاند ، الذين عبدوا بوذا باعتباره معلماً عظيماً لا إلهاً ، والكتب البوذية المقدسة - عندهم - لهذا المذهب مكتوبة باللغة البالية وهي لغة هندية قديمة[٣] .

والبوذية في بورما أخلص ما بقي من ألوان البوذية من الشوائب الدخيلة[٤] .

٢ - مذهب ماهايانا ومعناها البلاغ الأكبر . وهي بوذية ممزوجة بأساطير برهمية[٥] .

ويسمّى البوذية الجديدة أو المذهب الشمالي . وهم الذين أعلنوا ألوهية بوذا وأحاطوه بالملائكة والقديسين ، واصطنعوا تقشف اليوجا .. وأصدروا باللغة السنسكريتية مجموعة جديدة من المراسيم المقدسة . وكتبها المقدسة مكتوبة باللغة

---

(١) أديان الهند - ط. خامسة (١٨٣ - ١٨٤) .

(٢) قصة الحضارة (٣ : ١٩٦) .

(٣) انظر : قصة الحضارة (٣ : ١٩٦) ، وأديان الهند - ط. خامسة (١٨٢) ، والموسوعة (١١٠ - ١١١) .

(٤) قصة الحضارة (٣ : ٢٠١) .

(٥) قصة الحضارة (٣ : ١٩٦ - ١٩٧) ، وفصول في أديان الهند (١٤٦) .

السنسكريتية ، وأتباعها أكثر من أتباع المذهب الجنوبي . وتنتشر في الصين واليابان والتبت ونيبال وأندونيسيا ومنغوليا والأرجاء الشمالية من الهند[١] . والبوذية في الصين واليابان تُسمَّى : بوذية زَنْ[٢] .

« والبوذية في الصين بوجه خاص لها طابع يجعلها بعيدة عن البوذية الحقيقية ، فقد صبغها الصينيون بثقافتهم وحياتهم فجعلوا آلهتها ثلاثة وثلاثين على نحو ما كانوا يعملون قبل البوذية »[٣] .

وبوذيو اليابان منقسمون على ما يقارب الستين فرقة[٤] .

وبعض الباحثين يقسم البوذيين إلى قسمين :

١ - البوذيون الدينيون أو المتدينون الذين أخذوا بكل تعاليم بوذا وتوصياته .

٢ - البوذيون المدنيون الذين اختاروا طريقاً وسطاً ، فأخذوا بالأخلاق لكنهم نالوا بعض الملاذ[٥] .

ملاحظة : كشف بعض الباحثين أن السمنية الطائفة التي يرد ذكرها في بعض كتب الفرق الإسلامية[٦] ليست إلا طائفة من البوذية ، ولقبَ جماعةٍ من الروحانيين البوذيين[٧] .

---

(١) انظر : قصة الحضارة (٣ : ١٩٦ - ١٩٧) ، وأديان الهند - ط. خامسة (١٨٢ - ١٨٣) ، والموسوعة (١١٠ - ١١١) .

(٢) الفلسفات الهندية (٣٠٠) .

(٣) أديان الهند - ط. خامسة (١٨٣) .

(٤) الفلسفات الهندية (٣٠١) .

(٥) انظر : الديانات القديمة - أبو زهرة (٦٣ - ٦٤) ، والموسوعة (١٠٩) .

(٦) انظر على سبيل المثال : الفرق بين الفرق (٢٧٠) .

(٧) الفلسفات الهندية (٢٥٥ - ٢٥٦) .

العلاقة بين البوذية والهندوسية :

البوذية التي تعد أحد الاتجاهات الفكرية التي نبعت في القرن السادس قبل الميلاد ، تعتبر في نظر بعض الباحثين ثورةً كبيرة في وجه الهندوسية ، ورد فعلٍ لعسف البراهمة واستبدادهم[١] .

وعلى الرغم من ذلك فقد اقتبست البوذية واستلهمت من الهندوسية بعض الأفكار والمعتقدات ، كالقول بالتناسخ مثلاً[٢] .

إلا أن الصراع بين الديانتين كان واضحاً للعيان رغم التقارب بينهما . فلقد كان براهمة عصر بوذا ينعتونه بالإلحاد . وينعتون العصر الذي ظهر فيه مذهبه بـ: عصر الإلحاد[٣] .

رغم ذلك قام تعايشٌ بين الديانتين ، بل حدث اختلاط وامتزاج في فترةٍ من الفترات ، « وبدأ البوذيون الذين يقوم مذهبهم على عدم الاعتراف بالإله يعترفون بالآلهة الهندوكية ويتقربون إليها ، ... ووضع البوذيون ... تمثال بوذا بين آلهة الهندوس ، ولم يعارض الهندوس »[٤] . بل أصبح بوذا بعد حينٍ إلهاً يعبده البوذيون والبراهمة الذين اعترفوا أيضاً ببوذا إلهاً مجسِّداً للإله فشنو[٥] .

« وبمرور الزمن ذاب تمثال بوذا بين الآلهة (الهندوسية) الكثيرة وذاب أتباع البوذية بين الهندوس ، فلم يعد للبوذية شأن في شبه القارة الهندية »[٦] بعد أن تغلبت

---

(١) أديان الهند – ط. خامسة (١٠٩ / ١٣٧) .

(٢) انظر : معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٤٨٦ / ٤٨٨) .

(٣) أديان الهند – ط. خامسة (٣٦ / ١٥٠ / ١٦٨) .

(٤) أديان الهند – ط. خامسة (١٦٩) .

(٥) انظر : قصة الحضارة (٣ : ٢٠٠) وتاريخ الإسلام في الهند (٥٥) .

(٦) أديان الهند – ط. خامسة (١٦٩) .

الهندوسية تماماً على البوذية في القرن السادس الميلادي . وطردتها من الهند طرداً تامـاً بعدما اضطهدتها[١] .

البوذية ونظام الطبقات الهندوسي :

من أهم المباديء التي نادى بها بوذا : قوله بإلغاء الطبقات ، وكان ذلك داعياً إلى أن يتبعه كثـيرون ممـن انحطـت طبقاتـهم[٢] . وكـان بـوذا يقبـل في طائفتـه « أعضـاء الطوائف جميعاً بغير تفريق » لكنه « لا يهاجم نظام الطبقات مهاجمـة صريحـة » وهـو يدعو كل الطبقات للاتحاد في مذهبه[٣] .

ومما « يُؤخذ على هذا الاتجاه أنه جعل إلغاء نظـام الطبقـات متوقفـاً عـلى دخـول البوذية »[٤] .

لكنْ مع ذلك « لم تسـتطع البوذيـة الصمـود في معركتـها ضـد الهندوسـية حـول موضوع الطبقات ، وغادرت البوذية وطنها ثمناً لهذا الخلاف » .

---

(١) انظر : معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٥٠٢ - ٥٠٣) ، وتاريخ الإسلام في الهند (٥٥) .

(٢) الديانات القديمة (٦٤) وتاريخ الإسلام في الهند (٥٤) وأديان الهند - ط. خامسة (١٤٩ / ١٧٥) .

(٣) قصة الحضارة (٣ : ٨١) .

(٤) أديان الهند - ط. خامسة (١٧٥) .

وفي العصر الحديث افتتنَ بعض الكتّاب الأوروبيين بالبوذية وغالوا في الثناء عليها والإعجاب بأفكارها . يقولُ الأستاذ عباس محمود العقاد[(١)] : « علينا أن نحترس من مغالاة الشراح الأوروبيين بهذه الفلسفة البوذية ، لأنهم يتعصبون لكل منسوبٍ إلى الآرية على اعتبارها عنصر الأوربيين (الأقدمين) والمعاصرين . فقد رفعوها فوق قدرها بلا مراء ، وزعموا أنها " جرأة العقل الكبرى " في مواجهة المشكلة الكونية ، وأنها الخطوة المقتحمة التي لم يذهب وراءها ذو عقيدة في مطاوح التأمل والإقدام » .

ثم يضيف منتقداً مقالتهم : « لكنها لا تحسب من الجرأة العقلية بوصفٍ من الأوصاف ، فما هي إلا جرأةٌ حسية ...... ولا سعادتها القصوى إلاَّ ضيقاً بالحس وهرباً منه إلى الفناء أو " اللاوعي " على أحسن تقدير »[(٢)] .

---

(١) أديب وكاتب ومفكر مصري كبير . عاش بين (١٣٠٦ - ١٣٨٣ هـ) وتوفي بالقاهرة ، من المكثرين كتابة وتصنيفاً . صدر له ثلاثة وثمانون كتاباً في حياته . يتميز بقوة العبارة والتأليف (انظر ترجمته في : الأعلام / ٣ : ٢٦٦) .

(٢) كتاب : « الله » جل جلاله - للعقاد (٦٢) .

سبب نجاح بوذا في نشر مذهبه :

كان الناس يئنون تحت وطأة الطبقية الهندوسية وأحكامها الجائرة ، ومن ثمَّ انضموا إلى دعوته هروباً من تلك القيود[١] . « ثم كان لصفات بوذا الشخصية أثرٌ كبير فيما صادفه من نجاح ، ومن أبرز صفاته عداؤه للتعصب الديني » والتزامه في دعوته بالهدوء ، وبعده عن الحدَّة والغضب والحماسة الانفعالية[٢] .

(١) انظر : تاريخ الإسلام في الهند (٥٢ - ٥٣) .

(٢) أديان الهند - ط. خامسة (١٥٠) .

وفاة بوذا :

توفي سنة ٤٨٠ قبل الميلاد . أو : ٤٨٣ قبل الميلاد ، وهو في عامه الثمانين .

وأحرقت جثته ووزِّع الرماد على ثمان جهات[١] .

(١) انظر : قصة الحضارة (٣ : ٩٠) وأديان الهند - ط. خامسة (١٥٤) وتاريخ الإسلام في الهند (٥٣) .

المبحث الثاني

المنتظر في البوذية

أول تساؤلات هذا المبحث هو : هل في البوذية منتظر ؟

والجواب : نعم .

وثاني تساؤلات هذا المبحث وزبدته هو : مَنْ هو ذلك المنتظر ؟

تقديم : شخصية بوذا عند البوذيين :

يذكر البوذيون عن بوذا أنه اعتُبر عند ولادته « الطفل الذي سينقذ العالم » ونُسب إليه كذلك أنه « سيُخلّص البشر » . وينعتونه بناءً على ذلك بـ" المخلّص " .

" ومخلّص العالم " و " مخلّص الناس " الذي « .. يُخلّص العالم من الخطيئة » .

ويُسمُّونه كذلك " الطفل الإلهي " أو " ابن الله " .

لكنهم كذلك ينعتونه بـ" الرب المالك الأبدي والكائن العظيم الممجد " . و " الواحد الأزلي " . و " إله عظيم " . و " الإله الرحيم " و " إله الرحمة " . و " إله الآلهة ، وإله العالم " . والعارف الرحيم الحكيم .. سيد العالم . رب العالمين .. وإله الجميع .. حافظ العالم ..... والإله ما بين الآلهة .

وبوذا بنظر البوذيين إنسانٌ وإلهٌ معاً .. تجسّد بالناسوت .. ليهدي الناس ويفديهم . ويعبدونه على أنه إله متجسد . مثلث الأقانيم . ويصلون له .

ويعتقدون « أنه قدّم نفسه ذبيحةً ليكفر آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السماوات .. (و) ليخلّص الناس من الشقاء والعذاب »[1] . وهذا « القول

---

(١) العقائد الوثنية (٣٨ / ٥٠ - ٥١ / ٦٣ / ٦٥ / ٨٠ / ١١٢ / ١٣٦ - ١٣٧ / ١٣٩ / ١٤٦) والفلسفات الهندية (١٨٥ / ٢٦٣) والموسوعة (١٠٧ - ١٠٨) .

بالفداء » عام عند البوذيين . ولذلك ينعتون بوذا بأنه " فادي الجميع " . و " منقذ العالم " [١] . ويسمونه كذلك بـ" الممسوح والمسيح " [٢] . وأن حرباً مهولة قامت بينه وبين " أمير الشياطين " . أو " أمير الشر " [٣] .

وفي هذه الفقرة الأخيرة إشارة مهمة للغاية ، فهي تفيد أن البوذيين يسمون بوذا " مسيحاً " ، ثم يذكرون عنه محاربته لأمير الشياطين .

إذن فبوذا هو : مسيح البوذيين . لكن هل هو كذلك : مسيحهم المنتظر ؟ :

كان يسود الهند ... (قبل ظهور بوذا) اعتقادٌ بأن " الحكمة " سوف ترجع إلى الأرض على فترات متباعدة ، وأنه سوف يكتشفها للبشرية شخص مختار يُسمَّى البوذا .

وبناءً على هذا الاعتقاد الهندي ظهر كثيرون من أمثال هذا البوذا[٤] .

و « بوذا نفسه أشار في آخر حياته إلى أنه ليس أول البوذات ولا آخرهم . لذا نرى البوذيين حتى الآن ينتظرون ظهور حكيمٍ من بينهم يأتي ليخلّص ويهدي » [٥] .

والبوذية الجديدة الأسطورية .. جعلت من بوذا إلهاً ، و .. ملأت ..... السماء ببوذوات منتظرة وقديسين من أشباه بوذا[٦] .

---

(١) العقائد الوثنية (٦٢ - ٦٣) والفلسفات الهندية (٢٦٠) .

(٢) العقائد الوثنية (٥٠) و (١٤٦) .

(٣) العقائد الوثنية (٥٧) ومعالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٤٧٩) .

(٤) معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٤٨١) .

(٥) الفلسفات الهندية (٢٣٠) .

(٦) قصة الحضارة (٣ : ١٠٩) .

ينفرد بوذيو التبت بمعتقدهم الخاص حول هذه الفكرة . فالزعامة الروحية في هذا القطر البوذي لـ" الدالاي لاما " (البوذا الحي) ممثل الربّ أو الملك الرب[1] .

يسود في هذا القطر اعتقادٌ بأن أحد الدالايات (دالاي لاما سابق) .. « اختفى في دير بوتالا العظيم الذي يُطل على مدينة لهاسا » (عاصمة التيبت) . هذا الدالاي لاما المختفي « موضع عقيدةٍ عند أهل التبت ... بأنه تجسيدٌ حيٌّ " لبوذا المستقبل " »[2] . أي بوذا المنتظر أو على الأصح : منتظر البوذيين في التيبت .

وهي فكرةٌ تُذكّرنا بفكرة : الإمام الغائب في سرداب سامراء ومهدي الشيعة المنتظر . هنا دير وهاهنا سرداب . وهناك دالاي لاما وهنا إمامٌ معصوم ، وعند أولئك سيصبح بوذا المستقبل ، وعند أولاء سيكون المهدي المنتظر .

لكن هل يمكننا أن نقول : إن فكرة الإمام الغائب في سرداب سامراء ، مهدي المستقبل المنتظر ، الشيعية ، فكرةٌ بوذية الأصل ؟

الجواب : لا يمكننا الجزم بشيءٍ من هذا القبيل[3] .

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٥٠٠) .

(٢) قصة الحضارة (٣ : ٢٠٢) .

(٣) المؤكد أن البوذية دخلت التبت في القرن السابع الميلادي حين دعا ملك التبت طائفة من الرهبان البوذيين من الهند إلى عاصمته " لهاسا " لنشر البوذية في بلاده وبناء آلاف الأديرة (انظر / قصة الحضارة / (٣ : ٢٠١) . لكن المصدر الذي نقلتُ عنه خبر اختفاء الدالاي لاما المنتظر لم يحدد تاريخ اختفائه - وهو نفس المصدر الأخير - .

أما تاريخ دخول البوذية إلى التيبت فهو تاريخٌ سابقٌ لتاريخ اختفاء غائب السرداب بشكل مؤكد ، وبفترة طويلة نسبياً .

والذي يظهر لي أن فكرة الغائب المنتظر فكرة عامة ، تُعتبر قاسماً مشتركاً لدى كثير من الأمم والشعوب المتدينة ، ولعل سبب شيوعها هو شيوع الظلم والعسف والجور الذي زاوله كثير من المتسلطين ضد المتدينين في كثير من الديانات ، مما يدفع هؤلاء إلى الاحتماء - نفسياً - وراء تلك العقيدة التي تعني بالنسبة إليهم تعويضاً عن الاضطهاد والعسف الذي يعانون منه . وعلى هذا لا يلزم أن يكون البوذيون أخذوها عن غيرهم ، ولا أن يكون الشيعة أخذوها عن البوذيين .

ونعود إلى النصوص التي سقناها حول منتظر البوذية لنقول : يتضح لنا من النصوص التي نقلناها فيما سبق أن بوذا هو مسيح البوذية . وأن بوذا نفسه كان منتظراً حتى ظهوره . ثم أفسح المجال بعده لبوذوات آخرين منتظرين . لذا فلا غرو أن ينتظر البوذيون ظهور ذلك الحكيم الذي سَيُنعت أو سيُلقب كما لقب غوتاما بذلك اللقب الفريد (بوذا) .

وفي نصوصٍ أخرى وجدنا أن بوذيي التيبت ينفردون بفكرتهم حول : مَنْ هو المنتظر ؟

وفي مقابل هذا لدينا كذلك نصوصٌ أخرى تُقدِّم فكرةً مغايرةً لِمَا سبق .

تتحدث تلك النصوص عن بوذا كما يتحدث النصارى تماماً عن المسيح ، فيتحدث البوذيون عن موت بوذا وقيامته وصعوده ورجعته المنتظرة ، ونزوله إلى الأرض ، ويتحدثون عن الحرب بين بوذا المخلِّص والشيطان ، ويتحدثون عن بوذا ناشر السلام . في جملة أقوالٍ ونصوص متعددة حين تطالعها لأول وهلةٍ تظن أنك تقرأ عن المسيح (عليه السلام) في المراجع النصرانية .

وقد جذب ذلك التشابه الكبير بعض الباحثين لالتقاط تلك المتشابهات وعرضها في إطارٍ واحدٍ مع أقوال النصارى عن المسيح ، قاصداً بذلك الإيحاء - أو التصريح - بأن البوذية قالت بهذه الأفكار . وأن النصرانية قالت بها كذلك . والبوذية سابقةٌ في الوجود على النصرانية ، فلزم من ذلك - في نظرهم - أن يكون النصارى قد اقتبسوا أو أخذوا تلك الأقوال والأفكار من البوذيين[١] .

---

(١) من هؤلاء الباحثين : الأستاذ محمد طاهر التنير في كتابه (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) الذي خصص الفصل الأخير (الثامن عشر) من كتابه هذا ، لعقد مقارنةٍ بين ما يقوله البوذيون عن بوذا وما يقوله النصارى عن المسيح عليه السلام . فوجد الفريقين يلتقيان التقاءً تاماً أو شبه تام في ثمان وأربعين قضية أكثرها أساسي . وعنه نقل وبكلامه أخذ : الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه : (مقارنات الأديان - الديانات القديمة) حيث نقل فيه أكثر تلك المقارنات بنصها . لكن يخالفهم في توجههم هذا باحثون

=

يتحدث البوذيون في هذه النصوص على الترتيب :

١ – عن صعود بوذا بعد قيامته من قبره إلى السماء . يقولون : لَمَّا مات ثم قام من قبره حياً صعد إلى السماء بجسده بعد أن أتم دعوته وأكمل عمله على الأرض[١] .

٢ – ثم عن رجعته أو عودته بعد ذلك إلى الأرض . حيث تتفاوت نصوصهم في هذه القضية . فنراهم يتحدثون مرةً عن عودته مراراً ، ومرةً عن عودته في آخر الدنيا لإصلاح نظامها بعد اختلاله ، ومرةً عن عودته لحساب الأموات .

يقولون : إن بوذا يظهر مراراً عديدة بالناسوت ليؤهلهم ويعلمهم[٢] . وليست هذه بالقضية التي نبحث عنها هنا . لكنَّ القضية الأهم في هذا المبحث تأتي في النصوص التي تلي هذا النص .

ذلك أنهم يؤمنون برجعة بوذا رجعةً لها هدفٌ غير الهدف الذي ذكروه عند ذكر

= ودارسون آخرون يقررون أن وجود التشابهات بين الديانات في بعض الأمور يَرِد كثيراً . لكنه لا يكفي للجزم بأن تلك الديانة أو ذلك المذهب قد نقل تلك الفكرة من تلك الديانة السابقة أو ذلك المذهب القديم . ولابد من وجود سند تاريخي يؤكد وقوع ذلك عبر الروايات المعتبرة .

والراجح في ذلك عندي أنه لا يمكن الجزم بشيء من هذا القبيل إلا بعد توفر دلائل وقرائن متعددة . أَمَّا السند التاريخي فقد لا نستطيع الحصول عليه لبعد العهد وتباعد المدة بين وقتنا وعصور تلك الديانات الموغلة في البعد . لكنَّ التشابه بل النقل الحرفي هنا من النصرانية عن البوذية ، يرجح كفة أصحاب نظرية اقتباس النصرانية من البوذية .

(١) انظر : العقائد الوثنية (١٣٨) والمسيحية (١٨٦) والموسوعة (١٠٨) .

(٢) انظر : العقائد الوثنية (١٠٦) .

عودته مراراً . بل هي رجعةٌ ثانيةٌ إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها[(١)] . يقولون : « سيعود بوذا إلى الأرض في آخر الزمان ليواصل دعوته ويستعيد مجده ويملأ الأرض سعادةً ونعيماً »[(٢)] .

فهم وإن كانوا يؤمنون – أو بعضهم – بعودته مراراً إلى الأرض . لكنَّ الأهم من ذلك كله أنهم يؤمنون بعودته الأساسية الأخيرة . « وقد جاء ذكر هذا المجيء (الأخير) في كتبهم المقدسة ، وأن المقصود من مجيئه إلى هذا العالم هو إعادة النظام والسعادة إلى هذه الدنيا »[(٣)] .

والنص الذي سقناه قبلاً عن عودته المنتظرة في آخر الزمان ليملأ الأرض نعيماً من الوضوح وبيان هذه الفكرة – فكرة المنتظر – عند البوذيين بمكان . وهو يكشف بجلاء أن منتظر البوذية ومسيحها السابق والمنتظر هو : بوذا . ذلك الراهب المسمَّى : سدهارتا حكيم هذه الديانة ومؤسسها .

أما حديثهم عن عودته مراراً قبل عودته الأخيرة ، فيمكن فهم ذلك على ضوء إيمانهم بالتناسخ والحلول أحياناً ، وانتظار وصول حكيمٍ أو بوذواتٍ آخرين منتظَرين أحياناً أخرى . فمهما تعددت الشخوص فالروح واحدة : هي روح ذلك المعلم القديم . تتناسخ من جسد بوذا إلى جسد بوذا آخر بعده . أو تنتقل فتحلّ – من الحلول – في جسد خليفته ، إن لم يصح – على مذهبهم – القول في حق بوذاهم الأول بالتناسخ ، لأنه بلغ درجة الفناء وخلص من التناسخ الذي لا يقع في حمأته إلاَّ الخطاؤون الذين عجزوا عن تصفيه نفوسهم وتحريرها من الشوائب والعلائق .

أَمَّا ظهوره الأول فهو على قول القائلين منهم بألوهيته : نزولٌ لبوذا (الإله المتجسد) وظهورٌ له على الأرض بالناسوت « لِيُعلِّم الناس ويرشدهم ويفيدهم ويبني لهم طريق السلام »[(٤)] على حد قولهم .

---

(١) انظر : العقائد الوثنية (١٣٨) والموسوعة (١٠٨) .

(٢) المسيحية (١٨٦) .

(٣) العقائد الوثنية (١٠٦) .

(٤) انظر : العقائد الوثنية (٦٢) .

وأَمَّا ظهوره الأخير على قول القائلين بألوهيته : فهو لحساب الناس . يقولون : سيوكل كل حساب الناس إلى بوذا[١] .

« وسيدين بوذا الأموات »[٢] .

وسيكون ظهوره الأول على قول القائلين منهم باعتباره معلماً حكيماً ، هو ظهوره الأول في الهند قبل الميلاد بأكثر من خمسمائة سنة لِبَثٍّ وإعلان ديانته : البوذية .

أَمَّا ظهوره الأخير عند هؤلاء فسيكون في أيامٍ لاحقةٍ من هذه الدنيا حين يختلُّ نظامها ويكثر فيها الفساد ، حيث يظهر من جديد في عودته المنتظرة من أجل إعادة النظام والسعادة إلى هذه الدنيا .

وهي فكرةٌ قريبةٌ للغاية ، بل هي عين فكرة المنتظر ، التي تتحدث عنها الأديان الكتابية إلا قليلاً .

والفرق الذي قد يظهر بين فكرة المنتظر في البوذية وفكرة المنتظر في الأديان الكتابية ، أن فكرة المنتظر في البوذية تخلو من الإشارة بجلاءٍ وإلحاحٍ ووضوح إلى صراعٍ مستقبلي ، بينه وبين قوةٍ مضادة تُمثِّل الشر وتتبناه .

فالمسيح المنتظر عيسى عليه السلام عند المسلمين سيقابل الدجال ويقتله بعد أن يكون قد ملأ العالم فتنةً وفساداً ودماءً وحروباً .

ومسيح النصارى المنتظر هو عيسى عليه السلام أيضاً الذي سيعود إليهم - حسب اعتقادهم - لنصرة ملتهم والقضاء على إمبراطورية الشر العظيمة في حوادث مهولة وملاحم عظيمة .

ومسيح اليهود هو الملك من نسل داود ، ينتظرونه لينصرهم على أعدائهم في سلسلةٍ من الصدامات لا تقل هولاً عما يتحدث عنه النصارى والمسلمون .

---

(١) المسيحية (١٨٦) .

(٢) العقائد الوثنية (١٣٨) .

أما البوذية فإنها تتحدث فحسب عن عودة بوذا المنتظر الذي سيملأ الأرض نعيماً .

نعم . هي حين تتحدث عن عودته لإبعاد شبح الفساد عن الأرض وإعادة النظام إليها بعد اختلاله ، فإنها تشير ضمناً إلى أن هناك تدافعاً سيقع .

لكننا نرى أن البوذية لا تشير إلى ذلك مطلقاً ، ويبدو أنها لا تحبذ ذلك ولا تحبذ الإشارة إليه كذلك ، حتى لو كان من الممكن وجوده ، فالمذهب الخلقي البوذي مذهبٌ سلمي ، حساس المشاعر للغاية ، يمقت الحرب ورؤية الدماء[(١)] .

وتلك الفكرة عن الصراع بين بوذا - الذي سيكون منتظراً - وممثل الشر أو إمبراطور الشر فكرةٌ موجودةٌ في البوذية ، لكنها سابقة . فالصراع قد دار بين بوذا وأمير الشياطين في بدايات بوذا الأولى .

وأتباع بوذا يحكون قصة نزاعه مع « أمير الشر » وما حصل فيه من أهوال[(٢)] .

يقولون : لَمَّا عزم بوذا على السياحة قصد التعبد والتنسك .. ظهر عليه " مارا " - أي الشيطان - كي يجربه . وقال مارا .. لبوذا « لا تسرف حياتك في الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا » . (أي وعده بأن يكون ملك الدنيا كلها خلال سبعة أيام إن ترك التنسك) فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان . بل قال له : « اذهب عني » . ولما ترك مارا .. تجربة بوذا ، أمطرت السماء زهراً وطيباً ملأ الهواء طيب عرفه . وصام بوذا وقتاً طويلاً[(٣)] . (كالشكر على تغلُّبه على الشيطان) .

---

(١) انظر : الفلسفات الهندية (٢٨٦) وفيه أن بوذا كان ضد الحروب ، والدم البشري عنده أغلى من أي شيء مادي .

(٢) معالم تاريخ الإنسانية (٢ : ٤٧٩) .

(٣) العقائد الوثنية (١٣٦) .

ونجد تفاصيل أوسع ووضوحاً أكثر في صياغةٍ أخرى تقول : إن الشيطان عرض لبوذا حين عزم على بث دعوته بين الناس .

يقولون : عندما كان بوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهر لـه الشيطان .... ليحاول تضليله . قال مارا (الشيطان) لبوذا : ابتعد عن الدعوة الدينية وتصبح إمبراطور العالم »[١] . أو « بمدة سبعة أيام تصير الحاكم على أربع قارات » .

فأجابه بوذا : « انتبه يا مارا (أي يا أمير الشياطين) أنا عالمٌ أني بمدة سبعة أيام أربح الكون كله ، لكنني لا أود ملكاً كهذا لأن التمسك بالدين خير من مُلْك العالم ، أنت تفكر بالشهوات الشريرة ، تروم إجباري على ترك الناس بغير مرشد حتى لا يكونوا في مأمن من دهائك ، فاذهب عني » [٢] .

ويبدو أن الشيطان أو أمير الشياطين لم يترك بوذا لشأنه ، بل اصطدم به حسب ما يظهر من رواياتهم أو فقل : تصويرهم ، لحربٍ قامت بين الاثنين يذكرون تفاصيلها المهولة على النحو التالي .

يقولون : « لَمَّا ابتدأ الحرب ما بين بوذا - مخلِّص العالم - وأمير الشياطين ، سقطت ألوف من النيازك الهائلة وامتد الظلام وتكاثف الغيم ، حتى إن هذه الدنيا ببحارها وجبالها اهتزت كأنها نفسٌ تشعر ، وهاجت البحار من شدة الزلازل ، وعادت مياه الأنهار إلى ينابيعها ، ودكت رؤوس الجبال بما عليها من الأشجار التي عُمِّرتْ أجيالاً ، واشتد هدير العواصف في كل مكان ، وكان صوت الانصدام هائلاً واحتجبت الشمس بظلامٍ مدلهم ، ومليء الفضاء أرواحاً متهدرة »[٣] .

وبعد أن انتصر بوذا على مارا أمطرت السماء زهوراً وعبقَ الهواء بعبيرٍ طيب ، وصام بوذا فترة طويلة[٤] .

---

(١) المسيحية (١٨٤ - ١٨٥) .
(٢) العقائد الوثنية (٩٣ - ٩٤) .
(٣) العقائد الوثنية (٥٧) .
(٤) المسيحية (١٨٥) .

فهي « الملاحم البوذية » حسب روايتهم وتفصيلهم لها - إن صح التعبير - .

فكيف يوردها البوذيون هنا في بدايات بوذا ؟

من المحتمل أن تكون تلك الملحمة المهولة مما سيقع لبوذا عند عودته المنتظرة لاحقاً في محاولةٍ منه لإعادة النظام والنعيم إلى الدنيا – على حسب ما يذكر البوذيون – ، وحينذاك سيصطدم بأمير الشياطين الذي يحاول إغراءه وإغوائه ومنعه من تحقيق هدفه ، ثم تندلع الحرب بينهما حين يمتنع بوذا عن قبول إغراءات الشيطان .

أقول : ربما كان ذلك مما سيقع لبوذا في عودته الأخيرة ، وأن المقصود ببث دعوته أي استئنافها لا البدء بها ، وهو ما حدث مسبقاً .

لكنْ لا توجد إشارةٌ بوذيةٌ واحدةٌ تُشجع على هذا الاحتمال أو تقوِّيه . ولربما لم يُول البوذيون هذه القضية اهتمامهم الكافي . وانشغلوا عنها بتأكيد عودته المنتظرة فحسب دون سرد بقية التفاصيل .

ثم وردت بعض صور تلك التفاصيل بعيدةً عن مواقعها ، مبتورةً من سياق نصوصها ، فأوحت بهذا التصور .

ولربما كان قولهم بعودته لإعادة النظام يتضمن بداهةً – بالنسبة لهم – الصدام مع قوىً مضادة كانت سبباً في اختلال ذلك النظام .

وبعد هذا الانتصار يكونْ بوذا - بنظر البوذيين - " رئيس العـالم " .. " ورجـاء الأُمم وناشر السلام " الذي .. " يحكم العالم " ، « وينتفع منه كل ذي جسـد ، وهـو القادر على تخليص الناس من بحار الشقاء والأحزان »[1] .

وهـي صـورةٌ طبـق الأصـل للـذي يذكـره المسـلمون والنصـارى واليـهود ، عَمَّـا سيكون عليه الكون بعد الملحمة العظمى .

---

(١) انظر : العقائد الوثنية (٦٤) .

الباب الثاني

المسيح المنتظر عند اليهود

الباب الثاني

المسيح المنتظر عند اليهود

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول :

- **التمهيد** : في التعريف باليهودية ، وفيه أربعة مباحث :
  - **المبحث الأول** : عرض تاريخي موجز للديانة اليهودية ، وفيه ثلاثة مطالب :
    - المطلب الأول : لفظ يهود في اللغة والنسب .
    - المطلب الثاني : أنبياء بني إسرائيل .
    - المطلب الثالث : التاريخ السياسي لبني إسرائيل .
  - **المبحث الثاني** : مصادر اليهود المقدسة ، وفيه ثلاثة مطالب :
    - المطلب الأول : التوراة .
    - المطلب الثاني : العهد القديم .
    - المطلب الثالث : التلمود .
  - **المبحث الثالث** : أهم عقائد اليهود ، وفيه ثلاثة مطالب :

- **الفصل الثالث** : عن نهاية المسيح المنتظر في الفكر اليهودي ، وفيه ثلاثة مباحث :
  - **المبحث الأول** : مدة المنتظر .
  - **المبحث الثاني** : نهاية المنتظر .
  - **المبحث الثالث** : ما بعد المنتظر .
- **الفصل الرابع** : مناقشة ونقد ، وفيه خمسة مباحث :
  - **المبحث الأول** : قضية الوعد بأرض الميعاد .
  - **المبحث الثاني** : مناقشة المقولات اليهودية حول نبي الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .
  - **المبحث الثالث** : مناقشة معتقدهم في نهاية المسيح عيسى عليه السلام .
  - **المبحث الرابع** : بين مسيحٍ ومسيح .
    « بين المسيح الحق عيسى عليه السلام ، ومسيح الضلالة الدجال لعنه الله » .
  - **المبحث الخامس** : البشارة بالنبي محمد ﷺ في أسفار العهد القديم .

التمهيد

في التعريف باليهودية

التمهيد

في التعريف باليهودية

تقديم :

ليس مرادنا أن نؤرخ للديانة اليهودية . فهذه الديانة القديمة الكتابية ديانة قريبة المأخذ . كتبها ورجالها متوافرون منذ بدايتها ، وكتابها الرئيس مطبوع متداولٌ بالكثير من اللغات العالمية ، وأحبارها ألفوا ويؤلفون فيها وفي التعريف بها الكتب تلو الكتب ، والدراسات النقدية المقارنة تعتورها من كل جانب بحيث لم تترك لقائلٍ فيها قولاً من كثرة ما كتب فيها .

ومن قبل هذا كله ومن بعده ، حدثنا القرآن الكريم عن هذه الديانة وأهلها وطغيانهم وكفرهم بالله وتكذيبهم أنبيائه ، وحذرنا من مسلكهم ومصيرهم .

لم يكن ذلك الحديث قصصاً يُتلى فحسب ، بل عظة لكل مدكرٍ معتبر أن لا يقع في خطيئة أولئك الأوغاد أو يقارب ، وتأتي الآيات القرآنية تترى تذكر مسالكهم الشنيعة والعواقب الوخيمة لذلك عليهم محذرةً بلسان المقال أمة محمد ﷺ من أن يحذو حذوهم .

وكل مرادنا في هذا التمهيد أن نقدّم عرضاً موجزاً في التعريف بهذه الديانة كالمدخل لدراسة موضوع المنتظر عند أرباب هذه النحلة السقيمة .

ويتضمن هذا التمهيد المباحث التالية :

المبحث الأول : عرض تاريخي موجز للديانة اليهودية . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : لفظ يهود في اللغة والنسب . يشمل التعريف اللغوي والنسب وسبب التسمية . ومن هم اليهود ؟ .

المطلب الثاني : أنبياء بني إسرائيل .

المطلب الثالث : التاريخ السياسي لبني إسرائيل .

المبحث الثاني : مصادر اليهود المقدسة . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التوراة .

المطلب الثاني : العهد القديم وأسفاره .

المطلب الثالث : التلمود .

المبحث الثالث : أهم عقائد اليهود . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معتقد اليهود في الله - سبحانه وتعالى - .

المطلب الثاني : موقفهم من أنبياء الله عليهم السلام .

المطلب الثالث : عقيدتهم في اليوم الآخر .

المبحث الرابع : أشهر فرق اليهود .

وبالله نستعين وعليه نتوكل .

المبحث الأول

عرض تاريخي موجز للديانة اليهودية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : لفظ يهود في اللغة والنسب

١ – التعريف اللغوي : هاد يَهُودُ هَوْداً : تاب ورجع إلى الحق . والتهوّد التوبة والعمل الصالح . قال تعالى : ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[١] .

ثم اختص به اليهود فأصبح يطلق فيقال : هاد وتهوّد ، إذا صار يهودياً .

ويقال الهُود : أي اليهود قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا ﴾[٢] . والتهويد أن يصير الإنسان يهودياً[٣] .

٢ – في النسب : يُسمَّى اليهود ببني إسرائيل . وقد جاءت تسميتهم بذلك في مواضع كثيرة من القرآن . نُسبوا إلى أبيهم في النسب نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ويعقوب هو إسرائيل . وعن أبنائه الأسباط الاثنى عشر تفرَّع بنو إسرائيل . لكن ليس كل اليهود من بني إسرائيل . فقد دخل في اليهودية من ليس من ذرية إسرائيل . وإنما بنو إسرائيل هم الأصل في هذه الملة[٤] .

---

(١) سورة الأعراف – جزء من الآية رقم (١٥٦) .

(٢) سورة البقرة – جزء من الآية رقم (١٣٥) .

(٣) انظر : الصحاح للجوهري (٢ : ٥٥٧ – ٥٥٨) ط . ثالثة / ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

(٤) لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان – صديق حسن خان (١١١) طبعة دار الكتب العلمية – بيروت / ط. أولى / ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

وأما تسميتهم باليهود ، فقد قيل إنه نسبةٌ إلى أحد الأسباط الاثني عشر يهوذا بن يعقوب (إسرائيل)[(١)] . ودخل معهم بنو إخوته الأحد عشر إلحاقاً على ما هو المعتاد في أحوال النسب . وقد نُسب تصحيح ذلك إلى البيروني في كتابه " الآثار الباقية عن القرون الخالية " ولم أعثر عليه بعد طول تصفح[(٢)] . وأما نسبة اليهود إلى سام بن نوح عليه السلام مباشرةً ، ونعتهم بالساميين فهي حديثة العهد اقترحها لغوي ألماني سنة ١٧٨١ م[(٣)] .

٣ - سبب التسمية : سمي اليهود عبريين أو عبرانيين ، وسموا بني إسرائيل ، وسموا يهوداً . فلم سموا بذلك ؟ .

الجواب : سُمُّوا عبريين والواحد عبري ، من عبر المكان أي اجتازه لكثرة ترحالهم سموا بذلك . وعبري على ذلك تعني " بدوي " ، واحد البدو الرحل / وقيل : نسبةً لعابر أحد أجداد إبراهيم عليه السلام / وقيل : نسبةً لعبور إبراهيم عليه السلام نهر الفرات وقدومه من بلده في العراق إلى فلسطين / أو لعبور موسى البحر ببني إسرائيل .

وسُمُّوا بني إسرائيل نسبةً إلى جدهم يعقوب نبي الله عليه السلام المسمى بإسرائيل.

وسُمُّوا يهوداً لأنهم تابوا ورجعوا إلى الحق اشتقاقاً من المعنى اللغوي / أو نسبةً إلى اسم الإله الرب عندهم ، وهو " يهوه " / أو لأنهم كانوا يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويتمايلون / أو نسبة إلى يهوذا بن يعقوب أحد الأسباط الاثني عشر وأشهرهم[(٤)] .

---

(١) البرهان للسكسكي (٨٩) .

(٢) نسب له ذلك : صديق حسن خان في لقطة العجلان (١١١) . وقد أيد هذا القول واحتج له شيخنا وأستاذنا الأستاذ الدكتور محمود مزروعة في كتابه : دراسات في اليهودية (٤٩ - ٥٠) ط. أولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م / دار الطباعة المحمدية - القاهرة .

(٣) أبحاث في الفكر اليهودي - د. حسن ظاظا (١٠٣) دار القلم - دمشق / ط. أولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(٤) انظر : دراسات في اليهودية ، د. محمود مزروعة (٤٧ - ٥٢) ، والشخصية الإسرائيلية - د. حسن ظاظا (١٤ / ١٧ / ٢٣ - ٢٨) ، ط. ثانية / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م / دار القلم - دمشق . واليهودية - د. عرفان عبد الحميد (٢٢) ط. أولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، دار عمار - عمان .

٤ - مَنْ هم اليهود ؟ . والجواب : هم كما قال الشهرستاني : أمة موسى عليه السلام ، وكتابهم التوراة[١] .

أو : هم كل معتنق للديانة اليهودية ، لكن اليهود خلال تاريخ عزلتهم الطويل جعلوا من اليهودية ديانةً مغلقة . وزعموا حديثاً أنهم جميعاً رهط الآباء الأقدمين - إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام - من نسل إسرائيل (يعقوب) .

وكذَّبت ذلك بعض الدراسات التاريخية الحديثة التي أكدت أن اثنين وتسعين بالمئة (٩٢ ٪) من يهود العصر الحاضر ليسوا من بني إسرائيل المتقدمين ، لكنهم من نسل يهود الخزر ذوي الأصول الآسيوية التركية ، ومن يهود الخزر تناسل يهود أوروبا الشرقية وبعض يهود أوروبا الغربية . ومنها هاجروا إلى أمريكا وفلسطين[٢] .

---

(١) الملل والنحل (٢١١) .

(٢) يهود اليوم ليسوا يهوداً - بنيامين فريدمان - ترجمة : زهدي الفاتح (١١ - ١٩ / ٤٥) دار النفائس - بيروت / ط. ثانية / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

وانظر كذلك : أبحاث في الفكر اليهودي - د. حسن ظاظا (١٠٤) .

المطلب الثاني : أنبياء بني إسرائيل

ربما جاز لنا أن نقول : إن أول نبيٍ في بني إسرائيل هو إسرائيل نفسه (يعقوب عليه السلام) ثم ابنه يوسف عليه السلام .

أما أول نبي بعث إلى بني إسرائيل بالشريعة الموسوية والتوراة المنزلة من عند الله (قبل تحريفها) فهو موسى بن عمران عليه السلام ، وشدَّ الله أزره بأخيه هارون عليه السلام ، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام في كتابه المحكم التنزيل ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾ إلى قول تعالى ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾[1] .

ثم غبر الزمان بعد وفاة النبيين الكريمين عليهما السلام ، وكان بعدئذٍ أشهر الأنبياء فيهم داود ثم ابنه سليمان عليهما السلام ، قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ﴾ وقال في آيةٍ بعدها ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ﴾[2] ، وفي الآية الأخرى ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[3] .

ثم كان من أنبيائهم بعدئذٍ النبيان الكريمان : إلياس ، واليَسَع ، ذكرهما الله في القرآن الكريم فقال ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[4] ، ويسميه اليهود : " الياهو " ومعناه : يهوه هو ربي .

---

(١) سورة طه - الآيات (٢٥ - ٣٦) .

(٢) سورة ص - جزء من الآية رقم (١٧) . وجزء من الآية رقم (٣٠) .

(٣) سورة النمل - جزء من الآية رقم (١٦) .

(٤) سورة الصافات - الآية رقم (١٢٣) .

وأما اليَسَع ففي قوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ ﴾[١] . ويسميه اليهود : " أليشع " ، ويقولون : إنه تلميذ إلياس وخليفته ، وأنهما كانا في عهد إنقسام المملكة بعد سليمان عليه السلام[٢] .

ثم كان بعد ذلك النبيان الكريمان : زكريا ويحيى عليهما السلام . قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٣] .

ثم بعث الله نبيه عيسى عليه السلام .

ويذكر اليهود عدداً من أنبيائهم لا نجد ذكر أسمائهم في القرآن الكريم ، لكننا لا نملك أن نقول : إنهم ليسوا من الأنبياء .

فقد بعث الله سبحانه وتعالى العدد الكبير من الأنبياء إلى هذه الأمة الضالة ، ذكر الله أسماء بعضهم وأخبارهم في القرآن ، وذكر خبرَ بعضهم في القرآن دون ذكر الاسم ، كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ ﴾[٤] . وطالوت هو الذي ملك بني إسرائيل قبل داود عليه السلام .

و لم يذكر في القرآن اسم ذلك النبي الذي تملَّك عليهم في عصره طالوت .

ولربما كان بعض أنبيائهم ممن لم يرد ذكره في القرآن ، لأن الله سبحانه وتعالى قال مخاطباً نبيه محمداً عليه السلام ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ

---

(١) سورة ص – جزء من الآية رقم (٤٨) .

(٢) انظر : السامريون واليهود – د. سيد فرج راشد (٣٨) / ط : بدون/ دار المريخ، الرياض/ ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م .

(٣) سورة الأنعام – الآية (٨٥) .

(٤) سورة البقرة – جزء من الآية رقم (٢٤٧) .

وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ إلى أن قـــال ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ﴾[١] .

وممن يذكره بنو إسرائيل من أولئك : أرمياء وأشعياء وحَزْقيال ودانيال وصموئيل (شمويل) ، على جميع أنبياء الله أفضل الصلاة والسلام .

ودانيال ورد ذكره في بعض الآثار عن الصحابة أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنهم وجدوا جثمان دانيال النبي فحفروا له قبراً ودفنوه خفية تحت ماء النهر بليلٍ حتى لا يعبده الناس . وذلك أنهم رأوا أهل البلاد يستسقون به إذا أقحطوا ، والخبر مشهور[٢] .

(١) سورة النساء - الآيتان (١٦٣ - ١٦٤) .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٤ : ٩٢ - ٩٣) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / دار سويدان - بيروت / ط. وتاريخ : بدون .

المطلب الثالث : التاريخ السياسي لبني إسرائيل

بعث الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام إلى قومه ، وكان مستقر إبراهيم في آخر مطافه بفلسطين حيث بلد الخليل اليوم . وخَلَّف إبراهيم عليه السلام ابنه نبي الله إسماعيل عليه السلام مِنْ هاجر بمكة ، وابنه الثاني إسحاق عليه السلام مِنْ سارة بفلسطين . وجاء من بعد إسحاق ابنه يعقوب عليهما السلام . ويعقوب هو إسرائيل، ومنه مبتدى تاريخ هذه الأمة . وبعد يعقوب كان ابنه نبي الله يوسف عليه السلام ، ومنه ومن إخوته الأحد عشر تناسل أسباط بني إسرائيل . وحصل ليوسف عليه السلام من المحنة ما حصل ، واستقر بمصر أخيراً ، وجلب إليه أباه يعقوب عليهما السلام وباقي إخوته ، وهناك استقر بنو إسرائيل وتناسلوا وعاشوا فترة طويلة من الزمن بعد يوسف[1] . واستذلهم فراعنة مصر آخر الأمر يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، فأراد الله بهم خيراً حين أنشأ بينهم موسى بن عمران عليه السلام ، وبعثه منهم نبياً إليهم ، قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾[2] . ثم دعاهم نبيُّهم موسى عليه السلام إلى الخروج من مصر إلى سيناء فطاوعوه على الخروج ، ولحق بهم فرعون وجنوده فنجاهم الله بآيةٍ من عنده وغرق فرعون وقومه

---

(١) تقدر فترة إقامة بني إسرائيل في مصر بما يقارب الأربعمائة سنة وثلاثين سنة (سفر الخروج/ ١٢ : ٤٠) ويرفض ابن حزم هذا الرقم بشدة ، ويقول : " الصحيح الذي يُخرَّج على نصوص كتبهم : أن مدة بني إسرائيل مذ دخل " يعقوب " وبنوه مصر إلى أن خرجوا منها مع " موسى " عليه السلام ، لم تكن إلا مائتي عام وسبعة عشر عاماً ، فهذه كذبة في مائتي عام وثلاثة عشر عاماً ، ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت في أنها موضوعة مبدلة من حمار في جهله ، أو مستخفٍ سخر بهم ولابد " (الفصل / ١ : ٢٥٣) .

(٢) سورة القصص - الآيتان رقم (٥ - ٦) .

في البحر . قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾[1] .

لكن هاهم بعد أن نجاهم الله ومنَّ عليهم ينكلون جبناً عن دخول الأرض المقدسة ويأبون التقدم للجهاد كما أمرهم الله بذلك . وحينئذٍ يعاقبهم الله بالتيه في بريّة سيناء . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2] .

---

(١) سورة الشعراء - الآيات (٦٣ - ٦٦) .

(٢) سورة المائدة - الآيات (٢٠ - ٢٦) .

ثم سرعان ما يعودون إلى الشرك والوثنية بعبادتهم للعجل الذي صنعه لهم السامري قال تعالى : ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾[١] . ويموت هارون عليه السلام ، ثم يموت موسى عليه السلام في التيه[٢] . ويخلفه فيهم فتاه المذكور في القرآن ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾[٣] يوشع بن نون عليه السلام الذي فتح الله لهم على يديه الأرض المباركة .

واستقر بنو إسرائيل بعدها في فلسطين بعد أن انتصروا على أهلها من الكنعانيين وغيرهم .

ويموت يوشع ويدفن قرب شكيم (نابلس) ، ويعقبه عصر عرف " بعهد القضاة " . ويحكي سيرة هذا العهد سفر القضاة وأسفار أخرى من أسفار العهد القديم[٤] .

---

(١) سورة طه - الآيات (٨٧ - ٨٨) .

(٢) في سفر التثنية من العهد القديم : أن موسى عليه السلام توفي على جبل نبو في شرق الأردن (أرض مؤاب) (تثنية / ٣٤ : ١ - ٥) وكان ذلك حسب تقدير بعض الباحثين حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م (السامريون واليهود / ٩١) .

(٣) سورة الكهف - جزء من الآية رقم (٦٠) ، وانظر تفسير هذه الآية وقصة يوشع بن نون عليه السلام فتى موسى عليه السلام مع موسى عليه السلام في صحيح البخاري (٩٩١ - ٩٩٥) طبعة دار السلام / كتاب التفسير - الأحاديث رقم (٤٧٢٥ - ٤٧٢٦ - ٤٧٢٧) .

وانظر كذلك فصل : نبوة يوشع وقيامه بأعباء بني إسرائيل بعد موسى وهارون عند ابن كثير في : البداية والنهاية (١ : ٣١٩) .

(٤) وقد صنع البيروني سجلاً استخرجه من التوراة وأسفار العهد القديم ساق فيه على الترتيب أسماء المدبرين والولاة والكهنة والقضاة من خروج بني إسرائيل مع موسى من مصر إلى عهد داود وسليمان عليهما السلام إلى دانيال إلى ولادة المسيح عيسى عليه السلام (الآثار الباقية / ٧٥ - ٧٨) . وانظر كذلك : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم لمحمد عزة دروزة (١٢١ - ١٢٢) طبعة المكتبة العصرية - صيدا / ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

ومن ولاة ذلك العهد : شمشون الجبار الذي ينسبون إليه القصص الخيالية في القوة وشدة البأس . وقد أقام قاضياً في بني إسرائيل مدة عشرين سنة ، حتى قتله الفلسطينيون بغزة في قصة أسطورية[١] .

وفي هذا العهد رجع بنو إسرائيل القهقرى وأوغلوا في الوثنية والشرك وعبدوا " بعل " إله الكنعانيين وزوجته " عشتروت "[٢] . بينما كانت الحروب بينهم وبين الفلسطينيين قائمةً على قدمٍ وساق وبين مدٍ وجزر ، وفي تلك الفترة أخذ الفلسطينيون منهم التابوت فترة من الزمن قدرتها الأسفار بسبعة أشهر[٣] .

واستمر حالهم على ذلك حتى عهد صموئيل آخر القضاة ، وإليه ينسب سفرا صموئيل الأول والثاني من العهد القديم .

ودعاهم صموئيل إلى التوبة ونبذ عبادة الأوثان ، وفي عهده بعث الله إليهم طالوت ملكاً ، ويسمونه " شاول بن قيس " من سبط بنيامين[٤] .

وبه انقضى عهد القضاة وبدأ عهد الملوك في بني إسرائيل .

---

(١) سفر القضاة ، الإصحاحات (١٣ - ١٦) .

(٢) سفر صموئيل الأول (٧ : ٣ - ٤) .

(٣) سفر صموئيل الأول (٦ : ١) والتابوت يسمونه : تابوت الله أو تابوت الرب (صموئيل الأول / ٦ : ١ - ٢) وتابوت عهد الرب (التثنية / ٣١ : ٩) والتابوت قيل هو : صندوق التوراة . كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون (الكشاف للزمخشري / ١ : ٣٧٩ / طبعة دار المعرفة - بيروت / طبعة وتاريخ : بدون) . قيل : كان فيه اللوحان وعصا موسى ، وحين ضيعوا أمر الله وكثر اختلافهم على أنبيائهم سلبهم الله إياه مرة بعد مرة حتى سلبهم إياه آخر مرة فلم يرده عليهم (تفسير الطبري / تحقيق أحمد ومحمود محمد شاكر/ ٥ : ٣١٧ - ٣١٩ / ط. ثانية / دار المعارف بمصر / تاريخ : بدون) .

(٤) سفر صموئيل الأول (٩ : ١ - ٢) .

وقصة طالوت واختيار نبي بني إسرائيل له ملكاً بعد طلبهم ذلك من نبيهم - دون تسميةٍ لذلك النبي - وردت بتفصيلٍ في آياتٍ من سورة البقـرة في كتـاب الله الكريـم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[١] .

وبدأ بهم طالوت أو شاول كمـا يسـمونه عـهداً جديـداً ، وقـاتل بـهم أعدائـهم فنصره الله على أولئك الأعداء نصراً مظفراً كما بينت ذلك الآيات الكريمات .

وكـان مـن جنـده داود عليـه السـلام ، وهـو الـذي قتـل جـالوت (أو جليـات الفلسطيني حسب تعبير الأسفار) ، وصار داود من قواد جيش طالوت ثم افترقا .

ولقي طالوت الفلسـطينيين في معركـةٍ فقتـل[٢] . ومنـح الله الملـك لـداود ، قـال تعـالى : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[٣] أي الملـك والنبوة ، واجتمعت منـذ ذلـك اليـوم السـلطة الدينيـة والمدنيـة - كمـا يقولـون - في شخص داود عليه السلام .

كان عصر داود عليه السلام لبني إسرائيل العصر الذهبي ، عصر السيادة والقـوة ، وتذكر الأسفار أنه مَلَك وهو ابن ثلاثين سنة ، وأنه أقام أول أمـره سـبع سـنين ملكـاً على بعض بني إسرائيل وبعضهم الآخر تملَّك عليهم بعض أبناء طـالوت . ثـم اجتمـع عليه بنوا إسرائيل ملكاً عليهم كلهم من أورشليم - القدس - ثلاثاً وثلاثين سنة[٤] .

وكان عهده رحمةً علـى بـني إسـرائيل ، وزمـن انتصـارات كبـيرة ، فقـد دان لـه الفلسطينيون .

---

(١) سورة البقرة - الآيات (٢٤٦ - ٢٥١) :

(٢) سفر صموئيل الأول - الإصحاحان (١٧ / ٣١) .

(٣) سورة البقرة - جزء من الآية رقم (٢٥١) .

(٤) سفر صموئيل الثاني (٥ : ٤ - ٥) .

وأخذ الجزية من ملوك دمشق الآراميين ، وأخذها من المؤابيين والأدوميين ، ومن ملك حماة[١] . واستولى على عاصمة ملك بني عمون وجميع مدن مملكتهم[٢] .

وأراد داود عليه السلام أن يبني بيتاً - هيكلاً - للرب في أورشليم - القدس - لكنه لم يتمكن ، فوصّى ابنه وخليفته من بعده سليمان عليه السلام أن يبنيه[٣] .

وبين أسفار العهد القديم : سفر المزامير الذي ينسبونه إلى داود عليه السلام ، وفيه مئة وخمسون إصحاحاً . وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم المحفوظ من التحريف : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾[٤] . سماه الله زبوراً ، لكننا نعتقد جزماً أن التحريف لحق به كما لحق بتوراة موسى وإنجيل عيسى عليهما السلام .

وتوفي داود عليه السلام في أورشليم بعد أربعين عاماً من الملك وقيادة بني إسرائيل ، وخلفه بوصيةٍ منه ابنه نبي الله سليمان عليه السلام ، وتزعم الأسفار في حديثها عن بداية ملكه أنه صاهر فرعون ملك مصر - تزوج بابنته -[٥] .

وكان عهده عهد الاستقرار والازدهار ، ولم يبلغ بنو إسرائيل مبلغاً في العز والمنعة والرخاء والاستقرار كالذي بلغوه أيام مملكة نبي الله سليمان عليه السلام .

وفي السنة الرابعة من ملكه - حسب الأسفار - بدأ ببناء الهيكل أو بيت الرب على هضبةٍ فوق جبل موريا .

---

(١) سفر صموئيل الثاني - الإصحاح (٨) .

(٢) سفر صموئيل الثاني (١٢ : ٢٦ / ٣١) ويذكر محمد عزة دروزة أن عاصمة ملك بني عمّون هي : مدينة عمان عاصمة الأردن حالياً (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم / ١٤٩) .

(٣) سفر صموئيل الثاني - الإصحاح (٧) ، وسفر أخبار الأيام الأول - الإصحاح (٢٢) .

(٤) سورة النساء - جزء من الآية رقم (١٦٣) .

(٥) سفر الملوك الأول (٣ : ١) .

ويزعم اليهود اليوم أن حائط الهيكل أو جداره الغربي لا يزال باقياً إلى اليوم . وهو المعروف بحائط البراق ، ويسميه اليهود : حائط المبكى[1] ، ويقفون أمامه اليوم للصلاة والبكاء وتلاوة التوراة ، ويضعون في شقوقه الرقاع والاستغاثات .

وتقول أسفارهم إن سليمان عليه السلام انتهى من بناء هذا الهيكل خلال سبع سنوات ، في السنة الحادية عشرة من ملكه ، وأنفق على بنائه نفقات عظيمة ، ووضع فيه تابوت العهد ، وصاغ هياكله وتماثيله وأوعيته ومفتاحه من الذهب ، وغشّى أبوابه وحيطانه بالذهب ، قيل : إن عدد من شارك في بنائه من العمال يُقدَّر بمئة وخمسين ألف عامل على مدى السبع سنوات .

لقد كان على ما يبدو معبداً ذهبياً وهيكلاً ضخماً بمقاييس ذلك العصر .

ثم تذكر الأسفار أن سليمان عليه السلام بنى بجوار الهيكل قصراً له ، وأتمه في ثلاث عشرة سنة ، وكان أكبر من الهيكل عدة مرات[2] .

وبعد ملكٍ دام أربعين عاماً توفي سليمان بأورشليم وبها دفن ، وخلفه في ملك بني إسرائيل ابنه " رَحُبْعَام " ، وبدأ ببداية عهد ابنه : عهد انقسام المملكة[3] .

ومما ينسبه اليهود إلى سليمان من أسفار العهد القديم : (٣ أسفار) سفر الأمثال وفيه واحد وثلاثون إصحاحاً ، وسفر الجامعة وفيه اثنا عشر إصحاحاً ، وسفر نشيد الإنشاد وفيه ثمانية إصحاحات .

---

(١) حائط البراق ، (أو حائط المبكى كما يسميه اليهود ، أو الجدار الغربي للهيكل كما يزعم اليهود) ، يقف عنده أحبار اليهود وربيُّوهم للدعاء والصلاة والترنم بتلاوة الأسفار . يزعمون أنه يشكل الجدار الغربي المتبقي من هيكل سليمان ، ومن هنا يكتسب قدسيته وأهميته عندهم .
ونظراً لوجود المسجد الأقصى في نفس الموقع الذي يظنون أن هيكلهم كان فيه ، ووجود الحائط (الذي يسمونه : حائط المبكى) ضمن أسوار المسجد الأقصى ، فقد أدى هذا باليهود إلى اعتقاد أنه لا يمكنهم ممارسة عباداتهم إلا بعد هدم المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل في مكانه ، لذا فهم يصلون عند هذا الحائط الغربي ، لأنه أثر من آثار الهيكل - بزعمهم - ، بعد انعدام الهيكل الذي كانوا يتعبدون فيه .
عن الهيكل وحائط المبكى ، انظر : الصهيونية العالمية وأرض الميعاد - علي إمام عطية (٨٨) ط. أولى - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م - دار ومطابع الشعب / وأبحاث في الفكر اليهودي - د. حسن ظاظا (٣٧ - ٣٨) .

(٢) انظر : سفر الملوك الأول - إصحاح (٦) ولقطة العجلان (١٨٦) وقصة الحضارة (٢ : ٣٣٤ - ٣٣٦) وأبحاث في الفكر اليهودي - د. حسن ظاظا (٢٢) و (٤٦) وما بعدها .

(٣) سفر الملوك الأول (١١ : ٤٢ - ٤٣) .

أما العهد الجديد : عهد انقسام المملكة ، فقد استفتحه بنو إسرائيل بالانقسام إلى مملكة جنوبية اسمها " مملكة يهوذا " وعاصمتها " أورشليم " وملكها " رَحُبْعَام بن سليمان " ، ومملكة شمالية اسمها " مملكة إسرائيل " أو : " إفرايم " ، وعاصمتها " شكيم " (نابلس حالياً) ، وملكها " يَرُبْعَام " أحد قادة اليهود المتمردين على سليمان عليه السلام في حياته ، والهارب منه إلى مصر أثناء ملكه ، ثم العائد إلى فلسطين بعد موت سليمان ليقود حركة انشقاق المملكة ضد ابنه (أي : ابن سليمان) . وانقسم الأسباط الاثني عشر بين المملكتين ، سبطا يهوذا وبنيامين انحازوا لابن سليمان ، وبقية الأسباط العشرة انحازوا ليربعام ، وأصبح الهيكل وأورشليم قبلةً لبعض اليهود فقط . أما الآخرون فقد أصبحت مدينة السامرة (سبسطية حالياً) وبيت إيل (بيتين حالياً) البديل عندهم[١] .

وتولى مُلْك دولة يهوذا تسعة عشر ملكاً من نسل سليمان عليه السلام ، من الأب إلى الابن إلى ابنه . وقد عمِّرت هذه الدولة إلى سنة ٥٨٦ ق.م. حتى سقطت على يد الملك الكلداني البابلي نبوخذ نصر (بختنصر) الذي قتل آخر ملوكها : صدقيا بن يواقيم ، ونهب أورشليم ودمرها وسبى أهلها إلى بابل وأقام عليها والياً من قبله . وهو الخراب الأول للهيكل الذي دمر آنذاك ، وبقي المسبيون من أبناء هذه المملكة في العراق ما بين الخمسين والسبعين عاماً .

أما دولة إسرائيل (أو مملكة السامرة) فقد تولى عليها كذلك تسعة عشر ملكاً من أسرٍ مختلفة . وعمِّرت إلى سنة ٧٢٠ ق.م. وسقطت على يد سرجون الثاني ملك آشور . وكان سقوط السامرة بيد الآشوريين قبل سقوط أورشليم بيد خلفائهم البابليين الكلدانيين بمئة وخمسة وثلاثين عاماً على وجه التقريب إلى مئة وخمسين عاماً. وبقي المنفيون من يهود السامرة في المنفى قرابة المئتي عام[٢] .

---

(١) انظر : سفر الملوك الأول (الإصحاحان / ١١ - ١٢) وما بعدها . وانظر كذلك : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم (١٧٦) و : السامريون واليهود (٦ / ٩ / ٣٧) .

(٢) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم (١٧٧ - ١٨٠) و : السامريون واليهود (٥٢ - ٥٣ / ٥٨ / ٦٥) ، وأبحاث في الفكر اليهودي - د. حسن ظاظا (٣٢ - ٣٣) .

وعندما استولى الإمبراطور الفارسي كورش على العراق وأسقط دولة البابليين سمح لليهود بالعودة إلى بلادهم ، وبعد العودة بدأ اليهود في إعادة بناء الهيكل ، لكنهم منعوا أبناء السامرة (أبناء المملكة الشمالية وأبناء القبائل العشرة) من الاشتراك معهم في بنائه لشكهم في نسبهم نظراً لاغترابهم الطويل في المنفى واختلاطهم بالآشوريين والبابليين ، وسموهم : أبناء القبائل العشرة الضائعة ، وأنكروا نسبتهم إلى الأسباط[١] .

وعندما فتح الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق.م الممالك الشرقية خضعت له فلسطين كغيرها من المناطق . وقد تسامح الاسكندر مع اليهود وترك لهم حرية التعبير . وتمتع اليهود بمثل ذلك التسامح في عهد خلفائه البطالسة . وتأثر فريق من اليهود لاسيما من رحلوا إلى مصر بالثقافة الإغريقية اليونانية ، ونشأت في الإسكندرية مدرسة يهودية جمعت بين الدين والفلسفة وقامت بترجمة التوراة إلى اليونانية .

ثم زادت نسبة ذلك التأثر حتى أصبحت القدس ما بين (١٧٥ - ١٧٢ ق.م) توصف بأنها " مدينة يونانية خالصة في نظمها التربوية والثقافية " .

ثم انقلب ذلك التأثر إلى ردة شملت عدداً كبيراً من اليهود المتأثرين بالثقافة اليونانية الغازية . وعمد اليهود المرتدون إلى اضطهاد اليهود المحافظين وفرضت عقوبة الموت على من يلتزم بالسبت والختان ، ويحرم أكل الخنزير ، وأحرقت الكتب المقدسة وصار امتلاكها جريمة كبرى وحوِّل الهيكل إلى معبد وثني للإله زيوس رأس الآلهة الإغريقية[٢] . وحدثت ثورات متعددة لليهود المحافظين ضد هذا الغزو الفكري .

وخلف الرومان اليونان في حكم ممالكهم الشرقية ، واستمرت ثورات اليهود .

---

(١) أبحاث في الفكر اليهودي (٣٣) والسامريون واليهود (٥٣ - ٦٠) .

(٢) اليهودية - عرض تاريخي / د. عرفان عبد الحميد (٤٧ - ٥٠) .

وبظهور المسيح عليه السلام انقسم اليهود إلى جماعتين : فريق أيده ، واعتقد أنه المسيح المنتظر ، وفريق عارضه . وحدث ما حدث له من الكيد والأذى على أيدي أحبار الهيكل من أولئك اليهود المعارضين المعاندين .

واستمرت مشاكل اليهود مع مستعمريهم من الرومان . وفي سنة ٧٠ م قرر الامبراطور الروماني فسبازيان وضع حدٍ لذلك ، فأرسل ابنه تيتوس على رأس جيش جرار قام بتخريب أورشليم (القدس) وأحرق الهيكل وبنى مكانه معبداً وثنياً لـ" جوبيتر " كبير آلهة الرومان . وقتل كثيراً من اليهود في مذبحة عظيمة ، وأجلي الباقون من اليهود ، وهو ما يعرف تاريخياً بالسبي الثاني أو " مرحلة الشتات والتيه " (الدياسبورا) التي ظلوا فيها قرابة الألفي عام حتى قيام دولتهم المعاصرة .

ويعرف ذلك أيضاً : بالخراب الثاني للهيكل ، بعد خمسة قرون من بنائه على يد العائدين من السبي البابلي[١] . وبتدمير الهيكل انتهت الدولة اليهودية ، وبدأت مرحلة الشتات .

وتفرق اليهود أيدي سبأ في كل أنحاء المعمورة بعد هذه الضربة القاضية ، وإن كان قد بقي منهم بقية في فلسطين بعد تدمير القدس رضيت بالحكم الروماني أو استسلمت له ، لكن كثيراً منهم غادر فلسطين إلى أنحاء الشام والشمال الغربي لجزيرة العرب وأوروبا وفارس وآسية الصغرى (تركيا حالياً) والحبشة ومصر[٢] .

وأقام الرومان معبد جوبيتر مكان الهيكل ، وسموا المدينة " إيليا كابيتولينا " بدلاً من " أورشليم " ومنعوا اليهود من دخولها . ثم سمحوا لهم بعد ذلك بدخولها والوقوف للعبادة عند الجدار الغربي للهيكل (سابقاً) أو ما يُسمَّى بـ" حائط المبكى ". أما السكنى فقد ظل محظوراً عليهم سكنى المدينة عدة قرون .

---

(١) قصة الحضارة (٢ : ٣٨٤) وأبحاث في الفكر اليهودي (٣٦ - ٣٧ / ٥٣) واليهودية - د. عرفان عبد الحميد (٥٢ - ٥٣) .

(٢) قصة الحضارة (١٤ : ٧ - ٩) .

وأعاد الرومان تسمية تلك البلاد بـ" فلسطين " ، وألغوا الاسم اليهودي " مملكة يهوذا " .

وبعد دخول أباطرة الرومان في الديانة النصرانية ، أصبحت القدس العاصمة الدينية للنصرانية ، وتعرض اليهود في أنحاء الامبراطورية الرومانية للمزيد من التضييق نظراً لاعتقاد النصارى أن اليهود هم الذين قتلوا عيسى عليه السلام[1] .

لكن لم يكن الوضع مجرد اضطهاد نصراني روماني لليهود ، بل كان عنفاً متبادلاً بين أتباع الديانتين ، فلقد كان لليهود أيضاً عمليات إنتقامية غاية في البشاعة ضحاياها من بين أولئك النصارى التابعين للإمبراطورية الرومانية .

ففي إحدى الجولات العسكرية بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية استولى الفرس على الشام وأسروا الكثير من النصارى الرومانيين ، وباعوهم لليهود الذين بادروا إلى شراء ما يقارب التسعين ألف أسير ، ثم قاموا بذبحهم جميعاً في عملية إنتقامية بشعة .

والمثال الثاني في اليمن التي اعتنق بعض ملوكها اليهودية ودعا أهل بلده إليها بعد تأثره عن طريق اثنين من أحبار يثرب ، وفي نجران كانت النصرانية قد سبقت اليهودية في الوصول إليها ، وحين رفض نصارى نجران عرض ملكهم اليهودي اليمني (ذو نواس الحميري) أمر بحفر أخدودٍ لهم رمي فيه كل من رفض اعتناق اليهودية . وكان ذلك في أوائل القرن السادس الميلادي تقريباً . وقد أشارت إلى ذلك سورة البروج ، قال تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾[2] .

وأدت تلك المذبحة إلى الغزو الحبشي لليمن ، فقد كان ملوك الحبشة نصارى[3] .

---

(١) اليهودية – د. عرفان عبد الحميد (٥٦) وأبحاث في الفكر اليهودي (٣٧) .

(٢) سورة البروج – الآيات (٤ – ٥ – ٦ – ٧) وما بعدها .

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم (٣٩٢ – ٣٩٥) .

وبُعث محمد ﷺ ، وهاجر من مكـة إلى المدينـة في أوائـل القـرن السـابع الميـلادي وعاداه يهود يثرب وخيبر ، وكادوه وكفروا به ، وأنكروا نبوته والبشارة به في كتبهم حسداً وبغياً ، فقاتلهم ﷺ وأجلاهم عن جزيرة العرب .

وبقي مَنْ بقــي مِـنَ اليـهود أهـل ذمـةٍ في ظـل الدولـة الإسـلامية يدفعـون الجزيـة وينعمون بالهدوء والأمان ، ويكيـدون في كثـيرٍ مـن الأحيـان لهـذه الملـة وأهلـها سـراً وعلانية .

أما في أوروبا وفي عصورها الوسطى بالتحديد ، فقــد تعـرض اليـهود لجملـةٍ مـن الاضطهادات المتعاقبة تأثراً بالمعتقد النصراني أن اليهود هم قتلة المسيح ، إضافة إلى مـا كان يمارسه اليهود من أدوارٍ تخريبية في كل البلدان التي سـكنوها لعـدم وجـود انتمـاء وطني منهم لها (فهم أغراب عنها) ولوجــود إنفصـام ديـني بينـهم وبـين مضيفيـهم ، بالإضافة إلى ما كانت تحثهم عليه كتبهم مـن كراهيـةٍ وعنـف وإنفصـال . وقـد جـرَّ ذلك عليهم الكثير من المشاكل[1] .

لكن كان لهم في خضم هذا الشتات في تلك القرون الوسيطة بوارق أمل مـهدت لاستعادة أمجادهم ، منها :

---

(١) فقد تعرضوا للاضطهاد في انجلترا وأعدم كثير من تجارهم وصودرت الكثير من أملاكهم بسبب إغراقـهم الناس بالديون الربوية وفوائدها (قصة الحضارة / ١٤ : ٦٥) وتعرضـوا لمثـل ذلـك في فرنسـا وألمانيـا . وخلال مئتي عام من العصور الوسطى تعرضوا لسلسلة من الاضطهادات في كل أنحاء أوروبا ما بين عامي (١٠٩٥ - ١٣٠٦ م) انظر (قصة الحضارة / ١٤ : ٧٩ - ٩٤ / ١٠٧) و (٢٦ : ١٤٣ / ١٦١). وتعرضوا لمثل ذلك في البرازيل سنة ١٦٥٤ م . وأمريكا كذلك سنة ١٨٥٠ م حتى إنه تم تشكيل جمعية رسمية في نيويورك اسمها : الجمعية الأمريكية من أجـل كبـت اليـهود ، وخصصـت إذاعـة كاملـة لمهاجمة اليـهود ، وتعـرض اليـهود آنـذاك لـلأذى . انظـر كتـاب : نيويـورك ... - للدكتـور هشـام الحديـدي (١٨٢ - ١٨٥) ط. أولى / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م / الدار المصرية اللبنانية - القاهرة .

١ - إعادة بناء المملكة اليهودية لا في فلسطين ، بل في بلاد الخزر . فقد دخلت فلسطين تحت سيادة الدولة الإسلامية الفتية ، وأصبح من المحال بناء الدولة اليهودية هناك ، واستعاض اليهود[١] عن ذلك ببناء دولتهم الخزرية الجديدة : مملكة الخزر (شمال بحر قزوين) التي أصبحت من أعظم الدول الأوروبية حتى القرن العاشر الميلادي على مساحةٍ تقدر بثمانمائة ألف ميل مربع . لكن إمارة موسكو الروسية الصاعدة بدأت في قضم هذه المملكة وابتلاعها عبر ثلاثة قرون (الحادي عشر والثاني والثالث عشر الميلادية)[٢] .

٢ - في القرون الثلاثة (١٠ - ١١ - ١٢ م) كان ليهود الأندلس نفوذ واضح وحظوة عند ملوك الطوائف المسلمين الذين استعانوا بهم في الوظائف

(١) اليهود الذين أنشأوا هذه الدولة ليسوا يهوداً من نسل بني إسرائيل ، بل هم من أصول خزرية اعتنقوا اليهودية سنة ٧٢٠ م ، وإليهم ترجع أصول أكثر اليهود المعاصرين (بنيامين فريدمان / ٤٥) .

(٢) يهود اليوم ليسوا يهوداً - بنيامين فريدمان (٤٠) . وطالع إن شئت حول قوة هذه الدولة وعظمتها في تلك العصور واضطهادها لبعض الدول والشعوب الإسلامية المجاورة لها : رسالة الفقيه أحمد بن فضلان رسول المقتدر الخليفة العباسي سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١ م) إلى ملك الصقالبة البلغار - غرب الأورال حالياً فيما يُسمَّى حالياً بتتاريا وعاصمتها قازان ضمن أراضي الاتحاد الروسي - .

فإنه يذكر أن ملك الصقالبة البلغار المسلم اشتكى له من أن الخزر اليهود قد استعبدوه . وأن ابن ملك الصقالبة محبوسٌ رهينةً عند ملك الخزر اليهودي . وأن ملك الخزر اليهودي بلغه جمال ابنة ملك الصقالبة المسلم . فبعث يطلبها حتى أخذها غصباً « وهو يهودي ، وهي مسلمة ، فماتت عنده » كما يقول . وأن ملك الصقالبة لأجل ذلك راسل الخليفة المقتدر العباسي ببغداد ليبعث إليه بمالٍ ليبني حصناً لـه خوفاً من ملك الخزر .

طالع (رسالة ابن فضلان / تحقيق د. سامي الدهان / (١١٩ / ١٤٥ / ١٦٩ - ١٧٢) / مكتبة الثقافة العالمية - بيروت / ط. ثانية / ١٩٨٧ م) .

وعن ابن فضلان نقل ياقوت في معجم البلدان . وفيه مما نقله عن ابن فضلان مما ليس في النسخة المحققة المذكورة آنفاً : أن ملك الخزر يهودي ، وخاصته وحاشيته من اليهود ، أما أهل بلده ففيهم يهودٌ كثير ، غير أن أكثرهم من المسلمين والنصارى . قال : « فيها خلقٌ كثيرٌ من المسلمين ، يقال : إنهم يزيدون على عشرة آلاف مسلم ولهم نحو ثلاثين مسجداً » . وأن ملك الخزر اليهودي بلغه سنة ٣١٠ هـ أن المسلمين هدموا كنيسةً ببلادهم . فهدم منارة مسجدٍ عنده وقتل المؤذنين . (طالع : معجم البلدان / لياقوت الحموي / ٢ : ٣٦٧ - ٣٦٩ / طبعة دار الفكر ودار صادر - بيروت / طبعة وتاريخ : بدون) .

الرفيعة في الدولة . وفي إحدى السنوات أصبح أحدهم وزير دولة غرناطة (بمثابة رئيس وزراء) سنة ١٠٢٧ م ، بينما كان يمارس الحاخامية لبني ملته ويدرسهم التلمود في وقت فراغه ، وأصبح نصف سكان غرناطة في عهده يهوداً . وتوفي هانيء البال عام ١٠٥٥ م ، ليخلفه ابنه في الوزارة ، ولذلك وصف ذلك العصر بأنه : العصر الذهبي ليهود أسبانيا (بالقياس إلى ما تعرضوا له لاحقاً على يد محاكم التفتيش الأسبانية النصرانية) . ولا يحق لنا بعدئذٍ معشر المسلمين أن نعجب لسقوط الأندلس وإخراج المسلمين منها بعد أن وصلت عقلية ملوك الطوائف إلى مثل تلك الدرجة المتدنية المتخلفة من الوعي السياسي والحنكة الإدارية ، حتى وكلوا أمر الأمة إلى أعدائها[(١)] .

ولم يكن ذلك الوضع قاصراً على دول الأندلس الإسلامية ، بل لقد كان للفيلسوف والطبيب اليهودي الأندلسي الأصل موسى بن ميمون (١١٣٥ - ١٢٠٤ م) من النفوذ في دولة صلاح الدين الأيوبي المشرقية الكثير ، فقد كان الطبيب الخاص لابنه ، ثم لوزيره " القاضي الفاضل " المشهور كذلك ، وكان موسى هذا آنذاك زعيم اليهود في القاهرة ومن كبار أحبارهم وفلاسفتهم ، وكان اليهود يقولون فيه : « لم يظهر رجلٌ كموسى من أيام موسى (عليه السلام) إلى موسى (هذا) » .

وهو الذي أقنع صلاح الدين بالسماح ليهود أوروبا المضطهدين بالهجرة إلى فلسطين - التاريخ يعيد نفسه - ، واقتنع السلطان ، ووصل أولئك من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا يتقدمهم ثلاثمائة حبر يهودي عام ١٢١١ م .

---

(١) انظر : قصة الحضارة (١٤ : ٥٢ - ٥٤) ، والنصيحة بعد ذلك موصولةٌ لنا نحن مسلمي العصر الحاضر أن لا نبلغ ذلك المبلغ المنحط من الوعي حتى لا يقع لنا ما وقع لسابقينا ، وأن نعتبر بأولئك المتقدمين علينا قبل أن يعتبر مَنْ بعدنا بنا .

وكان على رأس مستقبليهم السلطان العادل - أخو صلاح الدين - الذي استقبلهم استقبالاً حسناً[(١)] .

٣ - وكما كان لشتاتهم وتفرقهم في الأرض شذر مذر سلبياتٍ ، فقد كان لذلك أيضاً إيجابياتٍ طوّرها اليهود ، حتى صار لهم بها في عصرنا الحاضر نفوذٌ قوي.

كان في شتاتهم وتفرقهم في أصقاع الأرض تنويعٌ لمناطق وجودهم ، فإن تمكنوا بعدئذٍ من الحصول على النفوذ السياسي في تلك البلدان جمعوا بين الحسنيين ، وفي تلك الأحقاب الموغلة في التاريخ حصل اليهود على ميزةٍ من هذا الشتات لم تحصل لغيرهم من الشعوب . فأينما ذهب اليهودي التائه أو المخرِّب أو الجاسوس أو التاجر ، وجد في كل مدينةٍ من مدن العالم حيّاً يهودياً ، أو : (غيتو) ، أو طائفةً يهودية ، أو نفوذاً يهودياً .

وبمزج هذه العناصر بنى اليهود قدرتهم العالمية المعاصرة الفائقة في عالمي السياسة والاقتصاد ، وأوهموا العالم أنهم يحكمونه .

وبدأت نعرة الصراع مع الله - التوراتية المنشأ - تظهر فيما يُسرِّبونه من مخططات . زعموا أنهم يُسيِّرون بها العالم منذ قرون ، فلا تقع صغيرة فيه ولا كبيرة إلا وهم مقدِّروها والمخططون لها . وصدَّق ذلك المغترون ضعفاء الإيمان ممن لم تتمكن من قلوبهم العقيدة الصافية التي تُقرر أن الله سبحانه وتعالى هو رب هذا الكون ومالكه والمتصرف فيه وحده . عقيدة التوحيد ، التي تؤمن بالله رباً وإلهاً لهذا الكون ، ويتفرع عنها الإيمان بقضاء الله وقدره ، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه ، وأن العباد لو اجتمعوا على منفعة عبد أو مضرته لم ينفعوه أو يضروه إلا بشيءٍ قد كتبه الله له أو عليه .

---

(١) قصة الحضارة (١٤ : ٤١ / ٩٠ - ٩١ / ١٢٠ - ١٢٢) .

ويمكننا أن نوجز إيجابيات هذا الشتات بالنسبة لليهود في العناصر التالية ، وكل عنصر من هذه العناصر يؤدي دوره المؤثر في العنصر التالي له :

١ - تعزيز الإنتماء الديني : فقد أصبحت التوراة والتلمود لهم زمن الشتات وطناً يحملونه معهم ، ودولة روحية ضمت شملهم رغم تشتتهم ، دوَّنت لهم كل لحظات تاريخ مجدهم الزائل ، والدين عند اليهود هو مصدر شريعتهم ودولتهم وآمالهم ، وظل التلمود في مرحلة الشتات أساس التربية اليهودية وجوهرها حتى قيل : إن الشاب منهم ينكبُّ على تلاوته وحفظه وتعلمه سبع ساعات كل يوم على مدى سبع سنين(١) .

وفي شتاتهم كانوا يتوقون إلى فلسطين ويرونها المثل الأعلى لجميع البلدان ، ويقولون : « إن من يمشي أربع أذرعٍ في فلسطين يعيش بلا ريب إلى أبد الآبدين ، ومن يعش في فلسطين يُطهَّر من الذنوب » و « حديثُ (أي كلام) مَنْ يسكنون فلسطين في حد ذاته توراة » .

وفي يوم عيد الفصح يجتمع اليهود في كل مكان في العالم حول الأمل الذي تشبثوا به فأبقى عليهم وسط المحن ويرددون « سنكون في العام القادم في فلسطين »(٢).

٢ - التماسك الاجتماعي : فقد أصبحت الأسرة بعد زوال مملكتهم بديلاً للسلطة ، والغيتو بديلاً للدولة . وكان هذا التماسك عاملاً مهماً من عوامل البقاء ومقاومة عوامل الفناء والذوبان ، ولهذا التماسك أساس في " الوصايا العشر التوراتية " . وقد هيأ لهم ذلك نظاماً اجتماعياً في مرحلة الشتات بلغ من القوة حداً يقارب قوة ونفوذ الدولة .

وظهر أثر ذلك التعصب القومي والاجتماعي في وضع اليهود في أنحاء العالم في عصرنا الحاضر . وما الهجرات المنظمة التي مولتها البنوك اليهودية في أمريكا ليهود

---

(١) قصة الحضارة (٢ : ٣٨٤) (١١ : ١٧٠) (١٤ : ٣٩ - ٤٠) .

(٢) قصة الحضارة (١٤ : ٢٢) (٢٦ : ١٦١) .

أوروبا الشرقية إلى أمريكا[١] أواخر القرن الثامن عشر الميلادي إلا مثالاً ناصع البيان على ذلك . ومثلها هجرة يهود روسيا إلى فلسطين بالأمس القريب .

٣ - النفوذ الاقتصادي : كانت التوراة تحثهم على أن يُقرضوا ولا يقترضوا . لذلك كثر رجال الأعمال والمرابون بالربا الفاحش جداً بينهم . وفي مَهَاجِرِهم وضمن حملات الاضطهاد التي كانت تقوم بين الفينة والأخرى ضدهم ، حُرموا من امتلاك الأراضي الزراعية ، ومنعوا من التجنيد وحمل السلاح ، فاشتغلوا داخل المدن بالتجارة والصناعة ، ووجههم ذلك إلى العمل السهل : مبادلة النقد (الصرافة) وإقراض المال بالربا (البنوك في صورتها الحديثة) . وتمكنوا من جراء ذلك من تجميع ثروات هائلة استطاعوا بها شراء العقارات وتمويل الصناعات . ثم تمويل الدول والحكومات . ثم تمويل الحروب بين تلك الدول . وكان رأسمالهم السائل الضخم ومعرفتهم بلغات العالم (بسبب انتشارهم الجغرافي) واتصالاتهم الدولية عن طريق أقربائهم المنتشرين في كل مكان سبباً في تحقيقهم لمركزٍ عال في التجارة الدولية[٢] .

وانتقلت تركة ذلك النفوذ إلى العصر الحاضر الذي حققوا فيه أكثر مما كانوا يحلمون به . وكانت " نيويورك " عاصمة المال العالمية هي فاتحة عصرهم الذهبي الحاضر .

ولذلك توصف " نيويورك " بأنها " مدينة اليهود " . وكان يهود أوروبا فيما سبق يطلقون على أمريكا " بلاد اليهود " . وحين وجد اليهود الفرصة في نيويورك عظيمة وواعدة بعد استيطانهم لها . قال بعضهم : إن الولايات المتحدة هي أرض الميعاد التي تحدث عنها الأنبياء ، وبأن نيويورك هي القدس الجديدة ، ولذلك أصبحت

---

(١) ومن نسل أولئك خرج من أمسك بكثير من مقاليد الحكم في أعظم دول العالم مثل : الدكتور هنري كيسنجر اليهودي ذي الأصل الألماني ووزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية أيام ريتشارد نيكسون .
ومثل وزيرة خارجية أمريكا السابقة : مادلين أولبرايت ذات الأصل اليهودي الأوروبي الشرقي .

(٢) قصة الحضارة (٢ : ٣٨٠ - ٣٨١) (١٤ : ٦٠ - ٦٣) (٢٦ : ١٦٣) .

نيويورك أعظم مركزٍ لتجمع اليهود في العالم . ويقال : إن معظم أراضي المدينة مِلْكٌ لهم[١] .

٤ - النفوذ السياسي وتعدده بتعدد مواقع الانتشار الجغرافي : كان يوجد في ألمانيا يهودٌ قبل ميلاد المسيح عليه السلام . وكان في انجلترا يهودٌ عام (٦٩١ م) [القرن الهجري الأول] لهم علاقات قوية بملوكها لأنهم كانوا يُمدونهم برؤوس الأموال . ولم يكونوا يخضعون للسلطات المحلية ، بل كان مرجعهم الملوك أنفسهم . وكان عدد اليهود في انجلترا في القرن الثاني عشر الميلادي ربع واحدٍ في المئة من السكان ، لكنهم كانوا يؤدون ثمانية بالمئة (٨ ٪) من الضرائب العامة . ودفعوا ربع تكاليف حرب رتشارد الأول ملك انجلترا الصليبية .

وخذ مثالاً أكثر غرابةً في تعدد مواقع الانتشار الجغرافي ، فقد كان في سيلان (سيريلانكا) عام ١١٦٥ م ثلاثة وعشرون ألف يهودي[٢] .

وما تعرضوا له من قيود واضطهادٍ علَّمهم الدهاء والخداع والدبلوماسية . خذ مثالاً على ذلك في قصتهم مع ملك قشتالة (في أسبانيا) الذي منعهم من لبس الحرير فألبسوه نساءهم ، فحين سألهم عن ذلك قالوا : إن الشهامة الملكية لم تكن تقصد أن يطبق هذا القيد على النساء[٣] .

وكان من نتيجة ذلك ما حققوه من نفوذ سياسي واضح في كثير من دول العالم ، وعلى رأسها أمريكا التي يتمركز فيها اللوبي اليهودي ومنظماته القوية[٤] .

---

(١) اليهودي العالمي - هنري فورد - تعريب : خيري حماد (٢٠ / ٢١ / ٥٦ / ١٥١) منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت / ط. وتاريخ : بدون . و : نيويورك ... - للدكتور هشام الحديدي (٢٦) .

(٢) قصة الحضارة (١٤ : ٤٦ / ٤٨ - ٤٩ / ٥٨ - ٥٩) .

(٣) قصة الحضارة (١٤ : ٦٧ - ٦٨) .

(٤) في مطلع القرن الميلادي كان في نيويورك منظمة كهيلا نيويورك إحدى منظمات اللوبي اليهودي في أمريكا - وتسمى اليوم المؤتمر اليهودي العالمي - وقد وصفت آنذاك بأنها : القوة المركزية والحكومة الداخلية . وحكومة داخل حكومة في قلب أعظم المدن الأمريكية وأقواها سياسياً . وهي أقوى وأضخم اتحاد لليهود في العالم . وقلب السلطان اليهودي العالمي . انظر (اليهودي العالمي / هنري فورد / ١٠٨ - ١٠٩ / ١١٣) .

أما محاولاتهم الجادة للعودة من رحلة الشتات القسرية هذه إلى فلسطين فمتعددة. وكانت كالتمهيد للمحاولة الأخيرة الحاضرة التي نجحت .

ففي سنة ١١٦٣ م (منتصف القرن السادس الهجري) قام متمرد يهودي يدعى : داود الرائي يدعي أنه المسيح المنتظر . وحاول الاستيلاء على فلسطين وطرد المسلمين منها وإعلان دولة يهودية فيها . وكان ذلك أثناء الحروب الصليبية وانطلقت ثورته في كردستان وأذربيجان ، ثم قضي عليه[١] .

وفي سنة ١٢١١ م وصل ثلاثمائة حبر يهودي إلى فلسطين هاربين من الاضطهاد في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا . واستقبلهم السلطان العادل - أخو صلاح الدين الأيوبي - استقبالاً حسناً[٢] . كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

وفي سنة ١٥٢٤ م وصل يهودي عربي اسمه داود روبيني (أو : الرأُوبيني) إلى الفاتيكان واستقبله البابا كليمنت السابع في احتفال ضخم ، وطلب من البابا مساعدة اليهود لطرد المسلمين من فلسطين ، ثم غادر إلى البرتغال واستقبله ملكها . واعتقد اليهود فيه أنه المخلِّص ، لكن محكمة التفتيش الأسبانية سجنته حتى مات سنة ١٥٣٦ م . وفشلت الخطة .

الجدير بالذكر أن الرأوبيني هذا ولد في خيبر سنة ١٤٩٠ م . وبدأ دعوته بأنه المطالب الشرعي بعرش اليهود في خيبر[٣] .

وفي سنة ١٥٥٦ م سمح السلطان العثماني سليمان القانوني لليهود الهاربين من جحيم محاكم التفتيش الأسبانية بالإقامة في فلسطين ، وسلانيك[٤] (القريبة من اسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية) حتى أصبحوا أكثر سكانها ، والقاهرة وفاس .

---

(١) إسرائيل ركيزة الاستعمار والعدوان بين المسلمين / د. حسن ظاظا (٥٣) ط. أولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م / دار القلم - دمشق .

(٢) قصة الحضارة (١٤ : ٤١ / ٩٠ - ٩١) .

(٣) قصة الحضارة (٢٦ : ١٦٦ - ١٦٧) وإسرائيل - د. حسن ظاظا (٥٤) .

(٤) وفيما بعد كان ليهود سلانيك (يهود الدونمة) اليد الطولى في القضاء على الدولة العثمانية التي آوتهم وحمتهم .

وحينئذٍ حاول يعقوب بيراب أشهر علماء التلمود في زمانه - المقيم بفاس - أن يُنشيء في فلسطين جمعيةً تكون بمثابة هيئةٍ عليا تتولى الحكم بين جميع اليهود ، ولم يتم له ما أراد[1] .

وفي القرن السادس عشر الميلادي وصل إلى اسطنبول هارباً من أسبانيا ثري يهودي يدعى : يوسف النسيء ، وأقام في قصرٍ فاخر بضواحي استانبول . وكان صديقاً لطبيب السلطان العثماني الذي كان يهودياً مثله يدعى : موشيه هامون ، وذا نفوذ واسع في الدولة . ومن هنا بدأت العلاقة بين الباب العالي وهذا التاجر اليهودي.

كان هذا التاجر وعائلته يسارعون إلى دعم خزينة الباب العالي في أوقات الأزمات . وأكسبه ذلك مكانة وحظوة عند السلاطين العثمانيين . وكانوا يرسلونه سفيراً لهم إلى ملوك أوروبا .

طلب هذا التاجر اليهودي من السلطان العثماني أن يعطيه إقليم طبرية بفلسطين منحةً خاصة ليكون ملجأً قومياً لليهود ، ووافق السلطان ، وأعطاه إقليم طبرية ومجموعة من جزر إرخبيل بحر إيجة القريب من اسطنبول زيادةً على ذلك . وأنعم عليه بلقب : أمير .

وفيما بعد حصل التاجر اليهودي المذكور على فرمان من الباب العالي يُحرِّم على المسلمين الإقامة في الجزر التابعة له . ووعده السلطان بعد ذلك أن يعينه حاكماً لقبرص بعد فتحها .

وأقام يوسف المذكور عدداً من المشروعات الزراعية والعمرانية في طبرية ، وشجع أعداداً ضخمة جداً من يهود أوروبا على الهجرة إلى فلسطين . لكن الطاعون والملاريا قضت على أنجح محاولة قديمة . وكانت كفيلةً بتأجيل الزحف اليهودي ثلاثة قرون[2] .

---

(١) قصة الحضارة (٢٦ : ١٥٨ - ١٦١) .

(٢) إسرائيل - د. حسن ظاظا (٥٥ - ٥٩) .

وفي سنة ١٨٩٧ م بدأ هذا الزحف من جديد بالإعلان عن ظهور : الحركة الصهيونية الحديثة وقيام المنظمة الصهيونية العالمية في المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرا تحت رعاية زعيم الحركة الصهيونية الحديثة : ثيودور هرتزل صاحب كتاب: " الدولة اليهودية "[(١)] .

وتزامن هذا مع إنشاء منظمة (باركوخبا) أول منظمة صهيونية ليهود مصر (تأسست عام ١٨٩٧ م)[(٢)] .

ثم تدفقت الهجرة اليهودية على فلسطين ، وعرض بعض اليهود ثم هرتزل على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عرضاً مادياً مغرياً مقابل التنازل عن فلسطين . لكن السلطان رفض بشدة[(٣)] .

وفيما بعد طرد جمال باشا السفاح والي الشام أحد عشر ألف يهودي من فلسطين ، فاستقبلهم السلطان حسين كامل (١٩١٤ - ١٩١٧ م) في مصر ، وأمر بإيوائهم وصرف معونةٍ يومية لكل فردٍ منهم ، وتبرع لهم بقطعة أرضٍ حكومية ليبنوا عليها مستشفىً افتتحوه عام ١٩٢٦ م[(٤)] .

ونشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ م - ١٩١٨ م) .

وحاولت ألمانيا أن تتعهد لليهود بمنحهم وطناً قومياً في فلسطين[(٥)] .

---

(١) المنظمة الصهيونية العالمية - د. أسعد عبد الرحمن (٣٠ - ٣٥) ط. ثانية / ١٩٩٠ م / المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت .

(٢) اليهود والماسون في مصر - دراسة تاريخية - د. علي شلش (٤٦) ط. أولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م / الزهراء للإعلام العربي - القاهرة .

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد (٦٥) تحقيق : محمد حرب / دار الوثائق - الكويت / ط. ثانية / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، و : أسرار الانقلاب العثماني (٤٨) كتبه بالتركية : مصطفى طوران - ترجمة : كمال خوجة / دار السلام - القاهرة / ط. رابعة / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(٤) اليهود والماسون في مصر (٦٢) .

(٥) اليهودي العالمي (١٤٩) .

لكنَّ اليهود فضلوا عليها انجلترا وصدر وعد وزير الخارجية البريطاني اللورد بلفور بمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين عام ١٩١٧ م . وسقطت فلسطين آنذاك تحت الاحتلال البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى التي اشتركت فيها الدولة التركية إلى جانب ألمانيا ضد بريطانيا .

وسقطت الخلافة العثمانية نهائياً سنة ١٩٢٢ م . وكان ليهود الدونمة (يهود سلانيك) دورٌ كبير في إسقاطها جزاء ما أسدته لهم من خدمات وإحسان .

وفي مصر تأسس الإتحاد الصهيوني العام سنة ١٩١٧ م وشهد افتتاحه الملك فؤاد ووعدهم بالحماية حتى يعودوا إلى وطنهم . وحين صدر وعد بلفور احتفلت المنظمة الصهيونية في الاسكندرية بذلك ، وحضر الحفل محافظ الاسكندرية . وذهب رئيس الوزراء المصري إسماعيل صدقي لحضور افتتاح الجامعة العبرية بالقدس . وأمر باعتقال بعض الفلسطينيين لَمَّا تظاهروا بالقاهرة ضد وعد بلفور ، وأغلق صحيفة فلسطينية بالقاهرة . بينما كانت صحيفة " إسرائيل " اليهودية تواصل الصدور من القاهرة . وبلغ عدد الصحف والمجلات اليهودية في مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي خمسين مجلة وجريدة ، معظمها بالعربية ، وكانت تنشر فيها إعلانات الشركات الصهيونية عن بيع الأراضي الفلسطينية ، مع وجود مكتب يهودي يستخدم سلاح الإعلانات ضد الجرائد والمجلات المصرية الأخرى التي تقاوم فكرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين[١] .

ونشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) . وتعرض اليهود خلالها لاضطهاد الزعيم النازي الألماني أدولف هتلر وأحرقهم في أفران الغاز . ويزعم اليهود أن ستة ملايين منهم قضوا نحبهم في ذلك " الهولوكوست النازي " .

وفي سنة ١٩٤٨ م أعلن اليهود قيام دولة " إسرائيل " في فلسطين ، واشتبكوا مع جيوش الدول العربية المجاورة فهزموها .

---

(١) اليهود والماسون في مصر (٤٦ / ٦٦ / ٦٩ / ١٢٣ - ١٢٤ / ١٢٥ - ١٢٦) .

لا يزيد عدد اليهود في العالم اليوم – حسب إحدى الإحصائيات الحديثة – عن (١٤ مليوناً)[1] . رغم تأثيرهم ونفوذهم الواسع . ويقال إن هناك إحصاءات سرية لليهود ، وأن عددهم فيها بلغ سنة ١٩٤٧ م قرابة التسعة عشر مليوناً يعيش ثلثاهم في الولايات المتحدة الأمريكية . أما يهود إسرائيل الحاليون فينحدرون من سبعين جنسية[2] .

وحسب إحصاء ١٩٩٧ م ، يوجد أكثر اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم (٥ ملايين وسبعمائة ألف / يعيش قرابة المليونين منهم في نيويورك حسب إحصاء ١٩٩٨ م / فلذلك تعرف مدينة نيويورك بأنها مدينة اليهود كما سبق وأن ذكرنا) .

بينما يوجد العدد الأكبر التالي في إسرائيل (٤ ملايين وسبعمائة ألف)[3] .

ورغم كل ما حدث لا يقتنع اليهود بكل ما حققوه .

ورغم أن برنامج بازل الصهيوني في نسخته المصححة كان يعتبر أن « غاية الصهيونية هي تحويل فلسطين تدريجياً .. إلى كومونويلث يهودي .. يحكم نفسه بنفسه في ظل أكثريةٍ يهوديةٍ قائمة » . فإن كثيراً من اليهود لا يرون ذلك كافياً .

وعلى رأس هؤلاء زعيم أول دولة إسرائيلية في فلسطين دايفيد بن غوريون الذي أكد بعد ما يقارب العشرة أعوام على قيام دولة إسرائيل بأن الدولة الصهيونية لم تحقق

---

(١) مجلة المجتمع / عدد (١٣١٤) / ٣ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ / ٢٥ – ٨ – ١٩٩٨ م / ص : (٦٥) .

(٢) يهود اليوم ليسوا يهوداً (٤٧ – ٤٨) ونهاية اليهود (١٠٨) لمحمد عزت محمد عارف / ط. أولى / ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

(٣) هذه الإحصاءات الحديثة مأخوذة من : مجلة النيوزويك باللغة العربية (٣٨) بتاريخ : ٢٢ / ٨ – أغسطس / ٢٠٠٠ م / العدد الصادر بالعربية رقم (١١) عن دار الوطن بالكويت بالاتفاق مع نيوزويك إنترناشيونال .

الرؤيا الخلاصية بعد ، وهي الرؤيا التي كانت الباعث الأهم لقيام دولة إسرائيل ، معلناً أن « دولة إسرائيل ليست سوى بداية الخلاص »[١] .

أما الحلم التكتيكي المرحلي ليهود حاضراً ، فهو إقامة " إسرائيل الكبرى " من النيل إلى الفرات مع الزحف جنوباً إلى المدينة المنورة حيث كان بنو قريظة وقينقاع والنضير يقطنون إبان البعثة النبوية[٢] . وحيث خيبر حصن يهود المنيع قديماً .

وأما الحلم الاستراتيجي البعيد المدى فهو امتلاك العالم كله مع مسيحهم المنتظر وهو الغاية القصوى في كل مخططاتهم وآمالهم .

---

(١) انظر : كيف زيَّف اليهود الكتب المقدسة - لموسى الزعبي (٥٤ / ٥٩) ط. أولى / ١٩٩٧ م - ١٤١٧ هـ / دار المنارة - بيروت .

(٢) طالع كتاب : يا مسلمون ، اليهود قادمون / لمحمد عبد العزيز منصور (٥٠) / دار الاعتصام / ط. ثانية / تاريخ : بدون .

المبحث الثاني

مصادر اليهود المقدسة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التوراة .

بعث الله سبحانه وتعالى عبده موسى نبياً إلى بني إسرائيل ، وأنزل إليه كتاباً هو التوراة . وقد نسخ الله التوراة والإنجيل بالقرآن . والتوراة التي بيد اليهود اليوم ليست هي التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ، لأن الله لم يتكفل بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن ، ولذلك تعرضت للضياع والتحريف والزيادة والنقص .

لكننا سنتحدث – بإذن الله – في هذا المطلب عن التوراة كما هي عند اليهود ، في الفقرات التالية :

١ – التعريف بلفظ توراة : توراة كلمة عبرية معناها الهدى والإرشاد والتعليم ، إذن فهي تعاليم الهداية والإرشاد . وقد يقال إن معناها : الناموس ، لكنَّ مردَّ هذا إلى المعنى الأول ، إذ أن معنى كلمة ناموس أي : شريعة أو قانون . فالتوراة إذن بمعنى أوسع هي : تعاليم الشريعة المكتوبة ، في مقابل التعاليم الشفوية (التلمود) .

وتطلق هذه التسمية على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (التكوين / الخروج / اللاويين / العدد / التثنية) . وينسبها اليهود مباشرةً إلى موسى عليه السلام . وقد يسمونها أحياناً : كتب موسى أو الأسفار الخمسة[1] .

---

(١) انظر : قصة الحضارة (٢ : ٣٦٧) / و : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة – موريس بوكاي (٢٦) دار المعارف – القاهرة – طبعة وتاريخ : بدون / والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام – د. علي عبد الواحد وافي (١٣) دار نهضة مصر – القاهرة – طبعة وتاريخ : بدون / والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم – د. محمد علي البار (١١١) دار القلم – دمشق / ط. أولى / ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م / ودراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة – محمد السعدي – ص (٩٤) دار الثقافة – قطر / ط. أولى / ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

وقد يطلق لفظ التوراة على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل[١] .

٢ – مضمون التوراة : تتضمن التوراة تاريخ اليهود بتفصيلٍ مطول ، مستفتحةً ذلك كله بالحديث عن خلق العالم وبدايته وتدرجه وأخبار الأنبياء قبل موسى عليه السلام ، ثم تنطلق بإسهاب في الحديث عن عصر موسى عليه السلام ونبوته حتى وفاته . وبذكر وفاة موسى عليه السلام تنتهي الأسفار الخمسة .

فهي أقرب إلى أن تكون كتاباً في سيرة موسى عليه السلام ، أو سيرة وتاريخ بني إسرائيل في عهده .

كما تتضمن كثيراً من الأحكام والتشريعات الدينية .

ورغم اشتمال هذه الأسفار الخمسة على كل هذا الكم الكبير من المعلومات التاريخية التي دلت على اهتمام مبكر عند اليهود بتدوين تاريخهم ، فإن البحث العلمي أكد بما لا يدع مجالاً للشك وقوع التوراة في الكثير من الأخطاء ذات الطابع التاريخي[٢] .

وقد جمع أحد الباحثين مجلداً من ستمائة صفحة سرد فيه التناقضات والأخطاء التاريخية التي وقعت فيها التوراة[٣] . وقد سبقه إلى جمع بعض تلك الأخطاء للاستشهاد على تناقض التوراة بعض أئمة الإسلام المتقدمين الباحثين في هذا المجال ، كابن حزم رحمه الله[٤] .

---

(١) المدخل لدراسة التوراة – د. البار (١١٢) .

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – موريس بوكاي (٣٩) ، ودراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة – محمد السعدي (٩٤) .

(٣) هو الباحث : محمد قاسم محمد من جامعة قطر ، وسمى بحثه هذا : التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل / مطابع ستاربرس – القاهرة / ١٩٩٢ م – طبعة : بدون .

(٤) انظر : الفصل لابن حزم (١ : ٢١٠ / ٢١٢ / ٢٥٢ / ٢٦١) .

٣ - **تحريف التوراة** : أما بالنسبة لنا معشر المسلمين فإن ذلك عندنا شيء لاشك فيه . ذكره الله في كتابه العزيز حين وصف اليهود بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ... إلى أن قال في الآية التي بعدها ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾[1] .

وخذ شاهداً على ذلك من كاتب شهير وباحث كبير - من غير المسلمين - يقول حين تحدث عن التوراة ، بصيغة التعجب ، وبعبارة ساحرة ، بعد أن تكشَّفت له الحقيقة : كيف كتبت هذه الأسفار ؟ ومتى كتبت ؟ وأين كتبت ؟ ذلك سؤالٌ بريء لا ضير منه . ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد »[2] .

وهي شهادة من رجل يفترض فيه أن يكون مؤمناً بكل ما تضمنه العهد القديم ، (وشهد شاهدٌ من أهلها) .

والمعروف تاريخياً أن توراة موسى عليه السلام ضاعت وتبين فقدها في عهد سليمان عليه السلام ، وأنها كتبت بعد ذلك بأقلام اليهود . حين دعا أحد كهنتهم المسمى : عزرا ، اليهود إلى اجتماع سنة ٤٤٤ ق.م وقرأ عليهم ما يفترض أنه التوراة التي وجدها بعد ضياعها كما زعم . ولذلك نجد فيها ذكر قصة وفاة موسى عليه السلام ومكان دفنه . ولا يمكن لأي شخص أن يذكر قصة وفاته وأن يؤرخ لذلك . فتبين أنها من كتابة أحبار اليهود بعد وفاته . وتبين من كثرة الأخطاء التاريخية فيها أنها كتبت بعد عصره عليه السلام بآمادٍ طويلة .

---

(١) سورة المائدة - جزء من الآيتين رقم (١٢ - ١٣) .

(٢) قصة الحضارة - ول ديورانت (٢ : ٣٦٧) .

والخلاصة أن التوراة الحالية كتبها عزرا الكاهن أثناء سبي بابل وبعده ، بعد أن جمعها من الكهنة واللاويين ومن التراث اليهودي ، واستمر الأحبار بعده في التحريف بالزيادة والنقصان فيها حسب ما يعنُّ لهم[1] .

ومما يؤكد تحريفها تعدد نسخها وتباين تلك النسخ فيما بينها مما سنتناوله بالذكر في الفقرة اللاحقة .

٤ - **نُسَخُ التوراة** : للتوراة ثلاث نسخ أساسية : العبرية والسامرية واليونانية السبعينية . كتبت العبرية أثناء السبي البابلي وبعده ، وكتبت بعدها بفترة السامرية . وهي خاصة بطائفة السامرة ، ويرفضها مَنْ عداهم من اليهود ، وهم الغالبية العظمى . أما اليونانية فهي مترجمة من أصل عبري . وقام على ترجمتها في مصر إثنان وسبعون من أحبار اليهود ، ولذلك سميت بالسبعينية أو السبعونية[2] . وأنجزت في اثنين وسبعين يوماً عام ٢٨٠ ق.م . وهناك ترجمات أخرى كالترجمة الآرامية (ترجومين) التي جاءت بعد اليونانية .

وتصل الاختلافات بين النص السامري والنص العبري إلى ستة آلاف حالة تقريباً[3] .

وهم مختلفون حول النسخ الثلاث الأساسية (العبرية والسامرية واليونانية) . فالمؤمنون منهم بواحدة من تلك النسخ يرونها هي الصحيحة فقط . أما غيرها فمحرف ومزيف[4] .

وضمَّ النصارى التوراة العبرية وباقي أسفار العهد القديم إلى العهد الجديد (الإنجيل) وسمَّوا المجموع : (الكتاب المقدس) ورفضوا الاعتراف بالسامرية كغالب اليهود .

---

(١) قصة الحضارة (٢ : ٣٦٦ - ٣٦٧) ، والأسفار المقدسة - د. علي وافي (١٧) ، والتوراة - دراسة وتحليل - د. محمد شلبي شتيوي (٥٢ / ٦٤) مكتبة الفلاح - الكويت / ط. أولى / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، والتناقض في .. التوراة (٦٠٣) .

(٢) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة - محمد السعدي (١١١ - ١١٢) ، والسامريون واليهود (٩٥) .

(٣) السامريون واليهود (٩٢ / ٩٥) . و : اليهودية - د. عرفان عبد الحميد (٤٨ - ٤٩) .

(٤) التوراة - د. محمد شلبي (٥) .

المطلب الثاني : العهد القديم وأسفاره

قدَّمنا الحديث عن « التوراة » مع أنهم يعدونها ضمن أسفار « العهد القديم » لأنها في الأصل هي كتاب شريعة موسى . وبعد تحريف معشر يهود للتوراة وزياداتهم الكثيرة عليها ضموا الجميع في مجموعٍ يسمَّى : العهد القديم . مقابل « العهد الجديد » الذي هو إنجيل النصارى . وربما كانت التسمية من صنع النصارى الذين يأخذون بالكتابين . ويعدون مجموعهما « الكتاب المقدس » .

يتضمن العهد القديم أسفار التوراة الخمسة في أوله . يليها سفر يشوع (يوشع ابن نون عليه السلام) . ثم أسفاراً كثيرة ينسبون منها سفراً لأيوب عليه السلام . ويليه مزامير داود عليه السلام . ثم ثلاثة أسفار منسوبة لسليمان عليه السلام هي: الأمثال / الجامعة / نشيد الإنشاد . ومنها سفرٌ ينسبونه لدانيال . وآخر لزكريا عليه السلام . وجملة أسفار العهد القديم - حسب النسخة البروتستانتية - تسعة وثلاثون سفراً وجملة إصحاحات تلك الأسفار تسعمائة وتسعة وعشرين إصحاحاً في ألف وثلاثمائة وثمانية وخمسين صفحة . أما الكاثوليك فيرفعون عدد أسفار العهد القديم إلى ستة وأربعين سفراً .

والصيغة الرسمية للعهد القديم لم تتقرر نهائياً إلا في القرن العاشر الميلادي (القرن الثالث الهجري) .

والسامريون والصدوقيون (من فرق اليهود) لا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة الأولى (التوراة) وسفر يشوع[(١)] .

وقد دونت أسفار العهد القديم على مراحل في مدةٍ تزيد على الألف عام[(٢)] .

---

(١) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (١٦٣ - ١٦٥) .

(٢) الأسفار المقدسة قبل الإسلام - د. صابر طعيمة (٨٨) عالم الكتب - بيروت / ط. أولى / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م . واليهودية - د. عرفان عبد الحميد (٧٥) .

وينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام رئيسة (حسب تقسيم البروتستانت) :

١ - التوراة (الأسفار الخمسة الأولى) .

٢ - أسفار الأنبياء . وهو قسمان : أسفار الأنبياء المتقدمين . وأسفار الأنبياء المتأخرين .

٣ - أسفار الحكمة . ويغلب عليها الطابع الأدبي . وتسمى « الكتب العظيمة » أو « الكتابات » .

وهناك أسفار غير قانونية أو مشكوك فيها وتسمى « الأسفار المنحولة » (الأبوكريفا) .

وقد قبلها الكاثوليك . بينما رفضها اليهود والبروتستانت[١] .

وثمة محاولة جارية تقوم بها المجامع المسكونية النصرانية تحاول كتابة نصٍّ شاملٍ مركبٍ للعهد القديم يهدف إلى توحيد النصوص . ويقوم على ذلك العمل مجموعة كبيرة من خبراء الكاثوليك والبروتستانت[٢] .

وأسفار العهد القديم المعتمدة لدى اليهود هي هذه الموجودة في الكتاب المقدس حسب نسخته البروتستانتية . وتزيد عليها النسخة الكاثوليكية عدة أسفار مع حذف بعض أسفار البروتستانتية[٣] .

أما من ناحية المضمون فيوصف العهد القديم بأنه « سِجِلٌّ فيه شعر ونثر وحِكَمٌ وأمثال وقصص وأساطيرُ أممٍ كثيرة وفلسفات وتشريع وغزل ورثاء ، وبعضها كُتِبَ بأسلوب أدبي مثل سفر أيوب والجامعة والأمثال »[٤] .

---

(١) المدخل لدراسة التوارة والعهد القديم (١٦٠ - ١٦٤) .

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - موريس بوكاي (١٩) .

(٣) الأسفار المقدسة قبل الإسلام - د. صابر طعيمة (٣٥ / ٣٨) .

(٤) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (١٦٤) .

يقول ول ديورانت : « ليس العهد القديم شريعةً فحسب ، بل هو فوق ذلك تاريخ وشعر وفلسفة من الطراز الأول وفيه كذلك أساطير بدائية .. وأغلاط . والتقاليد القومية لشعبٍ مشتت »[1] .

أما الأمجاد التاريخية التي يشيد بها العهد القديم ويُهوِّل من أمرها ، والبطولات الوهمية التي يدعيها لشمشون وأمثاله ، وتقديمه للدولة اليهودية التي كانت قائمة هناك كما لو كانت إمبراطورية تحتل أكثر تراب العالم بينما هي في الحقيقة لا تسيطر إلا على جزءٍ من فلسطين تقل مساحته عن مساحة دولة الكويت . فأسلوبٌ من أساليب الدعاية والمبالغة والتهويل التي برع فيها اليهود قديماً وحديثاً . يقول باحث معاصر : « العهد القديم ليس إلا كومةً من التناقضات ، والبطولات الوهمية ، والأمجاد التي لم تتحقق ، .. وطموحاتٍ .. ذات نوايا مريضة »[2] .

وموقفنا الشرعي من الأسفار التي ينسبها معشر يهود إلى موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء أن نعتقد تحريفها إجمالاً . ولا ننكر بعض مضامينها لاشتمالها - كما هو ملاحظ للدارسين - على أخبار وأمور تتفق مع ما جاءنا به القرآن المحفوظ بحفظ الله . وأقرب مثال على ذلك : قصة طالوت وجالوت ثم ملك داود وابنه سليمان عليهما السلام وقصة سليمان مع بلقيس ونحو ذلك . أما ما كان فيها من تجديف وكفر صراح كالمساس بالله أو التعرض لأنبيائه فهذا مما يُجزم بوضعه . كقولهم بصراع يعقوب مع الله ونسبتهم الندم لله . ونسبتهم القبائح للأنبياء .

---

(١) قصة الحضارة (٢ : ٣٨٥) بتصرف .

(٢) العهد القديم لليهود - د. محمد علي أبو حمدة (٢٥) دار البشير - عمان / ط. أولى / ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

المطلب الثالث : التلمود

أخطر وأفظع ما في الديانة اليهودية : التلمود .

وكلمة تلمود معناها : تعليم ، ويشار إليه أحياناً عند اليهود بكلمة (شاس) . وهي اختصار لكلمة (الأحكام الستة) لاشتمال أصل التلمود على ستة مباحث أساسية[١] .

والتلمود تلمودان : فلسطيني وبابلي . والبابلي أكبر من الفلسطيني عدة مرات . والبابلي هو المعتمد عند اليهود الآن[٢] . ويسمى الفلسطيني أحياناً تلمود أورشليم .

يتكون التلمود في الأساس من متن وشرح . المتن هو « المشنا » . والشرح يسمى « الجمارا » . المتن واحد في التلمودين البابلي والفلسطيني . أما الشرح فمختلف . ومعنى كلمة مشنا أي : الشريعة المكررة أو القانون الثاني . وجِمارا معناها : الإكمال[٣] .

كَتَب المتن (المشناه) أحد أحبار اليهود وكبار علمائهم في القرن الثاني بعد الميلاد .

أما مادة هذا المتن فإن اليهود يرفعونها إلى مرتبة التوراة . ويعدون التوراة الشريعة المكتوبة . ومادة المشناه الشريعة الشفوية التي أوحاها الله إلى موسى مشافهة . ولم تدون آنذاك . وتناقلها الربيون والأحبار وكبار العلماء منهم عبر الأجيال[٤] . حتى

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه - ظفر الإسلام خان (١٦ / ٢٣) ط. سابعة / ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م / دار النفائس - بيروت .

(٢) قصة الحضارة (١٤ : ١١ - ١٥) ودراسات في اليهودية - د. محمود مزروعة (٢١٣) .

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود (٤٧) ط. أولى / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م / دار القلم - دمشق / وانظر كذلك : التلمود تاريخه وتعاليمه (١٣ / ٢٠) .

(٤) فضح التلمود - برانايتس (٢١ / ٢٢) ط. رابعة / ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م / دار النفائس - بيروت .

خشي عليها ذلك العالم الذي دونها من الضياع . فقام بكتابتها في ذلك السفر الذي سماه « مشناه » . وهم على هذا يعدونها وحياً إلهياً في الأصل . كما نقول نحن المسلمين في السنة النبوية الصحيحة .

وقد قام ذلك الحبر بتقسيم كتابه (المشناه) إلى ستة أقسام كل قسم منها يختص بأحكام معينة (الزراعة / الأعياد / النساء / العقوبات / المقدسات - طقوس الهيكل - / الطهارة)[١] .

وفيما بعد اشتغل علماء اليهود وأحبارهم بشرح هذا المتن . فشرحه مجموعة من علماء اليهود في فلسطين وسُمِّي عملهم ذلك : الجمارة الصغرى . ومن الجمارة الصغرى والمشناه (المتن) يتكوَّن التلمود الفلسطيني .

وشَرَح المتن بشكل أعمق وأوسع علماء اليهود في بابل عبر أكثر من قرن من الزمان . وسمي هذا الشرح الثاني والأكبر الأوسع والأعمق : الجمارة الكبرى . ومن الجمارة الكبرى والمشناه (المتن) يتكون التلمود البابلي . وهو التلمود المعتمد والمعترف به الآن[٢] .

والتلمود بنسختيه كتابٌ مقدس عند اليهود متنه وشرحه . أما المتن فلأنه وحي إلهي وشريعة شفوية أوحى الله بها إلى موسى غير ما أعطاه مكتوباً في التوراة . وعلَّمه موسى لبعض علمائهم ، وتناقله علماؤهم جيلاً بعد جيل حتى خُشِيَ عليه من الضياع فَدُوِّن في (المشناه) - كما يزعمون - .

وشرحه من كلام الحاخامين وتعليمات الأحبار والربيين الذين يعتقد الجمهرة العظمى من اليهود (الربانيون أو الفريسيون) أن كلامهم مقدس . رغم معارضة ورفض عددٍ من طوائف اليهود لذلك (كالقرائين أو العنانيين والسامريين والصدوقيين)[٣] .

---

(١) فضح التلمود (٢٣ / ٢٦ - ٢٧) و: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه - د. حسن ظاظا (٦٧ - ٦٨) ط. ثالثة / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م / دار القلم - دمشق .

(٢) قصة الحضارة (١٤ : ١١) .

(٣) بذل المجهود في إفحام اليهود - للحكيم السموءل المغربي (١٩٥ - ١٩٧) تحقيق: عبد الوهاب طويلة / ط. أولى / ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م / دار القلم - دمشق .

ولا زال أكثر اليهود يعتبرونه الكتاب المقدس الأكثر أهمية[١] . ويحاولون إخفائه عن الأعين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لما احتواه من مضامين خطيرة وتعليمات متطرفة كانت تُربِّي اليهود عبر القرون على الكراهية والنفاق والخداع .

ولربما اعتبروه في بعض الأحيان أكثر أهمية من التوراة . حتى لقد قال بعضهم : إن تعاليمه أفضل مما في التوراة ، وأنه لا يمكن تغييرها ولو بأمر الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -[٢] .

ونظراً لما تضمنه من مضامين تحث اليهود على غش وإيذاء الجوييم الأميين من غير اليهود - كإباحة أعراض غير اليهوديات وتجويز سرقة غير اليهود وتجويز المرابات معهم بالربا الفاحش وغشهم وعدم رد مفقوداتهم إليهم وعدم اعتبار قتل اليهودي لغير اليهودي جريمة واعتبار الأغيار بمرتبة الحيوانات والبهائم[٣] - فقد جرَّ عليهم ذلك الكثير من المشكلات . لاسيما بعد أن ظهر للعيان عندما قاموا بطبعه أول مرة في البندقية سنة ١٥٢٠ م بعد أن بقي سراً يحرم كشفه . بل يأمر التلمود بقتل من يقوم من اليهود بتدريسه لغير اليهود ، وقتل ذلك الشخص الأممي الذي يُحاول تعلُّمه . وفيما بعد أصدر اليهود عدة طبعات حُذفت منها تلك العبارات الجارحة واستعيض عنها ببياض أو نقاط يُعلِّمها الأحبار شفوياً لتلاميذهم[٤] .

أما أول ترجمة عربية للتلمود فقد قام بها أحد أحبار اليهود الذين أسلموا في الأندلس أيام الإمام ابن حزم . ومن تلك النسخة المعربة استفاد الإمام ابن حزم في نقده التفصيلي الدقيق والموثق لمعتقدات اليهود في كتابه « الفصل »[٥] .

---

(١) فضح التلمود (٤١) .

(٢) الكنز المرصود (٥٠ - ٥٣) .

(٣) الكنز (٧٥ - ٩٥) .

(٤) فضح التلمود (٤٣) والكنز (٤٨ - ٤٩) والأسفار المقدسة قبل الإسلام - د. صابر طعيمة (٤٦) .

(٥) الأسفار المقدسة - د. صابر طعيمة (٤٦) .

ولا زال التلمود الكامل دون حذف من الكتب النادرة الوجود .

ومنذ عام ١٩٦٠ م بدأت محاولة طبع التلمود البابلي كاملاً دون حذف في دولة إسرائيل ، وأعلن أنه لن يطبع منه إلا ستة آلاف نسخة لن تباع ، بل ستوزع على عدد من المشتركين . وأنه سيصدر في خمسة وثلاثين جزءاً[١] .

أما التلمود من ناحية مضمونه عموماً فيوصف بأنه « موسوعة من التاريخ والدين والشعائر والطب والأقاصيص الشعبية والفلاحة والتجارة والقوانين الجنائية والأخلاقية »[٢] .

وفي الختام يبقى التلمود الكتاب الأخطر بين منظومة الكتب اليهودية نظراً لما احتواه من تعاليم خطيرة مباشرة تدعو إلى سحق كل وجودٍ بشري على هذا الكون غير الوجود اليهودي . وتؤكد أن الكون كله لم يخلق إلا لأجل هذا العنصر اليهودي وخدمته . وهو ما نرى تطبيقه العملي في العصر الحاضر على أرض فلسطين وغيرها من جهات الدنيا .

---

(١) التوراة تاريخها وغاياتها (٨٢) ترجمة : سهيل ديب / ط. سابعة / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م / دار النفائس - بيروت .

(٢) قصة الحضارة (١٤ : ٢٩) .

المبحث الثالث

أهم عقائد اليهود

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معتقد اليهود في الله - سبحانه وتعالى -

وهو جانب تناوله الباحثون بدراسات مستقلة لأهميته وتشعبه وتوفر مادته . لكننا هنا نشير إلى رؤوس أقلام كالعناوين لباقي المضامين .

١ – اسم الله عند اليهود : مما يلفت الانتباه عند اليهود أنهم يطلقون على الله سبحانه وتعالى عدة أسماء ، وأثار ذلك نوعاً من الخلط والارتباك لاسيما عندما ترجمت كتبهم إلى لغات أخرى .

– فنراهم يسمونه تارة « ألوهيم » . وهو الاسم الذي أطلقته الأسفار الأولى من التوراة على الله . ويذكر في الترجمات العربية بلفظ « الله » .

– وتارةً يسمونه « يهوه » بمعنى « الموجود » ويذكر في الترجمة العربية بلفظ « الرب » . وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حرَّم عليهم كهنتهم ترديد هذا الاسم أو التلفظ به حتى لا يقع في مظنة الاستهتار به من تلفظ به منهم .

– « أدوناي » أي مولانا . وهو الاسم البديل الذي قدمه كهنة اليهود لأتباعهم لينطقوا به إذا بلغوا في قراءاتهم لكتبهم المقدسة إلى لفظ « يهوه » . والاسم البديل عند طائفة السامريين منهم هو « شيما » مكان « أدوناي » .

– وثمة اسم رابع هو « إيل » . وينسبون إليه كثيراً من أسماء الأشخاص والمدن . مثل « إيليا » (بيت المقدس) ومعناها : إلهي يهوه . و« أليشع » أي الله مخلِّص . و« أليعازر » أي الله معين . و« إسرائيل » أي الذي صارع الله – وهو يعقوب عليه

السلام بزعمهم – وجبرائيل أي عبد الله أو رجل الله . ودانييل (دانيال) أي الله قضى ، وحزقيل (حزقيال) أي الله يقوّي[١] .

٢ – الشرك بالله : وأقرب مثال على ذلك ما ورد في المزمور الثاني والثمانين من العهد القديم : « الله قائمٌ في مجمع الله . في وسط الآلهة يقضي »[٢] . ويعلق الإمام ابن حزم على ذلك قائلاً : « هذا أخبث من قول النصارى ، لأن الآلهة عند النصارى ثلاثة ، وهم عند هؤلاء السفلة الأراذل جماعة »[٣] . مع أن المعروف عن الديانة اليهودية أنها ديانة توحيد لا تعدد فيها .

٣ – وصف الله بما لا يليق ونسبة النقص إليه : والأمثلة على هذا أكثر من أن تعد وتحصر . قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[٤] . وقالوا كذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[٥] .

ونسبوا إليه الولد واعتقدوا أنهم أبناء الله وشعبه المختار ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾[٦] .

---

(١) انظر : الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية للحبر الأعظم : إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي . وتعليقات المحقق : عبد الوهاب طويلة (٣٢ – ٣٤) دار القلم – دمشق / ط. أولى / ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .
وانظر كذلك : دراسات في اليهودية (١٦٣ – ١٦٤) . والسامريون واليهود (١٢٦) . وانظر حول معنى إسرائيل عندهم : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي – إسماعيل الكيلاني (٢١٤) الهامش / حيث بحث بحثاً موسعاً إلى حدٍ ما ، دلالة هذا الاسم عندهم / ط. ثانية / ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م / المكتب الإسلامي – بيروت .

(٢) سفر المزامير (٨٢ : ١) .

(٣) الفصل (١ : ٣٠٩) . وانظر مثالاً ثانياً على ذلك في الفصل أيضاً (١ : ٣٢٨) .

(٤) سورة المائدة – جزء من آية رقم (٦٤) .

(٥) سورة آل عمران – جزء من آية رقم (١٨١) .

(٦) سورة المائدة – جزء من آية رقم (١٨) .

ونسبوا النقص إليه ووصفوه بما لا يليق حين زعموا أن يعقوب صارعه[١] .
ونسبوا إليه كذلك البكاء بعد خراب الهيكل والندم على تمزيقه لشمل شعبه المختار . وأنه يتعلَّم التلمود بالليل مع الملائكة وملك الشياطين . ثم يُمضي ثلاثة أرباع الليل يبكي ويزأر كالأسد - تعالى الله عن ما يقول الظالمون علواً كبيراً - لأنه خرَّب الهيكل وشرَّد أولاده . وتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيهيج وتزلزل الأرض لذلك[٢] .

إلى آخر هذه الترهات والحماقات .

٤ - **التشبيه (تشبيه الله بخلقه)** : وهي خصيصة عُرِفَ بها اليهود بين الباحثين في مجال العقائد الإسلامية . نظراً لتأثر بعض الفرق الإسلامية بهذا المنهج .

وقد وقع اليهود في التشبيه ، ووصفوا الله سبحانه وتعالى بكثيرٍ من الصفات البشرية .

ليس هذا فحسب . بل وصفوه بصفات الذم والنقائص البشرية .

وليس في أسفارهم أي فرق بين ذلك الإله والإنسان . فالإله الذي يعبدونه يأكل ويشرب ويمشي ويتعب ويستريح ويغضب الغضب البشري المتهور الناقص . ويعاقب ثم يندم ويبكي ويدعو على نفسه بالويل والثبور[٣] .

نعم . هكذا تُصوِّر الأسفار - أسفار العهد القديم - الرب .

٥ - **الاعتراض على القضاء والقدر** : وحسبنا أن نورد في هذه الفقرة الأخيرة مثالاً أورده ابن حزم يكشف لنا عن حقيقة إيمانهم بالله . يقول ابن حزم : « إنهم

---

(١) سفر التكوين (٣٢ : ٢٤ - ٣٠) .

(٢) انظر : الفصل (١ : ٣٢٦) . والكنز المرصود في قواعد التلمود (٥٥ - ٥٦) .

(٣) انظر : الفصل لابن حزم الذي ساق عدة أمثلة على تشبيههم (١ : ٣٢٤ - ٣٢٦) ومن تلك الأمثلة التي أوردها قولهم : « إن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع » .

يقومون في كنائسهم أربعين ليلة من سبتمبر وأكتوبر فيصيحون ويقولون : لأي شيء تسلّمنا يا ألله هكذا ، ولنا الدين القيم والأثر الأول ؟ لم يا ألله تتصمم عنا وأنت تسمع ؟ وتعمى وأنت مبصر ؟ هذا جزاء من تقدم إلى عبوديتك ، وبدر إلى الإقرار بك ؟ لم يا ألله : لا تعاقب من يكفر النعم ؟ ولا تجازي بالإحسان ثم تبخسنا حظنا وتسلمنا لكل معتد ، وتقول : إن أحكامك عدلة (عادلة) »[١] .

(١) الفصل (١ : ٣٢٨) .

المطلب الثاني : موقفهم من أنبياء الله عليهم السلام

اليهود قتلة الأنبياء . وقفوا من أنبياء الله عليهم السلام أبشع المواقف وأرذلها . ورموهم بأحقر التهم وأنذلها . يقول ابن حزم : « تالله ما رأيت أمةً تقر بالنبوة ، وتنسب إلى الأنبياء ما ينسبه هؤلاء الأنذال الكفرة » « ومما أجمع عليه أحبارهم - لعنهم الله - أن من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء يؤدب ، ومن شتم الأحبار يموت أي يقتل . فاعجبوا لهذا »[١] .

ويمكننا أن نستعرض مواقفهم من أنبياء الله عليهم السلام على الترتيب التالي :

١ - آدم عليه السلام : ينسب التلمود لآدم أنه كان له عشيقة من الجن . وأنجب منها أولاداً كثيرين . وأن لحواء كذلك عشاقاً من الجن أنجبت منهم كذلك أولاداً كثيرين[٢] .

٢ - نوح عليه السلام : نسب له هؤلاء الأوغاد أنه شرب الخمر فسكر وتعرَّى[٣] .

٣ - إبراهيم عليه السلام : ترمي التوراة إبراهيم عليه السلام بأنه تزوج أخته من أبيه سارة وأنه عرضها على ملك مصر ثم على ملك الفلسطينيين[٤] من أجل حفنةٍ من المال . كأنما هو قوادٌ ديوثٌ يعرض زوجته على الملوك من أجل المال[٥] .

٤ - لوط عليه السلام : تنسب الأسفار إلى ابنتي لوطٍ عليه السلام أنهما اشتاقتا للرجال والذرية فسقيا أباهما لوطاً خمراً فلما سكر وطيء ابنتيه فحبلتا منه وأنجبتا[٦] .

---

(١) الفصل (١ : ٢٣٩ / ٣٢٥) .

(٢) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم - د. محمد علي البار (٣٤٠) .

(٣) سفر التكوين (٩ : ٢٠ - ٢١) .

(٤) سفر التكوين (١٢ : ١٤ - ١٩) و(٢٠ : ١١ - ١٦) .

(٥) الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم - د. محمد علي البار (٣٦٢) دار القلم - دمشق / ط. أولى / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

(٦) سفر التكوين (١٩ : ٣٠ - ٣٨) .

٥ – يعقوب عليه السلام : تتهمه الأسفار بخداع أبيه إسحاق عليه السلام وغشه له حتى نال بركته رغماً عنه[١] . وتحكي عنه أنه وقف لابنة خاله عند الماء ، وكانت جميلة ، فقبلها ثم خطبها من أبيها فخدعه أبوها وزوجه أختها الكبرى . ورغم إحساسه بالخديعة دخل بها ، وحملت منه مراراً[٢] .

٦ – يوسف عليه السلام : يقول ابن القيم رحمه الله : « من فضائح اليهود وقبائحهم المنكرة ... رميهم يوسف بأنه ...... جلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتى انشق له الحائط وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله فقام وهرب . وهذا لو رآه أفسق الناس وأفجرهم لقام و لم يقض غرضه »[٣] .

٧ – موسى عليه السلام : همّوا برجمه وقالوا إنه : آدر – أي منتفخ الخصية – واتهموه بقتل أخيه هارون عليه السلام[٣] . وقالوا له : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾[٤] .

٨ – يوشع بن نون عليه السلام : نسبوا إليه أنه تزوج راحاب الزانية[٥] .

٩ – داود عليه السلام : نسبوا إليه أنه اطّلع من فوق السطح على بيت جاره أوريا الحثي الذي كان يقاتل آنذاك الأعداء مع جيوش داود . فزعموا أن المرأة كانت جميلة جداً فاستهوت داود فأرسل إليها من أخذها ثم أُدخلت عليه فزنا بها وحبلت منه . ودبَّر مكيدةً لقتل زوجها في المعترك . فحين قُتل تزوجها داود . وولدت له

(١) سفر التكوين (٢٧ : ١ – ٣٨) .

(٢) سفر التكوين (٢٩ : ١١ – ٣٥) .

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى – ابن قيم الجوزية (١٣١) .

(٤) سورة المائدة – جزء من آية رقم (٢٤) .

(٥) سفر يشوع (٦ : ٢٢ – ٢٥) .

سليمان[١] . ثم إن الله سلط على داود ابنه أبشالوم فثار عليه وزنا بسراري أبيه أمام جميع بني إسرائيل[٢] . عقوبةً له من الله على ذلك كما يقولون .

١٠ - سليمان عليه السلام : نسبوا إليه أنه تزوج نساءً غريبات أحبهن فأَمَلْنَ قلبه إلى عبادة أوثان أقوامهن ، وبنى معابد لآلهة بني قومهن[٣] .

١١ - ١٢ - زكريا وابنه يحيى عليهما السلام : قتلوا يحيى عليه السلام ثم ألحقوا به أباه زكريا عليه السلام .

١٣ - عيسى عليه السلام : كذبوا به وكادوه ورموه بأنه ابن زنا . ثم حاولوا قتله . ولا زالوا يزعمون أنهم قتلوه ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[٤] .

١٤ - محمد ﷺ : كذبوا به ابتداءً حسداً من عند أنفسهم ، وكادوه وقاتلوه وحاولوا قتله ، وكادوا ملته ولا زالوا . سلّط الله عليهم .

وبعد ، فهذه نماذج من مواقف هؤلاء الأوغاد من أنبياء الله عليهم السلام . ومع ذلك يزعمون أنهم أبناء الله وشعبه المختار ، فشاهت الوجوه ، إذ لا صفاقة ولا وقاحة بعد ذلك .

بقي في ختام هذا المبحث أن نشير إلى مسألتين :

الأولى : أن السامريين من اليهود لا يقرون بنبوة أحدٍ بعد موسى عليه السلام غير يوشع بن نون عليه السلام . وعليه فهم لا يعتمدون إلا أسفار موسى الخمسة وسفر

---

(١) سفر صموئيل الثاني (١١ : ٢ - ١٧) و(١٢ : ٢٤) .

(٢) سفر صموئيل الثاني (١٦ : ٢١ - ٢٣) .

(٣) سفر الملوك الأول (١١ : ١ - ١٠) .

(٤) سورة النساء - جزء من آية رقم (١٥٧) .

يوشع أسفاراً مقدسة بالنسبة لهم[١] .

الثانية : أننا نجد في بعض أسفارهم ذكراً لنبياتٍ من النساء . مثل مريم النبية أخت هارون (على أيام موسى)، ودبورة المرأة النبية قاضية إسرائيل في ذلك الوقت، وخلدة النبية . ونوعدية النبية كذلك[٢] .

ويبدو أنهم يستخدمون مصطلح النبوة بكثير من التجاوز ، فيطلقونه على النبي المرسل ، وعلى الصالحين ، والقضاة والمدبرين (كما هو الحال مع دبورة) ومع آل الأنبياء وذويهم (كما هو الحال مع مريم أخت هارون) .

---

(١) السامريون واليهود (١٢٨) .

(٢) انظر الأسفار التالية : (الخروج / ١٥ : ٢٠) (القضاة / ٤ : ٤) (أخبار الأيام الثاني / ٣٤ : ٢٢) (نحميا / ٦ : ١٤) .

المطلب الثالث : عقيدتهم في اليوم الآخر

المعروف أن اليهود كغيرهم من أتباع الديانات السماوية يُقرُّون بهذا المعتقد ، ويؤمنون بالجنة والنار . ويعتقدون أنهم أصحاب الجنة دون غيرهم ، وأن باقي الأمم من غير أتباع دينهم هم أهل النار . وهذا هو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وقرره في حقهم ، يقول تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾[1] .

قال الطبري رحمه الله في تفسيره : « وقالت اليهود لن تمسنا النار .... قالوا : لن يُدخلنا الله النار إلا تحلَّة القسم »[2] .

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على ذلك .

لكن الذي لفت نظر بعض الباحثين أن التوراة أو أسفار موسى الخمسة كما يُسمونها ، لا تحتوي حديثاً مفصلاً عن الدار الآخرة أو اليوم الآخر[3] .

ولذلك قطع ابن حزم رحمه بأنه : « ليس في توراتهم ذكر المعاد أصلاً ، ولا الجزاء بعد الموت »[4] .

وكل ما هنالك حول هذا المعتقد بعض الإشارات القليلة الواردة في باقي أسفار العهد القديم . مثل الإشارة الواردة في دانيال ، ولفظها : « كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي. والفاهمون يضيئون .... والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور »[5].

---

(١) سورة البقرة – جزء من الآية رقم (٨٠) .

(٢) تفسير الطبري (١ : ٤٢٤ – ٤٢٥) .

(٣) انظر : دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة – محمد السعدي (١٢٧) .

(٤) الفصل (١ : ٣٠٩) .

(٥) دانيال (١٢ : ٢ – ٣) .

وهي إشارةٌ واضحةٌ وصريحة في ذكر البعث والمعاد والنشور ، والقيامة وذهاب فريقٍ من الناس إلى الجنة ، وفريقٍ آخر إلى جهنم والعياذ بالله . وما يُؤتاه أهل البر والخير من النور والضياء حتى يسطع أحدهم كالكوكب . وهو موافقٌ لما عندنا من البيان والتفصيل من الحق الذي ذكره لنا نبينا محمدٌ ﷺ .

كذلك نجد لبعض قضايا اليوم الآخر ذكراً في الروايات والتعاليم الشفوية التي تناقلها أحبارهم قرناً بعد قرن ، حتى استقرت بعد ذلك في التلمود . ولهذا نجد التلمود يحوي ذكراً للجنة والنار(١) .

يقولون كما في المدراش : إن أبواب جنة عدن وأبواب جهنم سوف تنفتح من الهيكل الثالث عندما يُعاد بناؤه . فيدخل بنو إسرائيل جنة عدن .

وتدخل بقية الأمم إلى جهنم . أما عصاة بني إسرائيل فيبقون اثني عشر شهراً في جهنم ثم يخرجون إلى جنة عدن(٢) .

وكانوا في زمن النبي ﷺ يزعمون أنهم لن يقيموا في النار إلا أربعين يوماً ، ثم يخرجون منها فيخلفهم فيها آخرون ، يشيرون بذلك إلى النبي ﷺ وأصحابه . فرد عليهم القرآن ذلك ، وقرر لهم النبي ﷺ أنهم خالدون مخلدون في النار ، وأنه وصحبه لن يخلفوهم فيها إن شاء الله أبداً(٣) .

لكن هل يُقرُّ كل اليهود بالبعث ويقولون به ؟ أم أن ذلك كان قول جمهورهم أو طائفةٍ منهم دون غيرهم .

---

(١) اليهودية واليهود - د. علي عبد الواحد وافي (٤٩) دار نهضة مصر - القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون .
وانظر كذلك : اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام - د. فرج الله عبد الباري (٤٥٦) ط. ثانية / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م / دار الوفاء - المنصورة .

(٢) المدراش (٣ : ٧٤ - ٧٥ / ٨٠ - ٨١) بواسطة : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٨٨ - ٨٩) ط. أولى / ١٩٩٢ م / رياض الريس - لندن .

(٣) انظر : تفسير الطبري (١ : ٤٢٤ - ٤٢٦) .

الجواب : لم يتفق كل اليهود على الإقرار بالبعث . بل ظهر فيهم من يُنكر البعث . وبدأ اختلافهم حول هذه القضية يظهر في زمن عيسى عليه السلام ، أو قبل زمنه ، كما أشارت إلى ذلك بعض الأناجيل وتحدثت عنه[١] .

وقد انقسموا على إثر ذلك الاختلاف إلى طوائف :

١ - الفريسيون أو الربانيون ، أهم فرق اليهود ، بل جمهورهم الأعظم . يؤمنون بالآخرة ويقرون بالبعث .

٢ - الصدوقيون ، وهم لا يؤمنون بالبعث واليوم الآخر . ويعتقدون أن الثواب والعقاب يكون في الدنيا . أي يقولون بالجزاء الدنيوي أثناء حياة الإنسان[٢] . وقد انقرضت هذه الطائفة تقريباً .

٣ - طائفةٌ ثالثة منهم ارتدت إلى القول بالتناسخ ، وجاءت العبارات الشاهدة على ذلك في بعض عبارات التلمود فقط ، وهو على ما يبدو قول فئة شاذةٍ قليلةٍ من كُتَّاب التلمود[٣] .

وقد نتج عن ذلك كله نتيجتان هامتان :

الأولى : علميةٌ بحتة . وهي أن « إهمال التوراة اليهودية لليوم الآخر وما فيه ، جعل الدين اليهودي أقرب إلى المذاهب الخلقية أو ... الفلسفية منه إلى الأديان »[٤] .

الثانية : عمليةٌ في واقع الحياة وصميمها ، إذ أن إهمال الحديث عن اليوم الآخر ، وعدم التأكيد على هذا المعتقد الهام ، والمؤثر في أشكال التعامل اليومية للبشر في ما بينهم ، جعل كثيراً من اليهود يشتهرون بأنهم من أشد الناس حرصاً وتكالباً على

---

(١) انظر : متى (٢٢ : ٢٣) ومرقس (١٢ : ١٨) .

(٢) بذل المجهود في إفحام اليهود (١٩٧) ودراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة (١٢٨) .

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود (٦٧) .

(٤) دراسات في اليهودية - د. محمود مزروعة (١٨٩) .

الدنيا ، لعدم التأكيد على هذا الأمر الهام في معتقداتهم الدينية التي يتشربونها منذ الصغر .

فأصبحت الدنيا على هذا هي دنياهم وأخراهم وملاذهم الآمن ، ولذا لا نعجب مما نراه من عدم تخوفهم من عقابٍ أخروي جزاء ما يرتكبونه من جرائم بحق الأمم والشعوب والأفراد . ولا نعجب حين نراهم يكنزون الذهب والفضة حتى أصبحوا أباطرة العالم في مجال المال والأعمال والاقتصاد . فهم ضعيفوا العلاقة بعالم اليوم الآخر ، بعيدون عن ذكره ، وهذا مما يزيد القلوب قساوةً ، وشراهةً في الإقبال على الدنيا وظلم العباد وإفساد البلاد . وهذا ما تشهد له من أحوالهم الوقائع الحاضرة التي نراها بأعيننا في العصر الحاضر .

المبحث الرابع

أشهر فرق اليهود

كغيرهم من الملل والديانات افترق اليهود وانقسموا وتوزعوا على فرق كثيرة ، وماتت بعض تلك الفرق ، وجدَّ بعدها فرق أخرى .

جاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، .. »[(١)] . وقبل ذلك وصفهم الله في كتابه العزيز بقوله : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾[(٢)] .

أما أشهر الفرق والطوائف اليهودية عبر التاريخ ، فهم :

١ - الربانيون أو الفريسيون : وهم الجمهور الأعظم من اليهود قديماً وحديثاً . أصحاب العهد القديم بكل أسفاره حسب النسخة البروتستانتية ، وأصحاب التلمود والمشنا ، المؤمنين بكل الأنبياء بعد موسى عليه السلام إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام فحسب . وهم الفئة الأقوى والأكثر بين اليهود حالياً ، وغالب يهود الغرب منهم ، وهم الذين خططوا لإنشاء دولتهم في إسرائيل ونفذوا ذلك ، وفيهم ظهرت الصهيونية[(٣)] .

---

(١) صحيح سنن أبي داود - الألباني (٣ : ٨٦٩) كتاب السنة - باب شرح السنة / ط. أولى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م / نشرة مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض / توزيع المكتب الإسلامي - بيروت .

وانظر كذلك : باب افتراق الأمم - كتاب الفتن من : صحيح سنن ابن ماجه / للألباني (٢ : ٣٦٤) / ط. أولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م / نشرة مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض / توزيع : المكتب الإسلامي - بيروت .

(٢) سورة الحشر - جزء من الآية رقم (١٤) .

(٣) انظر : الفصل (١ : ١٧٨) / اليهودية . علي وافي (٩١) / الفكر الديني اليهودي (٢١٠ - ٢١٣) و(٢٥٤) ، والأسفار المقدسة قبل الإسلام - د. صابر طعيمة (٥٠) ، واليهودية - د. عرفان عبد الحميد (٩٨) .

٢ – السامريون : أهم وأكبر انقسام شهده التاريخ اليهودي كان في ظهور هذه الطائفة « السامرية » أو يهود السامرة ، إذ بظهورها انقسم أتبـاع الديانـة اليهودية إلى يهود وسامريين ، وانضوى السامريون تحت لواء مملكةٍ شماليةٍ مستقلةٍ بـهم هـي مملكة إسرائيل وعاصمتها نابلس (شـكيم) وانضوى اليهود تحـت لـواء مملكتـهم الجنوبية (مملكة يهودا) وعاصمتها القدس (أورشليم) ومنذ ذلـك التـاريخ السحيق لم يلتق الطرفان أبداً ، واليهود يعدون السامرة فرقة مارقة خارجة عن الدين اليهودي تماماً .

يعترف السامريون بنبوة موسى وهـارون ويوشع بـن نـون عليـهم السـلام ، ولا يقرون بنبوة من بعدهم كداود وسليمان عليهما السلام ، لكنهم ينتظرون نبياً بشـرهم به موسى عليه السلام ، ومسيحاً منتظراً (المشيحا) يخرج في آخر الزمان ، ومدينتهم المقدسة شكيم (نابلس) لا بيت المقدس (أورشليم) وجبلهم المقدس جبـل جريزيـم المطل على نابلس لا جبل موريا (جبل بيت المقدس) . ومعبدهم « بيت إيـل » شمـال أورشليم (القدس) لا الهيكل الموجود في القدس ، ولهم نسختهم الخاصة مـن التـوراة تعرف بـ« التوراة السامرية » . ويرفضون التلمـود والمشـنا ، ولا يـأخذون إلا بأسـفار موسـى الخمسـة (التـوراة) وسـفر يشـوع . نُسبوا إلى مدينـة السـامرة في فلسـطين (سبسطية حالياً) .

وهم كاليهود الربانيين يؤمنون بيوم القيامة والبعث . لكن ربمـا كـان ذلـك بعثـاً لا كالبعث الـذي يُعـرف ويُذكـر . لـذا لا نعجـب حـين نجـد ابـن حـزم يجـزم : أن السامريين « لا يقرون بالبعث ألبتة » .

وتسمي هذه الطائفة نفسها أحياناً « بني إسرائيل » أو « بني يوسف » .

انقرضت هذه الفرقة تقريباً و لم يبق منها اليوم إلا بضع مئات يعيشون بالقرب من نابلس[1] .

---

(١) انظر : الفصل (١ : ١٧٧ - ١٧٨) والملل والنحل للشهرستاني (٢١٩ - ٢٢٠) ، والسـامريون واليـهود (٥ - ٦-٧ / ٧٨ / ١٠٩ / ١٢٨ / ١٣١) والفكـر الديـني اليـهودي - د. حسـن ظاظا (٢٠٥ - ٢٠٩) .

٣ – **الصدوقيون** : خصوم الفريسيين ومخالفوهم ، يرفضون الأخذ بالتعاليم الشفوية التي دونها فيما بعد خصومهم من أحبار الفريسيين في التلمود ، وينكرون البعث واليوم الآخر الذي يقول به خصومهم الفريسيون ، ويقولون بالثواب والعقاب الدنيوي بدلاً عن ذلك ، وينعتهم خصومهم من الفريسيين في التلمود بأقبح النعوت ، ولا يسمونهم فيه إلا بـ« الأبيقوريين » ، أي الشُّكَّاك .

أشبه الناس بطائفة « المعتزلة » عند المسلمين . ينكرون القضاء والقدر ، ويقولون بخلق الإنسان لأفعاله ، وينكرون وجود الملائكة والشياطين ، ولا يتحدثون عن قضية المسيح المنتظر ، وهم كالفريسيين تماماً في خصومتهم للمسيح عيسى عليه السلام وتكذيبهم له عندما بعث .

انقرضت هذه الطائفة المسماة بهذا الاسم بين اليهود إلا قليلاً . غير أن أثر تلك الطائفة وبعض أفكارها قد انتقل إلى طائفةٍ جديدة اتخذت لها اسماً جديداً ، (هم : القرّاؤون)[1] ، وهي التي سنتحدث عنها تالياً .

٤ – **القراؤون** العنانية : فرقة حديثة النشأة بالنسبة لسابقاتها ، نشأت في ظل الدولة الإسلامية في العراق في منتصف القرن الثاني الهجري ، سموا بالعنانية نسبةً إلى مؤسس هذه الفرقة : عنان بن داود ، وأطلق عليهم اسم « القرائين » نسبةً إلى « مقرا » بمعنى الكتاب أو المكتوب ، وهي الكلمة التي كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم . ومعناها : المتمسكون بالكتاب ، أي بأسفار العهد القديم وحدها . انتشرت هذه الفرقة بعد ظهورها بين اليهود في أرجاء الدولة الإسلامية ، ولا تزال حتى العصر الحديث موجودةً بين يهود الشرق مقابل انضواء أكثر يهود الغرب ومستعمراته السابقة تحت لواء فرقة الربانيين ، والخلاف بين الطائفتين شديد للغاية ،

---

(١) انظر : اليهودية واليهود – د. علي وافي (٩٤) ، والفكر الديني اليهودي (٢١٤ – ٢١٦) .

والغلبة والقوة والكثرة من نصيب الربانيين ، وكلا الفريقين يكفِّر الآخر .

يرفضون الأخذ بالتلمود ، ولا يقولون بنبوة عيسى عليه السلام ورسالته لكنهم يعدونه من خيار بني إسرائيل ويأخذون بمواعظه ، ويعدون الإنجيل سيرة حياته لا كتاباً منزلاً من عند الله . تأثروا بالمسلمين ، وأخذوا بآراء بعض الفرق الإسلامية وعلى الأخص المعتزلة[١] .

٥ – الدونمة : طائفة يهودية حديثة النشأة ، ظهرت في الدولة العثمانية ، ويقيم أكثرهم في سلانيك ، وأصلهم من مهاجري يهود الأندلس الذين طردتهم محاكم التفنيش الأسبانية ، وآوتهم الدولة العثمانية فانتشروا في سلانيك (اليونانية حالياً) واستنبول وأزمير ، وفي القرن السابع عشر الميلادي ظهر بينهم من ادعى أنه المسيح المنتظر فآمن به كثير منهم ، واسم ذلك المسيح المزيف: ساباتاي زفي (شبتاي صبي) المولود بأزمير (١٦٢٦ م) والمدعي أنه المنتظر عام (١٦٦٦ م) ، وتوهم زفي أنه المسيح المنتظر حقاً وأنه ملك اليهود الذي سيحكم العالم فقسَّم العالم إلى ٣٨ جزءاً وعيَّن لكل جزءٍ حاكماً . وصلت أخباره إلى الدولة العثمانية فاعتقل وحوكم ، ولم يجد مهرباً له من الإعدام غير إعلان الإسلام . فأسلم وعيِّن موظفاً بالدولة العثمانية بقصر سلطانها . فدعا أتباعه علانية إلى أن يحذو حذوه على أن يبقوا سراً على يهوديتهم والإيمان بأنه المسيح المنتظر تطبيقاً للنبوءة اليهودية التي تقول : إن المسيح سيبتلعه المسلمون ، وتسمَّى أتباعه بالأسماء الإسلامية ، وسمَّى نفسه « محمد أفندي » ، وتوفي في ألبانيا منفياً سنة ١٦٧٥ م . لكن أتباعه انتشروا داخل دوائر الدولة العثمانية معلنين إسلامهم مبطنين يهوديتهم ، حتى أمكنتهم الفرصة بعد أكثر من قرنين من الزمان ، فساهموا مساهمة فعالة في هدم الخلافة العثمانية ودولتها ، وقيام دولة تركيا الحديثة على أساس من القومية الطورانية ، مستغلين في ذلك نفوذهم وإمكاناتهم

---

(١) انظر : الفصل (١ : ١٧٨) ، والملل والنحل للشهرستاني (٢١٦) ، واليهودية واليهود – د. علي وافي (١٠٣ – ١٠٩) ، والفكر الديني اليهودي للدكتور حسن ظاظا (٢٤٧ – ٢٥٦) ، واليهودية – د. عرفان عبد الحميد (٩٤ – ٩٨) .

المادية ومحافلهم السرية ، ولا يزالون إلى اليوم يمارسون نفوذاً قوياً داخل هذه الدولة ويسيطرون على بعض أجهزتها الحساسة ، وأقرب مثالٍ على ذلك أنهم يمتلكون أكبر ثلاث صحفٍ تركية (حريت / مليت / جمهوريت) .

أهم معتقداتهم أنهم يرفضون التلمود ، ولا يقولون بمسيحٍ منتظر غير مسيحهم المزيف الهالك ، لكنهم ينتظرون رجعته ، ولذا يكفِّرهم عموم اليهود ، لكنهم ولا ريب يشكرون مسعاهم في هدم دولة الخلافة العثمانية وسعيهم الحاضر لتوجيه تركيا الحديثة إلى حيث يريدون[1] .

هذا ما كان من ذكر أهم فرقهم الدينية التي ظهرت في القرون الخالية ، غير أن الذي يلاحظ أن أكثر تلك الفرق إما أنها انقرضت كالصدوقيين ، أو أنها في وضع لا يعتد به لقلة عدد أتباعها كالسامريين ، أو لتكفير جمهور اليهود لها كالدونمة والسامريين والقرائين .

أما الطائفة الأهم والأعظم وجمهور اليهود فهم : الربانيون أو الفريسيون ، وقد انقسم هؤلاء في أوروبا ابتداءً من القرن السابع عشر الميلادي إلى ثلاثة تيارات رئيسية:

١ – **المتناغديم** : وهو التيار التلمودي التقليدي المحافظ . ويشار إليهم باسم : اليهود الأرثوذكس . والمتدينون منهم في إسرائيل اليوم يعرفون باسم « الحريديم » .

٢ – **الحسيديم** : ومعناها : الأتقياء ، وهم متصوفة اليهود ، يتهمهم المتناغديم بالبدعة والخرافة والشعوذة ، وهم ذوو نزعة باطنية فلسفية صوفية ، يقولون بوحدة الوجود ، والخوارق والكرامات ، ويصلون ويصرخون ، ويرقصون ويغنون ، ويستخدمون الموسيقى والخمور في معابدهم ، ويستلهمون « القبالا اليهودية » القديمة (التصوف اليهودي) ، ويقولون بتناسخ الأرواح ، ويسمون أحبارهم صديقين ، ويتبركون بآثارهم ، وقد يكفِّرهم المتناغديم . بينما يعدُّهم « المكسيليم » حركةً

---

(١) انظر : رسالة « يهود الدونمة » المهمة رغم صغرها – للدكتور محمد عمر / دار الوثائق – الكويت / ط. ثالثة / ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م . وانظر كذلك : الفكر الديني اليهودي (٢٦١ – ٢٦٣) .

رجعية متخلفة .

وأهم طوائفهم في الوقت الحاضر : الحسيديم اللوبافتش ، والستمار[١] .

وللحسيديم اللوبافتش نفوذ هائل في الولايات المتحدة الأمريكية[٢] ، وزعيمهم إلى وقت قريب : الحاخام مناحم مندل شنيرسون (١٩٠٢ - ١٩٩٤ م) ومقره في نيويورك ، وقد جعل الرئيس الأمريكي جيمي كارتر عيد ميلاد شنيرسون الثامن والسبعين يوماً للتربية في أمريكا ، وجعل ريغن عيد ميلاده الثمانين يوماً وطنياً للتأمل . وتنقل خطب شنيرسون بالأقمار الصناعية إلى أتباعه حول العالم . وهم يعارضون الاتفاق الأخير مع الفلسطينيين ، ويمارسون التبشير اليهودي على نفس الطريقة النصرانية[٣] .

أما الستمار فهم طائفة منغلقة ، مقرهم في نيويورك ، ويرفضون إقامة الدولة اليهودية قبل ظهور المسيح المخلّص ، وأنه لولا ظهور هذه الدولة (إسرائيل) لكان المخلّص قد ظهر . والخلاف بين الطائفتين على أشده[٤] .

---

(١) انظر : اليهود الحسيديم - د. جعفر هادي حسن (٣٢ / ٤٧ / ٦١ / ٧٩ / ٨٠ / ٨٨ / ٩٣ / ١١٩ / ٢١٥) دار القلم - دمشق / ط. أولى / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م / وانظر كذلك : الفكر الديني اليهودي (٢١٠) ، واليهودية - د. عرفان عبد الحميد (١١٥ - ١١٩) . ويوم الله = الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاثة - جيل كيبل - ترجمة : نصير مروة (١٨٥ / ١٨٩ / ٢١٥) دار قرطبة - قبرص / ط. أولى / ١٩٩٢ م .

(٢) ومع ذلك فأغلبية يهود الولايات المتحدة الأمريكية من المحافظين المتناغدين والحريديم ، ومن الإصلاحيين الهسكلاه ، ويأتي في آخر المطاف الحسيديون (يوم الله / ١٩٩) وقدّر عدد اللوبافتش منهم بمئتي ألف ، أكثرهم في نيويورك ، لكنهم اشتهروا بسبب نفوذهم فيها ، وهي ذات النفوذ الاقتصادي المعروف في العالم كله ، ويقال إن كثيراً منهم يعمل في تجارة الماس في نيويورك . حول ذلك : انظر (هل ستسقط أمريكا كما سقط الاتحاد السوفييتي / رؤية مستقبلية / ممدوح الزوبي / ١٣٨ - ١٣٩) ط. أولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م / دار الرشيد - دمشق .

(٣) اليهود الحسيديم (٢٢٣ / ٢٢٦ / ٢٣٠ / ٢٤٢ / ٢٤٣) ويوم الله (١٩٨ / ٢٠٠ / ٢٠٣) .

(٤) اليهود الحسيديم (٢١٥ / ٢٤٨ / ٢٥٩ / ٢٦٠ - ٢٦١ / ٢٧١) .

٣ - المكسيليم : أتبـاع حركـة الهسـكلاه (حركـة التنـوير اليهوديـة) أو الإصلاحيون المتحررون المجددون (الريفورميسـت) ، وهـي حركـة يهوديـة علمانيـة تضم العلمانيين والملاحدة اليهود . ومنهم ثيودور هرتزل مؤسس الحركـة الصهيونيـة الحديثة ، وبن غوريون الذي أعلن قيـام دولـة إسرائيل عـام ١٩٤٨ م . والصهيونيـة بنت الهسكله[١] .

والخلاف الأهم الذي يُعتدُّ به في الوقت الحاضر بين اليهود في « إسرائيل » ، وهـو الخلاف الذي يتخوف منه اليـهود أنفسـهم ، هـو الخـلاف بـين العلمـانيين المتحرريـن مؤسسي الدولة والحركة ، وبين المتدينين الأرثوذكس على تعدد مذاهبهم من متناغديم وحسيديم .

وينقسم اليهود المعاصرون في فلسطين كذلك بحسب أصولهم والبلدان التي قدمـوا منها إلى « سفارديم » (يهود شرقيين - البلاد العربية وأسـبانيا وإيـران) و« إشـكناز » (يهود غربيين - يهود أوروبا وروسيا) و« فلاشا » (يهود الحبشة)[٢] .

وهو تقسيم أقرب إلى أن يكون إقليمياً جغرافياً منه إلى أن يكـون مذهبيـاً دينيـاً ، ومع ذلك فله أثره في بعض المعتقدات والشعائر .

---

(١) النبوءة والسياسة - غريس هالسل - ترجمة محمد السماك (١١٤) ط. ثالثة / ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م / الناشر للطباعة ، والفكر الديني اليهودي (٢٦٤ - ٢٦٩)، واليهودية - د. عرفان عبد الحميد (١٨٧ / ١٩٨) ، واليهود الحسيديم (٣١ / ٤٧) ، ويوم الله - لجيل كيبل (١٥٩) .

(٢) انظر : الفكر الديني اليهودي (٢٠٢ / ٢٧٠) واليهودية - د. عرفان عبد الحميد (١١٩ - ١٢١) .

الفصل الأول

موقف اليهود من المسيح عيسى عليه السلام

الفصل الأول

موقف اليهود من المسيح عيسى عليه السلام

بعث الله عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل ، وقام بين ظهرانيهم يدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

ومع أن معشر بني إسرائيل كانوا ينتظرون نبياً بشرهم به موسى عليه السلام بعلامات مميزة ، ومع أن هناك الكثير من النبوءات التي تتحدث عن مجيء المسيح عليه السلام في العهد القديم ، إلا أنهم حينما جاءهم عيسى عليه السلام بدعوته كذَّبوا به، وافتروا عليه الأكاذيب وآذوه أشد الأذى . جاءهم يدعوهم إلى الله فكذبوه وطردوه ظانين أنه ليس الذي بشرتم به التوراة وسائر أسفار العهد القديم وعلى الأخص بشارات داود عليه السلام به فيها ، ورفضوه بحجة أن المبشَّر به تؤمن به الأمم كلها ، وهموا بقتله مراراً[1] .

أما حقيقة عيسى عليه السلام عند اليهود ، فإنهم بعد أن كذبوه ورموه وأمه بالعظائم « اختلفوا في أمره أعظم اختلاف . فمنهم من يقول : إنه كان رجلاً منهم ويعرفون أباه وأمه وينسبونه لزانية ، وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول .. قاتلهم الله أنى يؤفكون ، ويسمون أباه الزاني البنديرا الرومي ، وأمه مريم الماشطة ، ويزعمون أن زوجها يوسف بن يهودا وجد البنديرا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها . ومن اليهود من رغب عن هذا القول ، وقال : إنما أبوه يوسف ابن يهودا الذي كان زوجاً لمريم » .

(١) انظر : الرسالة السبعية (٣٦ - ٣٧) . وانظر كذلك : ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ / لأحمد ديدات - ترجمة وتعليق: وليد عثمان (٢٦ / ٥١) / ط. أولى / دار ابن الجوزي - الدمام / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

إلا أنهم مجمعون على « أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت منه لهم آية غير أنه طار يوماً وقد همُّوا بأخذه فطار على أثره آخر منهم فعلاه في طيرانه فسقط إلى الأرض بزعمهم »[(١)] ويلقبون عيسى عليه السلام بـ« بَعْلَزْبُول » ، وبعلزبول هو : رئيس الشياطين في تسميتهم ، أي ما يقابل « إبليس » في الإطلاق القرآني ، أو أن بعلزبول يسكنه[(٢)] .

وفي نصوص تلمودهم « أن يسوع الناصري (يعنون به عيسى عليه السلام) موجود في لجات الجحيم بين الزفت والنار ، وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنى » .

وجاء في التلمود كذلك : أن المسيح كان ساحراً ، ووثنياً .... مجنوناً ، كافراً لا يعرف الله ، وأن تعاليمه كفر ، وذلك لأنهم يرونه مرتداً ، ارتد عن دين اليهود وعبد الأوثان ، وأن المعجزات التي قام بها كانت بقوة السحر ، وأنه تعلم السحر أثناء وجوده في مصر كما زعموا ، وأنه تعلم ما كان يقوله للناس على يد حبر مطرود من الكنيس اليهودي لهرطقته وكفره ، واشتملت الطبعات الأولى من التلمود على كثير من كلمات السب والشتم للمسيح عليه السلام ، مثل وصفه بالخائن ، والأحمق ، غشاش بني إسرائيل ، المجذوم ، ابن الزنا[(٣)] .

ولربما جاء الحديث عن عيسى المسيح عليه السلام في التلمود ، وعن حياته

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم (١٦٢ - ١٦٣) ، وهو نقله على ما يبدو من كتاب أبي عبيدة الخزرجي الأندلسي المتوفى سنة (٥٨٢ هـ) المسمى : مقامع الصلبان . والمطبوع أخيراً تحت عنوان جديد هو : بين الإسلام والمسيحية / بتحقيق الدكتور : محمد شامة (٢٣٣ - ٢٣٧) مكتبة وهبة - القاهرة / طبعة وتاريخ بدون .

(٢) متى (١٠ : ٢٥) (١٢ : ٢٤) مرقس (٣ : ٢٢) لوقا (١١ : ١٥) .

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود (٢٧ / ١٠٥ - ١٠٦) ، وانظر كذلك : الرسالة السبعية - هامش ص (٣٨) ، والمسيح المنتظر وتعاليم التلمود للدكتور محمد علي البار (١١٧ - ١١٩) ط. أولى / ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م / الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة .

وموته وتعاليمه ، دون الإشارة إليه باسمه ، بل بـإطلاق ألفـاظ وأسمـاء أخـرى للدلالـة عليه ، مثل « ذاك الرجل » و« رجل معين » و« ابن النجار » و« الرجل الذي شـنق » . فمتى وردت مثل هـذه الكلمـات في التلمـود فـالمقصود بـالحديث حينئـذٍ هـو المسـيح عيسى عليه السلام ، وذلك خوفاً من ردة فعل النصارى .

أما ما تتضمنه تلك الإشـارات في التلمـود مـن شـتائم بحق المسـيح عيسـى عليـه السلام فكثير جداً ، منها مـا جـاء في وصـف عيسـى عليـه السـلام في بعـض فقـرات التلمود بأنه : « ابن غـير شـرعي ، حملتـه أمـه وهـي حـائض » ، « مجنـون مخبـول » ، « ساحر مشعوذ » ، وثني مضلل ، وأن تعاليمه كذب وهرطقة ، مستحيلة الإدراك[١] ، ورغم ما تعرضوا له من اضطهاد على يد النصارى في أوروبـا وغيرهـا بسـبب اطـلاع النصارى على نصوصهم التلمودية بحق المسيح عليه السلام بعـد طبـع التلمـود ونشـره كاملاً . إلا أنهم مع ذلك لا زالوا يعلنون عن عداوتـهم الدفينـة بـين الفينـة والأخـرى للمسيح عليه السلام ، رغم أنهم أرغموا على سحب نسخ التلمود وحـذف الفقـرات التي تسب المسيح عيسى عليـه السـلام أو تصفـه بـابن الزنـا ووضـع نقـاطٍ تـدل علـى الحذف في تلك الأماكن ، أو الاستعاضة برمزٍ لفظي أو طباعي عند ذكر ما يسيء إلى المسيح عيسى عليه السلام ليدرك القاريء اليهودي أن المقصود بهذا هـو عيسـى عليـه السلام ، كما أصدروا طبعـات لغير اليـهود بغـير العبريـة حذفـوا منـها تلـك الشـتائم والنعوت التي اصطلحوا على تسمية المسيح بها[٢] .

وفي هذا الخصوص أصدر يهودي أسباني عام ١٨٨٠ م كتاباً وصف فيـه المسـيح عيسى عليه السلام بأنه « كلب ميت .. مدفون في كومة روث »[٣] .

---

(١) فضح التلمود (٥٥ / ٥٧ / ٦٤ / ٦٦ / ٧٣ - ٧٤) .

(٢) اليهود (٣٦) إعداد : زهدي الفاتح - ط. ثانية / ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م .

(٣) اليهود - زهدي الفاتح (٣٥) .

وثمة ما هو أشنع من ذلك حديثاً حيث ألف قسيس من الولايات المتحدة أصله يهودي كتاباً سمّاه « المسيح شاذ جنسي » افترى فيه الملعون على المسيح عليه السلام .. واتهمه بالشذوذ الجنسي .. ، وألف قسيس آخر سنة ١٩٧٠ م من الولايات المتحدة كتاباً ادعى فيه أن المسيح خرافة وأنه لم يوجد أصلاً ، ولا ريب أن مثل هذا الكلام لا يصدر عن نصراني على الإطلاق ، فمن المحتمل أن يكون قسيساً على شاكلة سابقه . ثم أنتجت هوليود فيلماً وقحاً أسمته « غراميات المسيح » ، وأصدرت دار نشر كتاباً عنوانه « التجربة الأخيرة للمسيح » جاء فيه اتهام المسيح عليه السلام بأنه زنا بمريم المجدلية[١] .

هذا ما كان من موقف اليهود إجمالاً من المسيح عيسى عليه السلام سابقاً ولاحقاً . ولا زال ولا يزال موقفهم هذا منه لا يتغير ، فعداوتهم له مستمرة ، وسيقفون في آخر الزمان في صف المسيح الدجال ضد مسيح الهدى عيسى بن مريم عليه السلام حين ينزل في آخر الزمان لقتال الدجال .

أما موقفهم منه تفصيلاً وذكر آراء فرقهم وطوائفهم عنه وعن نبوته وبعثته وغير ذلك من القضايا المتعلقة به ، فإنه يجب علينا باديء ذي بدء أن نشير إلى أن « أناساً كثيرين من اليهود اتبعوا دين عيسى عليه السلام الأصلي الصحيح ، وإنجيله السليم »[٢] عندما بعث فيهم ، ومنهم أتباعه وحواريوه الذين آمنوا به واتبعوه .

أما المواقف التفصيلية لفرق اليهود من عيسى عليه السلام فهي على النحو التالي :

١ – الفريسيون : وقد كانت لهم الكلمة العليا في توجيه المجتمع اليهودي على عهد المسيح عيسى عليه السلام ، وكانوا من أشد خصوم المسيح خطراً عليه ، لزعامتهم بين الناس ومنزلتهم عند الولاة الرومان .

---

(١) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (٣٦٣ – ٣٦٤) .

(٢) الرسالة السبعية (٣٦) .

وقد ناهضوا المسيح عيسى عليه السلام ووقفوا في وجهه بشدة ، وكانوا يعدُّونه زنديقاً يُكذِّب بالتوراة رغم نفيه لذلك ، وتذكر الأناجيل أن المسيح عليه السلام ذكر هذه الطائفة وهاجمهم[١] ، لأنهم كانوا أشد الناس ضراوةً في معاداته ، وهم الذين ألَّبوا عليه الناس ، وحاولوا قتله وصلبه[٢] ، بل زعموا أنهم صلبوه .

٢ – الصدوقيون : وقد عُرِفوا بموقفهم العدائي من المسيح عليه السلام ، واشتركوا مع الفريسيين في مقاومته ومعاداته[٣] .

ذلك أن هذه الفرقة هي التي كانت تاليةً في الأهمية لفرقة الفريسيين طوال القرنين السابقين لميلاد المسيح ، وفي المرحلة الأولى اللاحقة للميلاد .

وتذكر الأناجيل أن هذه الفرقة حاولت أن تستدرج المسيح عليه السلام حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الاخر ، وينضم إليهم في ذلك ضد خصومهم الفريسيين ، ولكنهم أخفقوا في ذلك ، وبيَّن لهم المسيح عليه السلام فساد ما يعتمدون عليه من أدلةٍ في هذا الموضوع .

وفي الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متى جاء ذكر خبر مناظرةٍ قامت بين المسيح عليه السلام وبين هؤلاء الصدوقيين . وأن المسيح عليه السلام حاججهم حتى أفحمهم[٤] . وأن الفريسيين سُرُّوا بهزيمة الصدوقيين ونصرة المسيح رأيهم الذي يعتقدونه . وفيما بعد حين اشتدت الحملة من قبل اليهود على المسيح عليه السلام كان للصدوقيين دور كبير فيها ، وكانت الحملة الأشد وآخر الحملات بقيادة اثنين من كبار الصدوقيين هما « حنانيا » و« قيافا » ، ولم يكن في ذلك عجب ، لأن

---

(١) انظر على سبيل المثال : العهد الجديد – إنجيل متى (٢٣ : ١٣ – ١٤ – ١٥) .

(٢) عن هذه الطائفة وموقفها من المسيح عليه السلام . انظر : الفكر الديني اليهودي – د. حسن ظاظا (٢١٠ – ٢١١ / ٢٥٠) ، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (٢٦٢) .

(٣) انظر : الفكر الديني اليهودي (٢١٦) .

(٤) العهد الجديد – إنجيل متى (٢٢ : ٢٣ – ٣٤) .

الصدوقيين جميعاً يحافظون على سلطان الهيكل ، ومحافظون على النظام الديني القائم بينهم آنذاك ولا يسعون إلى تغييره[١] .

٣ – القراؤون : ولهذه الطائفة من اليهود موقف عجيب مميز ، تميزوا به عن سائر الطوائف اليهودية ، وخالفوا به جمهورهم ، ذلك أنهم يقرون أن عيسى عليه السلام لم يكن زنديقاً كما يدعي ذلك الفريزيون ، وأنه لم يشوّه التوراة و لم يكذبها أو ينسخها ، وأنه كان رجلاً من البشر من بني إسرائيل تقياً صالحاً لم يفكر قط في النبوة أو الألوهية ، بل كان مصلحاً يريد أن يخلّص شريعة موسى عليه السلام من المفاهيم المنحرفة التي ألصقت بها ، وأن عيسى عليه السلام لم يفكر قط في مخالفة التوراة أو التعدي عليها[٢] . ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه وإشاراته .

وقد ذكر الشهرستاني مقالة هذه الطائفة في المسيح عليه السلام ، ولخص موقفهم منه بقوله : « يقولون إنه لم يخالف التوراة ألبتة ، بل قررها ودعا الناس إليها ، وهو من بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى عليه السلام ، إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته » .

ثم ذكر مقالة فريقٍ من هذه الطائفة قالوا بمقالةٍ تخالف مقالة سابقيهم في بعض أفكارها ، حاصلها أنهم يقولون : إن عيسى عليه السلام لم يدَّع أنه نبي مرسل ، وأنه ليس من بني إسرائيل ، وليس هو صاحب شريعةٍ ناسخةٍ لشريعة موسى عليه السلام ، بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة ، وأن الإنجيل ليس كتاباً أنزل عليه وحياً من الله تعالى ، بل هو جمع أحواله من مبدئه إلى كماله – أي سيرته – وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين، وأنهم يقررون أن اليهود ظلموه حيث كذبوه أولاً، و لم يعرفوا بعد دعواه .

---

(١) انظر : اليهودية واليهود للدكتور : علي وافي (٩٤ – ٩٥) ، واليهودية للدكتور عرفان عبد الحميد / (٩٩) هامش .

(٢) انظر : الفكر الديني اليهودي (٢٥٠ – ٢٥١) .

وأن ذكر « المشيحا » قد ورد في التوراة في مواضع كثيرة ، وأن المراد به هو المسيح عيسى عليه السلام ، لكن لم ترد له النبوة ولا الشريعة الناسخة[١] .

٤ – **الأبيونيون** : وهي فرقة من فرق اليهود الصغيرة غير المشتهرة أثناء وجودها والمنقرضة في زمن مبكر ، لذا لم ندرج ذكرهم ضمن الكلام عن أشهر فرق اليهود ، وسعينا إلى سياق موقفهم هاهنا من المسيح عيسى عليه السلام لأهميته وتفرده وتميزه، والأبيونيون أي الفقراء إلى الله أو المساكين ، وهم طائفة من اليهود آمنوا بعيسى ابن مريم عليه السلام رسولاً من الله ، ويعدُّونه بشراً مرسلاً من رب العالمين وأن أمه صديقة ، وأنه لم يصلب بل رفعه الله ، وتمسكوا بالناموس (الشريعة) وآمنوا بالمسيح رسولاً وليس إلهاً ، بل رسولاً قد خلت من قبله الرسل ، وحين جاء بولس وجعل عيسى عليه السلام ثالث ثلاثة ورفعه من مرتبة البشر إلى مقام الألوهية ، رفضوا ذلك وعدُّوا بولس مجدِّفاً ومستحقاً لـ" اللعنة " .

لكن هذه الفرقة اندثرت وانسحقت أمام بولس وأتباعه ، وأمام ضغط الدولة الرومانية الحاكمة[٢] .

يقول تعالى في كتابه العزيز ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[٣] .

وفي عدِّ هذه الفرقة ضمن الطوائف اليهودية بعد أن آمنوا بعيسى عليه السلام نظرٌ حسب اعتقادي ، ذلك أن تلك الطوائف اليهودية التي عارضت عيسى عليه السلام لم

(١) انظر : الملل والنحل (٢١٦) .

(٢) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (٢٦٨ / ٢٧٢) .

(٣) سورة الصف – الآية رقم (١٤) ، خاتمة السورة .

تكن على الدين الصحيح الذي بعث الله به موسى عليه السلام - دين الحق - وهؤلاء آمنوا بما جاء به نبي الله عيسى عليه السلام من عند الله من الدين الحق ، فهم من المؤمنين بدين الله الحق الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] ولم يكونوا من المتهوِّدين .

٥ - **العيسوية** : فرقة يهودية ظهرت في العهد الإسلامي وداخل الدولة الإسلامية ، أسسها يهودي أصبهاني يدعى أبا عيسى محمد بن عيسى الأصبهاني ، وهي فرقة صغيرة غير مشتهرة ، بل منقرضة كذلك ، لذا لم نوردها في مبحث أشهر الفرق ، وأوردنا مقالتهم هنا لتميزها عن مجموع مقالات فرق اليهود الأخرى .

يذكر الإمام ابن حزم رحمه الله أن أتباع هذه الطائفة كانوا يقولون بنبوة عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويقولون : إن عيسى عليه السلام بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل ، وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل[2] .

وخلاصة هذه المقالات أن جمهور اليهود من الفريسيين الربانيين وخصومهم من الصدوقيين قد رفضوا الإقرار بنبوة عيسى عليه السلام وعدُّوه زنديقاً ، وسعوا في أذيته والوشاية به عند الدولة الرومانية ، وتزعموا الحملات ضده ، ولم يشذ عن هؤلاء إلا طائفة صغيرة (الأبيونيون ، وقال بمقالتهم فيما بعد : العيسوية) آمنوا بعيسى ابن مريم عليه السلام رسولاً من عند الله بشراً وليس إلهاً ولا ثالث ثلاثة .

وقرروا فيه القول الحق أنه نبي مرسل من عند الله وأمه صديقة ، وأنه لم يصلب بل رفعه الله .

---

(١) سورة آل عمران - الآية رقم (١٩) .

(٢) الفصل (١ : ١٧٩) .

ومن حق قائلٍ أن يقول : إن هؤلاء بعد أن قالوا بهذه المقالة الصادقة وآمنوا بعيسى رسولاً من عند الله لا يُعدُّون يهوداً في جملة اليهود أو فرقةً من فرقهم ، بل هم على الحقيقة من جملة حواريي المسيح عليه السلام وأتباعه المخلصين المؤمنين حقاً بدين الله الحق قبل أن يبزغ ذلك المدلِّس بولس .

وأما قول القرائين العنانية ، والعيسوية ، من فرق اليهود الناشئة تحت ظل الدولة الإسلامية ، فمن الواضح للمتأمل تأثر مقالة هاتين الفرقتين بعقيدة المسلمين وقولهم في المسيح عليه السلام ، فلئن كان العيسوية قد صرحوا بنبوته وبعثته إلى بني إسرائيل ، فإن القرائين قد تنازلوا عن الموقف التقليدي لجمهور اليهود حين قرروا على استحياء أن عيسى عليه السلام لم يكن زنديقاً كذَّب بالتوراة ، بل ولياً صالحاً عارفاً بأحكام التوراة من المتعبدين بها والمؤمنين بموسى عليه السلام وشريعته ، غير أنهم لم يبلغوا مبلغ العيسوية في الإقرار بنبوته ورسالته .

وفي الختام لا يمكننا أن نتناول موقف اليهودية من المسيح عليه السلام دون أن نشير في آخر ذلك إلى قولهم في نهايته ، وهل صلب أم لم يصلب ؟ فتلك قضية من الأهمية بمكان .

التصور اليهودي لهذه القضية لا يُستغرب في إطار العداوة المتأصلة ضد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

لذا لا عجب أن نسمع عنهم تفاصيل قصة الصلب ، فهم أبطال تلك الملحمة بزعمهم .

يقولون : « إنهم حين أخذوه حبسوه في السجن أربعين يوماً »[1] . أما كيف تمكنوا من القبض عليه وسجنه والتمهيد لقتله رغم أنهم كانوا واقعين تحت الاستعمار الروماني آنذاك ، فجوابه : أنهم تمكنوا من تطوير علاقة إيجابية بينهم وبين مستعمريهم من الرومان آنذاك ، واستغلوا هذه العلاقة التي بلغت ذروتها قبل القبض على المسيح

---

(١) هداية الحيارى (١٦٢) وهو على ما يبدو عن كتاب أبي عبيدة الخزرجي السالف ذكره (٢٣٣) .

عليه السلام في مطالبة الوالي الروماني بالقبض على المسيح عليه السلام وإرسال عساكره من أجل ذلك ، ورضخ الوالي لمطالبهم حتى يساهم في تمتين هذه العلاقة الإيجابية الطارئة بين الرومان واليهود وحتى يأمن شر فتنتهم وثورتهم ضد الحكم الروماني إذا هو لم يستجب لمطالبهم ، وأرسل الوالي جنوده فقبضوا على المسيح عليه السلام حسب تصويرهم لهذه الحادثة ، وحسب ما يروونه فإنهم بدأوا يطالبون الوالي بإعدامه . وآثر الوالي التريث ، وأخيراً رضخ الوالي لمطالبهم بقتله[١] .

وحينئذٍ أعلن السنهدرين[٢] حسب الرواية اليهودية لجميع سكان القدس أن يحضر أي إنسان يريد أن يدلي بشهادته لبراءة عيسى فلم يحضر أحد حسب زعمهم ، لأن الجميع قد علموا بجرمه واتفقوا على أنه مذنب يستحق الصلب .

وحينئذٍ تمَّ صلب المسيح عيسى عليه السلام حسب دعواهم . يقول التلمود : « إن المسيح رمي بالأحجار حتى مات من قبل سكان القدس (أورشليم) ثم صلب مساء عيد الفصح »[٣] .

وفيما بعد أصبحوا يذكرون المسيح عيسى عليه السلام في كتاباتهم ، ويقولون عنه : إنه لقي ميتةً حقيرة بشنقه على صليب في ليلة عيد الفصح اليهودي وذلك عقاباً له على جرائمه[٤] .

---

(١) انظر : التاريخ اليهودي العام - صابر طعيمة (٣٤٥) ط. أولى / ١٩٧٥ م / دار الجيل - بيروت .

(٢) السنهدرين كلمة يونانية معناها : المجلس أو الجمعية أو الهيئة الاستشارية ، وعندما استولى الرومان على فلسطين قسموها إلى خمس محافظات وجعلوا لكل محافظة هيئة حاكمة تسمى « السنهدرين » وكانت أورشليم إحدى هذه المحافظات الخمس ، فالسنهدرين هنا هو المجلس الأعلى الذي يحكم الطائفة اليهودية داخل منطقة القدس في ظل السيطرة الرومانية ، ويقوم بتنظيم شؤونها ، وكانوا هم الذين يصدرون أحكام الإعدام فهم بمثابة مجلس قضائي أعلى ، وقد نظم أحبار التلمود السنهدرين فجعلوه على درجتين : السنهدرين الأعظم وهو المجلس الأعلى المركزي لجميع اليهود ، ورئيسه يوصف بأنه خليفة موسى عليه السلام . وهناك سنهدرين أصغر ، وهو مجلس محلي لكل تجمع يهودي ، ومقر السنهدرين الأعظم في أورشليم (القدس) . انظر : (الشخصية الإسرائيلية - د. حسن ظاظا / ٥١ - ٥٢) .

(٣) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود (١١٨ - ١١٩) .

(٤) فضح التلمود (٧٠) .

وبعد ، فهذه حقيقة موقفهم من المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، رموا أمه الشريفة الطاهرة بالزنا ، وعدوه ابن زنا حاشاه عليه السلام ، ثم ناصبوه العداء لَمَّا قام بالدعوة إلى الله وكادوه بشتى المكايد ، ثم زعموا في خاتمته أنهم تمكنوا منه وسجنوه ثم صلبوه ورجموه جزاءً له على خروجه على دينهم المحرَّف .

وحاشا أن يكون الأوغاد قد أصابوا منه مرادهم ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾[1] .

وثمة أسباب لمناوأة اليهود لعيسى عليه السلام ودعوته ، لعل أهمها على الإطلاق هو : أن اليهود كانوا ينتظرون ظهور نبي يكون ملكاً عليهم ، يخلصهم من أعدائهم ومستعمريهم من الرومان بقوة السلاح ، ويفتحون به العالم ويقيمون لهم ملكاً باذخاً ، وتكون العزة والغلبة في الأرض لهم ، لكنهم فوجئوا بنبي يدعوهم إلى الصبر والإيمان وحسن الخلق ولين الجانب ، فانفضوا عنه وأنكروه وعادوه أشد العداء لأنه خَيَّب آمالهم وهدم طموحاتهم .

ومن تلك الأسباب أنه لم يلتزم قدسية السبت ، ولم يحرم العمل فيه ، وأنه دعا على أورشليم بالخراب ووصمها بأنها « قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين »[2] .

يقول فيلسوفهم الكبير (في مصر أيام الأيوبيين) موسى بن ميمون متحدثاً عن المسيح عيسى عليه السلام مبدياً أسباب اعتراضهم عليه ، وعلى أنه المسيح ، أو المسيح المنتظر : « لو كان قد أعاد بناء الهيكل أو كان نجح في لَمِّ شمل كل أسباط إسرائيل من الشتات لكن قد أصبح من الممكن اعتباره المسيح المنتظر ، لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، .. إذن فهو ليس المسيح الذي ... ننتظر مجيئه » .

---

(١) سورة النساء - بعض الآيتين رقم (١٥٧ - ١٥٨) .

(٢) إنجيل متى (٢٣ : ٣٧) . وانظر في عرض الأسباب وبسطها : اليهودية والمسيحية للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي (٢٥٠ - ٢٥٣) ط. أولى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م / مكتبة الدار بالمدينة .

ثم يضيف « المسيح الذي ننتظره سوف يكون على يديه فداء إسرائيل وخلاصها وإنقاذ شعبها من النفي ، وترسيخ شريعتها ، لكنَّ هذا كان المتسبب في دمار إسرائيل ، وكان المتسبب في استسلامها للذل والشتات ، وكان المتسبب في إفساد الناموس ... »[1] .

والسبب الأعظم قبل ذلك في سر معاداتهم له : أنه - عليه السلام - فضح تحريفهم لدين موسى عليه السلام وكتابه « التوراة » ، وفضح تلاعبهم بذلك الدين من تحليلٍ للحرام وتحريمٍ للحلال ، وتحايلٍ على الأحكام والشرائع ، في سبيل تحصيل منافعهم الدنيوية بنهمٍ وجشعٍ بالِغَيْن .

وهو بفضحه أحوال أولئك المتلاعبين بدين الله ، الذين يأكلون به أموال الناس بالباطل زوراً وبهتاناً ، يكون قد هدد سلطتهم الروحية وكهنوتهم الديني ، وأوشك أن ينسف ما بنوه ورتبوه على مرّ السنين ، فاجتهدوا في إيذائه ودفع أمره ، دفاعاً عن مصالحهم ومكاسبهم الدنيئة .

(١) بواسطة : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٥٥) .

الفصل الثاني

المسيح المنتظر في المصادر اليهودية

الفصل الثاني

المسيح المنتظر في المصادر اليهودية

لاشك أن اليهود ينتظرون مسيحاً يقدم عليهم في آخر الزمان فيملكون بـه العـالم وينتصب به عزهم ومجدهم الباذخ الذي ظلوا يؤملونه ألفي عام أو تزيد ، ولا ريب أن هذه الأمنية لا تزال تراود عامة اليهود ، ولا تزال تصريحاتهم الحاضرة تظهر بين الفينـة والأخرى تترقب حلول موعد ظهوره وتستعجل خروجه وتتنبأ بمقدمه .

ولئن كانت هذه هي القاعدة في الاعتقاد عند عامة اليهود ، فليـس يعـني هـذا أن كل يهودي من يهود اليـوم يعتقـد اعتقـاداً جازمـاً ويؤمـن إيمانـاً يقينيـاً بـهذه العقيـدة المعلومة في المسيح المنتظر ، إذ لا يتوقع أن يميل إلى الإيمان بمثل تلك الغيبيـات المـاديون منهم كالملاحدة وغلاة العلمانيين ، بل إخالهم يـرون التعـامل مـع الواقـع والسـعي إلى تحقيق أحلامهم وطموحاتهم على أيديهم لا على يدي منتظرٍ يبشرهم بـه الحاخامـات التلموديون أجدى وأولى .

يقول هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة : « إن المسئولية الـتي ألقيـها على عاتق اليهود ، هي تقصيرهم على الصعيد القومي في تحقيـق الكرامـة القوميـة واحـترام ذواتهم . وهـذا التقصير مـن جـانب اليـهود في توجيـه الاهتمـام الكـافي إلى حريتـهم القومية وإلى استقلالهم ووحدتهم يرجع إلى عقيدة انتظار المسيَّا لديهم » .

لكنَّ إلقاءَه باللائمة هاهنا في تقصير اليهود علـى معتقدهـم في المنتظـر ، وبقائـهم أكثر من ألفي عام ينتظرون الخلاص على يديه ، لا يعني أنه كان ينفي هذه الفكـرة أو العقيدة نفياً قاطعاً ، إذ نقل عنه هو على الأخص ما يفيد إقراره بـ« المسيح المنتظر »[1].

---

(١) المسيا المنتظر نبي الإسلام ﷺ – د. أحمد حجازي السقا (١٧٧) .

ولم يقتصر ذلك التوجه على مثل ذلك الصهيوني السياسي العلماني المتأخر ، بل سبقه إلى ذلك يهود غيره ، فقد نقل عن أحد أحبارهم المتقدمين قوله : « لن يكون هناك مسيا لبني إسرائيل ، لأنه سبق لهم أن تنعموا به على عهد حزقيال »[١] .

ولئن كان ذلك استثناءً – فيما يبدو لي – لا تظهر علاماته بقوة في المجتمع اليهودي المعاصر ، إلا أنه لا يُغيِّر من واقع الأمر شيئاً ، ولا يتعارض مع نسبة القول والاعتقاد بمسيح منتظر يخرج آخر الزمان إلى عموم اليهود ، فإن لهذا الاستثناء غير المعلن حاضراً سابقةً في تاريخ الفرق اليهودية المنقرضة . كان اليهود في عصر المسيح عليه السلام منقسمين إلى فريسيين وصدوقيين ، ولا زال الفريسيون يشكِّلون جمهرة اليهود ، أما الصدوقيون فقد انقرضوا ، ولقد كان من أهم عقائد تلك الفرقة المنقرضة : القول بعدم وجود مسيح منتظر . لذا لم يكونوا يتحدثون عن المنتظر ، بل كانوا ينكرون ظهوره ولا ينتظرونه[٢] .

إذن فحديثنا عن منتظر اليهود هو قول عموم اليهود وجمهرتهم ، والقول المعتبر هو قول الجمهور إذ لكل قاعدة استثناء ، ويحتوي كتاب الصلوات اليومية لليهود على ثلاث عشرة قاعدة للإيمان وضعت في القرن الثاني عشر الميلادي[٣] . وتقول القاعدة الثانية عشرة : « أعتقد بالتصديق الكامل بمجيء المسيا ، ولو أنه تأخر فسأنتظر يومياً قدومه »[٤] .

ولذا فسيكون حديثنا – بحول الله تعالى – عن ما لدى اليهود من نبواءاتٍ تتعلق بمنتظرهم . وسيقتصر حديثنا في هذا الفصل عن منتظر اليهود على ما في العهد القديم وأسفاره من تنبؤات بهذا الخصوص، وعما يردده اليهود قديماً وحديثاً بشأن منتظرهم.

---

(١) المسيا المنتظر نبي الإسلام ﷺ (١٧٣) نقلاً عن : التلمود .

(٢) اليهودية والمسيحية – الأعظمي (١٩٠) .

(٣) وضعها لهم فيلسوفهم المشهور موسى بن ميمون نزيل مصر أيام الأيوبيين .

(٤) بواسطة : مسيا والمسيائية – لصلاح الدين الأيوبي (١٣) مطابع معتوق – حلب / ١٣٩٢ هـ / طبعة : بدون .

وسنقسم الحديث فيما يختص بهذا الفصل الذي نحن فيه إلى مبحثين :

المبحث الأول : نتناول فيه نبوءات العهد القديم وأسفاره وما يرد فيه من إشارات في هذا الخصوص ، نظراً لما يعتقده جمهور اليهود من الفريسيين من قدسية تلك النصوص .

المبحث الثاني : ونورد فيه ما وجدناه من نبوءاتٍ يهودية أخرى صدرت عن بعض حاخاماتهم ونحوهم مما لم يتضمنها العهد القديم وأسفاره عن المسيح المنتظر ، والمسيح الدجال ، وإعادة بناء الهيكل ، والصراع مع جوج وماجوج . ثم نُتبع ذلك بالحديث عن أدعياء المسيحانية في التاريخ اليهودي ، وأخبار حركاتهم التي أقاموها على أساس دعوى القائمين على تلك الحركات أنهم يمثّلون شخصية «المسيح المنتظر».

المبحث الأول

نبوءات العهد القديم

المبحث الأول

نبوءات العهد القديم

كلمة « المسيح المنتظر » ترد في نصوص العهد القديم (التوراة والأسفار) بلفظ « المسيح » وقد يطلق بعض اليهود عليه لفظ « المسِيًّا » الذي ورد في الإنجيل ، ويراد به « المسيح المنتظر » ، لأن كلمة « مسِيًّا » معناها المسيح . وتلفظ في العبرية « هاما شيح » أو « هاما شياح » . وكلمة مسيح تطلق عندهم في الأصل على كل من مُسِحَ بالزيت المقدس . وكان اليهود على عادة الشعوب القديمة يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبهما علامةً على أنه قد أصبحت لهما مكانة خاصة . ولم تستخدم كلمة المسيح أو المسِيًّا في العهد القديم بالمعنى الخاص والمحدد الذي اكتسبته فيما بعد ، وإنما كانت كلمة ذات دلالة عامة تشير إلى كل الملوك اليهود وإلى الأنبياء[١] . بل أطلقها اليهود على قورش ملك فارس ومحرر الشعب اليهودي من الأسر البابلي[٢] .

ولكن معنى الكلمة تطور وتحدد فيما بعد فأصبحت تشير إلى ملك من نسل داود عليه السلام من سبط يهوذا في اعتقاد العبرانيين ، أو من نسل أفرايم من سبط يوسف عليه السلام حسب اعتقاد السامريين .

يأتي ذلك الملك ليجمع شتات اليهود المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء إسرائيل ويتخذ أورشليم عاصمة له ويعيد بناء الهيكل ويحكم بالشريعة ويبدأ الفردوس ، ...... ويعم السلام العالم ، ويكون في الأرض رخاء وسعة رزق[٣] .

---

(١) المسيا المنتظر نبي الإسلام (٧٩ / ٨٢) للدكتور : أحمد حجازي السقا .

(٢) سفر إشعياء (٤٥ : ١) .

(٣) انظر : المسيا المنتظر نبي الإسلام (٨٢ / ٢١١) .

أما تفصيل حديث نبوءات العهد القديم عن ذلك فإليك بيانه . جاء في سفر العدد أحد الأسفار الخمسة التي ينسبونها إلى موسى عليه السلام (التوراة) : « يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب ويُهلك كل بَني الوغى . ويكون أدوم ميراثاً ويكون سعير أعداؤه ميراثاً ويصنع إسرائيل ببأس ويتسلط الذي من يعقوب ويهلك الشارد من مدينة »[١] .

ولن نخوض في متاهات تفسير هذه النصوص التي يختلف حول تأويلها وتوجيهها اليهود قبل غيرهم ، لكن النص من الوضوح بمكان ، وموآب وسط الأردن مما يلي البحر الميت من الشرق ، وأدوم جنوبي الأردن .

لكن النص الأهم في نظر اليهود ، والذي يدل حسب تصورهم على المنتظر ، يجيء في السفر الخامس والأخير من الأسفار المنسوبة لموسى عليه السلام وهو سفر التثنية حيث جاءت فيه هذه البشارة : « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي . له تسمعون ... » إلى قوله : « قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا . أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعلُ كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه »[٢] .

ودون الإيغال في تعقيدات جدلية نقرر أن هذا النص الذي يتوكأ عليه يهود في منتظرهم لا ينطبق عليه . لذا فلا عجب أن يضيفوا إلى أوصاف منتظرهم المسيح ابن داود الملك وصف النبوة حتى تنطبق عليه مثل هذه النبوءة . ولم تتحدث هذه البشارة إلا عن نبي يجيء بعد موسى عليه السلام يبشرهم به موسى ، وليس فيها حديث عن « مسيا » أو « ملك من نسل داود أو من سبط يوسف » . بل هي بشارة صريحة بنبي يأتي بعد موسى عليه السلام .

---

(١) سفر العدد (٢٤ : ١٧ - ١٩) .

(٢) سفر التثنية (١٨ : ١٥ - ١٩) .

لكن معشر يهود كفروا بعيسى وعدوه (مُهَرْطِقاً) زنديقاً ، وكذبوا بنبوته ، وحسدوا العرب أن خرج بينهم محمد ﷺ نبياً رسولاً فزووها عنه وزعموا أنهم وعدوا بنبي بعد موسى عليه السلام من نسل داود يكون ملكاً يفتح بهم العالم ، فأخرجوا منها عيسى عليه السلام ومحمداً ﷺ حسداً وبغياً ، مع أن لفظ البشارة لم يرد فيه مثل ذلك الاشتراط والتفصيل الذي يذكرونه لصاحبهم المنتظر .

وزعموا أن لفظ « من إخوتك » الوارد في البشارة ، المراد به : أنه يكون منهم ، وهو تأويل بعيد جداً . قالوا : ولم يكن هو عيسى عليه السلام ، ثم خلصوا إلى أنهم لا زالوا في : انتظار نبي عظيم ولكنه سيكون من بني إسرائيل[1] .

وقد فتح عليهم ذلك أبواب الردود من كل حدب وصوب ، غير أن الرد الأبلغ يجيء من أحد أكابر أحبارهم المهتدين للإسلام في القرن السادس الهجري حين قرر أن هذه البشارة من الآيات والعلامات في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ ، وأنهم أُمروا في هذا النص بالإيمان بالمصطفى ﷺ واتِّباعه .

قال : « فإن قالوا : (أي اليهود) إنه قال : من وسط إخوتهم ، وليس في عادة كتابنا أنه يعني بقوله (إخوتهم) إلا بني إسرائيل ، قلنا : بلى . قد جاء في التوراة (إخوتهم) لبني العيص ، وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس ......

وإن قالوا : إن هذا القول إنما أشير به إلى شموائيل (صموئيل) النبي - عليه السلام - لأنه قال : « من وسط إخوتهم مثلك » . وشموائيل كان مثل موسى ، لأنه من أولاد لاوي ، يعنون من السبط الذي كان منه موسى - عليه السلام - قلنا لهم : فإن كنتم صادقين ، فأيُّ حاجة بكم إلى أن يوصيكم بشموائيل ، وأنتم تقولون : إن شموائيل لم يأت بزيادة ولا نسخ ؟ أأشفق من أن لا تقبلوه لأنه إنما أرسل ليقوي

---

(١) ذكر ذلك ابن كمونة الإسرائيلي البغدادي (ت ٦٨٣ هـ) في كتابه : تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث (٩٤) بواسطة (المسيا المنتظر نبي الإسلام ﷺ / ٨٨) .

أيديكم على أهل فلسطين ، وليردكم إلى شرع التوراة ؟ وبيَّن صفته ، فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به ؟ لأنه إنما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم ، ويغير أوضاع ديانتكم ، فالوصية بالإيمان به مما لا يستغني مثلكم عنه . ولذلك لم يكن بموسى – عليه السلام – حاجة إلى أن يوصيكم بالإيمان بنبوة إرمياء وإشعياء وغيرهما من الأنبياء »[١] .

وتتوالى نبوءات العهد القديم . وننتقل من أسفار موسى الخمسة إلى بقية أسفار العهد القديم .

جاء في سفر المزامير الذي ينسبونه لداود عليه السلام : « قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه » إلى قوله فيما ينسبه إلى الرب عز وجل : « قد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي . إني أخبر من جهة قضاء الرب . قال لي ... اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك . تحطمهم بقضيبٍ من حديد . مثل إناء خزَّافٍ تكسِّرهم . فالآن يا أيها الملوك تعقَّلوا . تأدبوا يا قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ... قبِّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليلٍ يتَّقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه »[٢] .

ورغم إشارة اليهود إلى أن هذا النص يتحدث عن مسيحهم المنتظر . فإنه كما يتضح من سياق النص لا يتلائم مع تلك الفكرة . لأنه يتحدث عن أمرٍ وقع آنذاك في زمن سابق . لأن ملوك الأرض تآمروا على مسيح الرب ، وأن الله قد مسحه ملكاً على صهيون ، ونصح الملوك بالانقياد له . وهذا ينطبق على داود عليه السلام وملكه ونبوته أكثر مما ينصرف إلى المسيح المنتظر .

---

(١) بذل المجهود في إفحام اليهود – للحكيم السموءل بن يحيى بن عباس المغربي المتوفى عام ٥٧٠ هـ من أعاظم أحبار اليهود قبل إسلامه (٧٥ – ٧٨) .

(٢) سفر المزامير (٢ : ٢ / ٦ – ١٢) .

أما تسميته بالمسيح فقد أسلفنا القول أن بني إسرائيل يطلقون هذا اللفظ على أنبيائهم وملوكهم وكهنتهم ، لأنهم يمسحونهم بالدهن أو الزيت ، يمسح النبي الملك عند تتويجه ، ويمسح الكاهن خليفته في الزعامة الدينية ، أو النبي مَنْ بعده مِنَ النبيين .

وقد ورد في العهد القديم في قصة داود عليه السلام الإشارة إلى مسحه ملكاً على إسرائيل[١] .

وعلى هذا فالنص ينطبق على داود عليه السلام أكثر مما ينطبق على المسيح الذي ينتظرونه .

وفي « المزامير » نبوءة أخرى حسب اعتقاد اليهود بذلك المسيح المنتظر ، تقول النبوءة : « يُرسل الرب قضيب عزك من صهيون . تسلَّطْ في وسط أعدائك . شعبك منتدب في يوم قوتك في زينةٍ مقدسة »[٢] .

على أن الإشارة الواضحة في « سفر المزامير » المنسوب لداود عليه السلام إلى مسيح اليهود المنتظر تجيء في المزمور قبل الأخير . وفيه : « ليفرح إسرائيل بخالقه . ليبتهج بنو صهيون بملكهم . ليسبحوا اسمه برقص . بدفٍّ وعود ليرنموا له . لأن الرب راض عن شعبه . يُجمِّل الوُدَعَاء بالخلاص . ليبتهج الأتقياء بمجدٍ ليرنموا على مضاجعهم . تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدّين في يدهم . ليصنعوا نقمةً في الأمم وتأديباتٍ في الشعوب . لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبولٍ من حديد . ليُجروا بهم الحكم المكتوب »[٣] .

ففي هذا المزمور إشارة إلى الخلاص الذي ينتظره اليهود ، وإلى الملك (المسيح المنتظر) الذي سيكون على يده ذلك الخلاص . وفيه كذلك ذكر انتقامهم به من

---

(١) سفر صموئيل الثاني (٥ : ٣) .

(٢) سفر المزامير (١١٠ : ٢ - ٣) .

(٣) سفر المزامير (١٤٩ : ٢ - ٩) .

الأمم وتأديبهم تحت قيادته للشعوب ، وأسرهم للملوك ، واستعبادهم للشرفاء وتكبيلهم بصفود الحديد ، حتى يجري عليهم القدر المكتوب .

وتلك أوضح إشارة تمر بنا في مسيرتنا عبر أسفار العهد القديم إلى « المسيح المنتظر » بعد تلك الإشارة الأولى الواردة في سفر العدد من توراة موسى عليه السلام .

وبعد سفر المزامير ثمة إشارات في أسفار عدة من أسفار العهد القديم ، مثل سفر « إشعياء » الذي وردت فيه الكثير من الإشارت . كقوله « يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد »(١) لذا نراهم ينعتون المنتظر بأمبراطور السلام ، أو أمير السلام .

وفي إشارةٍ أوضح من ذلك يقول السفر : « يخرج قضيب من جذع يَسَّى (ويَسَّى هو والد داود عليه السلام ، يسمونه بداود بن يَسَّى، فالمراد إذاً من نسل داود عليه السلام) وينبت غصنٌ من أصوله . ويحل عليه روح الرب .... يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه » .

إلى أن قال في وصف عصر المنتظر : « فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل .... معاً وصبي صغير يسوقها . والبقرة والدبة ترعيان. تربض أولادهما معاً والأسد كالبقر يأكل تبناً . ويلعب الرضيع على سرب الصِلّ ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان . لا يسوؤون ولا يُفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتليء من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر . ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسَّى القائم رايةً للشعوب ، إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً »(٢) .

---

(١) سفر إشعياء (٩ : ٦ - ٧) .

(٢) سفر إشعياء (١١ : ١ - ١٠) .

ويواصل السفر حديثه الموسع عن هذا « القائم » المنتظر وعصره ، وجمعه لشمل اليهود من أصقاع الدنيا متنبئاً بعودة اليهود من شتاتهم في كل زوايا الدنيا وبقاعها إلى فلسطين ، فيقول : « يكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانيةً ليقتني بقية شعبه التي بقيت من أشور ومن مصر ومن فَتْروس ومن كُوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر . ويرفعُ رايةً للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض . فيزول حسد أفرايم وينقرض المضايقون من يهوذا . أفرايم لا يحسد يهوذا ويهوذا لا يُضايق أفرايم . وينقضان على أكتاف الفلسطينيين غرباً وينهبون بني المشرق معاً . يكون على أدوم وموآب امتداد يدهما وبنو عمُّون[١] في طاعتهما . ويبيد الرب لسان بحر مصر ويهز يده على النهر بقوة ريحه ويضربه إلى سبع سواقٍ ويجيز فيها بالأحذية »[٢] .

إلى أن قال : « فتستقون مياهاً بفرحٍ من ينابيع الخلاص . وتقولون في ذلك اليوم ... صوِّتي واهتفي يا ساكنة صهيون لأن قدوسَ إسرائيل عظيم في وسطك »[٣] .

ويواصل هذا السفر العجيب الحديث عن ذلك الزمن الذي يظهر فيه قائم آل داود . ليحدثنا عن إشادته لمملكة إسرائيل القوية وإبادته لأعدائهم . فيقول : « في المستقبل يتأصَّل يعقوب . يُزهر ويُفرع إسرائيل ويملأون وجه المسكونة ...... تُلقطون واحداً واحداً يا بني إسرائيل . ويكون في ذلك اليوم أنه يُضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون في أرض أشور والمنفيون في أرض مصر ويسجدون للرب في الجبل المقدَّس في أورشليم »[٤] .

---

(١) أدوم ناحية جنوب الأردن وموآب وسطها مما يلي شرق البحر الميت . وبنو عمون يقصد بها المنطقة التي تقع فيها عمَّان عاصمة المملكة الأردنية حالياً .

(٢) السفر هنا يتنبأ بجفاف النيل حتى يتمكن المارُّ به من اجتيازه ماشياً .

(٣) سفر إشعياء (١١ : ١١- ١٥) و(١٢ : ٣ - ٤ / ٦) .

(٤) سفر إشعياء (٢٧ : ٦ / ١٢ - ١٣) .

ويعتقدون أن هذه نبوءة صريحة وواضحة في العودة اليهودية من الشتات إلى أرض الميعاد .

ويواصل السفر حديثه عن ذلك قائلاً : « الرب سيرحم يعقوب ويختار أيضاً إسرائيل ويريحهم في أرضهم فتقترن بهم الغرباء وينضمون إلى بيت يعقوب . ويأخذهم شعوب ويأتون بهم إلى موضعهم ويمتلكهم بيت إسرائيل في أرض الرب عبيداً وإماءً ويسبون الذين سبوهم ويتسلطون على ظالميهم » وفي ذلك إشارة إلى معونة بعض الأمم والشعوب لهم على العودة إلى فلسطين كما حصل من الدول الغربية النصرانية مثل بريطانيا وأمريكا من تسهيل الهجرة اليهودية وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين .

إلى أن قال : « الرب أسس صهيون وبها يحتمي بائسو شعبه »[(١)] ، « رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم . وقدام شيوخه مجد » . « ويقال في ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا . هذا هو الرب انتظرناه . نبتهج ونفرح بخلاصه » والمقصود بالرب وإلهنا عندهم : المنتظر المخلّص لأنهم يطلقون عليه اسم الرب .

« في ذلك اليوم يُغنّى بهذه الأغنية في أرض يهوذا . لنا مدينة قوية » . و« الشعب في صهيون يسكن في أورشليم » « فيسكن في البرِّيَّة الحق والعدل في البستان يقيم . ويكون صنع العدل سلاماً وعمل العدل سكوناً وطمأنينةً إلى الأبد . ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة وفي محلات أمينة »[(٢)] .

ويقدِّم لنا السفر في موضع آخر صورة أشد وضوحاً وأكثر تعبيراً عن العودة إلى صهيون والتحفز لقدوم المخلِّص المنتظر . يقول : « قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك .... يأتي بنوك من بعيد وتُحمل بناتك على الأيدي .... تتحوّل إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم .... مَنْ هؤلاء الطائرون كسحابٍ

---

(١) سفر إشعياء (١٤ : ١ - ٢ / ٣٢) .

(٢) سفر إشعياء (٢٤ : ٢٣) و(٢٥ : ٩) و(٢٦ : ١) و(٣٠ : ١٩) و(٣٢ : ١٦ - ١٨) .

وكالحمام إلى بيوتها ... لتأتي ببنيك من بعيد[١] وفضتهم وذهبهم معهم ... وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك .... ليُؤتى إليك بغنى الأمم وتُقاد ملوكهم لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد ... وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين . وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل ... وترضعين لبن الأمم[٢] .... الرب يكون لكِ نوراً أبدياً وتُكمل أيام نَوْحك . وشعبك .. إلى الأبد يرثون الأرض » .

إلى أن قال : « أعدُّوا السبيل . نقُّوه من الحجارة . ارفعوا الراية للشعب . هو ذا الرب قد أخبر إلى أقصى الأرض قولوا لابنة صهيون هوذا مخلِّصك آتٍ »[٣] .

أما ما يفعله المنتظر بجيران اليهود آنذاك من تقتيل وتدمير ، فيقرره هذا السفر الغريب على النحو التالي :

١ - بابل (العراق) : يقول السفر عن بابل ونبوءات إشعيا بشأنها : « صوتُ ضجيج ممالك ، أممٌ مجتمعة ، ربُ الجنود يعرض جيش الحرب . يأتون من أرض بعيدة ... الرب وأدوات سخطه » وحين نقرأ هذه العبارة يتبادر إلى أذهاننا لأول وهلة حدثٌ معاصر قريب الوقوع ، ألا وهو ما يعرف بحرب الخليج الثانية حيث تداعت الأمم من كل الأراضي البعيدة .

أما نتيجة تلك المواجهة في ختام تفاصيلها فيسوقها السفر بكل هولٍ على النحو التالي : « ترتخي كل الأيادي ويذوب كل قلب إنسان . فيرتاعون . تأخذهم أوجاع ومخاضٌ يتلوَّون كوالدةٍ . يبهتون بعضهم إلى بعض. وجوههم وجوه لهيب . » ..

---

(١) الغريب العجيب حقاً في هذا الأمر سواء أكانت هذه نبوءةً أو أمنيةً أنها تحققت الآن في الواقع المشاهد ، وقد فسَّر بعضهم لفظ « الطائرون كسحاب » بقدوم اليهود المهاجرين إلى فلسطين على متن الطائرات . انظر : الصهيونية المسيحية - محمد السمَّاك (٧٦) ط. ثانية / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م / دار النفائس - بيروت .

(٢) كناية عن هيمنتهم على الاقتصاد العالمي كما هو حاصلٌ الآن .

(٣) سفر إشعياء (٦٠ : ١ / ٤ - ٥ / ٨ - ١٢ / ١٤ / ١٦ / ٢٠ - ٢١) و(٦٢ : ١٠ - ١١) .

« نجوم السماوات .. لا تُبرز نورها . تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوءه[١] . وأعاقب ... المنافقين على إثمهم وأُبطِلُ تعظم المستكبرين وأضع تجبر العتاة . وأجعل الرجل أعز من الذهب الإبريز . » .... « يهربون كل واحد إلى أرضه . كل من وُجد يُطعن وكل من انحاش يسقط بالسيف . وتُحطَّم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم . » .... « وتصير بابل ... كتقليب الله سدوم ... لا تُعمر إلى الأبد ولا تسكن .... ولا يُخيِّم هناك أعرابي ولا يربض هناك رعاة . بل تربض هناك وحوش القفر ويملأ البوم بيوتهم » أما متى يكون ذلك ، فيقول السفر : « ووقتها قريب المجيء وأيامها لا تطول »[٢] .

٢ - موآب (وسط الأردن) : يقول السفر : « في ليلةٍ خربت ... موآب وهلكت » « في ثلاث سنين ... يُهان مجد موآب ... وتكون البقية قليلة صغيرة لا كبيرة » « يصعدون إلى المرتفعات للبكاء » « ويداس موآب في مكانه »[٣] .

وفي حزقيال : قل لبني عَمُّون (أي أهالي عمَّان عاصمة الأردن وما حولها) ... هـأنذا أُسلِّمك لبني المشرق مِلْكاً ... يجعلون مساكنهم فيك ... يأكلون غلَّتك و.. يشربون لَبَنَك . وأجعل ... بني عمُّون مريضاً للغنم[٤] .

إلى أن قال : وأمدُّ يدي على أدُوم ، وأقطع منها الإنسان والحيوان ، وأصيِّرها خراباً ... يسقطون بالسيف . وأجعل نقمتي في أدوم بيد شعبي إسرائيل »[٥] .

وأدوم : جنوب الأردن وما يليه .

---

(١) كأنه حديث عن حرب نووية وآثارها التي تُذكِّر بآثار إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما .

(٢) سفر إشعياء (١٣ : ٤ - ٥ / ٧ - ٨ / ١٠ - ١٢ / ١٤ - ١٦ / ١٩ - ٢٢) .

(٣) سفر إشعياء (١٥ : ١ - ٢) و(١٦ : ١٤) و(٢٥ : ١٠) .

(٤) سفر حزقيال (٢٥ : ٣ - ٥) .

(٥) سفر حزقيال (٢٥ : ١٣ - ١٤) .

٣ - الفلسطينيون : يقول سفر حزقيال : « هأنذا أمدُّ يدي على الفلسطينيين ... وأُجري عليهم نقماتٍ عظيمة »[١] .

٤ - دمشق : « هوذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رُجمة ردم »[٢] . كأنما يتحدث السفر عن ضربةٍ نووية تزيل هذه المدينة القديمة من الوجود .

٥ - مصر : يقول السفر حكاية عن الرب : « أهيِّج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحدٍ أخاه وكل واحد صاحبه ... وتهراق روح مصر داخلها وأفني مشورتها (أهل الفضل والمشورة والرأي) فيسألون الأوثان والعازفين وأصحاب التوابع والعرَّافين ... وتُنشَّف المياه من البحر ويجف النهر وييبس ... ويتلف القصب ... وكل مزرعةٍ على النيل تيبس وتتبدد ولا تكون . والصيادون يئنون ... وكل العاملين بالأجرة مكتئبي النفس ... وتكون أرض يهوذا رعباً لمصر ... في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن ... يُقال لإحداها مدينة الشمس ... ويضرب الرب مصر »[٣] .

وفي حزقيال : « أجعل أرض مصر مقفرةً في وسط الأراضي المقفرة ، ومدنها في وسط المدن الخَرِبة ، تكون مقفرةً أربعين سنة ، وأُشتِّت المصريين بين الأمم وأبدِّدهم في الأراضي .... » ، و« عند نهاية أربعين سنة ، أجمع المصريين من الشعوب الذين تشتتوا بينهم .... إلى أرض ميلادهم ، ويكونون هناك مملكةً حقيرة ، تكون أحقر الممالك ، فلا ترتفع بعدُ على الأمم ، وأُقلِّلُهُم لكيلا يتسلّطوا على الأمم »[٤] .

ثم أعاد ذلك بعبارةٍ أخرى فقال : « يأتي سيفٌ على مصر ... ويأخذون ثروتها وتُهدم أسسها ... ويسقط عاضدو مصر ، وتنحطُّ كبرياء عزتها . من مجدل إلى أسوان يسقطون فيها بالسيف .

---

(١) سفر حزقيال (٢٥ : ١٦ - ١٧) .

(٢) سفر إشعياء (١٧ : ١) .

(٣) سفر إشعياء (١٩ : ٢ - ٣ / ٥ - ٨ / ١٠ / ١٧-٠١٨ - ١٨ / ٢٢) ، ومن الممكن أن يقال : إن مصر تعرضت لبعض هذا الذي قيل أثناء الحروب العربية الإسرائيلية .

(٤) سفر حزقيال (٢٩ : ١٢ - ١٥) .

... فتُقفر في وسط الأراضي المقفرة وتكون مدنها في وسط المدن الخَرِبة . فيعلمون أني أنا الرب عند إضرامي ناراً في مصر ، ويُكسر جميع أعوانها »[١] .

٦ – لبنان : « صور ... خربت حتى ليس بيت حتى ليس مدخل .... صور المتوَّجة التي تجارها رؤساء . متسببوها موقرو الأرض .... ويكون في ذلك اليوم أن صور تُنسى سبعين سنة ... ويكون من بعد سبعين سنة أن الرب يتعهَّد صور ...... وتكون تجارتها ...... قُدْساً للرب ، لا تُخزن ولا تُكنز ، بل تكون تجارتها للمقيمين أمام الرب ، لأكلٍ إلى الشبع ، وللباسٍ فاخر »[٢] .

ويبدو أن الإشارة بصور يراد بها لبنان التي تجارها رؤسائها ، وأنها ستعود إلى ازدهارها الاقتصادي . لكن منفعة ذلك ستكون للمقيمين في مملكة الرب فوق جبل صهيون ، لكن ليس قبل أن يقع للبنان ما ردده حزقيال في مرثيته الشهيرة أو نبوءته « الأَرْزُ في لبنان ... أسْلمته إلى يد قويِّ الأمم ... يستأصله الغرباء عتاة الأمم ... وأحزنتُ لبنان عليه »[٣] .

٧ – بلاد العرب : « مدن عَروعير متروكةً ، تكون للقطعان » .

« في الوعر في بلاد العرب ... هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه . فإنهم من أمام السيوف قد هربوا ... ومن أمام شدة الحرب ... في مدة سنة ... يفنى كل مجد قِيدار . وبقية عدد قِسيِّ أبطال بني قيدار تَقِلّ »[٤] وبنو قيدار ذرية إسماعيل عليه السلام .

أما تيماء فعرفناها . وأما عروعير فهل يقصدون بها مدينة عرعر في شمال شرق السعودية ، أم ماذا ؟ .

لا جواب .

---

(١) سفر حزقيال (٣٠ : ٤ – ٨) . وانظر كذلك : حزقيال (٣٢ : ١٢ – ١٥) .

(٢) سفر إشعياء (٢٣ : ١ / ٨ / ١٥ / ١٧ – ١٨) .

(٣) سفر حزقيال (٣١ : ٣ / ١١ – ١٢ / ١٥) .

(٤) سفر إشعياء (١٧ : ٢) و(٢١ : ١٣ – ١٧) .

أما خاتمة ذلك الصراع فيصوِّرها السفر على النحو التالي : « إقتربوا أيها الأمم لتسمعوا وأيها الشعوب أصغوا .... لأن للرب سخطاً على كل الأمم ... قد حَرَّمهم دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تُطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم ... ».

... « للرب ذبيحة في بُصرة وذبحاً عظيماً في أرض أدوم ... وتروى أرضهم من الدم ... وتتحوَّل أنهارها زفتاً وترابها كبريتاً وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً . ليلاً ونهاراً لا تنطفيء[١] . إلى الأبد يصعد دخانها . من دورٍ إلى دورٍ تُخرب . إلى أبد الآبدين لا يكون من يجتاز فيها ... والكركي والغراب يسكنان فيها ويُمدُّ عليها خيط الخراب ... أشرافها ليس هناك من يدعونه للملك وكل رؤسائها يكونون عدماً » .

أما على الجانب الآخر فـ« مَفْدِيُّو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنمٍ وفرحٌ أبدي على رؤوسهم ... ويهرب الحزن والتنهد »[٢] .

وهي تنبوءاتٌ - والحق يقال - غاية في السوداوية . تُقدِّم خاتمة مشينة ونهاية مؤسفة حزينة لكل مخالفي بني صهيون ، وتبشر يهود بالغلبة مع ملكهم القادم المنتظر على كل أعدائهم[٣] .

لكن هل ستتحقق نبوءاتهم كما صوروها في هذا السفر ، أو بعبارة أصح : طموحاتهم وغاياتهم وأمنياتهم السوداء ، وضغائنهم وأحقادهم ، التي يحاولون جاهدين في العصر الحاضر نقلها من خانة التوقعات والخيالات إلى عالم الحقائق الواقعة الراهنة .

(١) وقد رأينا في الواقع المعاصر شبيهاً بهذا : في حرائق آبار البترول في حرب الخليج الثانية .

(٢) سفر إشعياء (٣٤ : ١ - ٣ / ٦ - ٧ / ٩ - ١٢) و(٣٥ : ١٠) .

(٣) حتى لا يبادر المرء إلى إنكار حدوث مثل هذه التوقعات لأول وهلة مدفوعاً بعاطفة ، علينا أن نقارن ما ورد هنا بما سيرد في الباب الرابع من إشارات عن مسيح الضلالة : الدجال لعنه الله ، الذي وصفه النبي ﷺ لنا وصفاً دقيقاً ، ومما ذكره عنه أن أكثر من يتبعه هم اليهود ، وأنه لا يترك بلداً إلا دخله إلا مكة والمدينة فإن الملائكة تحرسها . وانظر الحديثين الصحيحين في ذلك في صحيح مسلم بشرح النووي (١٨: ٨٥).

الجواب عن هذا سنقرأه في الباب الرابع آخر أبواب هذه الرسالة – إن شاء الله – وفيه خلاصة الحق ، ومتى جاء الحق زهق الباطل .

أما ماذا بعد « إشعياء » ونبوءاته . فنقول : هناك عدد لا بأس به من تلك النبوءات في عدد من أسفار العهد القديم الأخرى ، فقد « ردد أرمياء وعاموس (في سفريهما) نفس المعاني التي رددها إشعياء ، ... والقارئ لسفريهما يجد هذه الأفكار منثورة هنا وهناك »[1] .

ثم يأتي بعد ذلك دور سفر « حزقيال » الذي قدَّم بعض التفاصيل الأخرى التي يعتمد عليها الصهاينة المعاصرون في نبوءاتهم ، وحزقيال في تلك النبوآت يتحدث عن عصر عودة بني إسرائيل المرتقبة إلى أرض الميعاد واسترجاعهم لعزهم المفقود . وكل ذلك مرتبط كما عند « إشعياء » بالمنتظر كما ظهر ذلك فيما مرَّ علينا ، لذا نجده يتحدث عن عصر المنتظر دون أن يشير إليه ، ومدار حديث حزقيال على صدامٍ سيقع بين إسرائيل بعد العودة إلى الأرض الموعودة ، وقوى الشر أو إمبراطورية الشر كما يسمونها بتعبيراتهم الحاضرة ممثلةً بـ« جوج وماجوج » حسب تعبير سفر حزقيال – يأجوج ومأجوج حسب النصوص الإسلامية – وتكون نهاية ذلك الصراع الذي سيقود فيه اليهود مسيحهم الملك المنتظر حسب نبوءات إشعياء انتصاراً عظيماً لشعب إسرائيل وسحقاً نهائياً لخصومهم ، ولنطالع ذلك عبر نصوص حزقيال .

عن عودة شعب إسرائيل إلى أرض الميعاد في آخر الزمان . يقول السفر : « في السنين الأخيرة تأتي إلى الأرض المستردَّة من السيف ، المجموعةِ من شعوبٍ كثيرة على جبال إسرائيل »[2] .

ويقول أيضاً : « قال السيد الرب . عندما أجمع بيت إسرائيل من الشعوب الذين تفرقوا بينهم ، وأتقدَّسُ فيهم ، أمام عيون الأمم ، يسكنون في أرضهم التي أعطيتها لعبدي يعقوب ، ويسكنون فيها آمنين ، ويبنون بيوتاً ، ويغرسون كروماً ، ويسكنون

---

(١) اليهودية – د. أحمد شلبي (٢٢١) ط. خامسة / ١٩٧٨ م / مكتبة النهضة المصرية – القاهرة .

(٢) سفر حزقيال (٣٨ : ٨) .

في أمنٍ ، عندما أُجري أحكاماً على جميع مبغضيهم مِنْ حولهم ، فيعلمون أني أنا الرب إلههم »[١] .

وحينئذ تتحرَّك قوى الشر ضد شعب إسرائيل العائد لتسحقه حسب التفسير الصهيوني المعاصر . وقد كانوا قبل إنهيار الاتحاد السوفيتي يقولون : إن يأجوج ومأجوج أو امبراطورية الشر هي ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي نظراً لدعمه الظاهري للعرب في صراعهم ضد إسرائيل ، حتى لقد أصبح الاعتقاد بذلك والتسليم به مشهوراً عن بعض كبار زعماء الغرب المؤيدين بقوة لإسرائيل من أتباع « الإنجيليين الجدد » أو « الصهيونية المسيحية » كالرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان (حكم أمريكا ما بين ١٩٨٠ - ١٩٨٨ م) الذي كان من أشد المعتنقين لتلك الفكرة . وانطلاقاً من تصوراته تلك انطلق في أيامه في عنفوان بالغ مشروع « حرب النجوم » الفضائي العسكري الأمريكي الذي عجّل بانهيار الاتحاد السوفياتي واستسلامه أمام أمريكا ، وكان ريجان يعتقد أن ذلك المشروع العملاق سيكون حجر الأساس للمعركة الكونية الكبرى بين قوى الشر أو امبراطورية الشر وبين إسرائيل أو شعب الأرض ومؤيديهم ، بل كان يتصور أنه ربما أدرك ذلك الوقت وساهم في صناعة أحداث تلك المعركة التاريخية المعرفة باسم « هرمجدُّون »[٢] .

يحدثنا حزقيال بتفصيلٍ كافٍ عن ذلك الصراع الذي سيدور بين شعب إسرائيل، والمنتظر على رأسه بالطبع - وإن لم يذكره - ، وبين « يأجوج ومأجوج » الأمَّتان الهمجيتان البربريتان حسب ما نعرفه ، أو « جُوْجٍ أرضِ ماجوجَ » « جُوْجٍ ... رئيسِ رُوشٍ مَاشِكَ وتُوبَال » . حسب عبارة السفر . يقول السفر : « اجعل وجهك على جُوجٍ .. رئيسِ رُوشٍ ... وتنبَّأ عليه وقل .... عند سكنى شعبي إسرائيل آمنين ... تأتي من موضعك من أقاصي الشمال أنت وشعوبٌ كثيرون معك .. جماعةٌ عظيمة

---

(١) سفر حزقيال (٢٨ : ٢٥ - ٢٦) .

(٢) انظر : الصهيونية المسيحية - محمد السمّاك (٧٥ - ٧٧) .

وجيشٌ كثير . وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابةٍ تُغشّي الأرض » .....

« ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جُوجٍ على أرض إسرائيل .... يكون رَعْشٌ عظيم في أرض إسرائيل . فترعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ... وكل الناس الذين على وجه الأرض ، وتندكُّ الجبال ، وتسقط المعاقل وتسقط كل الأسوار إلى الأرض »[1] .

أما نتيجة ذلك الصراع حسب حزقيال فستكون انتصار الإسرائيليين وسحق أعدائهم تماماً . يقول عن جيش العدو - قوى الشر - فيما ينسبه إلى الرب - عز وجل - : « أعاقبه بالوباء والدم ، وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً ، وحجارة بَرَدٍ عظيمة ، وناراً ، وكبريتاً »[2] .

ثم يتوجه بالخطاب إلى جوجٍ رئيس رُوشٍ - قائد القوى المعادية لإسرائيل - فيقول - فيما ينسبه إلى الرب - : « ياجُوج ... أَضْرِبُ قوسك من يدك .... فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك . أبذلُكَ مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوعٍ ولوحوش الحقل » .....

« وأرسل ناراً على ماجوج ، وعلى الساكنين في الجزائر آمنين ، فيعلمون أني أنا الرب ، وأعرِّف باسمي المقدس في وسط شعبي إسرائيل ، ولا أدع اسمي المقدس يُنجَّسُ بعد ، فتعلم الأمم أني أنا الرب قدوسُ إسرائيل »[3] ، وتنتهي المعركة .

وبعد هلاك قوى الشر « يخرج سكان مدن إسرائيل ويشعلون ويحرقون السلاح ... والسهام والحراب والرماح ويوقدون بها النار سبع سنين .... وينهبون الذين نهبوهم ويسلبون الذين سلبوهم » أما جوج والجيوش التي معه فـ« يقبرهم بيت

---

(١) سفر حزقيال (٣٨ : ٢ - ٣ / ١٤ - ١٦ / ١٨ - ٢٠) .

(٢) سفر حزقيال (٣٨ : ٢٢) والنار والكبريت والحجارة تعني السلاح النووي حسب اعتقاد ريجان زعيم أعظم قوة نووية في العالم آنذاك (محمد السمَّاك / ٧٥) .

(٣) سفر حزقيال (٣٩ : ١ - ٧) .

إسرائيل ليُطهِّروا الأرض سبعة أشهر »[١] .

ويُدفنون هناك في أرض إسرائيل ، يقول السفر : « يكون في ذلك اليوم أني أعطي جُوجاً موضعاً هناك للقبر في إسرائيل .... وهناك يدفنون جُوجاً وجمهوره كله، ويُسمُّونه وادي جمهور جوج »[٢] .

ويختتم السفر حديثه عن هذه المعركة العظمى والملحمة الكبرى ، واصفاً إياها بأنها ستكون « ذبيحةً عظيمةً على جبال إسرائيل ... تأكلون لحم الجبابرة ، وتشربون دم رؤساء الأرض ... فتشبعون على مائدتي من الخيل والمركبات والجبابرة وكل رجال الحرب »[٣] .

والخطاب هنا موجهٌ بالطبع حسب السفر ، من الرب إلى شعب إسرائيل .

والنتيجة بين إشعياء وحزقيال خاتمتها واحدة ، هي انتصار إسرائيل والقضاء على خصومهم بشكل نهائي ، إلا أن إشعياء نصَّ على وجود المسيح المنتظر على رأس الجموع الإسرائيلية ، وسكت حزقيال عن الإشارة إلى ذلك اعتماداً على ما في إشعياء من الإشارة إلى ذلك على ما يبدو .

ومن حزقيال إلى « دانيال » حيث نجد في سفره إشارات تتسم بالرمزية تتحدث عن « القديم الأيام » الذي سيظهر في آخر الزمان ، وزمان ظهوره .

يقول دانيال : إن أربع ممالك ستسيطر على الأرض كلها . إذا انتهى عصر مملكة ظهر عصر مملكة أخرى . حتى إذا جاء عصر المملكة الرابعة ومضت أيام عشرة ملوك من ملوكها وقام بعدهم الحادي عشر من ملوك تلك المملكة التي وصف دانيال قوتها على نحو غريب « مملكة رابعة على الأرض ... تأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها » .

---

(١) سفر حزقيال (٣٩ : ٩ - ١٠ / ١٢) .

(٢) سفر حزقيال (٣٩ : ١١) .

(٣) سفر حزقيال (٣٩ : ١٧ - ٢٠) .

حينئذٍ يخرج « القديم الأيام » وينزع الملك والمملكة والسلطان من آخر ملوك المملكة الرابعة المستوعبة مملكتها كل الأرض . ويبدأ آنذاك ملكوته الأبدي « ملكوته ملكوت أبدي »[١] .

ويتنبأ دانيال بأن المسيح المنتظر (المسيح الرئيس) سيخرج بعد أن يعود الإسرائيليون إلى أورشليم ويعمرونها بتسعةٍ وأربعين عاماً . يقول : « من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع »[٢] .

والأسبوع في عرف أهل الكتاب يساوي سبع سنين تشبيهاً لها بعدد أيام الأسبوع السبعة واليوم سنة[٣] . والسبعة أسابيع (٧ × ٧) = تسعةٌ وأربعون عاماً .

ومن المعلوم عندنا أن الإسرائيليين قد أخذوا القدس الغربية التي لا تضم المسجد الأقصى أو جبل الهيكل حسب زعمهم سنة ١٩٤٨ م ، ومضى على ذلك إلى الآن أكثر من تسعةٍ وأربعين عاماً ، ولم يخرج منتظرهم ، فلعل ذلك كان هو معتمد من قال منهم بأنه سيخرج منتصف العام ١٩٩٨ م ، ثم لم تتحقق دعواه . أما دخولهم للقدس الشرقية التي تضم المسجد والجبل ، فكان سنة ١٩٦٧ م ، وبدأوا من حينئذٍ تعمير القدس الكبرى الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية بزعمهم .

فعلى هذا يكون قد مضى من ذلك الأجل أربعة وثلاثون عاماً ، وبقي منه خمسة عشر عاماً .

وهو على ما يبدو مستند بعضهم في دعواه أن المسيح المنتظر سيخرج سنة ٢٠١٥ م أو ٢٠١٦ م .

ثم يضيف دانيال : « واثنان وستون أسبوعاً يعود (أي المنتظر) ويُبنى سوقٌ وخليج في ضيق الأزمنة ، وبعد اثنين وستين أسبوعاً يُقطع المسيح .... وشعبُ رئيسٍ آتٍ يخرب المدينة والقدس »[٤] .

---

(١) سفر دانيال (٧ : ١٣ - ٢٧) .

(٢) دانيال (٩ : ٢٥) .

(٣) انظر : الحراب في صدر البهاء والباب - لمحمد فاضل (١٣٦) / دار المدني - جدة / ط. ثانية / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

(٤) دانيال (٩ : ٢٥ - ٢٦) .

وهو بهذا الحساب يتنبأ بأن المسيح المنتظر سيبقى أربعمائة وأربعةً وثلاثين عاماً . وهذا حسابٌ بعيد . وتوقعٌ غريب . وأنه يقيم سوقاً اقتصادية - إن صح التعبير - في هذه المنطقة ، ثم يُقطع أي يقتل أو يذبح أو ما شابه ذلك ، ويأتي رئيسٌ هو وشعبه فيخرِّبون القدس ويقضون على المنتظر ومملكته ، وتحلُّ بذلك نهاية إسرائيل .

وآخر مظان أسفار العهد القديم حديثاً عن « المسيح المنتظر » سفر « ميخا » الذي جاء حديثه صريحاً وواضحاً كل الوضوح ، مؤيداً لكل ما سبق ذكره من قيام الصراع بين المنتظر وجموعه الإسرائيلية وبين خصومهم . وانتهاء ذلك الصراع بانتصارٍ مظفرٍ للمنتظر وأتباعه من بني إسرائيل وهزيمة خصومهم هزيمة نهائية ، واستتباب الأمن والسلام والعدل في كل أنحاء العالم بعد ذلك .

يقول السفر : « يكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب وتسير أمم كثيرة » ....

إلى أن قال : « من صهيون تخرج الشريعة . ومن أورشليم كلمة الرب . فيقضي بين شعوب كثيرين ، يُنْصِفُ لأممٍ قوية بعيدة » .... وتكون الأحوال بعدئذٍ أنه « لا ترفع أمةٌ على أمةٍ سيفاً ولا يتعلمون الحرب في ما بعد . بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون مَن يُرعب .... ويملك الرب عليهم في جبل صهيون من الآن إلى الأبد . وأنت يا برج القطيعة أكمة بنت صهيون إليكِ يأتي . ويجيء الحُكْمُ الأول مُلْكُ بنتِ أورشليم .... هناك تُنقَذين . هناك يفديك الرب من يد أعدائك . والآن قد اجتمعت عليكِ أمم كثيرة .... قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين وأحرِّم غنيمتهم للرب وثروتهم لسيد كل الأرض »[1] .

---

(١) سفر ميخا (٤ : ١ - ٤ / ٧ - ٨ / ١٠ - ١١ / ١٣) .

ويواصل السفر بعدئذ حديثه عن الخلاص على يد منتظر صهيون . فيقول مبشراً بالمسيح المنتظر في عبارة صريحة واضحة كل الوضوح : « أما أنت يا بيت لحم .... فمنك يخرج لي الذي يكون متسلّطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل .... ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه ويثبتون . لأنه الآن يتعظّم إلى أقاصي الأرض ويكون هذا سلاماً .... وتكون بقية يعقوب في وسط شعوب كثيرين كالندى من عند الرب كالوابل على العشب ..... وتكون بقية يعقوب بين الأمم في وسط شعوب كثيرين كالأسد بين وحوش الوعر كشبل الأسد بين قطعان الغنم الذي إذا عبر يدوس ويفترس وليس مَن يُنقذ . لترتفع يدُكَ على مبغضيك وينقرض كل أعدائك »[1] .

وهكذا تتوالى النبوءات في عددٍ من أسفار العهد القديم مبشرةً بالمنتظر المسيح الملك ابن داود ، ومبشرةً قبله بإرهاصات عودته ممثلةً بعودة بني إسرائيل من شتاتهم من أنحاء الأرضِ إلى أرض الميعاد ، متنبئةً بظهوره بعد انقراض مملكة عالمية عظمى تهيمن على كل بلاد الدنيا . زاعمةً أن ظهوره سيكون فاتحة الخير الأبدي على بني إسرائيل ، فهم تحت قيادته سيُخضعون العالم كله لسطوتهم وسيدوسون أعدائهم وينتقمون من مخالفيهم شر انتقام . ثم يعيشون تحت رايته في بحبوحةٍ من السلام والأمن والعدل الذي يلقي بظلاله على العالم كله ، إلى آخر تلك التوقعات .

---

(١) سفر ميخا (٥ : ٢ / ٤ - ٥ / ٧ - ٩) .

ملحق : بألقاب المسيح المنتظر عند اليهود

كما وردت في أسفار العهد القديم

يطلق اليهود على مسيحهم المنتظر عدة ألقاب ، وقد وردت تلك الألقاب في ثنايا نبوءات العهد القديم عن المسيح المنتظر ، ومن تلك الألقاب :

١ – **الملك** ، كما وردت في إحدى النبوءات الواردة بخصوص المنتظر في سفر المزامير في المزمور التاسع والأربعين بعد المئة ، وفيه « ليبتهج بنو صهيون بملكهم »(١) .

٢ – **المسيح** ، كما في سفر المزامير في المزمور الثاني ، وفيه « تآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه »(٢) .

٣ – **الرب** ، بمعنى السيد ، كما في المزمور العاشر بعد المئة من سفر المزامير ، وفيه : « قال الرب لربي اجلس عن يميني .... يُرسلُ الربُّ قضيب عِزِّك من صهيون »(٣) .

٤ – **إله** بمعنى سيد ، كما في الإصحاح التاسع من سفر إشعياء ، وفيه « يولد لنا ولدٌ ، ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه ، ويُدعى اسمه عجيباً ، مشيراً إلهاً قديراً، أباً أبديّاً ، رئيس السلام »(٤) .

٥ – **ابن الله** ، كما في المزمور الثاني من سفر المزامير ، وفيه : « الرب يستهزيء بهم ، حينئذٍ يتكلم ... أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون ... أنت ابني . أنا اليوم ولدتك »(٥) .

---

(١) المزامير (١٤٩ : ٢) .

(٢) المزامير (٢ : ٢) .

(٣) المزامير (١١٠ : ١ – ٢) .

(٤) إشعياء (٩ : ٦) .

(٥) المزامير (٢ : ٤ – ٧) .

٦ – **ابن داود** ، كما في الإصحاح التاسع من سفر إشعياء . والإشارة إليه في هذا النص خفية ، وفيه « رئيس السلام .... على كرسي داود وعلى مملكته »[1] .

٧ – **ابن الإنسان** ، كما في الإصحاح السابع من سفر دانيال ، وفيه : « وإذا مع سُحُب السماء مِثْلُ ابن إنسانٍ أتى ... فأُعطيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً »[2] .

٨ – **المسيح الرئيس** ، تمييزاً له عن غيره ممن مُسِحوا من قبل ، كما في الإصحاح التاسع من دانيال ، وفيه : « من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس ... »[3] .

٩ – **رئيس السلام** ، كما في إشعياء : « يُولد لنا ولدٌ ، ... ويُدعى .... رئيس السلام »[4] .

ومنه على ما يبدو اشتق له اليهودُ والنصارى المعاصرون ، نعتهم له بأنه « إمبراطور السلام » .

---

(١) إشعياء (٩ : ٦ – ٧) .

(٢) دانيال (٧ : ١٣ – ١٤) .

(٣) دانيال (٩ : ٢٥) .

(٤) إشعياء (٩ : ٦) .

المبحث الثاني

نبوءات يهودية

المبحث الثاني

نبوءات يهودية

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : نبوءات اليهود عن مسيحهم المنتظر .

المطلب الثاني : نبوءة اليهود بإعادة بناء الهيكل .

المطلب الثالث : المسيح الدجال عند اليهود .

المطلب الرابع : أدعياء المسيحانية بين اليهود .

المطلب الأول : نبوءات اليهود عن مسيحهم المنتظر

ويراد به ما جاء من نبوءات يهودية تتعلق بالمسيح المنتظر مما لم يرد في أسفار العهد القديم ، وإنما جاء ذكره في غيرها من كتبهم المعتبرة كالتلمود ، أو جاء في كلام حاخاماتهم المتقدمين والمتأخرين بخصوص هذه القضية في سياق حديثٍ معتبرٍ معتدٍ به عند جمهور اليهود . لاسيما أن جمهور اليهود من الربانيين يعتقدون العصمة في حاخاماتهم[١] . ومن ثمَّ يصبح لحديث أولئك الحاخامات قيمته الدينية المعتبرة في الفكر اليهودي .

وأول ما ينبغي أن نتناوله بالحديث في هذا المبحث الإشارة إلى تنبؤاتهم الأولى به، أو بداية تنبؤاتهم ، وتأملهم لظهوره بعد تلك النصوص السالف ذكرها في العهد القديم بالطبع .

ولقد كانت بداية تنبؤاتهم به في مرحلة النفي حين كانوا في الأسر البابلي حيث ظهرت الكتابات بكثرة عن موعد مجيء المسيح المنتظر اليهودي ، الذي سيعيد دولة اليهود في فلسطين ويقيم بناء الهيكل المهدَّم[٢] .

وبعد الرجوع من بابل أشاعوا فيما بينهم أنهم ينتظرون قدوم منقذهم ومخلصهم ومحررهم ، وادعوا أنه سيكون مسيحاً عظيماً ، وللتفرقة بينه وبين أنبيائهم سموه « المسيح الرئيس »[٣] ومن سبي بابل إلى زمن يحيى عليه السلام ظل اليهود ينتظرون هذا « المسيح المنتظر »[٤] .

وبعث الله نبيه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فرفضوه وكذبوا به ، وزعموا

---

(١) انظر : اليهودية والمسيحية - الأعظمي (١٨٧) .

(٢) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود (١٠٨) .

(٣) دانيال (٩ : ٢٥) .

(٤) المسيا المنتظر نبي الإسلام ﷺ (٨٩) (٩٦) .

أنهم لا يزالون ينتظرون مسيحهم المخلِّص ، ووصفوه بأنه رسول السماء ، والقائد الذي سينال الشعب اليهودي المختار بهديه وإرشاده وتحت قيادته ما يستحقه من سيادة وسؤدد ، وأنه سيجيء قريباً وسينتقمون به من العالم ويقيم لهم دولتهم العالمية ويجمع شملهم ، وبه سيحكمون الدنيا[١] .

ويرى بعض الباحثين أنه نتيجةً لِمَا لاقاه اليهود من اضطهاداتٍ ، نشأت عندهم عقيدة المخلِّص الذي سيجيء ليعيد مجد إسرائيل ويجمع شتات اليهود في فلسطين ، وأن اعتقادهم فيه كان يتجدد كلما ألـمَّتْ بهم النوائب وحاقت بهم المحن[٢] .

ورغم صدق تلك المبررات ، من حيث تعرض اليهود عبر مئات السنين لكثيرٍ من المحن والكوارث ، مما أفضى بهم إلى الحقد على جميع الأمم ، ثم دفعهم الحسد والبغي والعدوان إلى إنكار الحق بدفعهم رسالة عيسى عليه السلام ، وردهم رسالة نبينا ﷺ ، مع وضوح الحق لهم في أمر هذين النبيين الكريمين ، من خلال ما حدثتهم به نبوءات كتبهم التي بين أيديهم .

رغم ذلك كله ، فإن هذا لا يعني أن أصل الفكرة محض اختراعٍ يهودي فرضتها عليهم الظروف والأحداث والكوارث التي مرُّوا بها .

بل هي فكرةٌ مستقلة تتكرر في كل الأديان ، وتوجد في كل الملل والطوائف ، حتى عند الطوائف الصغيرة منها ، ولها شواهدها القوية في أصول الديانات الكبرى ، فهي ليست خاصةً باليهود وحدهم ، بل هي موجودة في كل الديانات إجمالاً مع الاختلاف في التفصيلات .

أما تصوُّر اليهود الخاص بمنتظرهم ، فهو فكرةٌ من اختراعهم ، تُعبِّر عن أمنياتهم ورغباتهم أكثر مما تُعبِّر عن حقائق دينية استنبطوها من كتبهم .

---

(١) انظر : اليهودية – شلبي (٢١٨) ، والمسيح المنتظر للبار (١٠٨) .

(٢) الرسالة السبعية (٣٧) هامش .

ولا يزال اليهود حتى يومنا هـذا ينتظـرون مسيحهم الـذي سيجعل بـالقوة مـن أورشليم محور العالم ، ويكون مَلِكاً عظيماً يُخلِّصهم من أعدائهم ويقيم لهم مملكةً بأمر الرب ، وهم يحملون البشارات التي يجدونها في كتبهم كلها عليه(١) .

وأصبح الشعب اليهودي يأمل دائماً بإيعازٍ من كهنته أن يؤسس الدولة الإسرائيلية التي يكون مركزها سُرَّة الدنيا فوق قمة جبل صهيون بعد تشييد هيكل سليمان عليه ، ويكون في وسطه قدس الأقداس ، حيث سيدير الحكم في الدنيا بأسرها من هناك مجلسٌ من كهنة اللاويين ، على رأسهم سلطانٌ من ذرية داود عليه السلام من سبط يهوذا(٢) .

والدولة الحاضرة على هذا ليست بشيءٍ مقابل طموحاتهم الحقيقية .

أما التلمود فإنه يحدثنا عن المنتظر وعن ترقبهم لظهوره وعن موعد ظهوره .

« وفي أسفار التلمود يتجلّى اهتمام الربانيين بفكرة المَسِيَّا هذه ، فتتحول على أيديهم إلى عقيدةٍ شاملةٍ في أعقاب الصدام الدموي بين عصاتهم والسلطات الرومانية ، ويشغلون أنفسهم بإجراء الحسابات التي تُنبيء عن موعد قدومه ، كما يزداد تطلعهم إلى مجيء ذلك المخلِّص من نسل داود ، لكي يتبوأ عرش المُلْكِ ، وترتفع به إسرائيل إلى سدة السلطنة على العالم بعد انحدار المملكة الرابعة »(٣) .

---

(١) الرسالة السبعية (٣٧ - ٣٨) هامش .

(٢) أصول الصهيونية ومآلها - عبد الحميد بن شنهو (٥٦) الشركة الوطنية للتوزيع - الجزائر / ط وتاريخ : بدون .

(٣) المسيا المنتظر نبي الإسلام ﷺ (١٣٣) . واختلفت تفسيراتهم حول هذه الممالك الأربع ، فقيل : إن المملكة الأولى هي إمبراطورية روما القديمة . ثم خَلَفَتْهَا في عظمتها وقوتها واتساع ملكها : الإمبراطورية الرومانية التي كانت عاصمتها القسطنطينية . ثم جاء الإسلام ، ولم تخرج ممالك عظمى بعد ذلك إلا الإمبراطورية البريطانية العظمى ، التي كانت لا تغيب الشمس عن أملاكها . وخلَفها في قوتها وهيمنتها وعظمتها واتساع نفوذها في الحاضر الذي نعيشه : الإمبراطورية الأمريكية - كما يسميها بعضهم - أو : الولايات المتحدة الأمريكية ، حسب التعبير الرسمي .
فهل يعني هذا أن انحدار نفوذ وهيمنة وقوة هذه المملكة الرابعة دليل اقتراب عصر مَلِكهم ومسيحهم الدجال ، الذي سيحكم العالم كله إلا مكة والمدينة والطور وبيت المقدس - حسب النصوص الإسلامية - . علم ذلك عند الله . وما عندهم لا نصدقه ولا نكذبه .

يقول التلمود عن المسيح المنتظر وعصره : « لَمَّا (أي : حين) يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً ، وملابس من الصوف ، وقمحاً حَبُّهُ بقدر كلاوي الثيران الكبيرة . وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود ، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له ، وفي ذاك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه ، ... ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار (الخارجين عن دين بني إسرائيل) ... ويستمر ضرب الذل والمسكنة على بني إسرائيل حتى ينتهي حكم الأجانب . وقبل أن تحكم اليهود نهائياً على باقي الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم ، ويبقى اليهود مدة سبع سنوات متوالية يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر ... وتعيش اليهود في حربٍ عوانٍ مع باقي الشعوب منتظرين ذلك اليوم . وسيأتي المسيح الحقيقي ويحصل النصر المنتظر ، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب ، ويرفض هدايا المسيحيين . وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد تحصلت على جميع أموال العالم . وأن هذه الكنوز ستملأ (سرايات) واسعة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها على أقل من ثلثمائة حمار . وترى الناس كلهم حينئذٍ يدخلون في دين اليهود أفواجاً ، ويُقبلون كلهم ما عدا المسيحيين ، فإنهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان . ويتحقق منتظر الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل ، وتكون تلك الأمة هي المتسلطة على باقي الأمم عند مجيئه »[١] .

ونستنتج من هذا النص أن التلمود يقرر أن المسيح المنتظر لن يظهر إلا بعد أن ترفع الذلة عن اليهود ، وأن يرفع حكم الأجانب غير اليهود عنهم ، أي بمعنى أن تقوم لهم دولة لها منعة وكيان مستقل وقوة متقدمة ، وحينئذٍ يظهر المنتظر ويقود اليهود في حرب عالمية مدمرة ضد الشعوب المعادية لهم ، ويهلك في تلك الحرب المدمرة ثلثا سكان العالم ، ويخرج اليهود من تلك المعركة الهائلة منتصرين بقيادة منتظرهم المظفر ، ويمكثون سبع سنوات يُتلفون بقايا أسلحة خصومهم ، ويستسلم العالم لسلطانهم المسيح المنتظر ، ويدخل الناس طوعاً أو كرهاً في الديانة اليهودية ، أي إما أن يتبعوا مسيحهم المنتظر افتتاناً به وبما يحصل على يديه من انتصارات مذهلة ، أو خوفاً من

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود (٧٠ - ٧١) .

القتل . ويستولي اليهود حينئذٍ على ثروات الأرض وكنوزها ، وتطرح الأرض خيراتها وتعم البركة حتى يكون ما ذكروه من عجائب المأكل والملبس ، ويسترقُّون شعوب الأرض ، حتى يكون لليهودي الواحد ألفان وثمانمائة من باقي بني البشر يعملون في خدمته .

وهكذا يصوِّر اليهود مسيَّاهم ومحررهم المنتظر الذي يترقبون ظهوره ، على أنه مُضْطَهِدٌ سيُنزل النكبات والفواجع والكوارث بغير اليهود ، وفي صلواتهم يتلهف اليهود لمجيء ذلك المسيح الحقود ، خصوصاً في ليلة عيد الفصح[١] .

ويقرر التلمود أن المسيح المنتظر الذي يجيء في آخر الزمان ويملك الدنيا وينتظره اليهود من نسل داود عليه السلام ، وبه تقوم دولة اليهود العالمية ، لن يظهر إلا بعد تحقق علامات وأشياء هامة هي :

١ - أنه لا يظهر إلا بعد أن يتجمع اليهود من الشتات إلى الأرض المقدسة فلسطين . ورغم أن بعض الأحبار كانوا يقولون إن تجمع اليهود لن يكون إلا بعد ظهور المسيح ، وأنه لذلك لا ينبغي أن تقوم لبني إسرائيل دولة حتى يظهر المسيح ، إلا أن هؤلاء خفتت مقالتهم بعد ظهور هرتزل والحركة الصهيونية ونجاحها في إنشاء دولة إسرائيل . ويقف أكثر أحبار اليهود وحاخاميهم الآن وراء التفسير الذي يقول : إن المسيح لن يظهر إلا بعد عودة اليهود المشتتين إلى فلسطين .

---

(١) فضح التلمود (١٤٩) .

٢ - أن المسيح المنتظر لا يأتي إلا واليهود في غاية الثراء ، وقد حصلوا على جميع أموال العالم ، فلذلك يبذل اليهود جهوداً مكثفة ، فيما سبق وفيما لحق ، من أجل السيطرة المالية والاقتصادية على العالم ، والاستيلاء على ثروات الأمم بأية وسيلة لتتحقق نبوءتهم فيظهر منتظرهم .

٣ - تنص تعاليم التلمود على أن المسيح لا يظهر إلا بعد قيام حرب عالمية مدمرة يهلك فيها ثلثا سكان العالم . ويسمون هذه الحرب حرب التنين ، ويقولون : إن المسيح سيظهر بعد ظهور « الياجوج والماجوج » وحرب « التنين » مباشرة ، وتخضع له جميع الشعوب .

٤ - أن المسيح المنتظر لا يظهر إلا بعد بناء الهيكل ، ولذا فهم يسعون جادين في الوقت الحاضر لهدم المسجد الأقصى (لأنهم يزعمون أن أنقاض الهيكل تقع تحت قبة الصخرة) من أجل إعادة الهيكل حتى يظهر المنتظر . وقد شاركهم في هذا التوجه الملايين من النصارى في الولايات المتحدة الأمريكية من أتباع « الإنجيليين الجدد » وتبرعوا بالملايين من أجل هدم المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل لأن المسيح المنتظر في اعتقادهم هم كذلك ، لا يظهر إلا بعد إعادة بناء الهيكل بعد أخذهم بروايات أسفار العهد القديم في هذا المجال[١] .

وكل ما قرره التلمود - فيما سبق - في كفةٍ ، وما سنذكره الآن عن التلمود في كفةٍ أخرى . فقد ورد في التلمود حول المنتظر وظهوره مقولة تتحدث عن أن المنتظر قد ولد ، لكن أوان ظهوره لم يحن بعد ، تقول الرواية : « يُذكر أن أعرابياً أخبر أحد اليهود أن المسيح قد ولد ، وأخبره عن مكانه فذهب وشاهد المسيح ، ولكنه ذهب مرة أخرى فلم يجد له أثراً ، وقيل لهذا اليهودي إن الرياح قد أخذته إلى الشمال »[٢] .

ويبدو أن مثل هذه الرواية تُعدُّ بالنسبة للمقولات الأساسية المعروفة عن اليهود ، المقررة في التلمود وغيره أشبه بالروايات الواهية .

(١) انظر : المسيح المنتظر وتعاليم التلمود (١٢٠ - ١٢٨) ، والتلمود تاريخه وتعاليمه (٥٩) .

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه (٥٩) .

وفي التلمود مقولةٌ أخرى كهذه . تقول : إن موعد المسيح قد حلَّ . تقول عبارة التلمود : « إن الموعد المحدد لمجيء المسيح قد انتهى »[١] . أي أزف وحلَّ وتناهى أمده[٢] . وهي على كلٍّ تتعارض مع ما قرره جمهور ربانييهم ، وما أجمعت عليه أكثر روايات تلمودهم وأقوال حاخاميهم ومفسري البشارات فيهم ، من أن موعده قد اقترب في الوقت الحاضر لكنه لم يحن تماماً . لأن الهيكل لم يُبن بعد ، ولأن الحرب المدمرة لم تنطلق بعد ، لكنهم يترقبون قريباً وقوع هذين الحدثين العظيمين ، ولا يستبعدون حدوثهما في السنوات القلائل القادمة .

ومن مقولات التلمود ونبوءاته ننطلق إلى مقولات حاخاميهم ونبوءات أحبارهم وربانييهم بهذا الخصوص .

يقولون : إن مجيء المنتظر من نسل داود سوف يحدث عند نهاية السنوات السبع . قالوا : في السادسة تُسمع أصواتٌ سماوية لإعلان مجيء المسيا ، أو لكي تَذُرَّ الحرب قرنها في السابعة . وفي السابعة يأتي القائم من نسل داود عند نهاية السنة السابعة وفي خاتمة الدورة .

ومعنى قولهم هذا : أن المسيح المنتظر سيجيء في آخر سبعة آلاف سنة من عمر الدنيا . ذلك أنهم يعتقدون أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وأن عيسى كان في الألف الخامس[٣] . وعلى هذا فنحن الآن على قولهم في الألف السابع .

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه (٥٩) .

(٢) مما يشار إليه هنا مما يليق بهذا المقام ما ذكره بعض الباحثين من أن اليهود يستخدمون علم التنجيم لمحاولة معرفة موعد ظهور المنتظر . وأنهم قرروا فيما بعد أن برج الحوت هو علامة المسيا . وأن المسيا (المسيح المنتظر) سيظهر يوم يلتقي زحل والمشتري في برج الحوت (انظر : لمحات من التاريخ في الإنجيل / لحبيب سعيد / ٢٧ - ٢٩ / دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية - القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون) .

(٣) انظر : المسيا المنتظر نبي الإسلام ﷺ (١٧١) .

ويسمونها سبع سنوات على أن كل ألف سنة من سنواتنا تساوي سنة بحساب عمر الدنيا . وإلى ذلك يرمزون بالشمعدان ، وهو شعار دولة إسرائيل الحالية ، يشيرون به كما يعتقدون إلى أيام الخليقة السبعة (أي السبعة آلاف عام التي هي عمر الدنيا باعتقادهم) .

ويسمونه بالعبرية (المينوراة) ، والفرع السابع الذي يتوسط كل الفروع وينفرد من بينها ، يشيرون به إلى دولة إسرائيل ومملكتها العالمية التي ستقوم في الألف السابع وتحكم العالم وتكون عاصمتها القدس تحت قيادة ملكٍ من آل داود (هو المسيح الملك المنتظر)[(١)] .

وقال بعض حاخاميهم : « في الألفين السادس رعود . وفي السابع حروب . وعند ختام السابع يأتي المسيا بن داود . الحرب إذن هي بداية الخلاص » .

إذن فلا غرو أن يجتهدوا في إشعال الحرب ، بل أن يجتهدوا في إشعال حروب عالمية مدمرة يتعجلون بوقوعها تحقق النبوءة بظهور منتظرهم .

وقد ذكر بعض ربانييهم أوصافاً للجيل الذي سيشهد مجيء المسيا بن داود ، ومن تلك الأوصاف : « شتم الشبان للشيوخ ، وتقديم الشيوخ الطاعة للشباب ، والبنات يثرن على أمهاتهن » « والرجال الذين يخافون الله يصبحون منبوذين » « ونسيان الشريعة » « ورخاء لا يفيد البشر » .

وقال آخر - وكأنه يذكر شرطاً من شروط ظهور المنتظر لا يتحقق إلا بعد وقوعه - قال : « إن المنتظر لن يأتي إلا بعد أن يعتنق العالم بأسره عقيدة الهراطقة »[(٢)] .

---

(١) انظر : حمى سنة ألفين - عبد العزيز مصطفى كامل (٢٠٥ / ٢٤٤) . ط. أولى / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م / دار السليم - الرياض .

(٢) استفدنا هذه النصوص التلمودية من الدكتور أحمد السقا في كتابه : المسيا المنتظر (١٧٢) ، وكتاب : حول مسيح اليهود المنتظر - للمحامي بديع السيوفي (٥٣ - ٥٤) / دار المعرفة - دمشق / ط. أولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

ولربما كان المقصود بها الديانة النصرانية . ذلك أنهم يصمون النصارى بـ« الهراطقة » في تلمودهم[١] .

وذكر غيره من الربيين شرطاً آخر . قال : « إن ابن داود المسيا لن يأتي حتى يزول تسلط أصغر الممالك على إسرائيل » . وإذا ظهر المسيا في أورشليم التف حوله جميع اليهود المشتتين في أنحاء العالم ، لكنهم لن يذهبوا إلى فلسطين دفعةً واحدة بل على دفعات كهجراتهم الحالية ، يقول أحد ربييهم : « لن يذهب بنو إسرائيل كتلةً واحدة إلى فلسطين لاستيطانها بالقوة في زمان المسيا »[٢] .

وحينئذٍ - كما يقولون - سيحاول الكثير من الغرباء الانضمام إلى الطائفة اليهودية (التهوّد) لكن مصير مثل تلك المحاولات سيكون بالطبع : الرفض القاطع ، إذ لا مهتدي يُقبل في أيام المسيح كما يقولون ويعتقدون . ولأن مثل تلك الرغبة مشكوك في إخلاصها وصدقها آنذاك[٣] .

ومن خرافات الحاخامات حول عصر المنتظر اعتقادهم أن حياة الناس حينئذٍ ستطول قروناً ، والمقصود بالناس بنو إسرائيل وحدهم . أما الطفل والمقصود به الأجانب غير اليهود فسيموت الواحد منهم في سن المئة .

قالوا : وقامة الرجال ستكون مئتي ذراع ، وأرض إسرائيل ستنبت الخبز والأقمشة من أجود أنواع الصوف، وسينبت القمح في لبنان عالياً مثل أشجار النخيل، وسيهب هواء بمشيئة الله ليجعله دقيقاً فاخراً ، وحبوب القمح ستكون مثل كُلَى الثيران الضخمة . ومن هذه الأساطير قولهم أيضاً إن كروم العنب ستثمر حتى أن عنقوداً واحداً سيكفي لثلاثين جرة من الخمر ، وسيرتفع بناء أورشليم ثلاثة أميال ، وأبوابها ستكون من لآلِىء وأحجار كريمة قامتها ثلاثون ذراعاً طولاً وثلاثون ذراعاً

(١) انظر : فضح التلمود (١٣٩) .

(٢) المسيا المنتظر (١٧٣ - ١٧٤) .

(٣) انظر : حمى سنة ألفين - لعبد العزيز كامل (٢٠٨) .

عرضاً[١] . إلى آخر تلك الترهات .

وخلاصة قول جمهورهم : أن العصر المسيائي – نسبةً للمسيا المنتظر – لن يبدأ إلا عند نهاية الألف السابع ومجيء سبت التاريخ حسب تعبيرهم .

هذا هو قول جمهور حاخامات اليهود .

وقد شذ عن قول جمهورهم هذا بعض حاخاماتهم ، فقال بغير هذه المقالة . ومن تلك الأقوال الشاذة قول أحد ربِّييهم : « لن يكون هناك مسيا لبني إسرائيل. لأنه سبق لهم أن تنعَّموا به على عهد حزقيال »[٢] ولم يُبيِّن ذلك الربِّيُّ مَنْ هو ذلك المسيح المنتظر الذي ظهر لليهود على أيام حزقيال ؟

ويقول حاخام آخر : إن الأيام المقررة لمجيء المسيح قد مرت منذ وقت طويل[٣] . وهذا كسابقه .

ولهم مقالات منفردة بهذا الخصوص ، فقد قال بعضهم : « إن المسيح هو ابن أرملةٍ أعاده النبي إلياس (إلياهو) إلى الحياة ، وأنه سيأتي في آخر الزمان بعد أن يتقدمه إلياهو »[٤] أي أن النبي إلياس سيعود إلى الدنيا مجدداً مبشراً بقرب ظهور ذلك المسيح . واحتجوا بما جاء في سفر ملاخي : « هأنذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي ويأتي بغتةً إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرُّون به هوذا يأتي قال رب الجنود »[٥] .

قالوا : إن ملاك العهد المذكور هنا هو النبي إلياس ، يجيء مبشراً بالمنتظر .

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه (٦٠ – ٦١) .

(٢) المسيا المنتظر (١٧٢ – ١٧٣) .

(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه (٥٩) .

(٤) الفكر الديني اليهودي – د. حسن ظاظا (١٠٨ – ١٠٩) .

(٥) سفر ملاخي (٣ : ١) .

وللنبي إلياس (إلياهو / إيليا) مقامٌ كبيرٌ في الفكر الديني اليهودي يقارب مكانة موسى عليه السلام عندهم . فهم يعدونه مخلِّصاً من نوع آخر جرت على يديه الخوارق والمعجزات ، ثم رفع حياً إلى السماء حيث يعتقدون أنه موجود فيها الآن ، وأنه سينزل إلى الأرض في آخر الزمان قبل يوم الدين لِيُتِمَّ رسالة الخلاص التي ابتدأها ، وليبشر بقدوم المسيح المنتظر ، بل إنهم يزعمون أنه ربما نزل من حين إلى حين قبل نزوله الأخير إلى الأرض ليطمئن على أنه ما يزال هناك يهودٌ يقيمون الناموس ، وأصبح إيليا النبي (إلياس) جزءاً لا يتجزأ من معتقدهم عن المسيح المنتظر .

وهم كما ينتظرون قدوم وظهور المسيح المنتظر الملك من نسل داود عليه السلام ، ينتظرون كذلك نزول النبي إلياس من السماء إلى الأرض مبشراً بقدومه . فاليهود إذاً على ذلك بانتظار ثلاث نبوءات مختلفة ومستقلة ، هي :

١ - مجيء نبيٍّ بشرهم به موسى عليه السلام يأتي بعده .

٢ - مجيء إيليا (النبي إلياس) ، أو عودته ، أو نزوله من السماء مبشراً بقدوم المنتظر .

٣ - مجيء المسيح المنتظر نفسه[١] .

وكانوا يترقبون مجيء ذلك النبي أيام بعثة عيسى ، فلما جاءهم عيسى عليه السلام كذبوا به ، ثم ترقبوه بعده ، وكانوا يُخوِّفون به العرب ، فلما بُعث محمد ﷺ كذَّبوا به ، وأنكروا البشارة به .

أما ترقبهم اليوم فإنما هو لمسيحٍ منتظر ، يحملون عليه كل تلك النبوءات الواردة عندهم في حقهَ ، أو في حق نبيٍ بُشِّروا به بعد موسى عليه السلام .

وجمهور الربانيين منهم اليوم لا يترقبون إلا : مسيحاً منتظراً ، ملكاً من نسل داود عليه السلام ، هو اليوم فيما يزعمون الذي بشرهم به موسى بعده ، وعليه يحملون كل النبوءات ، صلحت له أو لم تصلح .

---

(١) انظر : الفكر الديني اليهودي (١٠٠ - ١٠٩) و: ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ / لأحمد ديدات (٥٤) .

أما إيليا وقدومه ، فالمقالة به منفردة ، أشبه ما تكون بكلام المسلمين عن ظهور المهدي المنتظر قبل نزول المسيح عيسى عليه السلام .

ومن طوائفهم التي لها مقالة منفردة بهذا الخصوص : السامريون .

يرى السامريون أن مسيحهم المخلص واسمه : « تاهب » سوف يأتي بعد ظهور نجم يسطع دائماً وسط السماء ، ويقولون إنه سيظهر لكي يُحسِّن أقدارهم ، وأنه « رجل كامل سوف يأتي ليحكم في المكان الذي اختاره الرب ، وأنه نبي مثل موسى سوف يكلمه الرب كما أنه سيُحاط بالملائكة » وأنه سوف يأتي ليقيم المملكة الثانية على أساس سلمي يعود بعدها السامريون إلى وطنهم القديم ، ليكملوا حياتهم الدينية التي كانت متوقفة عقب تدمير معبدهم على جبل جريزيم ، وأن تاهب لن يدخل في قتال أو حرب من أجل إنقاذ السامريين من شقائهم ، لكنه سيعيد بناء المعبد على جبل جريزيم المطل على نابلس ، وتؤمن به الأمم وتتحول إلى دينه وعقيدته وتلتحق بطاعته سلماً لا حرباً ، ويسود السلام العالم ، وبعد تحقيق هذه الأهداف يكون تاهب قد أكمل مهمته ، وبعدها سيموت تاهب قبل نهاية المملكة الثانية التي أنشأها وبعد أن يكون قد أمضى في الحكم قرابة قرنٍ من الزمان ، وأنه سيموت بعد أن بلغ المئة وعشر سنوات بعمر يوشع بن نون عليه السلام ، أو مئة وعشرين سنة بعمر موسى عليه السلام ، وأن وفاته ستكون قبل حلول اليوم الآخر بوقت ، وسيدفن بجوار يوسف ويوشع عليهما السلام فوق جبل جريزيم[1] .

وبهذا التصور يُقدِّم لنا السامريون شيئاً مغايراً لما يقدمه لنا اليهود ، إذ بينما يؤكد اليهود أن مسيحهم المخلص سيخرج بالسيف لينتقم لليهود من ظالميهم وأعدائهم ، وأنه سوف يسحق الشعوب ويسيطر على العالم كله بقوة السلاح وسيسترق أفراد الشعوب ويُسخرهم لخدمة بني إسرائيل ، يُقدِّم لنا السامريون مسيحاً مخلِّصاً ذا طبيعةٍ سلمية ، سوف يعيد للسامريين على الأخص بناء معبدهم المهدوم فوق جبل جريزيم وسينشيء مملكة قوية ، وستدخل الأمم تحت رايته طوعاً لا كرهاً ، وأن

---

(١) السامريون واليهود (١٣٤ / ١٣٦ - ١٣٧) .

السلام سيحلُّ تبعاً لذلك في كل أرجاء الدنيا .

إلا أن الفريقين من سامريين ويهود يتفقون في النتيجة ، فالجميع على أن مسيحاً مخلصاً سيظهر ليعلي راية دينهم ويبثه بين كل الشعوب ، ويبني مملكته الكبرى بعد أفول ممالك أتباع الديانات الأخرى .

والمهم في ذلك كله أن السامريين لا يؤمنون بالمغامرة الهرمجدونية ، والمحرقة أو المعصرة العظمى وغيرها ، مما يتحرق شوقاً لوقوعه بنو عمومتهم اليهود أسياد السلطتين الدينية والدنيوية في فلسطين حاضراً . على أن انقراض ذكر الطائفة وقلة أعداد أتباعها للغاية في الوقت الحاضر لا يجعل لمقالتهم أهميةً تذكر .

وتصبح الرواية اليهودية الملحمية التدميرية هي المسيطرة على الموقف اليهودي عموماً ، في انتظار مُخلِّصٍ من آل داود سيجيء أو على الأصح : سيكون على وشك القدوم في أي لحظةٍ متى انتهت فترة السبي والشتات التي قررها الله على بني إسرائيل ، التي يقدرونها بألفي سنة . وهذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به « إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود » . ويعتقدون فيه أيضاً أنه متى جاء يجمعهم بأسرهم إلى القدس وتصير لهم الدولة ويخلو العالم من سواهم ، فهم بهذا ينتظرون على حد تعبير بعض الباحثين : مسيحاً سياسياً وبطلاً عسكرياً يُعبيء طاقاتهم للبطش بأعدائهم[١] .

أما نبوءاتهم المعاصرة وحديث المتأخرين منهم عنه ، فمن الطوائف اليهودية الحديثة التي لها حديث مشهور عن المنتظر وتحمسٌ بالغ لظهوره ، طائفة الحسيديم المتفرعة عن فرقة الربانيين الفريسيين ، وكان مؤسس الطائفة إسرائيل بن أليعازر المعروف باسم « بعل شم طوب »[٢] يكرر ذكر المسيح المخلِّص ويتطلع إليه ويحث أتباعه على التهيؤ لظهوره بالدعوة إلى الوحدة بين اليهود والتآلف بينهم لأن ذلك في

---

(١) بذل المجهود للسموءل المغربي وتعليقات المحقق : عبد الوهاب طويلة (١٠٢ - ١٠٧) .

(٢) أوكراني الأصل ، ذو شهرةٍ عظيمة بين اليهود بتقشفه وتألهه حتى قالوا عنه : لو عاش في زمن الأنبياء لكان واحداً منهم . عاش بين ١٧٠٠ - ١٧٦٠ م ، وانتشر أتباعه في أوروبا ومنها إلى أمريكا حيث أصبح لهم فيها حاضراً نفوذ هائل جداً . انظر : (اليهود الحسيديم) للدكتور جعفر هادي حسن (١٥ - ٢٥) .

رأيه يُعجِّل بظهور المنتظر . كما حاول الذهاب إلى فلسطين من أجل ذلك . والحسيديم الآن يعتقدون أن المنتظر سيظهر في عصرنا الحاضر ، ولطالما تعجَّل سابقوهم ظهوره ، وظنوا أنهم سيدركون في سني حياتهم ظهوره فخاب أملهم ، حتى وصلت الوقاحة بأحد أحبارهم السابقين - من القرن التاسع عشر الميلادي - أن يقول مخاطباً ربه في جرأة عجيبة : « لو كنت أعلم بأن شعر رأسي سيكون أبيض ولا ترى عيناي المسيح المخلِّص لَمَا بقيت حياً . يا رب ... إنك ضحكت عليَّ (أي : كذبت) فهل هذا شيء جيد ... أن تضحك على رجل كبير مثلي ؟ أجبني ؟ » وكان يقول لأهله قبل أن ينام : « إذا قدم المسيح فصحُّوني (أي : أيقظوني) دون تردد » ، وكان حبرٌ آخر مثله من أحبارهم ، ينتظر ظهور المنتظر كل يوم ، وكان يقول « لماذا أبني بيتاً هنا في بلاد الأغراب . إذ من المؤكد أن المسيح المخلِّص سيأتي قريباً وسأذهب إلى أرض أجدادي » وسمع لغطاً مرةً فقال : « هل ظهر المسيح المخلِّص » . وفي آخر حياته كان يقول : « لو كنت أعلم في شبابي بأني سأكبر والمسيح المخلِّص لَمَّا يأت بعد ... لكنت مت من الحسرة » .

وكان ثلاثة من أحبارهم قد تنبأوا أيام حرب نابليون مع الروس أن هذه الحرب هي « حبلي مشيح » أي علامة ظهور المسيح المخلص[١] .

وكان حبرٌ آخر من أحبارهم يضع ساعتين في يده تحسباً لظهور المخلِّص ، إحداهما بتوقيت المكان الذي هو فيه ، والأخرى بتوقيت فلسطين ، إذ أن المخلِّص سيظهر في فلسطين . وتعتقد فئة منهم تعرف باسم : الحسيديم اللوبافتش ، أن زعيم مجموعتهم هو المسيح المخلِّص وأنه سيعلن عن نفسه في الوقت المناسب[٢] . وهكذا عاش متقدمو هذه الطائفة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين على أمل أن يظهر المنتظر في أيامهم ، فخاب رجاؤهم .

وورث عنهم هذا الرجاء العاجل مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هرتزل الذي زعم لبني قومه اليهود أنه رأى المسيا الملك في المنام ، وأن المسيا قال له : « اذهب

---

(١) اليهود الحسيديم (١٧٥ - ١٧٧ / ١٧٩) .

(٢) اليهود الحسيديم (١٨٠) (٢٤٣) .

وأعلن لليهود بأني سوف آتي عمَّا قريب ، لأجترح المعجزات العظيمة ، وأسدي عظائم الأعمال لشعبي وللعالم أجمع » .

وأقام اليهود من أتباع الحركة الصهيونية الحديثة وهرتزل دولة إسرائيل في فلسطين حتى يأتي المسيا ويقيم مملكته فيها ، وتجمَّع اليهود من أنحاء العالم على أساس هذا الادعاء[١] .

وخلال القرن الحالي ، بل خلال السنوات القليلة الماضية كان أبرز المتحدثين بين اليهود عن قضية المنتظر المتعجلين لظهوره ، المتنبئين بقرب تحقق ذلك ، الحاخام مناحم مندل شنيرسون[٢] زعيم الحسيديم اللوبافتش ، ومما نسب إليه قوله عام ١٩٨٨ م : « إنني واثقٌ بأن المخلِّص سيظهر قريباً » وقال في خطاب له عام ١٩٩١ م : « كل المؤشرات على ظهور المخلِّص قد بانت .. وإن الوقت قد حان للخلاص النهائي والخلاص الأخير بواسطة المسيح المخلِّص » وكان يقول : « ربما يظهر المخلِّص وأنا على قيد الحياة » وكان قد رحب بحرب الخليج الثانية ورأى فيها علائم خير تبشر بظهور المخلِّص ، وقد نقل نصاً لمتنبيءٍ يهودي من القرن الثالث عشر الميلادي ذكر فيه أن اليهود سيكونون في أمانٍ في هذه الحرب ، وأنها ستكون إيذاناً بقرب الخلاص النهائي لليهود ، يقول : « إن أزمة الخليج تشكل مقدمةً لمجيء المسيح المنتظر »[٣] .

والقرن العشرون الميلادي - الذي أوشك على الانتهاء - هو بزعمهم الذي سيشهد ظهور المملكة اليهودية التي يرأسها ملك من سلالة داود - عليه السلام - ويكون مركزها على قمة جبل صهيون ، ويكون ملكها مَلِكاً للدنيا كلها يفرض الديانة اليهودية على العالم كله ويمحو الأديان الأخرى حتى لا يبقى إلا دين اليهود

---

(١) المسيا المنتظر - د. أحمد حجازي السقا (١٧٧ - ١٧٨) .

(٢) ولد في روسيا سنة ١٩٠٢ م وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤١ م وتولى زعامة طائفته (الحسيديم اللوبافتش) عام ١٩٥٠ م واتخذ مقره في بروكلن بنيويورك ، وأصبح ذا نفوذ عظيم داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى إن جيمي كارتر الرئيس الأمريكي الأسبق جعل عيد ميلاده الثامن والسبعين يوم التربية في أمريكا ، وجعل رونالد ريغان خليفة كارتر عيد ميلاد شنيرسون الثمانين اليوم الوطني للتأمل، وتوفي عام ١٩٩٤ م (اليهود الحسيديم للدكتور / جعفر هادي حسن / ٢٢٣ / ٢٢٦).

(٣) اليهود الحسيديم (١٨٠ - ١٨١) ، والصهيونية المسيحية - لمحمد السماك (٨٠) .

سائداً على الدنيا بأسرها ، وسيبادر أيضاً مسيحهم المرتقب بزعمهم إلى جمع ذهب العالم وفضته ليوزعها بالتساوي عليهم[١] . ونراهم تبعاً لذلك يتوقعون قدومه قريباً لأننا على هذا الحساب في نهاية ألفي سنة من الشتات الذي عاشوه ، لأنهم يزعمون أن الله توعدهم بعد تدمير الهيكل الثاني بأن الشتات سيدوم على بني إسرائيل ألفي سنة ، ثم يظهر بعد ذلك المنتظر[٢] .

ويذكرون في بعض مقالاتهم في هذا الشأن : أن الهيكل لَمَّا أحرق (في التدمير الثاني سنة ٧٠ م) صعد إلى سطحه ثلاثة من كهنته ورموا بمفتاحه إلى السماء . وقالوا : حتى متى ؟ (أي حتى متى يدوم هذا العذاب) فأجابهم صوت سماوي : ليس لأكثر من يومين اثنين (أي ألفي سنة) فقالوا : كيف سيمكن لإسرائيل أن تحتمل العذاب لألفي عام . وأن الله وعدهم بعطيةٍ بعد كل ذلك العذاب بعد اختتام الشتات وذهاب ألفي سنة ، وأنه قال لهم : أعطيهم المسيح (أي المنتظر)[٣] .

وتعجَّل بعضهم موعده فجعله بعد خمسين سنة من عودة شتاتهم وقيام دولتهم : إسرائيل .

وبما أنها قد قامت عام (١٩٤٨ م) فقد جعلوا موعد عودته في (١٩٩٨ م) وزادوا ذلك تحديداً فزعموا أنه يعود في شهر نيسان (إبريل) من ١٩٩٨ م ، واحتجوا لهذه الخزعبلات بتوافق عيد الأضحى عند المسلمين فيه مع عيد الفصح عند اليهود ، وجاء عيد الأضحى من ذلك العام ووافقه عيد اليهود حقاً ، وذلك أمرٌ يمكن معرفته بالحساب قبلاً ، غير أنه لا دلالة فيه على شيء مما زعموه[٤] .

---

(١) انظر : أصول الصهيونية ومآلها (٩٨) ، واليهود - لزهدي الفاتح (٨) .

(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد (١١٧ - ١١٨) بواسطة : المسيح المنتظر لعبد الوهاب طويلة (١٦٤) .

(٣) نقلاً عن : المسيحية والتوراة - شفيق مقار (٣٨) .

(٤) انظر : المسيح المنتظر ونهاية العالم - لعبد الوهاب طويلة (٢٦٨) .

وانقضى ذلك العام (١٩٩٨ م) وما جاء منتظرهم ، وخاب فألهم وأملهم .

وكما أن لكل قاعدةٍ شذوذاً ، وقد سبق وأن أشرنا إلى الاستثناءات في ما تقدم بين فرق اليهود حول المنتظر ، فإننا كذلك سنجد لبعضهم في العصر الحديث استثناءات حول هذه الفكرة أو ما يتعلق بها .

فقد كان الإصلاحيون الريفورميست أو المجددون من عامة الربانيين في أوروبا ومتحرريهم في القرون الأخيرة ينكرون أن يكون الخلاص معناه إقامة دولة في فلسطين كما صرفوا النظر عن إعادة بناء الهيكل في أورشليم[1] . ومعلوم ما لهاتين القضيتين من ارتباط هام بفكرة المسيح المخلّص المنتظر ، فالمنتظر هو الذي سيقيم مملكتهم في فلسطين وهو الذي سيعيد بناء الهيكل فوق جبل صهيون ، والتخلي عن هاتين الفكرتين من قبل الإصلاحيين في صلب معتقداتهم أشبه ما يكون بالتخلي عن فكرة المنتظر وترقبه ، واعتباره وهماً تعلّق به اليهود لم ولن يتحقق .

وثمة استثناء آخر يلحق بهذا الاستثناء ، لكنه أحدث عهداً منه ، إذ أن معتقديه هم بعض شُعب طائفة الحسيديم المتدينين المتشعبين عن فرقة الربانيين ، ولا زالوا يجاهرون بمعتقداتهم تلك حتى هذه اللحظة .

فهم يعتقدون أن خلاص اليهود لا يكون إلا بواسطة المسيح المخلِّص وليس بواسطة شيء آخر ، ولا تكون دولة يهودية شرعية إلا تلك التي يُنشئها هذا المخلِّص، وكل دولة يهودية تقوم قبله هي دولة غير شرعية[2] . ولذلك فهم ينظرون إلى دولة إسرائيل المعاصرة على أنها دولة غير شرعية ، ولا يوافقهم على اعتقادهم هذا أبناء

---

(١) الفكر الديني اليهودي (٢٦٦ - ٢٦٧) .

(٢) كان موقف المتدينين اليهود عموماً في الأساس من مشروع الدولة موقفاً سلبياً ، حتى إن الحاخام إبراهام كوك - وهو أول حاخام ساند الحركة الصهيونية الحديثة - كان يقرر أن الدولة الوليدة الصهيونية العلمانية الدنيوية حققت برغم كفرها ، مشيئة الله على غير وعي منها . انظر (يوم الله / جيل كيبل (١٧٩ / ٢١١) .

طائفتهم من شعبة الحسيديم اللوبافتش الذين يؤيدون قيام دولة إسرائيل ، ولهم فيها وفي الولايات المتحدة الأمريكية نفوذ قوي .

ويقول أتباع هذه الشعب المعارضة لقيام دولة إسرائيل قبل ظهور المخلِّص المتفرعة عن طائفة الحسيديم - ويعرفون باسم : الحسيديم الستمار - : « إن إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ م إنما كان معوِّقاً لظهور المخلِّص ومُؤخِّراً له . وأنه لولا ظهور هذه الدولة لكان المخلِّص قد ظهر » .

ويصف أحد زعماء مجموعتهم : الحركة الصهيونية الحديثة بأنها « وليدة الشيطان » . وكان يرى أن إنشاء الدولة اليهودية الحقيقية هي مسؤلية المسيح المخلِّص ، وكان كذلك لا يرى في إسرائيل بداية خلاص اليهود . ويقول : إن إنشاء دولة إسرائيل ينتج عنه جرائم عدة وهي :

١ - رفض فكرة الاعتقاد بالمسيح المخلِّص وظهوره ، إذ أن وجود الدولة يعني عدم انتظار ظهور المخلِّص .

٢ - الثورة على مملكة الله المسيحانية القادمة ومحاربتها .

٣ - الخروج على شعوب العالم والثورة عليها وإراقة دمائها. (قبل ظهور المنتظر).

وكان يقول : إن اليهود قد أقسموا لله على ثلاثة أشياء : أحدها أن لا يثوروا على بقية الأمم ، وثانيها أن لا يهاجروا إلى فلسطين جماعياً ، وثالثها أن لا يؤخروا ظهور المخلِّص » .

وقال : « إن الأذى الذي حل باليهود على يد النازيين إنما سببه الذين خالفوا أوامر الرب وثاروا على الأمم » .

وكان يأمل القضاء على هذه الدولة وزوالها من أجل أن تقوم على أنقاضها دولة المسيح المخلِّص ، وكان يريد لها التحطيم بضربة إلهية وليس على يد الشعوب الأخرى . وطلب أحد زعمائهم المعاصرين من أتباعه المقيمين في إسرائيل أن لا يتعاونوا مع الدولة ، وأن لا يقسموا قسم الولاء لها ، ولا يشاركوا في انتخاباتها وأن لا يحتكموا إلى محاكمها ، ولا يلجأوا إلى قضائها ، ولا يبحثوا عن وظائف فيها ولا

يحصلوا على جوازات سفر منها ، كما منعهم من الذهاب إلى حائط المبكى والصلاة عنده . مع اعتقاد أن أية حكومة في أرض إسرائيل تكون قبل قدوم المسيح المخلِّص هي إنكار للتوراة وثورة عليها . وانتظار الخلاص الحقيقي على يد المسيح الصالح حسب اعتقادهم(١) .

وفي باديء الأمر كان الحسيديم اللوبافتش يوافقون الحسيديم الستمار في مقالتهم هذه . وينظرون إلى الدولة الوليدة في فلسطين على أنها دولة غير شرعية ، ويعارضون الحركة الصهيونية ، ويقولون : « إن اليهود لابد وأن يبقوا في حالة الشتات حتى ظهور المسيح المخلِّص الذي يُنشيء الدولة اليهودية الشرعية » . ويقول أحد زعمائهم « إن العصر الذي نعيش فيه ليس بداية الخلاص ، وإن هجرة مجموعة كبيرة من يهود الشتات إلى الأرض المقدسة لا يعني ظهور الخلاص الحقيقي ... بل إن هؤلاء يطيلون وقت النفي »(٢) .

لكنهم فيما بعد تراجعوا عن هذا الاتجاه ، وأصبحوا - أي الحسيديم اللوبافتش - من أشد المؤيدين لهذه الدولة والمساهمين في تدعيمها ، واستغلال نفوذهم القوي في أمريكا لصالحها ، وبقي هذا الاستثناء من نصيب الحسيديم الستمار وبضع مجموعات صغيرة أخرى من الحسيديم .

ويقف هذا الاعتقاد مخالفاً لاعتقاد باقي الربانيين من جمهور اليهود الذين يعتقدون أن تجمعهم في فلسطين وعودتهم إليها زرافات ووحداناً وإنشاء هذه الدولة هو كالتمهيد لظهور المسيح المخلِّص بين ظهرانيهم في فلسطين ليقودهم بعد ذلك لفتح العالم والسيطرة عليه ، وتكون قاعدة حكمه من فوق جبل صهيون ، ولا يزال اليهود حتى يومنا هذا ينتظرون مسيحهم الذي يجعل بالقوة من أورشليم محور العالم ويقيم لهم الدولة في فلسطين ويستعبد الشعوب ، ولا يزال اليهودي كما يقول صاحب كتاب « اليهودي العالمي » : « يبحث عن ملكوتٍ يهبط إلى هذه الأرض ، ملكوتٍ

---

(١) اليهود الحسيديم (٢٠٠ / ٢٥٩ / ٢٦٠ - ٢٦١) (٢٦٨ - ٢٦٩) .

(٢) اليهود الحسيديم (٢٣٦ - ٢٣٧) .

يسمو على سائر الممالك ، تصبح فيه القدس المدينة التي تسود العالم » على حسب ما حلموا به في بروتوكولاتهم من تكوين سلطة دولية وحكومة مركزية قوية فوق كل الحكومات ، من أجل مَلِك بني صهيون الذي سيكون من نسل داود عليه السلام ، وأنه سيحكم العالم كله من أورشليم(١) .

العجيب بعد كل هذا أن ثمة شكلاً من أشكال تلك الحكومة يقوم حالياً في عالمنا الحاضر ، عبر المتنفذين في الكثير الكثير من البلدان والحكومات من المنتسبين إلى الجمعيات الماسونية ، ثم إلى أندية الروتاري وغيرها مثل جمعيات الليونز وأشباهها من الجمعيات المشبوهة ، وإذا كان بعض هذه الجمعيات والنوادي يتلفّع برداء السرية ، فإن بعضها يعلن عن نفسه ، ويُبرز تنظيمه الأخطبوطي الذي ينتظم العالم كله ، من دائرة الخفاء إلى دائرة الوضوح ، مثل أندية الروتاري التي تضم في عضويتها (٢٢,٠٠٠) نادي ، في (١٦٠) دولة ، ويبلغ عدد أعضائها من علية القوم مليون عضو (حسب إحصاء ١٩٨٦ م) ، إذ أنشأت حكومةً روتارية عالمية في مدينة إيفانستون في ولاية إلينوي الأمريكية ، وتم تقسيم العالم إلى (٤٣٠) منطقة ، ولكل منطقة نواديها(٢) .

وفي نفس الولاية يقع المركز الرئيسي لمنظمة الليونز العالمية ، التي قامت هي الأخرى كذلك بتقسيم العالم إلى (٣٧) إقليماً تغطي كافة أنحاء العالم ، وبدورها تنقسم هذه الأقاليم إلى مناطق (تقع مصر على سبيل المثال في المنطقة ٣٥٢) .

---

(١) اليهودي العالمي – هنري فورد (٦٣ / ٦٩) وبروتوكولات حكماء صهيون – ترجمة : محمد خليفة التونسي . الصفحات (١٧ / ١٧٤ – ١٧٥ / ١٧٩ / ٢٤٧ / ٢٨٣ – ٢٨٤ / ٢٨٧) ، طبعة مكتبة دار التراث – القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون . وانظر كذلك : أحجار على رقعة الشطرنج – وليام غاي كار / ترجمة : سعيد جزائرلي (٨٤ / ٣٢٢) ط. تاسعة / ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م / دار النفائس – بيروت .

(٢) تتبع على سبيل المثال مصر المنطقة رقم ٢٤٥ ومعها السودان ولبنان والأردن وقبرص والبحرين . أما فلسطين فتتبع المنطقة رقم ٢٤٩ ، وفيها أربعة وأربعون نادياً (المنظمات الصهيونية المسيحية – أحمد تهامي سلطان / ٨٨ – ٨٩) . طبعة وتاريخ : بدون / مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة .

ومنذ إنشاء الحكومة الروتارية العالميـة لم ينضـم إلى مجلس إدارتـها مسـلم واحـد (ولو بالإسم) وكل أعضاء المجلس من اليهود أو النصارى الصهيونيين[١] .

فهل يا تُرى قامت هذه الحكومة العالمية التي كـانوا ينـادون بـها ، وكـانت مجـرد أمل ؟ أم أنها حكومة شكلية أقل مـن طموحاتـهم الفعليـة في حكومـةٍ عالميـةٍ حقيقيـةٍ معلنة تفرض سلطانها على العالم كله بكل وضوح .

أما الجمعيات الماسونية فإنها تضم في عضوية نواديها الكثير مـن أبنـاء المسـلمين . ويوجـد أكـبر تجمـعٍ في العـالم ، للناشـطين الماسـونيين الآن ، في الولايـات المتحـدة الأمريكية ، حيث تضم النوادي الماسونية في عضويتها هناك الآن قرابة الثلاثـة ملايـين عضو ، من النافذين وكبـار رجـال المجتمـع والأعمـال ، ورجـال السياسـة والاقتصـاد والإعلام ، وأصبح من المؤكد أن ستة عشر رئيساً أمريكيـاً حتـى الآن مـن بـين ثلاثـةٍ وأربعين رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية منذ إنشائها حتى اليوم ، كـانوا أعضـاء في هذه الجمعية السرية ، مـن بينـهم أول رئيـسٍ للولايـات المتحـدة الأمريكيـة (جـورج واشنطن / حكم ما بين ١٧٨٩ - ١٧٩٧ م) بـل كـان هـو رئيـس المحفـل الأعظـم آنذاك ، لجميع الماسونيين في العـالم . وشـاركه في عضويتـها أحـد زعمـاء الاسـتقلال الأمريكـي وثـالث رئيـس أمريكـي (تومـاس جفرسـون / ١٨٠١ - ١٨٠٩ م) . والعجيب أن إعلان الاسـتقلال الأمريكـي ، وإعـلان الاندمـاج بـين المحـافل الماسـونية ومحافل جمعية أبناء النور (عبَّـاد الشـيطان) الـتي أسسـها آدم وايزهـاوبت النمسـاوي اليهودي ، ثم هجرة وايزهاوبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، قد تزامـن في وقـت واحد على وجه التقريب . ولَمَّا صدرت العملة الأمريكية (من فئة الدولار الواحد) حملت نفس شعارات ورموز الماسونية ، وجمعية النورانيين سابقاً .

---

(١) حول هذه التفاصيل . انظر :

المنظمات الصهيونية المسيحية - أحمد تهامي سلطان (٨٨ - ٨٩ / ٩٦ / ١٦٠) .

فهل يعني هذا أن الحكومة العالمية قائمةٌ موجودةَ ، تُمثِّلها القوة العظمى الوحيدة في العالم خير تمثيل ، وأن هذه الفئات الثلاث هي أضلاع مثلثٍ واحد :

١ - الماسونيون من جهة وجمعيتهم السرية المتناسلة عن جمعية فرسان الهيكل التي ظهرت في الغرب الصليبي عقب الهزيمة النكراء التي تعرضت لها جيوشهم في بلاد الشام ومصر على يد صلاح الدين الأيوبي ومن جاء بعده . وكان أول ظهورها في باريس فقمعت ، وفي لندن فانتظم مسارها بشكل سري ، حين تحول نشاطها إلى ما تحت الأرض خوفاً من تعرضهم لِمَا تعرض له رفاقهم في باريس . وانتشرت بانتشار الفتوحات البريطانية في أنحاء العالم ، واستعلنت في بلدها الأصلي ، وصار لها من النفوذ ما يكفي ويزيد .

٢ - والنورانيون وزعيمهم اليهودي من جهةٍ ثانية .

٣ - ونخبة أبناء الأرض الجديدة ورجال الاستقلال الأمريكي من جهةٍ ثالثة .

فجاء من هذا الخليط المرعب ، أعظم قوةٍ تحكم العالم في لحظته الحاضرة ، ولم تزل تحكمه منذ أمدٍ بعيد .

والأمر لله من قبل ومن بعد ، والله يُؤتي ملكه من يشاء ، غير أن الأرض لله ، وقد وعد أن لا يورثها إلا عباده الصالحين ، ولو جاء قومٌ فصدقوا الله وأعطوا الجد من أنفسهم ، لوفَّاهم ما وعد به ، ووعده حقٌ ، ومن أصدق من الله قيلاً ، ولله سننٌ كونية لا تتخلّف . من سار عليها، واجتهد في حقه ظفر وظهر . ومن لا خاب وخسر .

الخلاصة

خلاصة ذلك كله أن :

– جمهور اليهود من الربانيين (الفريسيين) يعتقدون أن مسيحاً مخلِّصاً منتظراً سيجيء في آخر الزمان ليقيم لهم دولة عالمية ، وليحكم بهم العالم ، وينصرهم على كل الملل ، ويكون من نسل داود عليه السلام من سبط يهوذا .

– وقرر بعضهم أن النبي إلياس (إيليا / إلياهو) سيسبقه ، وسيقدم قبله مبشراً بقرب ظهوره ، كالمهدي قبل عيسى عند المسلمين .

– والسامريون يقررون أن المسيح المنتظر رجلٌ اسمه (تاهب) سيقيم لهم مملكةً على أساسٍ سلمي ، وسيعيد بناء الهيكل على جبل جريزيم قرب نابلس ، لا على جبل الهيكلِ الذي ببيت المقدس . وأنه سيكون من نسل أفرايم من سبط يوسف عليه السلام .

– وشذ بعض متقدمي اليهود ، فقرر أن المسيح المنتظر ابن أرملةٍ أعاده النبي إلياس عليه السلام إلى الحياة .

– وشذ قلةٌ منهم فقرروا أن لا مسيح ينتظر . وأنه لن يكون هناك مسيا لبني إسرائيل . لأنهم سبق وأن تنعموا به على حد قولهم ، أما متى ، فلا ندري .

– الإصلاحيون اليهود من المتأخرين ، المعروفين بالريفور ميست ، أو المجددين من عامة الربانيين ومتحرريهم في القرون الأخيرة ، أنكروا أن يكون الخلاص معناه إقامة دولةٍ في فلسطين ، وإعادة بناء الهيكل في أورشليم . وهذا أشبه ما يكون بالتخلي عن فكرة المنتظر في الظاهر .

لكن المتأخرين منهم من العلمانيين الصهيونيين الذين تحقق على أيديهم قيام الدولة الحاضرة ، مثل هرتزل وبن غوريون وغيرهما ، أعادوا إحياء هذا المعنى ، والتذكير بهذه الفكرة ، بعد أن تحقق لهم قيام الدولة ، ثم دخول القدس لاحقاً .

مما يعني أن هذا التخلِّي المفترض عن هذه الفكرة في الشتات اليهودي من قِبَل بعض هؤلاء المفكرين الإصلاحيين ، كان أشبه ما يكون بالحالة المؤقتة ، أو الفكرة المسايرة للواقع ، تأثراً بضغوط ذلك الواقع الذي كانوا يعيشونه ، ورضوخاً لمعطياته .

كما يحصل اليوم عند بعض المسلمين من التخلِّي عن بعض الأفكار الأصلية ، رضوخاً لضغوط الواقع ، ومسايرةً لتيار الانحدار الجارف .

المطلب الثاني : نبوءة اليهود بإعادة بناء الهيكل

كان هرتزل أبو الحركة الصهيونية الحديثة قد تعهد في مذكراته قبل أن تقوم دولتهم بزمنٍ طويل ، بأن يهدموا الأقصى متى ما مكّنوا منه ، يقول : « إذا حصلنا على مدينة القدس وكنت لا أزال على قيد الحياة وقادراً على العمل ، فإني سوف أزيل كل بناءٍ غير مقدس بالنسبة إلى اليهود ، وسوف أحرق كل المباني التي تقوم فوق المقدسات اليهودية »[1] .

يقصد بذلك المسجد الأقصى الذي يزعمون أنه يقوم فوق أنقاض هيكلهم قدس الأقداس ، ومعبد داود الأعظم ، وهيكل سليمان عليهما السلام .

وقد تنوعت المحاولات اليهودية لهدم المسجد الأقصى أو إزالته ، من محاولة الإطاحة به من أسفل عبر الحفريات ، أو تدميره بالنسف ، أو إحراقه كما حدث سنة ١٩٦٩ م . أو محاولة الدخول إليه عنوةً عن طريق بعض الأفراد والجماعات[2] .

وهم يزعمون أن الحائط الغربي للمسجد الأقصى[3] هو الأثر الوحيد المتبقي من الهيكل ، فلهذا يقفون عنده الآن ، ويقرأون التوراة ، ويضعون في شقوقه الرقاع والأوراق .

---

(١) بواسطة : الصهيونية المسيحية - محمد السماك (١٤٤) وانظر كذلك : القدس بين رؤيتين - لحسن مصطفى الباش (٨٢) ط. أولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م / دار قتيبة - دمشق .

(٢) انظر : المنظمات الصهيونية المسيحية - أحمد تهامي سلطان (١٨٢ - ١٨٥) .

(٣) هو حائط البراق الذي يسمونه حائط المبكى ، وعندما استولت القوات الإسرائيلية على القدس الشرقية سنة ١٩٦٧ م أدى وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك موشيه دايان والحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي شلومو غورين صلاة الشكر عند هذا الحائط ، ووصف إسحاق رابين (رئيس وزراء إسرائيل الذي اغتيل لاحقاً) رئيس الأركان في وقتها تلك اللحظات قائلاً : « كلما كنا نقترب من حائط المبكى ازداد الانفعال ، حائط المبكى الذي يميز إسرائيل ... لقد كنت أحلم دوماً بأن أكون شريكاً ليس فقط في تحقيق قيام إسرائيل ، وإنما في إعادة حائط المبكى إلى السيطرة اليهودية . (لقد) وصلنا إلى حائط المبكى » . انظر : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - إسماعيل الكيلاني (٦٧ - ٦٩) .

وقد أعدوا جميع الخطط لبناء الهيكل الجديد الثالث مكان المسجد الأقصى ، وجهزوا مواد البناء لذلك من الآن ، وأقاموا معامل لإنتاج مستلزمات الهيكل ، إلى درجة أنهم أنتجوا القماش الحريري الخاص بأثواب الحاخامين الذين سيعملون في الهيكل ، لاعتقادهم الشديد بقرب تحقق ذلك .

كما أنشأوا معهداً لتخريج الموظفين الدينيين الذين سيعملون في الهيكل ، حيث يقومون بتدريبهم على ما يلزمهم من معرفة كيفية تقديم القرابين ونحو ذلك من شئون الهيكل[١] .

وهم يزعمون أن ملكية أرض الهيكل لليهود بلا شك في ذلك ، يقولون : لقد اشترى .. داود (عليه السلام) جبل المعبد وسدد ثمنه ونحن نملك .. شهادة ملكية .. هي الكتاب المقدس[٢] .

ثم يقرون أنها حيث يقع المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، على اختلافٍ في التفاصيل بعد ذلك. وهم يعتقدون أن المسجد سيزال أو سيزول (بزلزال أو غيره)[٣] ومن ثم سيقيمون مكانه الهيكل ، حتى وإن أدى ذلك إلى دخولهم في حرب شاملة مع المسلمين .

ولهذا حرص بعض المتدينين المتشددين منهم طوال السنوات الماضية على استفزاز المسلمين والدخول إلى ساحة المسجد الأقصى بالقوة، مع أن قانونهم الديني (الهالاشا) يحظر عليهم دخوله حتى يأتي المسيح المنتظر ، ويقيم الهيكل[٤] .

---

(١) النبوءة والسياسة (٨١ / ٨٩ - ٩٠) ، وحمى سنة ألفين - لعبد العزيز كامل (٨٨ - ٩٩) . وانظر كذلك : المنظمات الصهيونية المسيحية - أحمد تهامي سلطان (٤٢) .

(٢) النبوءة والسياسة (٨٧ - ٨٨) .

(٣) النبوءة والسياسة (٨٢ / ٨٨ / ٩٢ - ٩٣) .

(٤) النبوءة والسياسة (٩٠) ، ويوم الله - لجيل كيبل (١٧٩ / ١٨١) .

أما المتشددون فيقولون : « إن تفجير ذلك الرجس (قبة الصخرة والمسجد الأقصى) سيقود مئات ملايين المسلمين إلى الجهاد ، الأمر الذي سيشعل الإنسانية كلها في مواجهةٍ أخيرة . (و) كانوا يرون في هذه المواجهة .. انتصار إسرائيل في نهاية امتحان النار الذي طال انتظاره ، (وهذا) يمكن أن يمهِّد الطريق أمام ظهور المسيح »[١] .

وقد وضعت تلك العصابات المتشددة خططاً عملية لتفجير الأقصى سنة ١٩٨٤م . وعندما اكتشفت عملياتهم ، أكد خبراء مركز هارفارد للشئون الدولية أن هذه العملية لو سارت إلى نهايتها لأفضت آنذاك إلى اندلاع حرب عالمية ثالثة .

وفيما بعد اندمجت هذه التيارات المتشددة بشكلٍ أو بآخر في التيار اليميني المحافظ[٢] (حزب الليكود) ووصلت مع بنيامين نتنياهو إلى السلطة . والعجيب أن بعضهم عاد فدخل حكومة خصومه من حزب العمل مع إيهود باراك ثانيةً ، مما يؤكد أن المشكلة لا تزال قائمةً بكل أبعادها الخطرة ، وأن الأحلام البعيدة المنال بالنسبة لهم قد أصبحت على وشك الوقوع ، لكنهم ينتظرون فرصةً أفضل ، فحسب . ويعرض اليهود الآن نموذجاً مصغراً للهيكل الذي يزمعون إنشائه في أحد فنادق القدس .

يقول أحد المؤرخين اليهود : « كل يومٍ يمرُّ على اليهود دون أن يبدأوا في بناء الهيكل يعتبر وصمة عارٍ في جبين الأمة اليهودية »[٣] .

ولبعضهم مقالة منفردة في شأن الهيكل ، يقولون : « إنه لا ينبغي لبناء الهيكل الثالث أن يكون مبادرة إنسانية ، وإنما يأتي مع افتداء الشعب المختار ورجوع المسيح المنتظر » ويقرر بعض هؤلاء أن المطلوب منهم تنظيف الموقع فحسب ، أما الهيكل فسينزل رأساً مكتمل البناء من السماء عندما يأتي المسيح المنتظر[٤] .

---

(١) يوم الله - جيل كيبل (١٧٩) .

(٢) يوم الله (١٥٥ / ١٧٨ / ٢١١ - ٢١٢) ، وقد جرت قبل وبعد ذلك محاولات لنسف الأقصى منها سنة ١٩٧٩ م / و١٩٨٠ م / و١٩٨٥ م / انظر (المسيحية والتوراة / شفيق مقار / ٣٦٦) .

(٣) المسيحية والتوراة (٣٦٧ - ٣٦٨) .

(٤) انظر : يوم الله (١٨١) ، والمسيحية والتوراة (٣٦٦ / ٤١٨) .

المطلب الثالث : المسيح الدجال عند اليهود

لم أجد في المصادر المقدسة اليهودية التي اطلعت عليها ذكراً للمسيح الدجال ، ولا وجدت كذلك شيئاً يذكر فيما بين يدي من مراجع تحدثت عن اليهودية أو منتظر اليهود .

غير أن الذي لفت نظري إشارةٌ عابرةٌ في كتابٍ تحدث فيه مؤلفه عن الدجال وساق فيه شيئاً غريباً . فقد ذكر أن اليهود يعتقدون أن الأعور الدجال هو القائد القرطاجي المشهور هانيبعل (هانيبال)[1] ، الذي كانوا يُكنُّون له الكثير من العداء بسبب تحالفه مع ملك سوريا آنذاك . وأنهم كانوا يعدونه الأعور الدجال لأنه فقد إحدى عينيه في معركة روما ، وأصبح منظره من بعدها مخيفاً جداً ، فقد تضخم حجم عينه اليمنى وأصبح مثل حجم جوزة ، لونها أزرق .

وعندما اختفى هانيبعل عن مسرح الأحداث بصورة غامضة آخذاً معه ذهباً كثيراً ، أدخله اليهود في أساطيرهم التي تتحدث عن ملحمة آخر الزمان . وهو يذكر - دون أن يحيل على أي مصدر يهودي أو غير يهودي - أن اليهود يعتقدون أن هانيبال سيعود يوماً ما ليترأس جيش الظلام وليدعي الألوهية ، وليغدق الأموال على مَنْ يسير في جيشه ويتبعه . وهو يذكر أن الأسطورة اليهودية تؤكد أن على اليهودي حينئذٍ أن يصبر على الفقر ، وأن يرفض ذهب الأعور الدجال وإغراءاته ، بانتظار قدوم المسيح المنتظر ملك إسرائيل الكبرى، الذي سيقضي على هذا الأعور الدجال[2] .

---

(١) أحد كبار القادة العسكريين المشهورين عالمياً . قاد جيوش قرطاجة (القريبة من تونس) وغزا روما عاصمة الامبراطورية الرومانية الكبرى حوالي سنة ٢١٨ قبل الميلاد عبر أسبانيا ، وأحرز انتصارات كبرى ضد جيوش الرومان ، ثم اندحر وعقد صلحاً مذلاً مع روما . ثم ترك قرطاجة إلى سوريا وحرضهم على الرومان ، فقاتلوهم لكنهم انهزموا حوالي سنة ١٩٠ قبل الميلاد ، وعندها اختفى هانيبال .
انظر (الأعور الدجال / لأمير يكن / ٤٤ / ٤٦ / ٧٩ - ٨٠ / ٨٥ / ٨٨ - ٨٩ / ٩٣) ط. أولى / ١٤١١ - ١٩٩٠ م / دار قتيبة - بيروت ودمشق .

(٢) الأعور الدجال - أمير يكن (٥١ / ٨٥ / ٨٨ - ٨٩ / ٩٠) .

ورغم أهمية هذه المعلومات وخطورتها ، لم أعثر عليها في أيٍّ من المراجع التي تمكنت من الحصول عليها .

غير أن الذي يمكننا أن نعلق به على مثل هذه المعلومات ، هو أن نقول : ربما صح نسبة مثل هذا إلى اليهود ، وأن ذلك ربما كان شائعاً بينهم قبل أن يدخلوا قرن العلو والاستكبار ، ويباشروا هم بأنفسهم مهمات الدجال ، ليصبحوا هم البديل عن الدجال .

ولربما كان ذلك من بقايا ما كان عندهم من الوحي والنبوءات الصحيحة التي جاءهم بها نبي الله موسى عليه السلام ، فقد صح عنه ﷺ أنه حين ذكر الدجال قال : إنه ما من نبي إلا وحذر أمته منه[١] .

فلربما كان ذلك مما بقي لديهم من بقايا الوحي الصحيح والنبوءة الصادقة ، ثم نسوا ذلك وضيَّعوه .

ومما ذكره هذا الكاتب أيضاً أن اليهود أطلقوا لقب الدجال ، على خليفة حليفه ملك سوريا ، ابنه الذي تولى الحكم بعد الهزيمة ، بمباركةٍ رومانية سنة ١٧٥ قبل الميلاد ، وأنه قام حينئذٍ باضطهاد اليهود[٢] .

---

(١) الحديث في صحيح البخاري - باب ذكر الدجال - كتاب الفتن (٤ : ٢٣٢) .
(٢) الأعور الدجال - أمير يكن (٢٢ / ٢٤) .

المطلب الرابع : أدعياء المسيحانية بين اليهود

منذ بروز هذه العقيدة ، وتأصُّل هذه الفكرة ، وهم لا يزالون بين الفينة والأخرى يجدون بين ظهرانيهم من أنفسهم ، من يزعم أنه المسيح الذي ينتظرونه ، وأنه قد ظهر وخرج . وكانت أكثر تلك الدعاوى مرتبطة بتحرك عسكري أو سياسي في الغالب الأعم يهدف منه صاحبه إلى إعادة تهجير اليهود إلى فلسطين ، ومن ثَمَّ كان يرى لزاماً عليه أن يلبس ثوب الدعوى هذه ليسمع منه جمهورهم دعوته إلى الهجرة والنضال في سبيلها . وبدون ذلك لن يلتفت إليه إلا قلةٌ ، لِمَا تواتر بينهم من أن عودتهم إلى أرض فلسطين لا تكون إلا مع المنتظر ، واتكالهم على مثل هذه الأمنية عبر مئات السنين . ومن أولئك الأدعياء :

١ - ثيوداس ، ظهر سنة ٤٤ م . وقتله الحاكم العسكري الروماني للمنطقة بعد أن تبعه على دعواه جمهور كبير من اليهود قتل كثير منهم معه .

٢ - دوستيوس ، ادعى كذلك في العصر الروماني أنه المسيح .

٣ - يهوذا الجليلي ، ادعى أنه المسيح وتبعه كثير من اليهود . ثم هلك وتفرق أتباعه ، وكان معاصراً لثيوداس[١] .

٤ - ثم ظهر أشهرهم في عصر الرومان : باركوخبا ويسمى كذلك : بركوكبا ، أو : باركوزيبا ، الذي ثار ضد الرومان حوالي سنة ١٣٠ م ، واستولى منهم على بعض البلاد وأقام في الحكم عامين ونصفاً قبل أن يدعي أنه المسيح المنتظر . وجاءت جيوش الامبراطور الروماني هدريان فهزمته شر هزيمة وتبين لليهود أنه مسيح مزيف فقتلوه ، وسموه باركوزيبا أي ابن الكذاب بدلاً من بركوكبا أي ابن الكوكب أو النجم[٢] .

---

(١) الفكر الديني اليهودي (١١٢ - ١١٣) ، والمسيا المنتظر (٢٦٤) .

(٢) الفكر الديني اليهودي (١١٤ - ١١٥) ، والمسيا المنتظر (١٧١ / ٢٦٥) .

٥ - وظهر بين السامريين في القرن الأول الميلادي : « بونتياس بيلات » مدعياً أنه المسيح[١] .

٦ - وفي الدولة الإسلامية ظهر فيهم « سيرينوس » في أيام عمر بن عبد العزيز بالشام . وادعى أنه المسيح ثم عاد عن ذلك[٢] .

٧ - وفي الدولة الإسلامية أيضاً ظهر في أصفهان بين يهود فارس ، أبو عيسى الأصفهاني إسحاق بن يعقوب عُوبديا ، في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية . وادعى أنه رسول المسيح أو المسيح ، وأن عودة فلسطين إلى اليهود لا تتم إلا بالسلاح . وأعد جيشاً قوامه عشرة آلاف جندي يهودي، وخلفه عليهم بعده تلميذه « يودجان » مدعياً أنه المسيح كذلك ، وإليه تنسب فرقة « اليودجانية » من اليهود . أو « اليوذعانية » حسب عبارة الشهرستاني[٣] .

٨ - ومن أشهرهم بعد أبي عيسى : داود الرائي الموصلي المعروف بابن الروحي، وقيل يدعى : مناحيم بن سليمان . من أهل الموصل بالعراق ، استنفر يهود الموصل والعجم وادعى أنه المسيح المنتظر . من أهل القرن الثاني عشر الميلادي ، ودعا اليهود حوالي سنة ١١٦٣ م إلى الذهاب إلى القدس وأخذها من يد المسلمين . ولقّب نفسه بـ« الملك المخلّص المسيح » ، وجمع حشوداً واصطدم بجيوش المسلمين فقتل في أول معركةٍ له ، وبقيت فئةٌ منهم تتولاه وتنتظر عودته تسمى بـ« النحمانيين »[٤] .

٩ - « أشر إملين » ، يهودي ألماني ادعى أنه المسيح سنة ١٥٠٢ م ، وزعم أن الله بعثه للاستيلاء على فلسطين ، وهلك سريعاً .

---

(١) السامريون واليهود (١٣٥ / هامش) .

(٢) الفكر الديني اليهودي (١١٥) وإسرائيل (٥٢) .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (٢١٦ - ٢١٧) ، والفكر الديني اليهودي (١١٥) ، وإسرائيل (٥٢) للدكتور حسن ظاظا ، واليهودية للدكتور شلبي (٢٢٢) .

(٤) بذل المجهود في إفحام اليهود (٢٠٢ - ٢٠٤) ، والفكر الديني اليهودي (١١٦ - ١١٩) .

١٠ - داود الرأوبيني ، أخطر مدعٍ يهودي ، ولد في خيبر سنة ١٤٩٠ م وادعى أنه وريث مملكة يهود خيبر ، ورحل إلى البابا وملوك أوروبا طلباً للمدد والعون منهم . واستقبل في الفاتيكان بحفاوة كبيرة عام ١٥٢٤ م ، وانتهت حركته بمقتله في أسبانيا بالسم مسجوناً عام ١٥٣٥ م[1] .

١١ - سبتاي زفي أو شبتاي صبي ، يهودي ألماني الأصل ، ولد في أزمير بتركية عام ١٦٢٦ م ، زعم أن سنة خلاص بني إسرائيل هي ١٦٤٧ م ، واستقر بسالونيك وكثر أتباعه ، ثم ادعى أنه المسيح المنتظر لذلك الخلاص ، ورحل إلى القدس فمصر ، ثم عاد إلى أزمير عام ١٦٦٥ م وأعلن أنه قد ظهر مسيحاً مخلِّصاً لليهود ، وأحدث تشويشاً عظيماً فاعتقلته الدولة العثمانية فدخل في الإسلام وسمى نفسه « محمد أفندي » ثم نفي إلى ألبانيا حتى توفي بها سنة ١٦٧٥ م ، ويسمى أتباعه بين يهود تركيا والبلقان بـ« يهود الدونمة » .

وقد أخذ بهذه الدعوى بعده ابنه يعقوب ، ثم حفيده بركيا ، ثم أحد أتباع الطائفة ، ثم رابع من أتباع الطائفة يدعى : مردخاي ، كلهم زعم أنه المسيح المنتظر المخلِّص ، وزعم مردخاي أن شبتاي صبي في السماء وأنه سيعود بعد ثلاث سنين ، ومات آخر أمره ببولندا مختفياً هارباً من الكنيسة وقساوستها .

كما ادعى حاخام بولندي يدعى « نحيمة كوهين » كان يزور شبتاي صبي في سجنه أنه مسيح منتظر مثله كذلك ، وأنه لا مانع من ظهور مسيحين معاً ، وقامت بين الاثنين مناظرة حادة .

١٢ - يعقوب فرانك ، مؤسس فرقة يهودية تعرف باسم : الفرانكية ، ولد سنة ١٧٢٦ م . ظهر في روسيا وادعى أنه المسيح وأعلن الكفر بالتلمود ، وحوكم وسجن توفي سنة ١٧٩١ م[2] .

---

(١) الفكر الديني اليهودي (١١٩) و(١٢٠) ، وإسرائيل (٥٤) .

(٢) الفكر الديني اليهودي (١٢٠ - ١٢٨) ، وإسرائيل (٥٩ - ٦٧) ، ويهود الدونمة (٢٥ / ٣٠) .

ولا عجب أن نجد مثل ذلك العدد الوافر من الأدعياء بين اليهود[1] ، ففكرة المسيح المنتظر في اليهودية ، دون النصرانية والإسلام . تسمح بخروج مثل تلك الادعاءات .

ففي الإسلام كما في النصرانية ، تم التأكيد على أن المسيح المنتظر هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لا غيره . مع الفروقات المعتبرة بين الجانبين ، لكن شخص المسيح معروف ومحدد بالمسيح ابن مريم عليه السلام .

أما في اليهودية فليس ثمة شخص محدد . بل ثمة أوصاف لشخص من نسل داود عليه السلام ، يتمتع بكذا وكذا من الصفات ، ويفعل كذا وكذا ، فمن ثمَّ انفتح الباب أمام كل ذي غرض سياسي من اليهود ، وأمام كل ممخرقٍ مولَّهٍ بالغرائب والمفاجآت ، وكثر بينهم تصديق مثل تلك الدعاوي .

أما في النصرانية وفي الإسلام . فمن المستحيل تقريباً القبول بدعوى مدعٍ لمثل ذلك . حتى وإن ظهر وادعى ذلك . فشخصية ذلك المسيح معروفة واسمه محدد ، وأوصافه الشخصية معروفة إلى حدٍ ما .

وفي هذه الجزئية المهمة تفترق هذه الأديان الثلاثة الأهم بخصوص هذه العقيدة . فبينما نجد القضية في الإسلام أمراً مفروغاً منه ، وهي إلى حد كبير كذلك في النصرانية ، نجدها في اليهودية أقرب ما تكون إلى حال الأديان الوضعية فكرةً تتأرجح وتتعدد بشأنها الاجتهادات والتوقعات ، ولربما زادت بشأنها العبارات والتفسيرات يوماً بعد يوم . فهي فكرة محددة في أساس الاعتقاد ، لكنها في التفاصيل لا تزال فكرةً نهباً لكل مفسر ، وفرصة لكل مدعٍ غوي . ولن نعجب إن سمعنا أن بعض اليهود قد تعجل ظهور ذلك المنتظر فزعم نفسه المنتظر أو وهب تلك الصفة لأحد من بني

(١) أوصل بعض الباحثين عدد أدعياء المسيحانية بين اليهود إلى أربعة وعشرين مسيحاً دعياً – انظر كتاب : حول مسيح اليهود المنتظر – بديع السيوفي (٦٢ – ٦٩) .

قومه . كما فعل ذلك في العقد الحالي أتباع الحاخام مناحم مندل شنيرسون (أو: شاميرسون) (ت ١٩٩٤ م) من الحسيديم اللوبافتش حين زعموا أنه هو المسيح المنتظر بعينه . وأن صفات المخلِّص قد تحققت فيه ، وأن مرضه دليل على صدق مسيحانيته[١] .

وهلك شنيرسون ، فجاء حاخام يهودي أمريكي آخر بدعوىً أعجب من دعواه . فزعم أنه أخو المسيح المنتظر (وليس هو المسيح المنتظر) ، وأنه لأجل ذلك : الملك السابع الخالد الذي لا يموت ، كأنه ظن أن الألف السابع يستلزم مَلِكاً سابعاً ، فاستخرج لنفسه ستة ملوك سابقين عليه ، وجعل نفسه سابعهم ، وما هو بملك ، بل حاخام دعي لا يزيد عدد أتباعه عن ألف نفس ، وأفضى به الأمر إلى اعتقاله من قبل الشرطة الأمريكية وسجنه[٢] وانتهت بذلك أسطورته المنتظرية .

---

(١) اليهود الحسيديم (١٨١) وقد أثار ذلك الادعاء حفيظة الحاخام الشهير : أليعازر شاخ أكبر حاخامات اليهود المعاصرين ، وهدد شنيرسون بإصدار طردٍ بحقه من اليهودية ، ونعته بأنه « المسيح الكذاب الذي تجب مقاطعته » (اليهود الحسيديم / ٤٣ - ٤٤) . وانظر كذلك (هل ستسقط أمريكا / لممدوح الزوبي / ١٣٨) .

(٢) انظر : هل ستسقط أمريكا - ممدوح الزوبي (١٤٠) .

الفصل الثالث

نهاية المسيح المنتظر في الفكر اليهودي

الفصل الثالث

نهاية المسيح المنتظر في الفكر اليهودي

بعد أن تحدثنا عن المسيح المنتظر عند اليهود وعصره ، ونبوءات أسفار العهد القديم ، والنبوءات اليهودية الأخرى عن ذلك ، ها نحن نصل إلى تقرير ما يورده الفكر اليهودي حول خاتمة منتظره .

ويقودنا هذا بالطبع إلى ثلاثة أسئلة ، تُشكّل صلب هذا الفصل هي على النحو التالي :

١ - كم ستدوم فترة ذلك المنتظر (مدته) ؟

٢ - نهايته ، وكيف ستكون ؟

٣ - ماذا يحدث بعده ؟ في ثلاثة مباحث مستقلة .

فكل ما في هذا الفصل جوابٌ عن سؤالٍ عن زمن المنتظر ، وكيفية نهاية ذلك المنتظر ، والحساب بالزمن يكون بالإحالة إلى عصر المنتظر طبعاً ، ثم إجابةً عن خلافة المنتظر .

المبحث الأول : مدة المنتظر

لا نجد في أسفار العهد القديم ونصوصها المتحدثة عن المنتظر أي تحديدٍ زماني لمدة ذلك المنتظر .

وكل ما نجده في هذا المجال أقوالٌ منسوبة لبعض الحاخامات والربانيين (الربِّيين) . وتتعدد أقوالهم وتقديراتهم واجتهاداتهم ، وكلٌّ يزعم أنه يستند إلى نص توراتي أو ما شابه ذلك من نصوص باقي أسفار العهد القديم ، أو يزعم أنه اعتمد في ذلك على حسابٍ صحيح (حساب الجمّل الذي عرف به اليهود) لندخل في متاهات الحروفية الرمزية .

غير أن الذي يهمنا هنا هو نتيجة ذلك وخلاصته ممثلةً بالتقديرات التي ذكروها لمدته ، وأقوالهم في ذلك تأتي مرتبةً على النحو التالي :

١ - قال بعضهم : إنه سيبقى أربعين عاماً ، واستخرج من ذلك بعض المؤلفين أن هذا القول الذي ذكروه يطابق ما ذكره النبي ﷺ في مدة المسيح الدجال وأنه يبقى أربعين سنة في أحد الاحتمالات الثلاثة التي تضمنها الحديث[١] .

وهذا هو أقل ما ذكروه بخصوص مدة المنتظر من أقوال حاخامات يهود[٢] .

٢ - وقال بعضهم إنه سيبقى سبعين عاماً . أو ما بين أربعين إلى سبعين سنة على حد قول بعض الربانيين .

---

(١) في الحديث الصحيح أنه يمكث أربعين، وورد في نص الحديث أنها إما أن تكون أياماً أو شهوراً أو سنيناً .
انظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٧٥) باب ذكر الدجال من كتاب الفتن .

(٢) انظر : التلمود تاريخه وتعاليمه (٦٠) ، والمسيح المنتظر وتعاليم التلمود (١٢٩) ، والمسيا المنتظر (١٧٣) .

٣ - وذكر بعضهم قولاً غريباً لم يحددوا فيه مدة المنتظر بأعوامٍ معلومة، بل قالوا: إنه سيبقى ثلاثة أجيال ، والمعلوم أن الجيل بحساب المؤرخين يساوي أربعين عاماً ، فتكون مدة بقائه تقارب المئة والعشرين عاماً .

٤ - وقريبٌ من هذا قول السامريين : أنه سيحكم قرناً بالتقريب ، وأن عمره عند وفاته سيكون مئة وعشرة أعوام أو مئة وعشرين عاماً .

٥ - وقال بعضهم : بل مدته بين خمسٍ وستين وثلاثمائة ، وأربعمائة سنة .

٦ - وقريبٌ منه ما يُستنتج من نبوءة دانيال حول مدة المنتظر ، وأنها اثنان وستون أسبوعاً ، أي أربعمائة وأربعةً ثلاثين عاماً[1] .

٧ - وزعم بعضهم : أن فردوسه سيدوم ألف عام .

٨ - وذهب جماعة من الحاخامات إلى أن مملكة المسيح ستستمر لآلاف السنين ، وهذا على فرض أنه سيكون في قيادة تلك المملكة طوال هذه المدة كما هو ظاهر من كلامهم .

٩ - وذهب فريق منهم إلى أنه سيبقى على الأرض المدة التي سبقت مجيئه منذ خلق الله العالم أو منذ زمن نوح عليه السلام حتى الآن[2] .

وهي مدة تقدرها التوراة بسبعة آلاف سنة .

وهذا القول قريبٌ من سابقه في فتح الباب على مصراعيه لآلاف السنين بلا عدد .

---

(١) دانيال (٩ : ٢٥ - ٢٦) .

(٢) حول هذه التقديرات . انظر : التلمود تاريخه وتعاليمه (٦٠) ، والمسيح المنتظر وتعاليم التلمود (١٢٩) ، والسامريون واليهود (١٣٤ / ١٣٦) ، والمسيا المنتظر (٨٢ / ١٦٩ / ١٧٣) .

هذا خلاصة ما نجده عند اليهود من تقديرات حول مدة مقام المنتظر أو عمر مملكته المرتقبة ، وهي تقديرات تميل بشدة إلى عالم الخيال الجامح والأماني الفجة أكثر مما تقترب من عالم الحقائق ، ولذا نجد فيها ذكر السنين بالمئات والآلاف كما لو كانت أياماً ، وهي هي عادة اليهود في الجشع والإسراف حتى في عالم الأمنيات والتوقعات .

المبحث الثاني : نهاية المنتظر .

لا نجد في نبوءات اليهود سواء كانت في أسفار العهد القديم أم في غيرها أي تفاصيل عن كيفية نهاية المنتظر ، اللهم إلا ما كان من إشارة دانيال إلى أن المسيح الرئيس سـ« يُقطع » بعد مضي اثنين وستين أسبوعاً من خروجه ، وفي هذه الإشارة ما يُفيد بأن المنتظر سيُقتل أو يذبح أو يُقضى عليه بأي وسيلةٍ بعد انتهاء مدته ، وتخرب القدس على إثر ذلك[١] .

ومع ذلك يتكرر الاستثناء هنا ، ونجد جملة غريبةً تقدِّم نهايةً غريبةً لمنتظر يهود . إذ ذكرت بعض المصادر حينما ساقت قصة المسيح اليهودي المزيّف (ساباتاي زفي) الذي خرج في الدولة العثمانية في القرن السابع عشر الميلادي ، وانتهى أمره إلى إظهار الدخول هو وأتباعه في الإسلام نفاقاً ، هرباً من سيف الشريعة ، وعرفوا فيما بعد بيهود الدونمة ، أن عودته تحت تهديد السلاح عن دعواه بأنه المسيح اليهودي المنتظر ودخوله الظاهري في الإسلام ، كانت مصداق دعواه في نظر أتباعه ، وعللت ذلك تعليلاً عجيباً ، نسبته إلى بعض كتب اليهود القديمة . قالوا : المعروف أن الكتب اليهودية تقول بأن المسيح سيبتلعه المسلمون[٢] ، ولم أجد ذلك فيما طالعته من مصادر يهودية أو غير يهودية . ومضمون تلك العبارة أنه سيذوب في المسلمين أو يذوب أمَامهم .

وهذا يقودنا إلى تركيبٍ أعجب منه حين نتذكر الخاتمة التي ذكرتها المصادر الإسلامية للمسيح الدجال اللعين ، وأنه يذوب حين يرى نبي الله عيسى عليه السلام كما يذوب الملح في الماء[٣] .

لكن سيف نبي الله عيسى عليه السلام ينال منه في آخر اللحظات ويقتله[٤] .

---

(١) دانيال (٩ : ٢٥ - ٢٦) .

(٢) يهود الدونمة (٢٧) .

(٣) لم نورد هذه الإشارة على سبيل الاستشهاد ، بل على سبيل التذكير والمقارنة ، واللفظ الذي فيه ذكر ذوبان الدجال ذوبان الملح في الماء حين يرى نبي الله عيسى عليه السلام ورد في صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٢٢) .

(٤) والحديث في قتل عيسى عليه السلام للدجال في صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٦٨) باب ذكر الدجال . وانظر ذلك مفصلاً في مبحث : مصرع الدجال في الباب الرابع .

المبحث الثالث : ما بعد المنتظر .

تعددت الأقوال في ذلك عند اليهود أيضاً .

١ - فقال بعضهم : إن المسيح المنتظر إذا مات سيخلفه ابنه ثم حفيده ، وأن الدنيا ستزول بعد موته بألفي عام .

٢ - نُسب إلى السامريين من فرق اليهود القول بأنه متى انتهى عصر المنتظر قامت الحروب بين الأمم من جديد ، ويبدو أن أمد تلك الحروب لن يدوم طويلاً . إذ يذكر في اعتقادهم أنه بعد وفاة المنتظر ودفنه تقوم القيامة ويحل يوم الدين(١) .

وقد يبدو أن تعارضاً قائماً بين أول ما قالوه وآخره ، إذ أنهم في الجملة الثانية حددوا أن قيام القيامة سيكون بعد وفاته دون الحديث عن مهلةٍ تمكن أحداً من الاختلاف على إرثه من الملك .

ولربما كان هذا قولاً لبعضهم ، والثاني قولاً آخر لطائفةٍ منهم .

---

(١) انظر : التلمود تاريخه وتعاليمه (٦٠)، السامريون واليهود (١٣٨)، والمسيا المنتظر (١٦٩ / ٢٥١) .

الفصل الرابع

مناقشة ونقد

الفصل الرابع

مناقشة ونقد

سنتناول بالذكر في هذا الفصل النقدي التحليلي عدة قضايا طرحت على بساط البحث فيما سلف من الفصول في المباحث التالية :

المبحث الأول : قضية الوعد بأرض الميعاد .

المبحث الثاني : مناقشة المقولات اليهودية حول عيسى عليه السلام .

المبحث الثالث : مناقشة معتقدهم في نهاية المسيح عيسى عليه السلام .

المبحث الرابع : بين مسيح ومسيح . نقدٌ للفكرة اليهودية حول المنتظر وصراعه مع خصومه ونهايته وبيان الحقيقة في ذلك ، بالمقارنة بين مسيح الحق والهدى ومسيح الضلالة ، وبيان الحقيقة من الوهم في تصوراتهم تلك حول مسيحهم المزعوم .

المبحث الخامس : عن البشارة بالنبي محمد ﷺ في التوراة ، وحملهم النصوص الواردة في ذلك على مسيحهم المزعوم .

المبحث الأول

قضية الوعد بأرض الميعاد

الوعد بأرض الميعاد أو أرض فلسطين أو أرض إسرائيل الكبرى أرض الآباء الأقدمين أسطورة يهودية غاية في الغرابة ، يعتقدون أنه وعدٌ إلهي واجب الاستحقاق والنفاذ ، ولا رجعة فيه ، قطعه الله على نفسه لشعبه المختار .

جذور هذا الوعد تجيء في التوراة الموسوية حسب زعمهم .

تذكر التوراة أن الرب سبحانه وتعالى قطع وعداً لإبراهيم عليه السلام بهذه الأرض ، يقول النص : « في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »(١) .

وفيما بعد تكرر هذا الوعد على حذر عمهم لإسحاق عليه السلام، يقول السفر: « وظهر له الرب وقال (أي لإسحاق) ... أسكن في الأرض التي أقول لك ، تغرَّب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك ، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقَسَم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك ، وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد »(٢) .

ثم تجدد هذا العهد وتأكد في زمن يوشع بن نون عليه السلام .

جاء في سفر يشوع « أن الرب كلَّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً : موسى عبدي قد مات ، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل ، كل موضعٍ تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما

(١) سفر التكوين (١٥ : ١٨) .

(٢) سفر التكوين (٢٦ : ٢ - ٤) .

كلمت موسى ، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات ، جميع أرض الحثّيّين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم »[١] .

أما التعليل الذي تقدمه التوراة لمنح هذه الأرض كلها أو قطع الوعد الإلهي بذلك ، فتقرره على هذا النحو : « لأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك . ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم ، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب »[٢] .

وتذكر التوراة أن الله سبحانه وتعالى اشترط عليهم جزاء تلك المنحة الجليلة أن يحفظوا وصاياه . يقول السفر والخطاب كسابقه موجهٌ لإسرائيل أي لشعب إسرائيل أو بني إسرائيل : « متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك . إلى مدنٍ عظيمة جيدة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبارٍ محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها وأكلت وشبعت ، فاحترز لئلا تنسى الرب » إلى أن قال « احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها ، واعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لآبائك »[٣] .

وبناءً على هذا الوعد بنى اليهود لاسيما المعاصرون منهم ، ادعاءهم أحقية امتلاك أرض فلسطين على أقل تقدير ، فهو في نظرهم حق ديني قبل أن يكون حقاً تاريخياً أو قومياً ، وهو كذلك إنفاذٌ لوعد إلهي لا تنفيذاً لمشيئة أحد من البشر .

ونحن إن عرضنا مثل هذا الوعد الأسطورة ، لسهام النقد والنقاش والتحليل ، فإنّا واجدون فيه من التناقضات والاضطرابات والادعاءات الكاذبة الكثير الكثير ،

---

(١) سفر يشوع (١ : ١ - ٤) .

(٢) سفر التثنية (٩ : ٤ - ٥) .

(٣) سفر التثنية (٦ : ١٠ - ١٢ / ١٧ - ١٨) .

وسنبسط ما لدينا منها في هذه الفقرات اللاحقة :

١ - الوعد بنص توراتهم كان في أول الأمر لإبراهيم عليه السلام وذريته من بعده . فأين حظ بني إسماعيل من إرثهم الشرعي ذلك ، ولِمَ زواها معشر يهود لأنفسهم دون غيرهم ؟

٢ - ثم كيف يدخل في هذا الإرث من ليس من أهله من يهود الأمم المختلفة ممن ليسوا من بني إبراهيم مثل يهود الخزر ، وهم أكثر يهود اليوم . أيصح ذلك ويستقيم لهم لأنهم يهودٌ فحسب . ويخرج منه بنو إسماعيل الورثة الشرعيون على فرض صحة ذلك الادعاء !

٣ - زعموا أن الوعد تضمَّن قطعةً كبيرةً من الأرض من نهر الفرات إلى نهر النيل . والحقيقة التي يقررها التاريخ بكل صراحة وتجرد أنهم - أي معشر يهود - لم يبسطوا سلطانهم على كامل تراب هذه المنطقة عبر آلاف السنين منذ صدر هذا الوعد حتى يومنا هذا ، ومع أنهم يعيشون في فترة علوٍ واستكبار في أيامنا هذه فإنهم لم يطيقوا أخذ شيء من هذه الرقعة الكبيرة عدا أرض فلسطين ، أخذوها بوعد بلفور لا بالوعد الإلهي .

وثمة أممٌ غيرهم ، ما زعمت يوماً أن الله سبحانه وتعالى وعدها بتلك الأرض كلها ويحكي التاريخ عنها أنها بسطت سلطانها على هذه الأرض كلها وأزيد منها ، والأمثلة في التاريخ كثيرة متعددة ، أقربها إلى الذهن الدولة الإسلامية الراشدة التي بسطت سلطانها على كل هذه المنطقة وأكثر منها في بضع سنين ، وما تزال تبسط نفوذها على أكثر هذه الأرض ، ما عدا تلك البقعة التي يدنس اليهود ترابها الطاهر . وقبلهم كانت الدولة الرومانية قد بسطت نفوذها على هذه المنطقة زمناً طويلاً ، وكذا الدولة الفارسية أيام قورش .

فنسبة مثل هذا الوعد الذي لم يتحقق منذ آلاف السنين إلى الله سبحانه وتعالى فيه من خلل الاعتقاد ما لا يخفى ، إذ فيه نسبة العجز إلى الله سبحانه وتعالى، وحاشاه عن ذلك ، أو نسبة الإخلاف بالوعد إليه ، تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً .

فلينتظروا إذاً تحقُّقَ وعدٍ خائبٍ وأملٍ كاذبٍ ، فإن المنى رأس أموال المفاليس .

٤ - وتضمَّن الوعد تكثير النسل . والذي يعرفه كل مطَّلعٍ من أي ديانة وملةٍ كان ، أنهم أقل الأمم نسلاً . فأمة النصارى ظهرت بعدهم وهم اليوم يعدون ألفاً وخمسمائة مليون نسمة أو قريباً من ذلك ، وأمة الإسلام ظهرت بعدهم بكثير وهم اليوم يعدون ألف مليون نسمة ، ولا يزيدك باحثٌ قديماً كان أو حديثاً ، عن عشرين مليون يهودي إن كثروا في أيامنا هذه ، هم نتيجة ذلك النسل المتكاثر كله مع أشتاتٍ كثيرة من يهود الخزر وغيرهم دخلوا فيهم فَعُدُّوا معهم ، فأية بركةٍ هذه ؟ هذا محق بركة ، وليس بركةً .

٥ - وعللت التوراة منح تلك الأرض لهم بفجور أهلها السابقين وعصيانهم ، وهذه سُنَّة ربانية لا تتخلَّف ، وحال يهود كحال غيرهم فيها ، إن شكروا النعم ازدادت ، وإن كفروها بادت ، ليس لهم بذلك مزية اختصاص عن غيرهم من الأمم .

وواقعهم بعد موسى عليه السلام يحكي أنهم فجروا وكفروا بعد موته عليه السلام وعبدوا الأوثان وقتلوا أنبياء الله كما فعل عصاة الأمم السابقة عليهم . فلذا يحق عليهم الحرمان بعصيانهم ، ويتخلَّف تحقق الوعد عنهم - إن كان صحيحاً - بذنوبهم وكفرهم بآيات الله ، وهذا هو الواقع الحاصل . فإنهم يزعمون أنهم وُعِدُوا بكل الأرض ، فما نالوا بعد ألوف السنين إلا بعضها، فقد تخلَّف تحقق الوعد فيهم إذاً .

٦ - واشترطت عليهم التوراة مقابل ذلك الوعد - إن صح زعمهم فيه - أن يحفظوا وصايا الرب وأن يؤدوا ما افترضه عليهم من الطاعة والعبادة . والحال أنهم بعد موت موسى عليه السلام بقليل نبذوا ذلك وراءهم ظهرياً وضيعوا أمر الله وارتكبوا نواهيه .

والمعروف عنهم بين كل الأمم أنهم أوقح الأمم في مقام الربوبية ، لا يُقدِّرون الله حق قدره ، ويذكرونه بما لا يليق ، وينسبون إليه من صفات النقص ما لم تنسبه أمةٌ إلى معبودها ، كنسبة البكاء والندم إليه على تدميره وتشريده لبني إسرائيل ، ونسبة

الضعف والعجز إليه كما ذكرته التوراة في قصة صراع يعقوب مع الله وأن يعقوب صرعه[1] ، إلى غير ذلك من البواقع والطوام التي تضمنها التلمود ، فلا عجب أن يكونوا بعدئذٍ قتلة الأنبياء ومخرِّبي العالم .

أفتَرَاهم بعد أن لم يوقروا الرب حق توقيره و لم يعظموه حق تعظيمه يأخذون بأوامره ؟ فلذا اجتهدوا غاية الاجتهاد في تحريف كلامه ومناوأة أنبيائه وأوليائه المؤمنين ، واجتهدوا كذلك في التفريط بوصاياه وأوامره . حتى أصبحت سيرتهم بين كل الأمم على اختلاف دياناتها وأصقاعها أقبح سيرة من نسبتهم إلى الغش والكذب والخداع والتحايل وسفك الدماء والسعي في الفتنة وتأجيج نار العداوات بين الأمم والكيد لها ، أفيُظن أن الأمم كلها تتحامل عليهم . أو تواطأت على نسبة الذميم إليهم ؟ هذا بعيدٌ عقلاً .

يقول شيخنا الأستاذ الدكتور محمود مزروعة معلقاً على هذا الوعد الأسطورة : « لو أنصف كاتب هذه الترهات لكتبها على عكس ذلك تماماً . فلو كتب أن الله - سبحانه - قد أوعدهم بتشريدهم في الأرض لا يملكون منها شيئاً ، وببتر ذريتهم وتقليل عددهم ، وبإذلالهم على يد جميع الشعوب ، لكان ذلك هو الموافق تماماً لما يسجله الواقع والتاريخ »[2] .

وقد رافق هذا الوعد الأسطورة زعمٌ آخر لا يقل عنه طرافة وغرابة ، زعم الكذبة أنهم شعب الله المختار وأولياؤه من دون الناس ، وأبناؤه وأحباؤه ، يقول تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾[3] .

---

(١) سفر التكوين (٣٢ : ٢٤ - ٣٠) .

(٢) دراسات في اليهودية (٢٠٠) .

(٣) سورة المائدة - جزء من الآية رقم (١٨) .

وزعموا أنه وعدهم بأرض الميعاد ، واختارهم من بين الشعوب ، فلذلك نراهم ينعتون أنفسهم بأنهم : أبناء الله / أحباب الله / حلفاء الله / شعب الله المختار / الشعب الأزلي / الشعب الأبدي / شعب مقدس / شعب الله[١] .

وعن اختيار الله لهذا الشعب ، تقول التوراة : « أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب ... وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب . وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي »[٢] . وتقول أيضاً : « لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك . إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض »[٣] .

وقد زعمت كتبهم أن إسرائيل سأل إلهه قائلاً : « لماذا خلقت خلقاً سوى شعبك المختار ؟ فأجابه قائلاً : لتركبوا ظهورهم ، وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم ، وتهدموا عامرهم »[٤] .

والجواب عن أسطورتهم التالية هذه أن يقال لهم ما قاله الله في محكم التنزيل : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ﴾[٥] .

ثم أية اختيارٍ هذا ، وأية حظوةٍ هذه التي تكون نتيجتها الحرب والتدمير والخراب والذبح الأحمر والشتات أكثر من ألفي سنة ، والغربة والذل وكراهية الأمم والشعوب جميعها لهم ، وما لحق بشعبٍ مثل ما لحقهم من ذلك . فهم بحقٍ « شعب الله المحتار »[٦] لا « شعب الله المختار » ، من هول ما لاحقهم من التشريد والتنكيل بالحق وبالباطل .

---

(١) الشخصية الإسرائيلية – د. حسن ظاظا (٣٦ – ٣٨ / ٥٠) .

(٢) سفر اللاويين (٢٠ : ٢٤ / ٢٦) .

(٣) سفر التثنية (٧ : ٦) .

(٤) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي – إسماعيل الكيلاني (٨٤) نقلاً عن : سفر المكابيين الثاني .

(٥) سورة المائدة – جزء من الآية رقم (١٨) .

(٦) إطلاقٌ ظريفٌ ذكره الدكتور هشام الحديدي في كتابه : نيويورك ... (١٨٥) .

المبحث الثاني

مناقشة المقولات اليهودية حول نبي الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

أسلفنا القول أن معشر يهود وقفوا موقفاً عدائياً من نبي الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حين بعثه الله إليهم نبياً مصلحاً ، ولم يكونوا يعدُّونه – عليهم لعائن الله متتالية – إلا ابن زنى مهرطقاً زنديقاً لا يعرف الله ، لم تظهر له معجزة ولا آية ، وأن ما كان يظهر على يديه من ذلك كان بفعل السحر الذي تعلمه في مصر ، واجتهدوا في معاداته وسعوا في أذيته جداً ، ولم يشذ عن مقالتهم فيه إلا طائفة يهودية عاشت في ظل الدولة الإسلامية وتأثرت بما ورد في الإسلام عن عيسى عليه السلام ، ويقال لتلك الطائفة « القراؤون » إذ أن موقفها من نبي الله عيسى عليه السلام أخف من موقف ومقالة الطوائف الرئيسة القديمة كالفريسيين والصدوقيين ، لكن القرائين لم يقرروا نبوته كما يقول بذلك المسلمون ، بل عدُّوه رجلاً من صالحي بني إسرائيل فحسب .

والجواب عن فريتهم هذه أن نقول : عيسى عليه السلام عبدٌ من عباد الله ، خلقه الله من غير أبٍ ، وهو تعالى على ما يشاء قدير ، خلقه كما خلق أبا البشرية قبله آدم عليه السلام من غير أبٍ ولا أمٍ .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[1] .

(١) سورة آل عمران – الآيتان رقم (٥٩ – ٦٠) .

ولا حد لقدرة الله تعالى ، وليس من حق أحد أن يعترض أو يناقش أو يسأل ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾(١) .

والقول الحق في حقيقته عليه السلام كما قال تعالى عنه ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾(٢) .

أمه مريم العذراء بعث الله إليها ملكاً فنفخ فيها فحملت بعيسى عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣) .

وكما قال تعالى في قصتها : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾(٤) .

وحين رماها قومها بالزنا أنطق الله الوليد في حجرها ، على ما قال سبحانه :

---

(١) سورة الأنبياء – الآية رقم (٢٣) .

(٢) سورة النساء – جزء من آية رقم (١٧١) .

(٣) سورة الأنبياء – الآية رقم (٩١) .

(٤) سورة مريم – الآيات (١٦ – ٢٢) .

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[1] .

ثم إن الله أوحى إليه وأنزل عليه كتاباً هو : الإنجيل .

وختام ما يقال لليهود في هذا الشأن ما قاله الله تعالى في محكم التنزيل :
﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾[2] .

يقول ابن القيم رحمه الله حين ذكر بعض ضلالات اليهود وبواقعهم ، ومنها : « جحدهم نبوة المسيح (عيسى عليه السلام) وقد صرحت باسمه التوراة حين ذكرت أن الملك لا يزول من آل يهوذا .. إلى أن يأتي المسيح »[3] . قال : « وكانوا أصحاب دولةٍ حتى ظهر المسيح (عيسى عليه السلام) فكذبوه ورموه بالعظائم وبهتوه وبهتوا أمه فدمر الله عليهم وأزال ملكهم ، وكذلك قوله « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق

(١) سورة مريم - الآيات (٢٧ - ٣٤) .

(٢) سورة المائدة - جزء من الآية رقم (٧٥) .

(٣) ربما كان مراده النص الوارد في التوراة في سفر التكوين ، ولفظه « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون » (تكوين / ٤٩ : ١٠) .

من ساعير ، واستعلن من جبال فاران »[١] فأي نبوةٍ أشرقت من ساعير غير نبوة المسيح » .

إلى أن قال « سوف يعلم المغضوب عليهم إذا جاء منتظر المسلمين (يشير إلى نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان) أنه ليس بابن يوسف النجار ، ولا هو ولد زنية ، ولا كان طبيباً حاذقاً ماهراً في صناعته استولى على العقول بصناعته ، ولا كان ساحراً ممخرقاً »[٢] .

ومن المعلوم أن اليهود في زمن العهد الجديد - زمن بعثة عيسى عليه السلام - كانوا ينتظرون نبياً مثل موسى عليه السلام ، وعندها قال عيسى عليه السلام : إنه ذلك النبي الذي ينتظرونه ، لكنهم كذبوا به وكفروا بدعوته ، رغم وجود الكثير من النبوءات التي تتحدث عن مجيء المسيح عليه السلام في العهد القديم[٣] .

وفي يومنا هذا ، وبعد ألفي عام تقريباً ، لا يزال اليهود يرفضون عيسى عليه السلام ولا يعترفون به ولا يقبلونه رسولاً من عند الله .

(١) سفر التثنية (٣٣ : ٢) ونص النبوءة أوردناه حسب لفظ ابن القيم فيما نقله عن التوراة في أيامه .

(٢) انظر : هداية الحيارى (١١٠ - ١١١) بتصرف .

(٣) انظر : ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ / لأحمد ديدات (٢٦ / ٣٤ / ٥١) .

المبحث الثالث

مناقشة معتقدهم في نهاية المسيح عيسى عليه السلام

ذكرنا فيما سبق عند الحديث عن موقف اليهود من المسيح عيسى عليه السلام أنهم يعتقدون في نهايته أنهم أخذوه بواسطة العساكر الرومانية ، وسجنوه فترةً ثم نادوا في البلاد على من يحضر للشهادة ببراءته فلم يحضر أحد ، فما كان منهم إلا أن صلبوه حتى مات .

واليهود متفقون على هذا الاعتقاد في أن عيسى قتل وصلب ، بل يفخرون بذلك ويجاهرون به .

والحق الذي قرره القرآن الكريم هو : أن المسيح عيسى عليه السلام لم يقتل و لم يصلب كما يزعم ذلك معشر يهود ، بل ألقى الله تعالى شبهه على رجل آخر ، إمَّا على ذلك الذي دل عليه ، أو على أحد حوارييه ، وأن ذلك الرجل الذي أُلْقِيَ عليه شبه عيسى عليه السلام هو الذي أُخِذَ وقتل وصلب ، قال تعالى في محكم التنزيل في كتابه العزيز ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1] .

« فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء ... وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان »[2] .

---

(١) سورة النساء – الآيتان رقم (١٥٧ – ١٥٨) .

(٢) البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٢ : ٩١) .

وفي إنجيل برنابا أنه لم يقتل ولم يصلب ، وأنه حينما توجه جند الرومان بمساعدة ذلك التلميذ الخائن : يهوذا الاسخريوطي ، للقبض على عيسى عليه السلام ، ألقى الله عز وجل القادر على كل شيء ، شَبَه عيسى على ذلك التلميذ ، فأخذوه مستيقنين أنه عيسى ، وقتلوه وصلبوه .

يقول برنابا « ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياماً ، فأتى الله العجيب بأمرٍ عجيب ، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه ، فصار شبهاً بيسوع . حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا . أنت يا سيد ، هو معلمنا . أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال متبسماً : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي ؟ وبينما كان يقول هذا . دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا ، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه »[١] .

وفي بعض الأناجيل الأربعة الأخرى المعتمدة لدى النصارى ما يوحي بإلقاء شبه عيسى على شخص آخر لأنهم سوف يشكون فيه ، هل هو هو أم لا ؟

ففي إنجيل متى : « قال لهم يسوع كلكم تشكُّون فيَّ في هذه الليلة » ومثل ذلك في مَرْقُس[٢] . وفي هذا الشك ما يدل على إلقاء الشبه على غيره[٣] .

واليهود لما صلبوا ذلك الرجل الذي شُبِّه لهم ، وهم يحسبونه المسيح عيسى عليه السلام وسلَّم لهم أكثر النصارى بجهلهم ، تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس ، وجعلوا الجذع الذي صلب عليه ذلك المصلوب مطرحاً للقمامة والنجاسة

---

(١) إنجيل برنابا (٢١٦ : ١ - ٩) تحقيق : سيف الله أحمد فاضل / دار القلم - الكويت / ط. ثانية / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٢) إنجيل متى (٢٦ : ٣١) ، وإنجيل مرقس (١٤ : ٢٧) .

(٣) للتوسع في ذلك . انظر : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل - د. أحمد حجازي السقا (٢ : ٢٩) وما بعدها / ط. أولى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م / دار الجيل - بيروت .

والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان زمان ملك الروم « قسطنطين بن قسطن » باني مدينة القسطنطينية الذي أدخل الروم في الديانة النصرانية بعد عصر المسيح عليه السلام بثلثمائة سنة تقريباً ، فعندئذٍ عمدت أم قسطنطين « هيلانية الحرانية الفندقانية » فاستخرجته (أي المصلوب) من هنالك معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة التي صلب عليها أو الجذع فعظموا أمرها وغشوها بالذهب واللآلي ومن ثم اتخذوا الصلبانات وتبركوا بشكلها وقبَّلوها . وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة . فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقال لها : القمامة . باعتبار ما كان عندها . ويسمونها كذلك كنيسة القيامة . أي التي يقوم جسد المسيح منها .

ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود . فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الأخباث والأنجاس . لكنه لم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء . وهو موضع المسجد الأقصى(١) .

(١) انظر : البداية والنهاية للإمام ابن كثير رحمه الله (٢ : ٩٥ - ٩٦) .

المبحث الرابع

بين مسيح ومسيح

« بين مسيح الحق عيسى عليه السلام ومسيح الضلالة الدجال لعنه الله »

يترقب اليهود حتى هذه اللحظة ، بل يسرفون في التوقعات ويتعجلونها في عصرنا الحاضر بخصوص مسيحٍ ملكٍ منتظرٍ صاحب دولةٍ وسطوةٍ وسيادةٍ ، يبزغ فيهم فيجتمع به شملهم وتندمل به جروحهم ، يغالب بهم أمم الأرض حتى يغلبها ، ويستذلها ويحكمها هو وبنو قومه من معشر يهود بالحديد والنار إن صح التعبير .

إنه الحلم الأزلي والأمل الشخصي المرتقب لكل يهودي ، يسيل لعابه حين يتذكر فكرة السيطرة على العالم كله سيطرةً سياسية ومالية ودينية ، وهي أمنيةٌ تراود كثيراً منهم منذ آلاف السنين ، ولم لا وهم يعتقدون أنهم أسياد الأرض وأبناء الله وشعبه المقدس المختار ، وكيف لا يحلمون بما هو كالحق الطبيعي لهم في نظرهم ، لاسيما وأن كثيراً من أمم الجوييم أشباه الحيوانات قد طمحت إلى مثل ذلك فحققت جزءاً من طموحاتها لا يستهان بقيمته وأهميته . من الإسكندر المقدوني ، إلى الإمبراطورية الرومانية ، إلى دولة أهل الإسلام ، إلى دولة التتر ، إلى الإمبراطورية البريطانية ومستعمراتها التي لم تكن تغيب عنها الشمس ، إلى ما كان يُسمَّى بالاتحاد السوفييتي المنقرض بآخرةٍ انقراض الديناصورات ، إلى الإمبراطورية الأمريكية الحاضرة .

ويصطدم أملهم بالواقع المر دائماً ، منذ مئات السنين وهم يقولون : ها قد اقترب أوانه ، وأوشك أن يُبرزه زمانه ، ثم تمضي القرون تلو القرون ، والأيام بعد الأيام ، فلا حسٌّ ولا خبر ، ولا علم ولا أثر ، حتى إذا أعياهم التمني والانتظار قالوا : ما نراه يجيء حتى نُمهِّد لظهوره بأمور ، إذا نحن استوعبناها صبَّحنا المنتظر أو مسَّانا .

ولعمر الله لقد كانت خطة من ساق لهم هذا الفَرْض ومهَّد له في نفوسهم خطة مِسْعَر حرب لو كان له رجال ، وطالبُ ملكٍ بالحرب العوان لو كان له أعوان ،

شيطانٌ في مسلاخ إنسان ، نقلهم بها نقلة الدهر من مطية الفكر والأماني البكر إلى أرض الحقيقة والواقع ، فاجتمع لهم بها الإصرار الأكيد والعزم العنيد على تلك الأمنية القديمة الحديثة إلى الواقع الذي تفرضه المدافع ، وتُكتب سطوره بالعرق والدم والدموع والجد والاجتهاد بلا كللٍ ولا ملل ، من أجل تحقيق تلك الأمنية الأمل . فكانت « الصهيونية » ثم كانت « دولة إسرائيل » ، ونعموا بالبداءة في لم الشمل والعودة إلى أرض الميعاد جماعات وفرادى كما هو في الشرط الذي اشترطوه في اعتقادهم لتحقق ظهور منتظرهم ، وطفقوا يُغذّون السير منذ قرون يركبون الصعب والذلول في سبيل فرض سيطرتهم السياسية والاقتصادية على العالم كله أو جله ، كما هو مطلوبٌ منهم في الاشتراط الآخر . كما أوضحنا ذلك في مبحث النبوآت اليهودية في غير أسفار العهد القديم وفصلناه بإسهابٍ كاف .

ثم هم بعد كل هذا الاجتهاد يرقبون منتظراً أوصافه : أنه مَلِكٌ ذو سطوةٍ وباس ، وفي الملوك كثير من ذلك الصنف من الناس ، ثم قالوا : يحكم العالم . والعالم القديم الذي كان عليه الآباء الأقدمون فيهم أضحى اليوم جزءاً فحسب من العالم كله . فأي عالمٍ تعنيه عبارة أمنيتهم ، وأي عالمٍ تنطبق عليه وتستوعبه .

وذكروا في أوصافه أنه يتألّم ثم ينتصر ويظفر ، وكل بني البشر على ذلك المنوال لا يبلغون غاياتهم إلا بالكد والاجتهاد والألم ، يُعقبه الأمل .

وكل ما معهم في نسبه ، أنه ابن داود . أي من نسل داود عليه السلام .

أتراهم بعد كل هذا إذا ظهر ذات يومٍ مَنْ يزعم أنه المنتظر يُميِّزونه : أمنتظرٌ مُحِقٌّ هو فيتبعونه ؟ أم منتظرٌ مُبْطلٌ فيرفضونه ؟

هذه هي قاصمة الظهر في اعتقادهم في المنتظر . وهي التي جرَّت عليهم الويلات عبر تاريخهم الطويل ، ظهر فيهم منتظرون أدعياء كذبة ، فاجتهدوا في نصرتهم والانقياد إليهم والاعتقاد فيهم ، فما لبثوا حتى ظهر لهم خذلان أولئك الأدعياء وبان لهم عوارهم ، فانخذلوا بانخذالهم وذلوا بإذلالهم ، وأوذوا على ما جنوه من شر فعالهم ، في تلك الهوجة الغوغائية .

وجاءهم فيما بين ذلك نبي الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الذي بشرتهم به التوراة وأسفار العهد القديم مراراً ، فغالبهم الشك حتى غلبهم في أمره . فهم كمن لسعته الحية ففر من الحبل ، ولكنه كان حبل نجاتهم ، الذي انقطعت بهم السبل بعد أن قطعوه بأيديهم حميةً لشريعتهم الموسوية فيما يظهر لهم وحفظاً لها . وهذا هو حال المخذول الذي خالفه التوفيق ، فمن حرم التوفيق حرم الخير .

وسيجيئهم في آخر الزمان - كما أخبرتنا بذلك النصوص النبوية الشريفة - المسيح الدجال لعنه الله فيُفتنون به كما يفتن به كثير من البشر ، ويظنونه مسيحهم المنتظر ويلتبس عليهم أمره ويمشون في ركابه . وحاله أنه سيدخل البلدان جميعاً ويأخذ الدنيا كلها عدا مكة والمدينة والطور والأقصى فيردعه الله عنها . فيظنون أن نبوءتهم الموعودة قد تحققت فيه . ويرونه يقتل أهل الإسلام والإيمان فيزيدهم ذلك إيقاناً إلى إيقان . وهم الذين عَادَوْا هذا الدين وأهله من حين ظهر إلى تلكم اللحظة . ويرونه يستهويهم هم وغيرهم بعجائبه ومخاريفه فيظنونها معجزات إلـهية تأييداً له ، هذا هو حالهم وواقعهم آنذاك ، وهو الذي تشهد الأحاديث النبوية الصحيحة بوقوعه ، أخرج الإمام مسلم في صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال : « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً »[1] .

فإذا كان هذا عدد من يتبعه من هذه المدينة الإيرانية المعروفة وحدها ، فكم سيكون عدد من يتبعه من عموم اليهود .

الذي يُظن بهم أنهم سيُطبقون على تأييده ونصرته لتحقق أهم سمةٍ يرونها في منتظرهم فيه ، ألا وهي : اكتساحه العالم ، وانتصاراته المذهلة حتى لا يقف في وجهه أحدٌ كائناً من كان ، إلا ما كان من أمر مكة والمدينة ، ولن يُغيِّر ذلك من أمر اعتقادهم فيه شيئاً يذكر .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٨٥ - ٨٦) .

فهو هو إذاً بناءً على مثل هذا الحديث الصحيح : منتظرهم الذي ينتظرون . ومسيحهم الذي به يُفتنون .

وحين ينزل عيسى ابن مريم المسيح الحق عليه السلام لقتال المسيح الدجال الملعون ونصرة عباد الله المؤمنين ، يقف أولئك الملاعين من يهود في صف المسيح الكذاب ، ويعادون ابن مريم عليه السلام ويكذبون به كما عادوه وكذبوا به أولاً . فهم في صف الباطل دائماً محجوبون عن الحق ومعرفته .

وتنتهي تلك الملحمة بغلبة الحق ، وينتصر المسيح الحق عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويقتل المسيح الدجال الملعون مسيح يهود الكذاب ، وينتصر الإسلام وأهله ويقتلون معشر يهود شر قتلة .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في تقرير هذا المعنى : « يزعمون (أي اليهود) أن قائماً يقوم فيهم من ولد داود النبي (عليه السلام) إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود ، وهذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وُعدوا به ، قالوا : ومن علامة مجيئه أن الذئب والتيس يربضان معاً ، وأن البقرة والذئب يرعيان معاً ، وأن الأسد يأكل التبن كالبقر ، فلما بعث الله المسيح (عيسى عليه السلام) كفروا به عند مبعثه ، وأقاموا ينتظرون متى يأكل الأسد التبن حتى تصح لهم علامة مبعث المسيح ، ويعتقدون أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم بأسرهم إلى القدس ، وتصير لهم الدولة ، ويخلو العالم من غيرهم ، ويحجم الموت عن جنابهم المنيع مدة طويلة » ، إلى أن قال : « وقد عوضوا من الإيمان بالمسيح ابن مريم بانتظار مسيح الضلالة الدجال ، فإنه هو الذي ينتظرونه حقاً ، وهم عسكره وأتبع الناس له ، ويكون لهم في زمانه شوكة ودولة إلى أن ينزل مسيح الهدى ابن مريم فيقتل منتظرهم ويضع هو وأصحابه فيهم السيوف ... فحينئذٍ يرعى الذئب والكبش معاً ، ويربضان معاً ، وترعى البقرة والذئب معاً ، ويأكل الأسد التبن ، ويُلقى الأمن في الأرض ، هكذا أخبر به شعيا (إشعياء) في نبوته ، وطابق خبره ما أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح في خروج الدجال وقتل المسيح ابن مريم له ، وخروج يأجوج ومأجوج في

أثره ومحقهم من الأرض ، وإرسال البركة والأمن في الأرض » .

ثم انتهى إلى تقرير أن المسلمين واليهود والنصارى كلهم ينتظر « مسيحاً يجيء في آخر الزمان ، فمسيح اليهود هو الدجال ، ومسيح النصارى لا حقيقة له ، ... ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو ... عيسى بن مريم »[1] .

(١) هداية الحيارى (١١٠ - ١١١) ، وأما الحديث الصحيح الذي يشير إليه ابن القيم رحمه الله وأنه يتطابق مع ما في نبوآت إشعيا فانظره في صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٦٣ - ٧٠) باب ذكر الدجال .

المبحث الخامس

البشارة بالنبي محمد ﷺ في أسفار العهد القديم

اشتملت التوراة وأسفار العهد القديم على نبوءات تتعلق بالمسيح المنتظر عند اليهود .

واشتملت كذلك على نبوءاتٍ بالمسيح عيسى عليه السلام . لكنهم كما عرضنا لذلك فيما سبق كذبوا به وأنكروا ما جاء في أمره ، وجعلوا كل ما ورد في ذلك في مسيحهم الذي لم يأت بعد ، مسيح آخر الزمان .

واشتملت التوراة وأسفار العهد القديم كذلك على البشارة بالنبي محمد ﷺ ، وهي مدار بحثنا هاهنا .

وكان موقف يهود من تلك البشارات كعادتهم تحوير مدلولاتها بل تحريف ألفاظها متى دعت الحاجة لذلك ، :

- حسداً وبغياً للعرب وبني إسماعيل ، أن يخرج فيهم نبي . وهم مَنْ هم في الجهالة والإغراق في البداوة ، وقلة الحظ من العلم والدين . بينما كان يهود يعدون أنفسهم أحباب الله وشعبه المختار ، العلماء بشريعته وأوامره ، السالكين سبيل العلم والحضارة والرقي .

- واستهانةً كذلك بأمر الله .

- ورداً لقضائه وقسمته ، واعترضاً على ما أراده وقدره .

وليس مثل ذلك بعجيب على معشر يهود . فتلك سجيتهم .

وبعد أن حذفوا منها ما شاء الله لهم أن يحذفوا ، وحرفوا منها ما قدروا على تحريفه ، انصرفت هممهم إلى نصوص أخرى بقيت في الكتب التي بين أيديهم فتناولوها بالتأويل الباطل والتفسير البعيد .

فزعم أحبارهم وشُرَّاح توراتهم وتلمودهم ومفسروهم أن تلك النصوص لا تتضمن البشارة بنبي الإسلام محمد ﷺ ، بل هي نبوءات بمسيحهم المنتظر ، فزووا تلك النصوص رغم وضوح دلالتها في مواضع عديدة عن النبي ﷺ ، وجعلوها لمسيحهم المنتظر .

وكان ذلك باباً فُتح عليهم به باب الخصومة العقدية والردود في هذه المسألة من قبل علماء الإسلام المتقدمين والمتأخرين ، والمنصفين من طالبي الحق ممن هداهم الله إلى الدين الحق من أهل الكتاب يهودهم ونصاراهم في سابق عهدهم . فاجتمع من ذلك مصنفات كثيرة تطرقت إلى هذه المسألة وحدها ، ومصنفات أخرى أوردت نبذاً طويلة في هذه القضية، وحفظ لنا التاريخ من ذلك درراً لا يخفى أمرها على الباحثين .

غير أني أقصر نقاشي في هذه المسألة على بعض النصوص التي ذكرنا في بحثنا هذا أنهم استدلوا بها على أمر المسيح المنتظر ، مع بيان انطباق تلك النصوص على نبينا محمد ﷺ . وأنهم لجهلهم وحسدهم زووها عنه وجعلوها كلها في منتظرهم .

ومن تلك النصوص ما يصعب عليهم تأويله إلا بتعسفٍ بالغ ولَيٍّ لأعناق النصوص . ولذلك نجد اليهود وأهل الكتاب عامة كانوا ينتظرون بعثة نبي جديد دوماً ، وكانوا في الجزيرة العربية يهددون المشركين الوثنيين به فيقولون : قَرُبَ زمان ظهور نبي سنقاتلكم معه ، فلما كانت النبوة في الرسول ﷺ وعلموا أنه النبي المبشر به كفروا به عناداً واستكباراً[1] . وإلى هذا يشير القرآن الكريم ، في قول الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] .

يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية : « كانوا من قبل مجيء هذا

(١) مسيا والمسيائية - صلاح الدين الأيوبي (١٨ - ١٩) .

(٢) سورة البقرة - آية رقم (٨٩) .

الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم ، يقولون : إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم » . وأن معشر يهود « كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه . فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه »[1] .

وسنستعرض فيما يلي عدداً من تلك البشارات الصريحة التي تضمنها كتابهم التوراة وأسفارهم المقدسة عندهم . ومنها :

١ - ما جاء في سفر التثنية : « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي . له تسمعون .... أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه »[2] .

فالكلام في هذه البشارة مُوَجَّهٌ لموسى عليه السلام ، وموسى من بني إسرائيل من نسل يعقوب ابن إسحاق عليه السلام ، وليس لبني إسرائيل إخوةٌ إلا بنو العيص بن إسحاق عليه السلام وهم الروم . ولم يظهر في بني العيص نبي بعد موسى عليه السلام باتفاق . بل ظهر فيهم قبل موسى عليه السلام أيوب عليه السلام .

أما إخوة بني إسرائيل الآخرون ، أو بنو عمومتهم على الأصح ، الذين ظهر فيهم نبي بعد موسى عليه السلام ، فهم بنو إسماعيل ، ظهر فيهم محمد ﷺ بعد موسى عليه السلام .

فإن زعم النصارى أن عيسى عليه السلام أحق بهذه النبوءة من محمد ﷺ لأنه رجل من بني إسرائيل فهو من إخوتهم وأقرب إليهم من محمد ﷺ قيل لهم : قد اشترطت النبوءة المماثَلَة بين موسى عليه السلام وذلك النبي الذي سيأتي « مثلك » . وعيسى عليه السلام ليس مماثلاً لموسى عليه السلام من وجوه : منها أن عيسى من

(١) انظر تفسير هذه الآية في : تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير رحمه الله (١ : ٣٢٥ - ٣٢٧)، تحقيق: سامي محمد السلامة / دار طيبة - الرياض / ط. أولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

(٢) سفر التثنية (١٨ : ١٥ / ١٨ - ١٩) .

غير أبٍ / وأنه لم يتزوج / وأنه لم يتملك على بني إسرائيل بل طردوه وآذوه / وأنه لم يأت بشريعةٍ ناسخةٍ مستقلة ، بل جاء بتثبيت شريعة موسى عليه السلام / ومات موسى عليه السلام موتاً طبيعياً بالأردن ، أما عيسى عليه السلام فرفع إلى السماء / .

أما محمد ﷺ فإنه كموسى عليه السلام في كل هذه الأمور .

ويزعم اليهود أن هذه النبوءة جاءت في حق مسيحهم المنتظر ، لذا نسبوا إليه النبوءة لتنطبق عليه هذه النبوءة فهو مسيح ملك نبي . غير أن الذي فات عليهم أن النبوءة ستتحقق في إخوة بني إسرائيل لا فيهم « من وسط إخوتهم » . أما مسيحهم المنتظر فإنه بزعمهم من بني إسرائيل من نسل داود عليه السلام لا من نسل إخوتهم .

فهذه النبوءة بمحمد ﷺ نبي الإسلام أليق ، وهي إليه أقرب . لكنَّ معشر يهود قوم بهت[١] .

٢ - ما جاء في سفر التثنية : « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سَعِير وتلألأ من جبل فاران »[٢] .

فكان مجيء الرب من سيناء ببعثة موسى عليه السلام وتكليم الله له على طور سيناء . وكان إشراقه من ساعير ببعثة المسيح عيسى عليه السلام ، وساعير بلدة قرب بيت المقدس بفلسطين . وأما بزوغه من جبل فاران فهي بعثة المصطفى ﷺ ، وفاران هي مكة كما يقول ابن القيم رحمه الله[٣] ، وفي بعض نصوص نسخ التوراة « وتلألأ

---

(١) طالع : هداية الحيارى لابن القيم (٥١ - ٥٢) ، ومحمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى للبروفسور عبد الأحد داود (القسيس سابقاً) ترجمة : محمد فاروق الزين (١٠) ط. ثانية / ١٩٩٦ م / دار نهضة مصر - القاهرة ، والرسل والرسالات للدكتور عمر الأشقر (١٦٦) ط. ثالثة / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م / مكتبة الفلاح ، الكويت ، وماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ / لأحمد ديدات (٢٨ - ٤٥) ، والبشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل للدكتور أحمد حجازي السقا (١ : ٢٢٧ - ٢٤٩) .

(٢) سفر التثنية (٣٣ : ٢) .

(٣) هداية الحيارى (٥٣) .

من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس » والذي وقع لـه ذلـك بمكـة (فـاران) هو محمد ﷺ حين دخلها فاتحاً على رأس عشرة آلاف من أصحابه[١] .

٣ - وفي مزامير داود عليه السلام : « قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . يرسل الرب قضيب عزك من صهيون . تسلّط في وسط أعدائك .... أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن إلى الأبد » إلى أن قال في المزمور الذي يليه : « هَلِّلُويَا . أحمدُ الربَّ بكل قلبي في مجلس المستقيمين وجماعتهم » ثم جاء وصف هذا الذي تتحدث عنه البشارة في نفس المزمور بأن « عدله قائم إلى الأبد » وأنه « أخبر شعبه بقوة أعماله ليعطيهم ميراث الأمم » وأن « أعمال يديه أمانة وحق » وأن « كل وصاياه أمينة . ثابتة مدى الدهر والأبد مصنوعة بالحق والاستقامة » وأن « تسبيحه قائمٌ إلى الأبد » . وأن « نسله يكون قوياً في الأرض ... وبره قائم إلى الأبد . نورٌ أشرق في الظلمة للمستقيمين . هو حنَّان ورحيم وصدِّيق »[٢] .

زعم اليهود أن هذه البشارة أصرح ما تكون في مسيحهم المنتظر من نسل داود عليه السلام . ولعمر الله إنها لأبعد ما تكون عنه . ثم هي بعد من أوضح البشارات بمحمد ﷺ ، فإن لم تنطبق عليه فإنها لا تنطبق على أحد بعده . وأول ما فيها من إشكالات ترد عليهم أن داود وصف ذلك المبشَّر به بسيدي حين قال « قال الرب لربي » أي لسيدي ، فهي من الرب بمعنى السيد ، ومحمد ﷺ هو سيد الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام .

ثم كيف تصح مثل هذه النبوءة لمسيحهم المنتظر وهم لم يزعموا له السيادة على بقية الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم .

---

(١) محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى للبروفيسور عبد الأحد داود (١٠) .

(٢) المزمور (١١٠ : ١ - ٤) والمزمور (١١١ : ١ - ١٠) والمزمور (١١٢ : ٢ - ٤) .

والعجيب أن لفظ « أحمد » ورد في هـذه البشـارة ، لكنـه جـاء في سياق غريـب يظهر منه - والله أعلم - أنه كان صريحاً في البشارة ، فأدخلوا عليه من التحريـف مـا يضيع معه المراد به . وقد جاء لفظ « أحمد » مرةً أخرى في سياق آخر[1] .

أما الصفات الواردة في تلك البشارة فلكأنـها تحكـي سيرة المصطفـى ﷺ وحالـه وجهاده ، فعدله قائم إلى الأبد بشريعته المصطفوية ، وقد ورث شعبه ميراث الأمم من الأكاسرة والقياصرة ومن عداهم .

وأما تسبيحه القائم إلى الأبد فهي الصلاة والسلام عليـه مـن المؤمنـين بـه في كـل حينٍ وآنٍ إلى أن تقوم الساعة .

أما مسيحهم المنتظر فليس بعده دهر طويل على قولهم هم ، حتى يُقال في وصفـه إن تسبيحه قائمٌ إلى الأبد .

فمثل هذه البشارة في محمد ﷺ لا يضل عنها إلا مـن أعمـى الله بصيرتـه ، وليـس لمسيحهم الذي ينتظرونه فيها حظ .

٤ - بشارة إرميا . وفيها « إن الأنبياء الذين كانوا قبلـي .... تنبـأوا علـى أراضٍ كثيرة وعلى ممالك عظيمة بـالحرب والشـر والوبـاء . النبـي الـذي تنبـأ بالسـلام فعنـد حصول كلمة النبي عرف ذلك النبي أن الرب قد أرسله حقاً »[2] .

وقد وردت هذه البشارة بلفظ أصرح وأوضح في بعض نسخ الأسفار ، وفيها

(١) سفر إشعيا (٢٥ : ١) ولفظه : « يـا ربُّ أنـت إلهـي أعظمـك . أحمدُ اسمـكَ لأنـك صنعـت عجباً . مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق » .

(٢) سفر إرميا (٢٨ : ٨ - ٩) .

جاء لفظ البشارة « النبي الذي يبشر بالإسلام »[١] لكنها تغيرت فيما بعد كما تغير الكثير من ألفاظ هذه البشارات الصريحة على يد هؤلاء القوم الكذبة محرِّفي كلام الله .

٥ – ما جاء في سفر حبقوق: « الله جاء من تِيمان والقدوس من جبل فاران»[٢].

ولم يخرج نبي بعد هذا السفر من فاران أي مكة غير محمد ﷺ ، ولن يخرج منها أحد غيره على قول اليهود والنصارى والمسلمين بإجماع . فأي دلالة أصرح من هذه .

٦ – وهناك بشارات صريحة وردت بلفظ أحمد ومحمد في أسفارهم . وظهرت بعض تلك الأسفار مطبوعة مشتملةً على هذا الاسم الصريح والبشارة الصريحة ، لكنها حذفت في طبعات لاحقة . كما في بعض النسخ القديمة من سفر حبقوق حيث ورد نص في غاية الوضوح مثل « امتلأت الأرض من تحميد أحمد » « أضاءت السماء من بهاء محمد » . كما في طبعة لندن ١٨٤٨ م وطبعة بيروت ١٨٨٤ م .

وكما في سفر دانيال في النسخ القديمة « ترتوي السهام بأمرك يا محمد » وذكر « نبي بني إسماعيل » وأن « مولده بمكة ، وهجرته بطيبة »[٣] .

ولا توجد هذه البشارات الصريحة الألفاظ في النسخ الحاضرة مما يدل على أنهم تناولوا تلك النسخ بالنقص والتحريف والتغيير كعادتهم ، كما قال تعالى عنهم ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[٤] .

---

(١) انظر : محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى لعبد الأحد داود (٧٥) .

(٢) سفر حبقوق (٣ : ٣) .

(٣) انظر : الرسل والرسالات للدكتور الأشقر (١٦٨ – ١٦٩ / ١٧٤ – ١٧٥ / ١٨٩ – ١٩١) .

(٤) سورة المائدة – جزء من آية رقم (١٣) .

الباب الثالث

المسيح المنتظر عند النصارى

الباب الثالث

المسيح المنتظر عند النصارى

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول :

- **التمهيد** : في التعريف بالنصرانية .

- **الفصل الأول** : دعوة المسيح عيسى عليه السلام حسب الرواية النصرانية .

- **الفصل الثاني** : عقيدة النصارى في الصلب والقيامة .

- **الفصل الثالث** : المسيح المنتظر في المصادر النصرانية .

- **الفصل الرابع** : مناقشة ونقد .

وتتضمن عدداً من المباحث والمطالب .

التمهيد

في التعريف بالنصرانية

التمهيد

في التعريف بالنصرانية

تقديم

يجدر بنا أن نمهِّد في هذا التعريف بهذه الديانة الفاسدة قبل الحديث عن المنتظر عند أصحابها النصارى ، نعرِّف من خلاله بهذه الديانة نشأةً وتاريخاً ومصادر وعقائد وطوائف ، مدخلاً للحديث عن اعتقاد أهل هذه الديانة في منتظر آخر الزمان ، مدخلاً لابد منه تأسيساً لبيان اعتقادهم في ذلك ، بجلاء أصل هذه الديانة وأصل معتقداتها وتاريخ تحولاتها الفكرية الكبرى وأحوال نشأتها الأولى .

والحديث عن ذلك بلا شك يحتاج إلى مساحات هائلة من الكتابة ، غير أننا سنعمد إلى الإيجاز لتلك الحقائق وعرض أقوى الأقوال ووجهات النظر ، تفادياً للدخول في تفصيلات الاختلافات التي اشتهرت بها هذه الديانة وطوائفها المتعددة .

وكل ما نرجوه أن نكون قادرين على الإيجاز وضغط المعلومات في قالبٍ مختصر ، دون الإخلال بعناصر مهمة من تلك المعلومات أو إغفالها .

نرجو ذلك ، وبالله نستعين على إنجاز ذلك ، ومنه نستمد التوفيق والسداد .

وسيكون حديثنا في هذا التمهيد مقسماً على عددٍ من المباحث والمطالب مبينةً على النحو التالي :

- **المبحث الأول** : نشأة النصرانية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مولد عيسى عليه السلام ونشأته . ويتضمن ذلك الإشارة إلى أسماء المسيح عيسى عليه السلام وألقابه عند النصارى .

المطلب الثاني : بعثة عيسى عليه السلام . ويتضمن ذلك الحديث عن بعثته ونزول الإنجيل عليه ، وبيان أنه بعث عليه السلام بالدين الحق دين الله كسابقيه من الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام .

المطلب الثالث : الصدام مع اليهود والرومان . وفيه حديثٌ عن خاتمة دعوة المسيح عليه السلام ، واصطدامه بأعداء الله من اليهود والروم الحاكمين ونتيجة ذلك .

- **المبحث الثاني** : في تاريخ الديانة النصرانية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عصر الاضطهاد (اضطهاد النصرانية) . ويتناول بالذكر تاريخ الديانة وأحوال تابعيها بعد عيسى عليه السلام ، وما مرُّوا به من اضطهاد وتعذيب ، ثم دخول بولس ذلك الرجل المؤثِّر الغريب في لحمة هذه الديانة بعد أن كان من ألد أعدائها ، وأثره اللاحق والتخريبي في هذه الديانة .

المطلب الثاني : عصر الانتصار (انتصار النصرانية) . ويبدأ ذلك بعد عهد المسيح عيسى عليه السلام بما يقارب الثلاثة قرون ، حين دخلت الامبراطورية الرومانية في هذه الديانة بعد أن فعل فيها بولس ما فعل . وأثر هذا الدخول في التأسيس لمزيدٍ من الانحرافات .

المطلب الثالث : تاريخ الكنيسة ونفوذها . وهو حديثٌ عن الكنيسة بعموم . وعن بداية مزاولتها لنفوذها الديني والسياسي عقب الانفصال بين كنيسة روما والقسطنطينية وانقسامهما . واستقلال بابا روما بسلطاتٍ روحية وسياسية واسعة ، وأثر ذلك .

- **المبحث الثالث** : مصادر النصرانية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : العهد القديم .

المطلب الثاني : العهد الجديد (الأناجيل وأعمال الرسل) .

المطلب الثالث : المصادر الأخرى .

- **المبحث الرابع** : عن عقائد وطقوس النصرانية ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : اعتقادهم في الله .

المطلب الثاني : اعتقادهم في عيسى عليه السلام .

المطلب الثالث : اعتقادهم في الروح القدس .

المطلب الرابع : القول بالتثليث .

المطلب الخامس : عقائد وطقوس نصرانية . وفيه حديثٌ عن شعائر واعتقادات وطقوس نصرانية هامة مثل : التعميد / الصليب / الرهبنة / الأحد / القداس / العشاء الرباني / عيد الميلاد / الاعتراف وصكوك الغفران .

- **المبحث الخامس** : عن فرق النصرانية . وليس المقصود به سرد كل فرقهم ، بل الإشارة إلى أشهر وأهم تلك الفرق .

المبحث الأول

نشأة النصرانية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مولد عيسى عليه السلام ونشأته

ولادة عيسى عليه السلام من مريم العذراء بغير أبٍ ، يصوغها النصارى على نمطٍ معين ينتج عنه ترتيبٌ معين ، وذلك بنسبته إلى داود عليه السلام لتصحيح مذهبهم في أنه : الملك المسيح ابن داود . ولذا نراهم كما سنعرض لذلك يتحدثون عن أسرته ونسبه وما إلى ذلك .

نبدأ بقصة ولادته التي يحدثنا عنها متّى في إنجيله ، فيقول : « أما يسوع المسيح فقد تمت ولادته هكذا : كانت أمه مريم مخطوبةً ليوسف[1] وقبل أن يجتمعا معاً ، وُجِدتْ حبلى من الروح القدس »[2] . وتردد يوسف في الارتباط بها بعدئذٍ كما زعموا ، حتى خوطب وقيل له إن مريم : « ستلد ابناً ، وأنت تسميه يسوع . لأنه هو الذي يُخلِّص شعبه من خطاياهم »[3] . فضم يوسف زوجته مريم إليه ، لكنه لم يدخل بها حتى ولدت .

وكانت ولادة يسوع في بيت لحم على عهد الطاغية هيرودس الأكبر[4] .

---

(١) هو يوسف بن يعقوب النجار من نسل داود عليه السلام ، زوج مريم عليها السلام وخطيبها - فيما يزعمون - أثناء حملها بعيسى عليه السلام . وإليه ينسب النصارى عيسى عليه السلام - انظر (إنجيل متى / ١ : ١ - ١٦) .

(٢) إنجيل متى (١ : ١٨) .

(٣) إنجيل متى (١ : ٢١) .

(٤) كان والياً للرومان على منطقة اليهودية والسامرة والجليل (من فلسطين) وأدوم (جنوب الأردن) - انظر : التفسير التطبيقي للعهد الجديد (٩) طبعة وتاريخ : بدون / ولمحات من التاريخ في الإنجيل - حبيب سعيد (٣٣ / ٤٨ - ٤٩) .

ويذكرون أن نفراً من المجوس قدموا إلى أورشليم بعد ولادته يسألون : أين هو المولـود ملك اليهود ؟ (يقصدون : الملك المسيح ابن داود المنتظر) فقد رأينـا نجمه طالعـاً في الشرق . ففزع هيرودس لما سمع بذلك وأمر بقتل جميع أطفال بيت لحم . لكن يوسف النجار - كما ذكروا - هرب بالصبي وأمه بعد أن رأى في النوم مَلَكاً يأمره بالهروب بالطفل إلى مصر ، وبقي فيها حتى مات هيرودس ، ثم عاد بالصبي وأمه بعدما أوحي إليه في المنام ، إلى « الناصرة » إحدى مدن الجليل (شمال فلسطين) التي نسب إليها عيسى فيما بعد ، ودعي بـ« يسوع الناصري » نسبةً إليها . ومنها انطلقت دعوته لاحقاً[1] .

ومملا يلاحظ هنا أن كل ما يذكره النصارى في قصة مولد عيسى عليه السلام نجد له شبهاً في قصص الوثنيين والأمم السابقة عليهم ، كظهور النجم ، وتسبيح الجنود السماوية ، وبحث ناسٍ عن ذلك الطفل العظيم ، وتقديم الهدايا وآيات الخضوع له ، وطلب بعض الجبابرة قتله ثم خلاصه ، وتعرض الشيطان له ونحو ذلك[2] . إلا أن ذلك لا يجعلنا نجزم تمام الجزم أن كل ما يذكره النصارى مأخوذٌ بالكلية من سابقيهم من أبناء الأمم الأخرى .

وقد وافق مولد عيسى عليه السلام نهاية الألف الرابعة من بدء الخليقة على حساب التقويم العبري ، وهو الموعد الذي كان منتظراً لبعثة المسيح الموعود ، لأنهم كانوا ينتظرونه على رأس كل ألف سنة[3] . وهو مبدأ اعتقادهم بعودته على رأس الألفية السابعة الجديدة (٢٠٠١ م) لأنها الألف الأخيرة من عمر الدنيا بزعمهم ، وهي ألفية مملكته التي سيقيمها (مملكة السلام) .

---

(١) عن قصة ولادة عيسى على ما سقناه هنا - انظر : (إنجيل متى / ١ : ١٨ - ٢٥) و(٢ : ١ - ٢٣) .
ومما يلاحظ هنا أن مرقص في إنجيله لم يتحدث عن مولد عيسى عليه السلام . بل استفتح إنجيله بالحديث عن تعميده عليه السلام على يد يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) (إنجيل مرقص / ١ : ١ - ١٠) .

(٢) اهتم بإبراز هذا الجانب جداً الأستاذ محمد طاهر التنير في كتابه : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية انظر الصفحات (٧٤ - ٧٦ / ٧٧ - ٧٩ / ٨٠ - ٨٢ / ٨٥ - ٨٦ / ٨٩ - ٩٢ / ٩٣ - ٩٥) .

(٣) المسيح - للأستاذ : عباس محمود العقاد (٥١) المكتبة العصرية - صيدا - طبعة وتاريخ : بدون .

وفي تاريخ مولده الذي يذكرونه حسب التقويم العبري ويؤرخون به لبداية تاريخهم الميلادي نظر . والقول الراجح في تقدير المؤرخين أن ميلاد عيسى عليه السلام متقدمٌ على السنة الأولى للميلاد ببضع سنوات . وأنه على أصح التقديرات لم يولد في السنة الأولى للميلاد[١] .

وقد ذكر متى في إنجيله أنه سيذكر « سجل نسب ... المسيح » ، لكنه حين أراد أن يسرد نسبه - على ما زعم - ، سرد نسب يوسف ابن يعقوب (النجار) - زوج مريم على ما يذكرون - ، الذي يتصل نسبه عندهم بداود عليه السلام[٢] .

ويعلق على ذلك الإمام ابن حزم قائلاً : إن متى « لم يأت إلا بنسب يوسف النجار زوج مريم ... فكيف يقول : إنه يذكر نسبة المسيح ثم يأتي بنسبة يوسف النجار ؟ والمسيح ... ليس هو ولد يوسف أصلاً . وهم لا يقولون هذا ولا نحن (أي المسلمين) ولا جمهور اليهود . ... طائفة قليلة من اليهود يقولون إنه ابن يوسف النجار ، وما نرى متّى إلا شاهداً لقولهم ومحققاً له . ... ولو أنه ذكر نسبة أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر »[٣] .

أما لوقا فصرح أنه ابن يوسف . قال : « كان معروفاً أنه ابن يوسف .. » ثم سرد بقية النسب[٤] .

ومع ذلك اختلفا في آبائه (جعله متى : المسيح ابن يوسف ابن يعقوب ، وجعله لوقا : ابن يوسف ابن هالي ، وجعله متى من نسل سليمان بن داود ، ولوقا جعله من نسل ناثان بن داود) واختلفا كذلك في عدد آبائه إلى داود (جعلهم متى من يوسف إلى داود ٢٧ رجلاً ، وجعلهم لوقا من يوسف إلى داود ٤٢ رجلاً)[٥] .

ولا نجد بعد الحديث عن مولد عيسى عليه السلام في الأناجيل أخباراً وافرة عن نشأته . وربما كان أبرز خبر ورد في سن صباه ، ذلك الخبر الذي يتحدث عن زيارته للهيكل في أورشليم وهو في سن الثانية عشرة وجلوسه وسط المعلّمين في الهيكل[٦] .

---

(١) المسيح - العقاد (٨٢) .

(٢) انظر : إنجيل متى (١ : ١ - ١٧) .

(٣) الفصل لابن حزم (٢ : ٢٩) .

(٤) لوقا (٣ : ٢٣ - ٣٨) .

(٥) تناول هذه النقطة بتوسع : الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه (اليهودية والمسيحية / ٢٣٠ - ٢٣٦) وألّف فيها الدكتور عبد الله حسن بركات رسالة مستقلة سماها : نسب المسيح عند النصارى . عرض ونقد - انظر: الصفحات التالية منها (٧ / ٥٥ / ٥٧ / ٥٩) آل إمام للطباعة الحديثة - ١٩٩٥ م - طبعة : بدون .

(٦) إنجيل لوقا (٢ : ٤١ - ٤٢ / ٤٦) .

بقي أن نشير في ختام هذا المطلب عن ولادة ونشأة المسيح عيسى عليه السلام إلى أن النصارى يطلقون على عيسى عدة أسماء ويلقبونه كذلك بألقاب عدة ، واسمه الأساسي عندهم : يسوع الناصري . وتنطق بالعبرية : يشوع ومعناها « المخلِّص » .

أما بقية الأسماء والألقاب فمنها : ابن الإنسان / خبز الحياة / نور العالم / باب الخِرَاف / الراعي الصالح / محيي الموتى / الطريق / الحق / الحياة / الكرمة / الألف والياء / البداية والنهاية / الرب / القدير على كل شيء / الأول والآخر / الحي / ابن الله / الشاهد الأمين الصادق / أسد يهوذا / أصل داود / الحَمَل (حَمَل الله / خروف الله) / سليل الله / الراعي / المسيح / كلمة الله / ملك الملوك / رب الأرباب / كوكب الصبح المنير / الله / الإنسان / النبي / الكاهن / المِلِك / الباب / القيامة / الطبيب / حجر الزاوية / البكر / الكلمة / الوسيط / الأزلي / الرئيس / أسد سبط يهوذا / الفادي / عمانوئيل أي الله معنا / الابن المبارك / رئيس الحياة / العجل الأحمر/ الثور / الأفعى النحاسية / قدوس الله / رب المجد / حامل الآثام / أمير السلام / مختار الله /[1] .

إلى غير ذلك من الأسماء والألقاب العجيبة الكثيرة .

ويزوون ما ورد من تسمياتٍ في بعض البشارات بنبوة محمدٍ ﷺ إليه ، كما في " الأمين الصادق " و " حجر الزاوية " .

---

(١) انظر : الفصل لابن حزم (٢ : ١٧١ / ١٧٣) .

وانظر كذلك : (التفسير التطبيقي للعهد الجديد / ٢٩٠ / ٣٤٨ / ٨٩٩) (ألقاب المسيح / للقس منيس عبد النور / ٥ - ٨ / طبعة : دار الثقافة المسيحية - مصر / طبعة وتاريخ : بدون) (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية / ٤٦ - ٤٧ / ١٤٦ - ١٤٧) (الفكر الديني اليهودي - د. حسن ظاظا / ١١١) (النصرانية في الميزان - المستشار محمد عزت الطهطاوي / ٢٦٨ / ط. أولى / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م / دار القلم - دمشق) (المسيح في الإسلام - أحمد ديدات / ٤٢ / ترجمة: علي الجوهري / دار الفضيلة - القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون) .

المطلب الثاني : بعثة عيسى عليه السلام

بعث الله نبيه عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه كتاباً هو « الإنجيل » ، ويذكر النصارى في أناجيلهم المعتمدة أنه كان ابن ثلاثين سنة حين بدأ دعوته[١] . وأنه انطلق مبشراً بملكوت الله في الجليل وما حوله وتبعته جموع غفيرة ، ومن ثَمَّ انطلق إلى أورشليم فدخلها ليصطدم بعدئذٍ بكهنة الهيكل وسدنته[٢] .

وكانت مدة دعوته ثلاث سنين ونيفاً[٣] .

وقد بعث الله نبيه عيسى عليه السلام داعياً إلى دين الله الدين الحق الذي دعا إليه إخوته السابقون من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وإلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له .

وهو – عليه السلام – لم يَدْعُ أولئك الذين بُعث فيهم إلى عبادته من دون الله ، وكل ما حصل بعده من تحريف كبرائهم وتلاعبهم بدين الله . ولذلك اعترف بعض كبرائهم بهذه الحقيقة . يقول أحدهم : « لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله ، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله . ولكنْ بدلوا وكفروا »[٤] .

وقد أجرى الله على يدي عيسى عليه السلام عدداً من المعجزات تأييداً له وتصديقاً ، مثل : إحياء الموتى وشفاء المرضى ونحو ذلك[٥] .

---

(١) لوقا (٣ : ٢٣) .

(٢) انظر : (متى / ٤ : ٢٣ – ٢٥) و(مرقس / ١١ : ١١) .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (٢٢١) .

(٤) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب – لأبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي (٦٨) تحقيق : عمر وفيق الداعوق / دار البشائر الإسلامية – بيروت / ط. أولى / ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

(٥) ذكروا في أناجيلهم بعض المعجزات التي نسبوا أنها وقعت له – طالع : (متى / ٩ : ١٨ / ٢٠ / ٢٧ / ٣٢) (متى / ٢٠ : ٢٩) (مرقس / ١ : ٢٩ / ٤٠) (مرقس / ٢ : ٣) (مرقس / ٤ : ٣٥) (مرقس / ٥ : ١ – ١٨) (مرقس / ٨ : ١ – ١٣) .

وانظر في : التفسير التطبيقي للعهد الجديد – جدولاً بتلك المعجزات المذكورة في الأناجيل (٤٠٠) .

المطلب الثالث : الصدام مع اليهود والرومان

بعد أن بشَّر عيسى عليه السلام بدعوته إلى دين الله القويم الخالي من الشوائب والانحرافات بين بني إسرائيل ، كان من المحتَّم أن يصطدم بالتيار اليهودي العام الذي يرى في دعوته ونبوته انحرافاً وزندقةً وهرطقةً وخروجاً على شريعة موسى عليه السلام ، وادعاءً للمسيحانية التي يُعلِّق معشر يهود عليها منذ مئات السنين آمالاً عظاماً تتمثَّل في خروج مسيحٍ ملكٍ عظيم ، فإذا هذا الذي يزعم أنه المسيح رجل سلام ، قليل الأتباع ، ليس بملكٍ ولا له دولة ورجال وصولجان ، ولا قوة تضارع القوة الرومانية المستعمرة أو تفوقها ، وإذا به يُحطِّم كل الأحلام اليهودية المغرقة في التفاؤل بدل أن يستثيرها ويحقق شيئاً ولو قليلاً منها .

ولأن اليهود لا يملكون في بلادهم آنذاك سلطةً تنفيذية ، لأنهم واقعون تحت نير السيطرة الرومانية المحتلة وتحت حكم والٍ شرسٍ مستبد ، فقد بذلوا شتى الجهود للإيقاع بالمسيح عيسى عليه السلام عن طريق استثارة السلطة الرومانية السياسية ضده ، ونجحوا في الوصول إلى غايتهم بعد فترةٍ ليست بطويلة .

ابتدأ الصدام بين المسيح عيسى عليه السلام وبين اليهود حين وصل عيسى عليه السلام إلى أورشليم ودخلها في زيارته المشهورة بعد بعثته عليه السلام . وحين دخل الهيكل وجد الصيارفة والباعة يبيعون ويشترون داخل الهيكل فقام بطردهم خارجه وقال : إنهم قد جعلوا الهيكل مغارة لصوص بعد أن كان بيتاً للصلاة . وحينئذٍ احتشد ضده رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ، وسألوه : بأي سلطةٍ فعل ذلك ؟ وحينما لم تأت تلك المقابلة بنتيجةٍ بيَّتوا النية للإيقاع به[١] .

وكانت البداية مع عالم السياسة ، حيث أرسلوا إليه مَنْ يسأله عن حكم دفع الجزية للقيصر الروماني ، ودار بينه وبينهم الحوار التالي : « قالوا له : يا معلِّم ، نحن

(١) انظر إنجيل مرقس (١١ : ١ - ١١) و(١١ : ١٥ - ١٨) و(١١ : ٢٧ - ٣٣) .

نعلم أنك صادق ، ولا تبالي بأحد ، ... أيحلُّ أن تدفع الجزية للقيصر ... ولكنه إذ علم رياءهم طلب منهم إحضار دينار ، ثم سألهم : « لِمَنْ هذه الصورة وهذا النقش » (الذي على الدينار) قالوا : لقيصر . فرد عليهم قائلاً : « أعطوا ما للقيصر للقيصر ، وما لله لله »[١] .

وبدأ عيسى عليه السلام في التحذير من هؤلاء الأدعياء من الكهنة وغيرهم . وخاطبهم قائلاً : « الويل لكم أيها الكتبة والفرِّيسيون المراؤون . فإنكم تغلقون ملكوت السماوات في وجوه الناس » .. « الويل لكم أيها القادة العميان ... أيها الحيات ، أولاد الأفاعي » .

ولعمر الله إنه لأصدق وصفٍ يطلق في حق اليهود ويعبر عن حقيقتهم . ولا يزال هذا الوصف صادقاً في حقهم حتى هذه اللحظة . ثم أضاف – عليه السلام – واصفاً أورشليم بأنها « قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين » . واختتم حديثه ذلك بنبوءته المشهورة بخراب الهيكل ودماره[٢] . فما انقضت أربعون عاماً بعد المسيح عليه السلام إلا وقد تحققت تلك النبوءة ودمِّر الهيكل تدميراً نهائياً حتى هذه اللحظة ، وتشتت اليهود في أصقاع الدنيا وتمزقوا شر ممزق . وكان ذلك في العام ٧٠ بعد الميلاد[٣] .

أما الصدام مع الرومان فلم يكن صداماً مباشراً . فبعد أن أزمع اليهود أمرهم على الاحتيال لقتل المسيح عيسى عليه السلام وهم يبحثون عن المبررات التي تجعل السلطة الرومانية تفعل ذلك بالنيابة عنهم تحقيقاً لغرضهم . وبدأت خيوط المؤامرة تنسج[٤] . فاعتقل وحوكم أمام المجلس الأعلى لليهود (السنهدرين) ورفعت على عجلٍ تلك النتيجة إلى السلطة الرومانية السياسية التنفيذية . وكان الحكم بالإعدام

(١) إنجيل مرقس (١٢ : ١٣ – ١٧) ومتى (٢٢ : ١٥ – ٢٢) .

(٢) متى (٢٣ : ١٣ – ٣٧) و(٢٤ : ١ – ٢) .

(٣) انظر فصل : خراب أورشليم من كتاب : لمحات من التاريخ في الإنجيل لحبيب سعيد (٧٤ – ٨٧) .

(٤) انظر : يوحنا (١١ : ٤٥) وما بعدها .

صلباً . وفي الرواية الإنجيلية وعقيدة النصارى أن ذلك الحكم قد نفذ فعلاً في شخص المسيح عيسى عليه السلام . أما الحقيقة فهي أن الله سبحانه ألقى شبهه على غيره ونجا المسيح بأمر الله ، كما هي العقيدة الصحيحة والواقع الحق الذي أخبر عنه الباري عز وجل في كتابه المحكم ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[1] . وذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[2] الآية .

---

(١) سورة النساء - جزء من الآية رقم (١٢٢) .

(٢) سورة النساء - جزء من الآية رقم (١٥٧) .

المبحث الثاني

تاريخ الديانة النصرانية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عصر الاضطهاد (اضطهاد النصرانية)

بعد أن قضي على المسيح عيسى عليه السلام في محنته تلك ما كتب له ، ورفعه الله إليه معززاً مكرماً ، تفرّق أتباعه في البلدان فراراً من بطش الرومان وكيد اليهود ، ومع أن المسيح عليه السلام قد غادر الساحة وأخلاها « للحيَّات أولاد الأفاعي » من معشر يهود ، فإذا أذاهم لم ينته بتلك النهاية ، بل طفقوا يتتبعون تلامذته وحوارييه وأتباعه بصنوف البغي والعدوان والكيد والأذى ، فقتلوا من قتلوا وسجنوا من سجنوا ونفوا من نفوا .

ومع ذلك فقد كان في تلك المحنة فوائد لبولس وَمَنْ شايعه . حيث انتشرت ضلالته في عدة جهات . إذْ استتبع تفرق أتباعه في أنحاء البلدان انتشار تلك الدعوة في عدة جهات من آسيا الصغرى إلى بلاد الروم واليونان وغيرها[١] .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله واصفاً تلك المرحلة المبكرة من عصر الاضطهاد : « اتفقت المصادر ... على أن (النصارى) نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث ، جعلتهم يستخفون بديانتهم ، ويفرون بها أحياناً ويصمدون للمضطهِدين .... أحياناً أخرى ، وهم في كلتا الحالتين لا شوكة لهم ، ولا قوة تحميهم ، وتحمي ديانتهم وكتبهم ، وأنه في وسط هذه الاضطهادات يذكرون أنه دُوِّنت أناجيلهم

---

(١) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها - شارل جنيبير - وعليه تعليقات الدكتور : عبد الحليم محمود (٨٣ - ٨٤ / ١٥٠ - ١٥١) دار المعارف - القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون . وانظر كذلك : اليهودية والمسيحية للأعظمي (٢٧٥) .

الأربعة .. و.. رسائلهم !!. وأول اضطهادٍ نزل .. (بهم) كان في عهد المسيح ، وانتهى بالخاتمة (المعروفة) ... ولقد نزلت من بعده الشدائد بـ.. (أتباعه من النصارى) بما يتفق مع هذا الابتداء »[١] .

وفوق هذا انقسمت الدعوة وانقسم الأتباع بين مركزين : مركز القدس ، ومركز خارج فلسطين بالكلية ، يقوده مَنْ يدعى بـ: بولس[٢] اليهودي المتنصِّر ، قائد مسيرة التحريف ومؤسس الديانة النصرانية على أصولها الباطلة كما هي عليه الآن . ومع ذلك بقيت القيادة الفعلية إلى حدٍ ما بيد شعبة بيت المقدس ، حتى حلّ الدمار بالمدينة حين دُمِّر الهيكل تدميراً نهائياً على يد جحافل الرومان (٧٠ م)[٣] .

وحينئذٍ اندثرت هذه القيادة . وأصبح بولس هو الزعيم الفعلي والمبشر الحقيقي لِمَا عرف فيما بعد باسم : الديانة النصرانية ، وهي على الحقيقة : الديانة البولسية . وبدأ بولس يجول ويصول ويسافر شرقاً وغرباً ويكتب الرسائل ويبعثها إلى هنا وهناك. مسمياً نفسه فيها « بولس عبد يسوع المسيح ، الرسول المدعوّ والمفرز لإنجيل الله »[٤]. وهو بذلك يُعرِّي حقيقته ويكشف أوراقه حين يقرر بنفسه أنه رسولٌ جاء لتنقية الإنجيل وفرزه ، ناعتاً نفسه بأنه رسولٌ ، دون أن يذكر ما يثبت أن الله أرسله . والظاهر أنه منح نفسه صفة « رسول » ، وصفق له العميان الأغبياء وبايعوه على الطاعة العمياء . فهدم بهم دين الله الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام .

---

(١) محاضرات في النصرانية - محمد أبو زهرة (٣٦) / ط. رابعة / ١٤٠٤ هـ / رئاسة الإفتاء - الرياض .

(٢) ادعى بولس الإيمان والتحق بالنصرانية بعد رفع المسيح عليه السلام بعامين تقريباً . وانقلب من أحد مضطهِدي أتباع عيسى عليه السلام وأشد مبغضيه إلى كبير محبيه على ما زعم . وقاد التبشير في البلدان بعد أن أعمل في ديانة عيسى عليه السلام السليمة من شوائب الشرك ، معاول الوثنية والتحريف مؤسساً بذلك لأعظم انقلاب داخلي ديني في تاريخ البشرية ، لا تزال آثاره حاضرةً بكل وضوحٍ حتى يومنا هذا انظر : (لمحات من التاريخ في الإنجيل / ٩٧) .

(٣) المسيح - العقاد (٢٣ - ٢٤) .

(٤) الرسالة إلى مؤمني روما (١ : ١) ضمن رسائل العهد الجديد .

ومع كل ذلك لم يسلم حتى بولس نفسه من موجة الاضطهاد . إذ تم احتجازه في فلسطين وإرساله تحت الحراسة إلى روما . وهناك أقام عامين كاملين في منزلٍ استأجره لنفسه[١] . وفيما بعد لقي مصرعه هناك في أول موجة اضطهادٍ عظمى تلحق بأتباع الدين الجديد على عهد الطاغية « نيرون »[٢] .

وبدءاً من هذه الموجة العظمى من الاضطهاد ، لحقت بهم عدة موجات عبر ثلاثة قرون ونيف من الزمان . ويقسم بعض الباحثين عصر الاضطهاد إلى أربعة عهود ، حسب أعنف الاضطهادات التي حصلت آنذاك .

وهي على النحو التالي :

الأول : الاضطهاد الأعظم الذي لحق بهم على عهد الطاغية « نيرون » بعد أن اتهمهم بإحراق روما . وكان ذلك عام ٦٤ م . ومات نيرون سنة ٦٨ م . وفي عهد الإمبراطور دوميسيان استمر الاضطهاد متواصلاً أربع سنوات من ٩٢ م إلى ٩٦ م . ولم يتوقف إلا باغتيال ذلك الإمبراطور .

الثاني : في عهد الإمبراطور تراجان (من ١٠٦ م إلى ١١٢ م) وكان يُطلب من المعتقلين تحت التعذيب شتم المسيح عليه السلام .

الثالث : في عهد ديسيوس (٢٤٩ - ٢٥١ م) .

الرابع : في مصر . حين ذبح الحاكم الروماني دقلديانوس (٣٠٣ م) مئةً وأربعين ألف نصراني . ولهذا يتخذ الأقباط من تاريخ تولِّيه (٢٨٤ م) بدايةً لتاريخ التقويم القبطي إحياءً لذكرى مَنْ هلك في زمنه[٣] .

---

(١) أعمال الرسل (٢٨ : ٣٠) .

(٢) لمحات من التاريخ في الإنجيل (٩٨) .

(٣) راجع : تاريخ الكنيسة - رسالة الصليب / تأليف : م. يقاريني / نقله عن الفرنسية : الأب ج. عقيقي اليسوعي / منشورات المعهد - المعادي / دار المعارف - مصر / ١٩٦٥ م / (١ : ٥٠ - ٥٩ / ٦١ - ٦٦) طبعة : بدون .

واتسمت مجهودات الأباطرة لتصفيتهم دائماً رغم كل هذه القسوة وكل هذا العنف بعدم التناسق والتردد . ولم تكن تشمل كل أنحاء الإمبراطورية هذه التصفيات . مما ساهم في بقاء أتباعٍ آخرين لم يتعرضوا للتصفية ، ونقلوا معهم دعوتهم إلى العصور اللاحقة .

وعند بداية القرن الرابع الميلادي . وعقب فشل كل هذه الاضطهادات في القضاء قضاءً مبرماً على هذه الديانة الجديدة وأتباعها ، أدركت الدولة الرومانية أن النصارى أصبحوا كثرةً لا جدوى من العنف في القضاء عليها . وتوقفت الاضطهادات وبدأ التراجع . وبدأ التسامح يحل محل العنف القاتل[1] . وبدأت بوادر ظهور عصرٍ جديد يحق لنا أن نسميه « عصر الانتصار » هو مضمون مبحثنا التالي .

وكان الاضطهاد خلال هذه الفترة شاملاً للفريقين : الموحدين من أتباع عيسى عليه السلام ، والمثلّثين من أتباع بولس .

لكنْ مع إطلالة القرن الرابع الميلادي بدأت مرحلة جديدة ، إذ اعتنقت الدولة الرومانية وعلى رأسها الإمبراطور قسطنطين الديانة النصرانية ، وأخذت بعقيدة المثلّثين ، ورفعت عنهم الاضطهاد ، وأصبحوا رجال دين الدولة .

وفي نفس الوقت شنَّت حملةً واسعةً من الاضطهاد الديني ضد الموحدين ، وكل معارضي مجمع نيقية ومقرراته . على ما سنفصله لاحقاً إن شاء الله .

= وتاريخ الأمة القبطية / تأليف : لجنة التاريخ القبطي (١٠٤ - ١٠٦) ط. ثالثة / ١٩٢٥ م / مطبعة المقتطف والمقطم بمصر .

وأضواء على المسيحية - د. رؤوف شلبي (٢٤ - ٢٦) ، المكتبة العصرية - صيدا / ١٩٧٥ م / طبعة : بدون .

(١) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها - شارل جنيبير (٢١٥ - ٢١٧) .

المطلب الثاني : عصر الانتصار (انتصار النصرانية)

القرن الرابع الميلادي هو عصر انتصار النصرانية . فقد شهدت بدايات هذا القرن انحسار الاضطهاد بشكل كبير ، واستبداله بالتسامح في التعامل مع معتنقي الديانة الجديدة من قبل الإدارة الرومانية ورجالها . وجاء عصر قسطنطين ابن هيلانة التي يقال إنها كانت نصرانيةً في السر . وأنها ربَّت ولدها هذا على اعتناق هذا الدين . فلما كبر وملك بدأ يمهد الطريق للانحراف بزاوية حادة ، لا من أجل الاعتراف بهذا الدين فحسب ، بل من أجل جعله الديانة الرسمية للدولة الرومانية .

وفي ٣١٣ م صدر مرسوم ميلانو الذي اعترف بالنصرانية ديانة رسمية ضمن عدة ديانات داخل الإمبراطورية الرومانية بعد أن كانت ديانةً محظورة . وأعلن قسطنطين بعد أن رحل عن روما إلى عاصمته الجديدة « القسطنطينية » اعتناقه للدين الجديد . وفي القدس أقام الإمبراطور قسطنطين قبة فخمة هائلة فوق ما يعتقدون أنه قبر المسيح عليه السلام . وأقام أعمدة مزدانة بسقفٍ مُطَعَّمٍ بالذهب الخالص . ومع ذلك كله لم تصبح النصرانية الديانة الرسمية الوحيدة للإمبراطورية الرومانية إلا بعد فترة ، وفي عصر امبراطور آخر .

وبقي لها مع ذلك أعداء داخل صفوف الرومان يحسب لهم ألف حساب .

ورغم أن هذا الانتصار بدخول الدولة الرومانية (العظمى آنذاك) في هذا الدين الجديد ، يعتبر انتصاراً ضخماً بكل المقاييس ، ومرحلة تحوُّلٍ هامةٍ من مراحل تطور النصرانية . إلا أن مما يجب الإشارة إليه أن الديانة الجديدة هذه قد دفعت ثمناً باهظاً لذلك الانتصار . وأن ذلك الانتصار كان مجرد انتصار ظاهري فحسب[١] . ذلك

---

(١) انظر : الفصل لابن حزم (٢ : ١٧) ، والمسيحية لشارل جينيير (٢٥ / ٢١٨ / ٢٢٠ / ٢٢١ - ٢٢٢ / ٢٢٤ / ٢٢٦ / ٢٣٠) وانظر كذلك لمحات من التاريخ في الإنجيل (٧١) وتاريخ الكنيسة (١ : ١٠٣ / ١٠٦ - ١٠٧) .

« أن انتصار (النصرانية) ، في سائر وجوهه ، لم يكن إلا انتصاراً ظاهرياً ، حيث إن الدين الجديد لم يُطوِّع العالم اليوناني - الروماني لعقيدته وروحه ، بل على العكس من ذلك نرى هذا العالم قد تشربه وطوَّعه لتطلعاته الأصيلة ولتقاليده في جميع المجالات الفكرية والمادية .... وأصبحت الكنيسة جانباً من جوانب الدولة الرومانية »[١] .

ولذلك يوصف هذا العصر بأنه : عصر تأليه المسيح ، ابتداءً من مجمع نيقية ٣٢٥ م . بعد أن استطاع أباطرة الرومان أن يطمسوا نهائياً نور التوحيد في الأوساط النصرانية الرسمية ، وأن يمنعوا الموحدين من الدعوة لمقالتهم[٢] .

وفي هذا العصر بدأ النصارى الذين تدعمهم سلطة الدولة باضطهاد مخالفيهم من بقايا الموحدين النصارى أو خصومهم من الوثنيين الذين طالما ساموهم سوء العذاب ثلاثة قرون . وفي عهد تيودوسيوس (٣٩٥ م) ظهرت أول « محكمة تفتيش » وكان أعضاؤها من الرهبان . وكانت وظيفتهم اكتشاف المخالفين في العقيدة ، وإعدامهم وحرق كتبهم وإعدام كل من يحوزها . فَسَنُّوا بذلك سنةً لمن بعدهم ممن استخدموا « محاكم التفتيش » بتوسعٍ ضد كل مخالف[٣] .

وكما كان هذا العصر عصر انتصار ، فقد كان كذلك بالنسبة لهذه الديانة عصر انتشار . وهي نتيجةٌ شبه طبيعيةٍ في أكثر الأحيان .

ودخلت النصرانية بعد أن تمكنت في أماكنها الأصلية في فلسطين وباقي الشام وبلاد الروم واليونان إلى باقي المستعمرات الرومانية . فدخلت مصر وفرنسا وإنجلتره وألمانيا . ودخلت كذلك إلى العراق وبلاد فارس . وعمان واليمن[٤] .

---

(١) المسيحية - شارل جينيبير (٢٤٢) .

(٢) محاضرات في النصرانية - أبو زهرة (١٨٢) .

(٣) انظر : اليهودية والمسيحية للأعظمي (٢٨٣) والمسيحية - شلبي (٨٤ - ٨٥) .

(٤) انظر : هداية الحيارى لابن القيم (٢٧ / ٣٦) وتاريخ الكنيسة (٢ : ٤٧ / ٦٩ - ٧٠ / ٧٧ / ٨٤ / ٨٦ / ١٢٤ / ١٢٧) .

ولم يُوقِفْ ذلك الزحف التنصيري إلا ظهور نبي الإسلام محمد ﷺ خاتماً للأنبياء . ومجيئه بالرسالة المحمدية وملة الإسلام الناسخة لكل الملل والشرائع . وبذا أمكن إيقاف عجلة دورة الانتصار والانتشار . بل خسرت النصرانية معقلها الرئيس (فلسطين وبيت المقدس) في وقتٍ مبكرٍ جداً من عمر الإسلام . وجاء بالنسبة للنصرانية دور عصر الاستقرار . وهو عصر الكنيسة في الحقيقة وانبساط سلطانها وانتشار نفوذها ومؤسساتها مما سنتحدث عنه في المطلب الثالث إن شاء الله .

المطلب الثالث : تاريخ الكنيسة ونفوذها

الحديث عن الكنيسة وتاريخها ونفوذها الهائل كمؤسسة دينية يستلزم الحديث عن المؤتمرات التي صاغت مقررات الكنيسة ، وهي التي تعرف باسم « المجامع » .

ولذا سيكون حديثنا في هذا المطلب ذا شقين ، الأول منهما : عن المجامع النصرانية ومقرراتها . والثاني : عن الكنيسة . نشأتها وتاريخها وسلطاتها ونفوذها ودورها .

أولاً : المجامع : كلمة « مجامع » وردت في أحد الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم على لسان عيسى عليه السلام يخاطب بها تلاميذه وأتباعه - فيما يزعمون - فيقول : « ستطردون خارج المجامع ، بل سيأتي وقت يظن فيه من يقتلكم أنه يؤدِّي خدمةً لله »[١] . وقد وقع ذلك لجمهورٍ من أتباعه الموحدين القائلين ببشريته ونبوته فحسب ، المنكرين على القائلين بألوهيته وبنوته ، من طردٍ من تلك المجامع ، وتعذيبٍ وقتلٍ على يدي من انتصر في تلك المجامع من القائلين بألوهية عيسى عليه السلام وبنوته من أصحاب بدعة التثليث ومناصريهم من أرباب السلطة الرومانية ، وعلى رأسهم الإمبراطور قسطنطين المتنصِّر حديثاً[٢] .

والمجامع هي عبارة عن: جماعات وهيئات شورية[٣] . لكنها والحق يقال لا تعتمد مبدأ الشورى في حواراتها . بل مبدأ القوة وفرض الرأي الذي يتبناه زعيم ذلك المجمع ومن يناصره من السياسيين على البقية وإن كانوا هم الغالبية العظمى ، واستخدام القوة والأذى الجسدي والمعنوي ضد كل مخالف حتى ينصاع لتلك القرارات ويوافق

---

(١) إنجيل يوحنا (١٦ : ٢) .

(٢) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام - للدكتور : محمد وصفي (١١٧) دار الفضيلة - القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون .

(٣) تاريخ الأمة القبطية (١١٢) ومحاضرات في النصرانية - أبو زهرة (١٤٦) .

عليها ، وأول مجمعٍ يذكرون أنه عقد كان بأورشليم بعد رفع المسيح سنة ٥٠ م[١] .

والمجامع عندهم على ثلاثة أنواع :

١ - مجامع مسكونية عامة تجمع رجال الكنائس في كل أنحاء المعمورة . وهي قليلة الحدوث . وأكثر ما يذكرون أنه انعقد منها عشرون مجمعاً أو فوق ذلك بقليل . وهي المقصودة بالذكر إذا ذكرت كلمة « مجامع » هنا .

٢ - ومجامع ملّية ، أي خاصة بطائفة دون غيرها .

٣ - ومجامع إقليمية أي خاصة بإقليم معين دون غيره[٢] .

أما المجامع المسكونية العامة فمن أشهرها :

١ - **مجمع نيقية الأول** الذي انعقد سنة ٣٢٥ م تحت رعاية الإمبراطور الروماني قسطنطين . وكان مرادهم من عقده النظر فيما بين أيديهم من أناجيل أنافت على الخمسين ، واصطفاء بعضها . كما كان مراد ذلك المجمع فصل الخلاف بين الموحدين القائلين ببشرية عيسى عليه السلام وعلى رأسهم : آريوس من الاسكندرية ، وكان عددهم في ذلك المجمع كبيراً ، وكانوا هم الغالبية العظمى .

وبين القائلين بألوهية عيسى أتباع بولس في مقالته . وبين غيرهم من أصحاب المقالات الأخرى . ودام انعقاد المجمع سبعة وتسعين يوماً . وحضره في بعض رواياتهم ما يزيد على الألفين من كبار علمائهم وبطاركتهم .

وحضر الإمبراطور بعض تلك المناقشات العنيفة . ونظراً لخلفيته الوثنية اليونانية فقد انتصر لقول القائلين بألوهية عيسى . وأمر بطرد من عداهم وهم الغالبية . وأصدر

---

(١) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل / للأنبا يؤانس (٣٢٠) ط. ثانية / ١٩٧٧ م / مطبعة دار العالم العربي - القاهرة . وانظر قصة ذلك المجمع وقراراته في سفر أعمال الرسل (١٥ : ٦ - ٢٩) .

(٢) محاضرات في النصرانية - أبو زهرة (١٤٧ - ١٤٨) وأضواء على المسيحية - د. رؤوف شلبي (٩٤ - ٩٥) .

المجمع : قرار تأليه المسيح أو : وثيقة الأمانة أو ما يُسمَّى بـ: قانون الإيمان النيقاوي[١] .

٢ - مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١ م) وقرروا فيه القول بألوهية الروح القدس ، وبه تقرر التثليث وتمت أقانيمه ، وزادوا في وثيقة الأمانة التي أقرها مجمع نيقية . وهي التي تؤمن بها الكنائس اليوم .

٣ - مجمع أفسس الأول (٤٣١ م) .

٤ - مجمع أفسس الثاني (٤٤٩ م) .

٥ - مجمع خليكدونية (٤٥١ م) وفيه قرروا أن للمسيح طبيعتين : لاهوت وناسوت ، التقيا في المسيح . وقد رفض المصريون قرار هذا المجمع . وانشق الأقباط من ذلك اليوم وكنيستهم المصرية عن الكنائس الغربية .

ثم تبع ذلك عدة مجامع عامة . من آخرها : مجمع رومة (١٢٢٥ م) الذي قرر أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه ، ثم مجمع رومة (١٨٦٩ م) الذي قرر القول بعصمة البابا . وهو المجمع المكمل للعشرين .

وآخر مجمع مسكوني عام عقده النصارى كان سنة (١٩٦٤ م) وهو الذي أقروا فيه وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام[٢] .

---

(١) محاضرات في النصرانية (١٤٩ - ١٥٧) وأضواء على المسيحية (٩٥ - ٩٩) والمسيح للدكتور محمد وصفي (١١٦) ، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث للدكتور محمد أحمد الحاج (١٧٥ - ١٨٠) دار القلم - دمشق / ط. أولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

(٢) انعقد هذا المجمع خلال الفترة (١٩٦٢ - ١٩٦٥ م) وطالب فيه أحد الكرادلة الألمان بتبرئة اليهود من دم المسيح ، وصدر قرار التبرئة في ٢٨ نوفمبر ١٩٦٥ م في ختام دورات المجمع وأعلن قرار التبرئة البابا بولس السادس (انظر : مجلة المجتمع الكويتية / العدد ١٣١١ / ١١ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ / ٤ - ٨ - ١٩٩٨ م) ص (١٩) . وفيه أن التبرئة كانت لليهود الحاضرين فقط من دم المسيح . وأن جميع أساقفة العرب النصارى عارضوا ذلك . لكن لم يلتفت إليهم (انظر : أمريكا وإسرائيل - دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل / د. محمد معروف الدواليبي (٤٢ / ٤٥) ط. أولى / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م / دار القلم - دمشق ، والدار الشامية - بيروت .

لكن فيما بعد صدرت وثيقة التبرئة الثانية لكل اليهود في الأجيال كلها من دم المسيح عليه السلام سنة ١٩٨٥ م . (انظر : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - إسماعيل الكيلاني / ٢٢٩) .

أما الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية التابعة للقسطنطينية فقد انفصلت عن كنيسة روما الغربية بدءاً من المجمع الثامن . بشقيه الغربي اللاتيني (٨٦٩ م) والشرقي اليوناني (٨٧٩ م)[1] .

(١) عن هذه المجامع وتواريخها وقراراتها . انظر : محاضرات في النصرانية (١٦٢ - ١٨١) وأضواء على المسيحية للدكتور : رؤوف شلبي (١٠٠ - ١١٧) والنصرانية للحاج (١٨٣ - ١٨٧) والمسيحية - شلبي (١٩٩ - ٢٠٠) . وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى بعض هذه المجامع بصيغة قريبة مما ذكرنا (هداية الحيارى / ١٧١ - ١٨٣) .

ثانياً : الكنيسة :

كلمة كنيسة ليست عربية الأصل . لكنها معرَّبة عن اليونانية . وهي باليونانية (إكليزيا / إكليسيا) ثم تغيَّرت مع الاستعمال فصارت (كنيسة)[١] .

ووردت في العهد الجديد في إنجيل متى في قول عيسى عليه السلام لبطرس : « على هذه الصخرة أبني كنيستي »[٢] . وهي معتمد النصارى بعدئذٍ في إنشاء وتنظيم الكنائس .

ويطلق النصارى على (الكنيسة) عدة ألقاب منها : هيكل الروح القدس / بيت الله / سفارة السماء / وغير ذلك من الألقاب .

ويعترف بعض الباحثين النصارى المتأخرين المنصفين أن : المسيح عيسى عليه السلام لم يُنشيء الكنيسة . وأن وجود كنيسةٍ يُعدُّ تحريفاً لرسالة المسيح عليه السلام[٣] .

وأول عظةٍ كنسيةٍ كانت لبطرس الرسول كبير الحواريين . ويذكر النصارى أنها كانت بعد صعود عيسى عليه السلام بخمسين يوماً . وأن ذلك اليوم (يوم الخمسين) هو يوم مولد الكنيسة في أورشليم[٤] .

---

(١) انظر : شرح أصول الإيمان - للدكتور القس أندراوس واطسون والدكتور القس إبراهيم سعيد (٢ : ٤٩٣) دار الثقافة المسيحية - مصر / طبعة وتاريخ : بدون . وانظر كذلك : حقائق أساسية في الإيمان المسيحي - للقس فايز فارس (١٩٧) دار الثقافة المسيحية - القاهرة / ط. أولى / ١٩٦٨ م .

(٢) إنجيل متى (١٦ : ١٨) .

(٣) شرح أصول الإيمان (٢ : ٤٩٣) وحقائق أساسية (١٩٩ - ٢٠١) والمسيحية - شارل جنيبير (٦٢ / ١٦٦) .

(٤) أعمال الرسل (٢ : ١ - ٣٦) والكنيسة المسيحية في عصر الرسل (٤٦ / ٥٠ / ٥٢) .

أما ابتداء تعيين وانتخاب القساوسة والأساقفة والشمامسة فقد ابتدأ منذ عهد بولس الذي كان يُوجِّه خطاباته بهذا الخصوص إلى عددٍ من الكنائس التي أقيمت آنذاك[(١)] . وأصبح للكنيسة منذ ذلك الحين رجالٌ منقطعون لا عمل لهم سواها . وكبير القسس في كل مدينةٍ يطلق عليه لقب : أسقف أو مطران .

ومن بين الأساقفة ظهر خمسةٌ من كبار رؤسائهم حازوا لأنفسهم ولمناطقهم شرف الزعامة . ويطلق على كل واحد منهم : بطريك أو بطريق (بطريرك) وهم بطاركة كُلٍّ من : أنطاكية / بيت المقدس / والإسكندرية / القسطنطينية / روما .

وقبل القرن الحادي عشر الميلادي كان يطلق على بعض أولئك لقب : بابا . ثم اختص به رئيس أساقفة روما[(٢)] .

وكلمة أسقف تعني : مشرفاً . فهو المشرف الديني على نشاط هذه المجموعة المعينة . ويُشترط في من يشغل هذا المنصب الديني عدة شروط . وفيما بعد تطور النظام الكنسي وظهرت الرهبنة التي تعني الانقطاع إلى العبادة في أحد الأديرة . وظهرت طائفة الرهبان ، والراهبات العذارى[(٣)] .

وقد انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الأم بعد مجمع خليكدونية (٤٥١ م) وبعد المجمع الثامن انقسمت الكنيسة الأم إلى شرقية وغربية .

١ - الشرقية : لليونان والروم ومقرها القسطنطينية . وأصحابها الأرثوذكس . وأتباعها في روسيا وشرق أوروبا وبلاد العرب . ولا تخضع لسيادة البابا في روما . لكنها تُقرُّ له بالتقدم . وتجعل رتبة بطريك القسطنطينية بعده .

---

(١) الرسالة إلى مؤمني روما (١٦ : ١ - ٥) وراجع: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي (٢٠١ - ٢٠٣).

(٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (١٢٢ - ١٢٩) والمسيحية - شلبي (٩٧ - ٩٨) وتتدرج المراتب الكهنوتية من الأعلى للأسفل على النحو التالي : بابا / بطريك أو بطريرك / مطران / أسقف / قسيس / شماس (كتاب أبي عبيدة الخزرجي / هامش = ٧٧) .

(٣) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (١٦٤ - ١٦٧ / ١٧٥ - ١٨٠) والمسيحية - شارل جينيبير (١٧٤ / ١٧٨ / ١٨٢) والمسيحية - شلبي (٢٤٤ - ٢٤٧) .

٢ - والغربية : مقرها روما . وتعرف باللاتينية أيضاً . وقد أصبحت سيدة الكنائس. وفيها مقر البابا . ويزعمون أن مؤسسها هو بطرس الرسول كبير الحواريين. وتتبعها أوروبا الغربية وتنتشر في كل أنحاء العالم[١] .

وقد انشق عنها لاحقاً البروتستانت وقاسموها نفوذها في العالم الغربي .

وبابا روما يعتقدون فيه أنه كالخليفة لعيسى عليه السلام يمنح صكوك الغفران ، ويصدر قرارات الطرد والحرمان ، ويدخل إلى الجنة من شاء ويحرم منها من شاء بقراراتٍ بابوية كنسية عليا . وأصبح ذلك مُجْمَعاً عليه بين أتباع الكنيسة الغربية بعد أن أصدر المجمع الثاني عشر (١٢١٥ م) قراراً بأن الكنيسة تملك حق الغفران . ثم تأكد ذلك في حق البابا على الأخص حين أصدر المجمع العشرون برومه (١٨٦٩ م) قراراً أثبت فيه العصمة للبابا . فأصبحت قراراته بذلك قرارات نهائية لا يجوز النقاش فيها[٢] .

وحين انهار النفوذ الامبراطوري الروماني في الغرب خلال القرن الخامس الميلادي ، ورثت كنيسة روما سلطانه السياسي . فجمعت في يديها السلطتين التشريعية والتنفيذية . وتعاظم نفوذ بابا روما وكنيسته (سيدة الكنائس الغربية) وأصبحت الشعوب الغربية بملوكها وأمرائها كالرعايا له واقعين تحت نفوذه السياسي وسيطرته الفعلية . وأصبحت كنيسة روما (الفاتيكان حالياً) تمارس سلطانها بكل عنجهية وقوة وقسوة . وفرضت الضرائب والإتاوات . وأصدرت قرارات الطرد واللعن والحرمان بحق من يقف في وجهها من ملوك أو أمراء محليين أو علماء في العلوم الطبيعية . وكان ذلك ابتداءً من أيام البابا جريجوري رئيس أساقفة روما (٤٤٠ - ٤٦١ م) . واستمر ذلك السلطان السياسي الطاغي ما يقارب الاثني عشر قرناً يظهر للعيان بصورة مباشرة .

---

(١) انظر : محاضرات في النصرانية - أبو زهرة (١٦٨ - ١٧٢ / ١٧٧ / ١٧٩ - ١٨٠) والمسيحية - لشارل جينيير (١٨٥) وأضواء على المسيحية (١١٤ / ١٢٤ - ١٢٦) .

(٢) انظر : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (١٧٠) ومحاضرات في النصرانية (١٨١) .

أما الآن فإن ذلك النفوذ الظاهر قد تقلص جزئياً . لكنه لا زال يمارس سطوته وقوته في شكلٍ غير معلن عبر هيئات وجهات وحكومات مختلفة[1] .

ولا زال الفاتيكان يمارس نوعاً من النفوذ . ويظهر ذلك جلياً في بعض قراراته التي يصدرها بين الحين والآخر . كقراره سنة ١٩٢٩ م بحظر تداول خمسة آلاف كتاب بين الكاثوليك[2] .

لكنه يبدو نفوذاً منقوصاً ، لأنه لم يعد يمتلك السلطة التنفيذية التي تخوله تطبيق تلك القرارات بقوةٍ على أرض الواقع .

هذا ما يتعلق بالجانب السياسي لنظام الكنيسة .

أما الجانب الأخلاقي فمع أن الكنيسة أصبحت تمتلك السلطة التي تخولها حق فرض الفضيلة التي كانت تحث عليها بمواعظها على رعاياها بقوة السلطة إن لم يحصل ذلك عن طريق الإقناع . فإن الذي حدث كان عكس ذلك تماماً . إذ أصبحت الكنيسة بعد أن طغت وبغت سياسياً تعج بأصناف المنكرات وأنواع الموبقات الخُلُقية. وساهم في ذلك مساهمةً فعالةً نظام الرهبنة والتبتل وقبول الراهبات العذارى في السلك الكنسي . وبما أن الكنيسة كانت تعتبر نفسها فوق المحاسبة والمساءلة . وتمسك بزمام السلطتين الدينية والسياسية فقد أسكتت اعتراض كل معترض . لكنها مع ذلك لم تستطع محو ما سجله التاريخ من تلك الفضائح التي تتبادر إلى الذهن متى ما ذكرت الكنيسة عَرَضاً[3] .

---

(١) انظر : المسيحية - شارل جينيبير (١٧٩ / ٢٤٣) وأضواء على المسيحية (١٢٨ - ١٣٠) والمسيحية - شلبي (٩٩ - ١٠٠) و(١٨٨ - ١٩١ / ٢٠١ - ٢٠٣ / ٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٢) المسيحية - شلبي (٨٩) .

(٣) ساق نماذج من ذلك الدكتور : محمد وصفي في كتابه: المسيح (٦٨ - ٦٩) وجمع بعضهم كتاباً خاصاً في ذلك ، سماه : فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات - لمصطفى فوزي غزال - دار الوفاء - جدة / طبعة وتاريخ : بدون .

كما تمزج الكنيسة ورجالها الأفعال المعتادة بالكرامات المزعومة ، وافتعال الخوارق بفعل الشعوذة والاحتيال ، لا بفعل المعجزة . من أجل زيادة التأثير والسيطرة على الأتباع . وكان لذلك أبلغ الأثر عبر العصور في خلب ألباب الجماهير الهائمة التائهة التي يُحرِّكها بأصبعه مطرانٌ ممخرق ، أو قسيس مدعٍ ، ينتحل خوارق العادات بفعل فاعلٍ خفي . والشواهد على ذلك كثيرة[١] .

(١) ساق أمثلةً على ذلك : أبو عبيدة الخزرجي في كتابه (٢٦٨ - ٢٧١) والقرافي في : الأجوبة الفاخرة (٧ - ٨) / دار الكتب العلمية - بيروت / ط. أولى / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

المبحث الثالث

مصادر النصرانية

للنصرانية مصادر معلنة معتمدة . ومصادر خفية تظهر للباحث المدقق وحده .

أما المصادر المعلنة فتتمثل في : الكتاب المقدس عندهم . ويتضمن الكتاب المقدس إجمالاً قسمين : العهد القديم / والعهد الجديد[1] . والعهد القديم يتضمن أسفار الشريعة الخمسة (أسفار التوراة اليهودية) في أوله ، ثم باقي الأسفار .

ويُشكِّل العهد القديم وأسفاره ما يقارب ثلاثة أرباع الكتاب المقدس . ويأتي العهد الجديد في الربع الأخير من الكتاب المقدس ، ويشمل الأناجيل الأربعة المعتمدة وأعمال الرسل وأعمالاً أخرى .

أما المصادر الخفية للنصرانية فهي تلك الديانات والمذاهب والفلسفات السابقة في الوجود على النصرانية . والتي اغترفت منها النصرانية حسب تقرير العديد من الباحثين الكثير من عقائدها وأفكارها وطقوسها .

ولذا كان من المناسب أن نقسم الكلام في هذا المبحث على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: العهد القديم . نتناول فيه بالذكر أخذ النصارى بالتوراة اليهودية، وباقي أسفار العهد القديم ، وما إلى ذلك .

المطلب الثاني : العهد الجديد . نُعرِّف فيه بالأناجيل المعتمدة وكُتَّابها ، وأعمال

---

(١) يراد بالعهد القديم ، وقد يقال أحياناً : العتيق ، الكتاب الذي تضمن أسفار موسى الخمسة وأسفار الأنبياء من بعده . ويطلق كذلك على مرحلة أو عهد أولئك السابقين . فيقال : أنبياء العهد القديم . ويطلق العهد الجديد ويراد به الأناجيل المنسوبة لعيسى عليه السلام وأعمال تلاميذه من الرسل من بعده . ويطلق كذلك على عهده فينعت المسيح عيسى عليه السلام بأنه : وسيط العهد الجديد (انظر : الرسالة إلى العبرانيين / ٩ : ١ - ١٥) .

الرسول وغيرها من محتويات العهد الجديد . وصحة نسبة تلك الأناجيل إلى عيسى عليه السلام من عدمه .

المطلب الثالث : نشير فيه إلى تلك المصادر الأخرى التي نهلت منها النصرانية ، مع ذكر بعض المعتقدات أو الطقوس التي استلهمتها النصرانية عن تلك الديانات والفلسفات القديمة .

المطلب الأول : العهد القديم

يعتقد النصارى أن التوراة وأسفار العهد القديم الموجودة بيد اليهود كتبٌ مقدسة. ويأخذون بها مصدراً معتمداً لديهم . ويأخذون بكل الشرائع التي نصت عليها التوراة إلا ما خالفها المسيح عليه السلام . وقد استمر الحال على ذلك المنوال بعد عيسى عليه السلام بضعاً وعشرين سنة فحسب . ثم بدأت مسيرة التغيير والتحريف .

فقد حدث أن التحق بالنصرانية في أنطاكية بعض الوثنيين . وهنا طلب منهم بعض النصارى الذي كانوا يهوداً قبل ذلك القيام بالاختتان كما هو عليه الحال في الشريعة الموسوية . وهنا حدث جدال عنيف بين النصارى حول إلزام أولئك الوثنيين الملتحقين بالنصرانية بالختان . وعدم قبول التحاقهم إلا بعد قيامهم بذلك . ونقل بولس وبرنابا القضية إلى كبار الحواريين في أورشليم . واجتمع كبار الحواريين والرسل . وقرروا في آخر اجتماعهم حصر الممنوعات في أربعة أشياء هي :

تقديم الذبائح للأصنام / الزنا / أكل لحوم الحيوانات المخنوقة / شرب الدم أو تناوله . وإلغاء ما عدا ذلك من الممنوعات في الشريعة الموسوية لأنها أصبحت « عبئاً على المهتدين إلى الله من غير اليهود » حسب تعبير أحدهم[(١)] .

وفوق ذلك فإن النصارى ربما فسروا نصوص العهد القديم بما يناسب

(١) أعمال الرسل (١٥ : ١ - ٢١) .

توجهاتهم ، كاستخراجهم أدلة تأليه المسيح من التوراة ، ونحو ذلك[١] .

يقول أبو عبيدة الخزرجي الأندلسي في كتابه المسمَّى : مقامع الصلبان . في الرد على النصارى - والمطبوع حديثاً تحت عنوان حديث : بين الإسلام والمسيحية - : « من أعجب الأشياء أنكم (يشير إلى النصارى) تقولون بالتوراة التي بأيدي اليهود إلى اليوم وتدّعون الإيمان بها ، وتعيبوننا على مخالفتها ، وقد رأيت في كتابكم (يقصد العهد الجديد) من مناقضتها ... (و) تحويل حلالها حراماً ، وسبتها أحداً ، وختانها تغطيساً (يقصد : التعميد) ... وهم موحدون ، (أي اليهود) وأنتم تشركون بالخالق إنساناً ، وكانوا مختتنين وأنتم لا تختتنون » إلى أن قال : « كيف جاز لكم مع هذا أن تقولوا : إن شريعة الإنجيل ليست ناسخةً لما شرعته التوراة ، وإنما متممةً لها ؟ هذا تنكيسٌ بالألفاظ عن موضوعها ، أن تسموا التبديل تتميماً ! وهل التتميم إلا استيفاء الشيء ... أما الإنجيل فقد أذهب حكم التوراة ونسخها »[٢] .

غير أن الذي يجب التنبيه عليه في آخر ذلك هو : أن البروتستانت يحتفون بالعهد القديم أكثر من العهد الجديد . وغالباً ما يستخدمون القديم لأداء طقوسهم الدينية ، ونادراً ما يستخدمون الجديد ، على عكس الطوائف الأخرى التي تستخدم الجديد كثيراً ، ونادراً ما تستخدم القديم . رغم إيمان الجميع بالعهدين[٣] .

ومن هنا جاء تأثر البروتستانت بالعهد القديم وأفكاره أكبر من تأثُّر غيرهم به . كفكرة عودة اليهود إلى فلسطين وغيرها . ومن هنا جاء أيضاً قرب البروتستانت من اليهود وتحالفهم معهم . كما هو حاصلٌ في عصرنا .

---

(١) انظر : محاضرات في النصرانية (٤٨ / ١٤٣ - ١٤٤) أضواء على المسيحية (٣٧) والمسيحية - شلبي (٢٠٤) .

(٢) بين الإسلام والمسيحية : كتاب مقامع الصلبان لأبي عبيدة الخزرجي (٢٥٧ - ٢٥٨ / ٢٦٧) .

(٣) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي - إسماعيل الكيلاني (١٨٨) .

المطلب الثاني : العهد الجديد

العهد الجديد هو القسم الثاني من الكتاب المقدس عند النصارى دون اليهود . فالفريقان مجتمعان على الأخذ بالعهد القديم إجمالاً . ثم يزيد عليهم النصارى : العهد الجديد .

ويشتمل العهد الجديد على الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى : متى / مرقس / لوقا / يوحنا / وكل واحد من هذه الأسفار نسبه النصارى إلى كاتبه .

ثم يأتي بعد ذلك : سفر أعمال الرسل ، وكاتبه : لوقا البشير كاتب الإنجيل الثالث . يليه ثلاث عشرة رسالة في ثلاثة عشر سفراً كتبها : بولس ، هي الرسائل التالية : إلى مؤمني روما / الأولى إلى مؤمني كورنثوس / والثانية / إلى مؤمني غلاطية / إلى مؤمني أفسس / فيلبي / كولوسي / الأولى إلى مؤمني تسالونيكي / والثانية كذلك / الأولى إلى تيموثاوس / والثانية / إلى تيطس / إلى فليمون / .

ثم يجيء بعد ذلك سفر : الرسالة إلى العبرانيين . لا يعرف من كتبها / ثم رسالة يعقوب ، أخو عيسى عليه السلام - بزعمهم - / ثم رسالتان لبطرس / ثم ثلاث رسائل ليوحنا الرسول صاحب الإنجيل الرابع / ثم رسالة ليهوذا / وآخر ذلك : سفر الرؤيا ، أو رؤيا يوحنا اللاهوتي صاحب الإنجيل والرسائل الثلاث .

فمجموع أسفار العهد الجديد على ذلك : سبعة وعشرون سفراً ، كتبها تسعة كُتَّاب .

فاعجبْ لكتابهم المقدس هذا الذي يكتبه تسعة ، وينقض أوله آخره ، وآخره أوله ، ثم ينسبونه بعدئذٍ إلى الوحي الإلهي - تعالى الله عن ذلك - .

والأسفار الأربعة الأولى يُسمَّى كل واحدٍ منها : إنجيلاً . فيقال : إنجيل متَّى . وقد يُعبِّرون عن ذلك بقولهم : الإنجيل كما دوَّنه متَّى .

١ - أقسام العهد الجديد : العهد الجديد ثلاثة أقسام : الأسفار التاريخية / الأسفار التعليمية / السفر النبوي / . تُعرف الأسفار الخمسة الأولى بالأسفار التاريخية ، لأنها تحدثت عن حياة عيسى عليه السلام - بزعمهم - وجهود بولس التبشيرية في السفر الخامس . أما باقي الأسفار فتعرف بالأسفار التعليمية . والسفر الأخير (رؤيا يوحنا اللاهوتي) يدعى : السفر النبوي[1] .

والإنجيل في الأصل : كتابٌ أنزله الله على عيسى عليه السلام . قال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[2] . لكن الله - سبحانه وتعالى - لم يتعهّد بحفظه .

وكلمة إنجيل كلمةٌ يونانية تعني : الخبر السعيد الطيب السار . وتعني كذلك : البشارة . لأن عيسى عليه السلام جاءهم كما يقولون ببشارة الخلاص مضمنةً في هذا العهد الجديد وتوجيهاته[3] .

٢ - الأناجيل الأربعة المعتمدة :

كيف اعتمد النصارى هذه الأناجيل الأربعة دون غيرها ؟ وما هي محتويات تلك الأناجيل ومضامينها ؟ ومتى دُوِّنت تلك الأناجيل ؟ وبأية لغة ؟ ومن هم كُتَّابها ؟ وهل هناك أناجيل أخرى ؟

تساؤلاتٌ كثيرة ، الجواب عنها هو لُبُّ حديثنا في هذا المطلب .

---

(١) تاريخ الأمة القبطية (٤٨ - ٤٩) .

(٢) سورة المائدة - جزء من الآية رقم (٤٦) .

(٣) مصادر الكتاب المقدس - للقس : صموئيل مشرقي (١٨) مطبعة الأمانة - القاهرة / ١٩٧٣ م / طبعة : بدون ، والمسيح - للعقاد (١٦٨) .

فقد تداول النصارى في أول الأمر عدداً مـن الأنـاجيل . وحـين تكـاثرت عليـهم نُسَخُهَا ، اجتمعوا فانتخبوا منها أربعة أناجيل أجمعوا على الأخذ بها . هـي الأنـاجيل الأربعة المعروفة .

وأما باقي أسفار العهد الجديـد . فلـم ينجـز النصـارى قـرار البـت فيـها . ومـاذا يعتمدون منها ، إلا بعد ذلـك ، حـين اعتمـدوا بقيـة الأسـفار السبعة والعشـرين مـن أسفار العهد الجديد . وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة دون غيرها[١] .

أما تقسيم تلك الأسفار إلى إصحاحات ، فقد ظهر على يدي أسـقف كانـتربري سنة ١٢٠٠ م . وأما تقسيم الإصحاحات إلى فقراتٍ مرقمة ، فقد ظهر على يد ناشرٍ باريسي سنة ١٥٥١ م[٢] .

أما مضمون هذه الأناجيل فإنها أشبه ما تكون بكتب السـير والتواريـخ تتحـدث باختلافٍ فيما بينها - كما هو المعتاد في كلام المؤرخين - عـن حيـاة المسيح عيسى عليه السلام . عن ولادته ونشأته وأسـفاره ، وتنقـل أقوالـه ووصايـاه ومواعظـه . ثـم تتناول بالذكر - من وجهة نظرها - خاتمته . وقصة الصلب التي يزعمونها ، إلى آخر ذلك . يقول الإمام ابن حزم رحمـه الله : « الأنـاجيل وسـائر كتـب النصـارى ليسـت من عند الله عز وجل » بل هي ... « أربعـة تواريـخ ألفـها أربعـة رجـال .. في أزمـان مختلفة »[٣] .

وأخطر هذه الأناجيل مضموناً : إنجيل يوحنا . وذلك لما يحويه من فلسفةٍ لعقـائد القائلين بألوهية المسيح . ويصفونه بأنـه « إنجيـل الفلسـفة » . و« قـدس أقـداس العـهد الجديد » و« أثمن سفرٍ بين أسفار الإنجيل »[٤] .

---

(١) انظر : مصادر الكتاب المقدس (١٩) والمسيح - للعقـاد (١٦٨) والأسـفار المقدسـة - د. علـي وافي (٨٥) .

(٢) الغفران بين الإسلام والمسيحية لإبراهيم خليل أحمد - القـس سـابقاً - (٣٦) / دار المنـار - القـاهرة / ط. أولى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

(٣) الفصل (٢ : ١٣) .

(٤) إنجيل يوحنا في المـيزان - د. محمـد علـي زهـران (٩ / ٣١) ط. أولى / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م / دار الأرقم - الزقازيق .

يقول ابن حزم : « إنجيل يوحنا .. أعظم الأناجيل كفراً »[١] .

وإذا كان إنجيل يوحنا - آخر الأناجيل كتابةً - قد غلبت عليه فكرة الفلسفة . وقدَّم فيه تصوراً لعقيدة ألوهية المسيح قريباً من تصورات الوثنيين اليونانيين . فإن لكل واحدٍ من الأناجيل الثلاثة الباقية طابعاً يتميز به عن غيره .

فإنجيل متى تميَّز بأنه يتوجه بخطابه إلى اليهود ، محاولاً إزالة نفرتهم من الدعوة الجديدة . فهو أشبه ما يكون بالامتداد للعهد القديم .

وإنجيل مرقص يتوجه بخطابه إلى باقي الأمم من غير اليهود . وربما كان ذلك عائداً إلى هجرة صاحبه واستقراره في بلدٍ بعيد (روما) .

وإنجيل لوقا كاتبه طبيب أهداه إلى أحد الوجهاء . فلذا غلب عليه الإشارة إلى الأخلاق والفضائل . فهو ذو طابعٍ إنساني - إن صح التعبير - .

وتأخذ القصص أكبر حيزٍ من تلك الأناجيل . ثم العقائد والشرائع والأخلاق[٢] .

أما تاريخ كتابة وتدوين هذه الأناجيل ، فهو مثار جدلٍ واختلافٍ كبير . وقد حسم أحد أساقفة النصارى هذا الجدل الطويل العريض بقوله : « بالنسبة لتاريخ كتابة الأناجيل ... من العسير إن لم يكن من المستحيل ، تحديد سنة كتابة كل إنجيلٍ على وجه التحديد »[٣] .

---

(١) الفصل (٢ : ١٦١) .

(٢) المسيح - للعقاد (١٧٠) والأسفار المقدسة - وافي (٩٠ - ٩٧) واليهودية والمسيحية للأعظمي (٣٢١) .

(٣) الأنبا يؤانس في كتابه : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (٢٧٤) . وقد جزم ابن حزم - رحمه الله - بأن متى ألف إنجيله بعد رفع المسيح عليه السلام بتسع سنين ، وأن مرقص ألفه بعد اثنين وعشرين عاماً من ذلك التاريخ . ويوحنا بعد ذلك التاريخ ببضعٍ وستين سنة . ولم يذكر تاريخاً للوقا (الفصل / ٢ : ١٣ - ١٤) . غير أن الجزم بمثل ذلك التحديد فيه نظر . بينما أكد العقاد أن الترتيب المفضل عند المؤرخين ، هو أن إنجيل مرقس أقدم الأناجيل ، ثم يجيء بعده إنجيل متى فلوقا فيوحنا آخر الأناجيل كتابة ومراجعة (المسيح - العقاد / ١٦٩) .

وأما لغة تلك الأناجيل الأصلية . فقد قيل إن كل الأناجيل كتبت باللغة اليونانية ما عدا إنجيل متى الذي كتب بالعبرية أو السريانية . ثم ترجم إلى اليونانية[١] .

وأما كُتَّاب هذه الأناجيل فهم (حسب رواية النصارى) :

١ - متَّى العشَّار . ويدعوه النصارى : الرسول أو البشير . كان جابياً للضرائب والعشور في كفر ناحوم في الجليل بفلسطين لحساب الدولة الرومانية . ثم التحق بالمسيح عليه السلام ودعوته . وأصبح أحد حوارييه الاثني عشر . وبعد صعود المسيح عليه السلام جال للتبشير بالدعوة في بلدانٍ كثيرة ، حتى استقر به المقام في الحبشة . فقضى بها ثلاثة وعشرين عاماً . حتى قتل بها سنة ٦٢ م أو ٧٠ م[٢] .

٢ - مرقس ، وقد يقال : مرقص ، وقد يسمونه : يوحنا مرقس[٣] ، كان شاباً حين التحق بدعوة المسيح عليه السلام ، وبرنابا خاله ، ولا يعدُّونه من الحواريين الاثني عشر ، ورافق بولس وخاله برنابا في رحلاتهما التنصيرية إلى أنطاكية وقبرص وشمال إفريقيا ، وأقام بمصر فترة ، وكتب فيها إنجيله ، ثم رحل إلى رومه . ثم عاد إلى مصر حيث قتل بالإسكندرية عام ٦٨ م .

ويعده الأقباط بمصر منشيء الكنيسة المصرية الأرثوذكسية ، ويعد بابواتهم أنفسهم خلفاءه[٤] .

وهو تلميذ بطرس منشيء كنيسة روما العظمى .

---

(١) انظر : شرح أصول الإيمان - واطسون وإبراهيم سعيد (١٩) . والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف للدكتور : يحيى محمد علي ربيع (١٢٨) ط. أولى / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م / دار الوفاء - المنصورة .

(٢) التفسير التطبيقي للعهد الجديد (٤١) وتاريخ الأمة القبطية (٥٢ - ٥٣) .

(٣) يقولون : اسمه يوحنا ، ومرقس لقبه . ومعنى مرقس باللاتينية : مطرقة (الأعظمي / ٣٢٢) .

(٤) التفسير التطبيقي (٤٥٥) وتاريخ الأمة القبطية (٦١ - ٦٧) والأسفار المقدسة - وافي (٨٤ - ٨٥).

٣ - لوقا البشير : طبيب مثقف ، من أصلٍ غير يهودي . تنصَّر ورافق بولس في أكثر رحلاته التنصيرية . وتوفي في اليونان سنة ٧٠ م[١] .

٤ - يوحنا : كان من أتباع يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) ثم التحق بعيسى عليه السلام ، وأصبح أحد حوارييه الاثني عشر . ونفاه الروم إلى إحدى جزائر بحر إيجه . ثم عاد إلى أفسس إحدى مدائن آسيا الصغرى المطلة على بحر إيجه . وبها توفي . ولم يذكر من ترجم له تاريخ وفاته . وقدَّر بعضهم وفاته بين سنتي (٩٨ - ١٠٠ م)[٢] .

والأناجيل المرفوضة هي ما عدا هذه الأناجيل الأربعة . وهي كثيرة العدد ، زعم بعضهم أنها تبلغ المئة . إلا أن دائرة المعارف الأمريكية أثبتت ستة وعشرين إنجيلاً مرفوضاً منها : إنجيل العبريين / إنجيل الناصريين / إنجيل الإثني عشر / إنجيل المصريين / أناجيل تنسب إلى بعض كبار الحواريين وغيرهم كـ: إنجيل بطرس / إنجيل برنابا / إنجيل يعقوب / إنجيل توما / إنجيل يهوذا / إنجيل بولس / وإنجيل ثانٍ ليوحنا صاحب الإنجيل الرابع / وإنجيل ينسب لمريم[٣] .

٣ - نقد الأناجيل :

وابتعاداً عن السرد والإطالة والخوض في قضيةٍ كبيرةٍ كهذه ، يمكننا أن نعدَّ ما ينتقد على هذه الأناجيل بإيجازٍ معقولٍ في هذه الفقرات التالية :

١ - هذه الأناجيل الأربعة ليست وحياً ، ولا هي من إملاء المسيح عليه السلام ولا من إنشائه . بل أملتها رغباتٌ خاصة وبيئاتٌ مختلفة .

---

(١) التفسير التطبيقي (٤٧٥) وتاريخ الأمة القبطية (٥٣) ومحاضرات في النصرانية - أبو زهرة (٥٧) .

(٢) التفسير التطبيقي (٣٦١) وتاريخ الأمة القبطية (٥٣ - ٥٤) والأسفار المقدسة لعلي وافي (٧٩) .

(٣) دائرة المعارف الأمريكية (١٣ : ٧٠ - ٧١) بواسطة : اليهودية والمسيحية للأعظمي (٣٤٣ - ٣٤٤) وانظر كذلك: المسيح - د. محمد وصفي (٤٣) ودراسة في الأناجيل الأربعة - محمد السعدي (٣٣).

٢ - نسبة هذه الأناجيل إلى مؤلفيها غير مقطوعٍ بها .

٣ - تاريخ كتابة الأناجيل متأخرٌ عن تاريخ الأحداث التي ترويها بعشرات السنين .

٤ - فقدان النسخ الأصلية للأناجيل. وهم أول من يعترف بضياع تلك الأصول.

٥ - وجود اختلافاتٍ بين مخطوطات الأناجيل .

٦ - اختلاف لغة الأناجيل عن لغة المسيح عليه السلام .

٧ - عدم تصريح كَتَبَة الأناجيل بأنهم ملهمون . مع أن النصارى يزعمون أنها كتبت بإلهام[1] . وقد صرح بذلك « لوقا » في مقدمة إنجيله[2] .

٨ - التناقض والتعارض والاختلاف فيما بينها . وهذا شاهدٌ بوقوع التغيير فيها ، وأنها ليست من عند الله . يقول ابن القيم رحمه الله : « الاضطراب في الإنجيل يشهد بأن التغيير وقع فيه قطعاً ، .. و .. الاختلاف الكثير الذي فيه يدل على أن ذلك الاختلاف من عند غير الله »[3] .

كما أن التناقض بينها دليلٌ على كذبهم ، إذ الحق لا يتعدد ، وتناقضها كذلك يُبطل دعوى الإلهام[4] . يقول مؤرخٌ نصراني محايد من كبار مؤرخي النصرانية المتأخرين : « تصفُّح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى

---

(١) انظر : محاضرات في النصرانية - أبو زهرة (٥٠ / ١١٠) والمسيح - د. وصفي (٣٢) وأضواء على المسيحية - للدكتور : رؤوف شلبي (٥٠) والمسيحية - شلبي (٢٢٧) ودراسة في الأناجيل الأربعة - السعدي (١٥ / ٢٣ / ٢٥ / ٢٧ / ٣٥ - ٣٦) .

(٢) يقول لوقا في مقدمة إنجيله : « لَمَّا كان كثيرون قد أقدموا على تدوين قصةٍ في الأحداث ... رأيت أنا أيضاً .. أن أكتبها .. » (لوقا / ١ : ١ - ٣) . فاعترف بأنها من تأليفه وكتابته لا وحياً من الله ، وسمّاها قصة ، فهي ككتب السير عندنا نحن المسلمين يختلط فيها الغث من الروايات بالسمين والصحيح بالمكذوب .

(٣) هداية الحيارى (١١٤) .

(٤) انظر : تحفة الأريب للترجمان (٢٠٣) وأبو زهرة (١٠٨) .

« تركيبات » واضحة التعارض لنفس الأحداث .. مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة .. بل على العكس من ذلك اتبع كُلٌّ هواه وخطته الخاصة ... (من أجل تشكيل عناصر سيرةٍ) تبدو مجموعةً في إطارٍ مصطنع . وإننا لنلحظ في ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصاً كثيراً وفجواتٍ خطيرة »[١] .

وقد عدَّ الباحثون أمثلةً كثيرةً على هذه التناقضات بين الأناجيل . ومن أشهر تلك التناقضات اختلافهم حول قصة الصلب والقيامة والصعود وغيرها[٢] .

٩ - تناقض روايات الأناجيل مع روايات العهد القديم . وكلاهما كتابٌ مقدسٌ عند النصارى . فلزم القول بوقوع التغيير أو الغلط في أحدهما .

١٠ - فقدان سندها . بسبب الاضطهادات وغيرها .

١١ - ترجمة بعضها غير موثوقٍ فيها[٣] .

١٢ - تَنْسِبُ هذه الأناجيل للمسيح عليه السلام أقوالاً لا تعقل ، وتصرفاتٍ منافيةً لأخلاقه ، ونبوءاتٍ لم تتحقق[٤] .

١٣ - اشتمالها على حكايات غير صحيحة[٥] .

وهروباً من هذا التضارب والتناقض والاختلاف قامت عدة محاولاتٍ لإخراج

(١) المسيحية - شارل جينيبير (٣٧ - ٣٨) .

(٢) راجع بعض الأمثلة على ذلك في : هداية الحيارى (١١٢) تحفة الأريب (٢٠٥ - ٢٢٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - موريس بوكاي (١١٧ - ١٢٥) دراسة في الأناجيل الأربعة - السعدي (٦٦ - ٨٢) .

(٣) محاضرات في النصرانية - أبو زهرة (٤٠) وأضواء على المسيحية (٥٠) ودراسة في الأناجيل الأربعة للسعدي (٣٩) .

(٤) المسيح - د. محمد وصفي (٣٥) ودراسة في الأناجيل الأربعة للسعدي (٥٢ / ٤٥ / ٤٩) .

(٥) المسيح - العقاد (١٦٩) .

نصٌّ موحدٍ للعهد الجديد . وكان من أشهر مَنْ بذل جهوداً في هذا المجال بشكلٍ فردي الفيلسوف والمفكر الروسي الشهير (تولستوي) الذي جمع إنجيلاً خاصاً به ، تُرجم بعدئذ إلى عددٍ من اللغات منها العربية ، وحاول فيه جاهداً أن يُدوِّن ما يراه صحيحاً فحسب[1] .

يقول أبو عبيدة الخزرجي مخاطباً النصارى : « أناجيلكم ما هي إلا حكايات ، وتواريخ ، وكلام كهنة ، وتلاميذ وغيرهم » ثم جزم قائلاً « أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل ، ويعتمد عليه العاقل أكثر ، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبنى عليه شيء من أمر الدين . ... وتقولون مع ذلك : إن الإنجيل كتاب الله ، ... فليت شعري ! أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله »[2] .

٤ – برنابا وإنجيله : ذكرنا ضمن الأناجيل المرفوضة مِنْ قِبَل الكنيسة إنجيلاً يُنسب لبرنابا . فمن هو برنابا ؟ وما قصة إنجيله وميزته ؟

الجواب : برنابا – كما يحكيه تاريخهم – كان يهودياً اسمه يوسف . ثم التحق بالمسيح عليه السلام فَسُمِّيَ : برنابا أي ابن الوعظ . وهو خال مرقس صاحب الإنجيل . يدعوه النصارى « رسولاً » مع أنه ليس من الحواريين الاثني عشر ، وإنما هو أحد التلاميذ السبعين للمسيح عليه السلام . وهو الذي شهد لبولس بعد ذلك عند الحواريين حتى قبلوه ، ثم ترافقا في الرحلات للدعوة للديانة الجديدة . لكنْ مضى كُلٌّ منهما على طريقته ودعا إلى مذهبه . وفيما بعد ظهر إلى السطح اختلافهما فافترقا . وتوفي برنابا في قبرص ، قتله اليهود هناك سنة ٦١ م[3] .

كتب برنابا إنجيلاً . ورفضته الكنيسة فيما بعد فيما رفضت من أناجيل .

---

(١) المسيح – د. محمد وصفي (٩١) والمسيحية – شلبي (٧٩) .

(٢) انظر كتاب أبي عبيدة الخزرجي (١٥٧) .

(٣) التفسير التطبيقي (٤٥٧) والأسفار المقدسة – لعلي وافي (٨٣ – ٨٤) واليهودية والمسيحية للأعظمي (٣٥٣ – ٣٥٥) .

وميزة هذا الإنجيل في الفروق التي نجدها بينه وبين الأناجيل الأربعة في مسائل هامة ، ووافق في تلك المسائل الدين الحق دين الله الإسلام ، مثل :

١ - إنكاره ألوهية المسيح عليه السلام ، أو بنوته لله .

٢ - لا يقول بالتثليث .

٣ - قوله : إن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق عليهما السلام .

٤ - قوله : إن المسيح عليه السلام لم يصلب .

٥ - بشارته بمحمد ﷺ بعد عيسى عليه السلام بصريح اللفظ والتسمية .

٦ - القول بالختان ، خلافاً لبولس وأتباع بدعته[1] .

وإذا كان برنابا هو الذي أدخل بولس في النصرانية ، وشهد له عند الحواريين حتى قبلوه ، فإنه قد لقي جزاء إحسانه إساءةً من قبل بولس وأتباع بدعته . ولا تزال آثار هذه الإساءة ماثلةً للعيان حتى يومنا هذا ، ممثلةً في حكم الكنيسة البولسية ظلماً على إنجيل برنابا بالإلغاء الأبدي .

ولقد فطن برنابا بعد حين إلى خبث بولس وخبث طويته ، فبادر محذراً من بولس بعد أن كاشف ببدعه ، لكنه كان يقرن تحذيره منه بالأسى عليه لوقوعه في الضلالة بعد أن اتبع الدعوة[2] .

٥ - بولس ورسائله : بولس المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية في وضعها الحاضر باعتراف الكثير من الباحثين . كان يهودياً اسمه « شاوول » ، عدواً لدوداً للدعوة الجديدة . مضطهِداً لأتباعها . وبعد رفع المسيح عليه السلام اخترع قصةً

(١) محاضرات في النصرانية (٧٨ - ٨٠) وأضواء على المسيحية (٦٥) والأعظمي (٣٦١ - ٣٦٢) .

(٢) إنجيل برنابا (١ : ١ - ٩) .

عجيبة وأعلن التحاقه بالدعوة . وقَبِلَه الحواريون وباقي النصارى بعد لأيٍ وعلى حذر ، وبعد شفاعة برنابا له .

العجيب أن بولس كتب يعترف في إحدى رسائله التي اعتمدت الآن كجزءٍ أو سفرٍ من أسفار العهد الجديد ، أنه كان يأتي كل قوم بما يناسبهم ويظهر لكل ناسٍ بالوجه الذي يحبون . وأنه كان يكذب في التحاقه بالدعوة الجديدة . يقول : « جعلت نفسي عبداً للجميع .... فصرت لليهود كأني يهودي ، حتى أكسب اليهود ، وللخاضعين للشريعة كأني خاضعٌ لها مع أني لست خاضعاً لها حتى أكسب الخاضعين لها ، وللذين بلا شريعة كأني بلا شريعة ... حتى أكسب الذين هم بلا شريعة ... »[(١)] .

وأصبح منذ ذلك التاريخ أشهر داعية للنصرانية . لكنه كان يدس السم في العسل . إذ كان يقود مسيرة التبشير ومسيرة التغيير والتحريف والتبديل للدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام من عند الله جنباً إلى جنب . ونفاه الرومان في آخر عمره إلى روما . فأقام بها عامين . وبها قتل حوالي سنة ٦٦ م[(٢)] .

اخترع بولس أهم العقائد التي تقوم عليها النصرانية الحاضرة ، حتى ليصح القول: إن النصرانية الحالية هي نصرانية بولس وديانته ، ورسائل بولس ضمن أسفار العهد الجديد تتضمن معظم التشريعات التي يأخذ بها النصارى . ومما أدخله في النصرانية :

١ - القول بألوهية المسيح عليه السلام ، وألوهية الروح القدس .

٢ - القول بالتثليث ، وبنوة المسيح عليه السلام .

---

(١) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس (٩ : ١٩ - ٢١) . ويبدو أن الدبلوماسية الغربية الحاضرة تعلمت من بولس واقتدت به أكثر مما تعلمت من المسيح عليه السلام .

(٢) انظر : تاريخ الأمة القبطية (٥٤ - ٥٦) وأبو زهرة (٨٧ - ٨٩) ولمحات من التاريخ في الإنجيل - حبيب سعيد (٩٨) والمسيحية - شلبي (٩٣ - ٩٤ / ١١١ - ١١٥) والمسيح في الإسلام - ديدات (٥٨) .

٣ - القول بالخطيئة والتكفير والفداء ، أي أن عيسى عليه السلام صلب على حد زعمه تكفيراً عن خطيئة البشر ، وأنه قدَّم نفسه فداءً لهم . أو أن الله قدَّم ابنه فداءً وكفارةً عن خطيئة بني آدم .

٤ - طالب بإبطال الختان ، حتى أبطل .

٥ - طالب بإباحة أكل لحم الخنزير ، حتى سُمح بذلك .

٦ - أوصى بما نراه اليوم في الكنائس من الترانيم والمزامير والتراتيل[1] .

والمتأمل لهذه العناصر يجد أنها أهم عناصر الديانة النصرانية الحاضرة ، فهي إذاً ديانة بولس ونحلته وبدعته وبدعة متابعيه . وعيسى عليه السلام بريء منهم ومن باطلهم أبد الآباد .

وقد وقف في وجه بولس وتيار بدعته الكثير من متقدمي أتباع المسيح . لكنَّ بدعته اكتسحت من وقف في وجهها . وكان مصير من عارضه الإلغاء . ومن أولئك « برنابا » صاحب الإنجيل .

أما من لم يعارض أفكاره من أصحاب الأناجيل ، فقد سلمت لهم أناجيلهم كمتَّى ومرقس . أما لوقا ويوحنا فهما بولسيان نزعةً ومذهباً[2] .

---

(١) المسيحية - شلبي (١١٥ / ١٢٧ / ١٢٩) والنصرانية للحاج (١٤٦ - ١٤٧) .

(٢) المسيحية - شارل جينيبير (١٣٣) والمسيحية - شلبي (١٢٥ - ١٢٦) .

المطلب الثالث : المصادر الأخرى

هناك مصادر أخرى نهلت منها النصرانية بعض عقائدها وشعائرها ، لاسيما بعد دخول بولس فيها وإحداثه ما أحدث من تغييرات جذرية . وهناك تشابهٌ بل تطابقٌ تام بين ما ظهر في النصرانية من اعتقادات وشعائر لم تكن فيها ، وبين ما كان موجوداً بين أرباب الديانات السابقة على النصرانية في نفس البيئة التي ظهرت فيها النصرانية . وهو الأمر الذي دفع عدداً من الباحثين إلى الجزم باقتباس النصرانية تلك العقائد والطقوس من تلك الديانات والمصادر السابقة .

وسنشير إلى تلك المصادر الأخرى وما كان فيها من عقائد وشعائر ، رأيناها تظهر بنفس الطقوس والمظاهر في نفس المكان في النصرانية ، منسوبة زوراً وبهتاناً إلى المسيح عليه السلام .

ومن تلك المصادر :

١ – المصدر اليوناني : ظهرت النصرانية في فلسطين . وسرعان ما انتقلت إلى اليونان عن طريق بولس وغيره . وهناك في أرض الإغريق ومهد الفلسفة حصل ما يُظن أنه امتزاجٌ بين العقائد النصرانية والعقائد اليونانية الوثنية القديمة وفلسفاتها . وكان التأثر على ما يبدو سريعاً واضحاً . وعندما نشأت في الإسكندرية المدرسة اليونانية (الأفلاطونية الحديثة) حدث تلاقح أفكارٍ مماثل آتى نتائجه عاجلاً . وظهر إنجيل يوحنا رابع الأناجيل وآخرها ، إنجيلاً يستخدم الفلسفة على نفس النمط اليوناني الأفلوطيني لإثبات ألوهية المسيح . وكانت أولى كلماته عن « التجسد » و« الكلمة » من الشواهد الأولى على ذلك التأثير .

ومن تلك العقائد والشعائر التي يُظن أن النصرانية قد اقتبستها من المصدر اليوناني : القول بالتثليث / القول بظهور اللاهوت في الناسوت / طقوس وشعائر

التعميد والقربان / كما اقتبست الكنيسة عدداً من ألوان الثقافات والفنون الإغريقية وأدخلتها إلى كنائسها[١] .

٢ - المصدر الروماني : كانت الدولة الرومانية هي الدولة الغالبة الحاكمة عند ظهور النصرانية . والمغلوب تابعٌ للغالب . ودخل الأمبراطور قسطنطين في النصرانية . فأقرَّ فيها بقوة الحديد والنار ، لا بقوة المنطق ، أفكاراً وعقائد لم تكن موجودةً فيها أصلاً . وكانت القرارات السياسية التي حددت مسيرة ومصير النصرانية مبكراً أعظم أثرٍ روماني يعيش في نتائجه أكثر النصارى حتى اليوم . ومن أبرز ما ظهر في النصرانية من العقائد ، وكان قولاً قديماً لمتقدمي الرومان الوثنيين ، القول بالتثليث . كما كان الرومان يدعون بعض ملوكهم « ابن الله » ، وهو عين قول النصارى في المسيح عليه السلام[٢].

٣ - مصادر وثنية قديمة : ممثلةً في اعتقادات الوثنيين القدماء الذين كانوا مستقرين جغرافياً في المنطقة التي نشأت فيها النصرانية وما حولها . ومن تلك العقائد والشعائر التي كانت موجودةً بين أولئك الوثنيين ، ثم رأيناها في النصرانية : القول بالتثليث / والقول بالصلب فداءً وتخليصاً للبشرية من الخطيئة / والقول بتجسد أحد الآلهة ونزوله بالناسوت .

ومن تلك الطقوس الوثنية التي نقلها بولس إلى النصرانية جَعْلُ يوم الأحد عطلة الأسبوع وموعد أعياد رأس السنة وعيد القيامة[٣] .

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (٦٦) وأبو زهرة (٤٣ - ٤٧) والمسيح - د. محمد وصفي (١٤٣) والمسيحية لشارل جنيبير (١٠٠) والمسيحية - شلبي (٩٦ / ١٣٦ - ١٣٧) والنصرانية للحاج (١١٥ - ١٢٥) .

(٢) العقائد الوثنية (٤٣ / ٦٨) والمسيح - د. محمد وصفي (١٤٣) .

(٣) العقائد الوثنية (٣٥ - ٣٦ / ٤٨ / ٦٠) والمسيحية - شلبي (٩٥ / ١٨٠) .

٤ - المصدر الهندي البرهمي : ومما يُظنُّ أن النصارى أخذوه منهم : القول بالتثليث / وأن الإله تجسَّد لِيُخلِّص العالم من الخطايا / والاتفاق بين قول النصارى في موت المسيح على الصليب . وقول الهنادكة أن كرشنا مات على الصليب / والقول بالقيامة والصعود والمجيء الثاني وديانة الأموات (محاسبتهم) / وأنه الأقنوم الثاني ، وابن الإله[١] .

٥ - البوذية : ومما يُظنُّ أن النصارى قد اقتبسوه منهم : القول بالتجسد / والقول بثلاثة أقانيم / والتعميد / والقول بالصعود والمجيء الثاني وديانة الأموات (محاسبتهم) / والقول بالفداء تخليصاً للبشرية من الخطيئة / والرهبانية[٢] .

٦ - المصدر المصري أو الفرعونية القديمة : ومما وُجِدَ أنهم يتفقون فيه : القول بإلهٍ مُثلَّث الأقانيم / والقول بأن الكلمة منبثقة عن الله ، وأنها الله - وهي عين فكرة يوحنا في مقدمة إنجيله - / والقول بأن لله ابناً ولد من عذراء[٣] .

٧ - المصدر الفارسي : ممثلاً بالمجوسية أو ديانة متراس الفارسية وغيرها . ومما وُجِدَ أنهم يتفقون فيه : القول بإلهٍ مُثلَّث الأقانيم / وأحد هذه الآلهة الثلاثة هو : ابن الله المخلِّص الذي بتألُّمه خلَّص الناس ففداهم ، ويدعونه « الكلمة » و« الفادي » كقول النصارى في عيسى عليه السلام مِثْلاً بمثل . بل لقبوه بـ« المسيح » أو « الإله الممسوح » قبل أن يقول النصارى في عيسى عليه السلام ما قالوه . بل قبل عصر المسيح عليه السلام بقرون . وهذا توافقٌ بل تطابقٌ تام .

---

(١) العقائد الوثنية (٣٧ - ٤٩) والمسيح - د. محمد وصفي (١٣٦) وقد عقد صاحب العقائد الوثنية جدولاً للمقارنة بين ما يقوله الهنود عن كرشنا وما يقوله النصارى عن عيسى عليه السلام ، فوجدهم يتفقون في ستة وأربعين وجهاً من أوجه الشبه . انظر : العقائد الوثنية (١١٩ - ١٣١) .

(٢) العقائد الوثنية (٣٨ - ٣٩ / ٥١ / ٦٢ - ٦٥ / ١٣٢ - ١٤٧) وقد عقد جدولاً خاصاً بالمقارنة بين ما يقوله النصارى عن المسيح وما يقوله البوذيون عن بوذا فوجدهم يتفقون في ثمانٍ وأربعين قضية . وانظر كذلك : المسيح - د. محمد وصفي (١٣٩ - ١٤٢) والمسيحية - شلبي (١٧٨) .

(٣) العقائد الوثنية (٣٩ / ٤١ / ٦٥ - ٦٦) والمسيح - وصفي (١٤٣) والمسيحية - شلبي (١٧٧) .

وفي ديانة مثراس الفارسية الأصل ، التي ازدهرت في بلاد فارس قبل الميلاد بنحو ستة قرون ، كانوا يقولون في اعتقاداتهم : إن مثرا وسيطٌ بين الله والبشر ، وأنه كان له اثنا عشر حوارياً ، وأنه مات ليخلّص البشر من خطاياهم ، ودفن ثم قام من قبره وصعد إلى السماء ، ويدعونه المخلّص المنقذ والحمل الوديع / وحادثة العشاء الرباني الموجودة في النصرانية هي هي بتفاصيلها الدقيقة في ديانة مثراس(١) .

٨ – **ديانة البابليين** : والبابليون من أوائل من قال بالتثليث . وقصة محاكمة إله البابليين وصلبه وقيامه بعد الموت وصعوده إلى السماء قبل المسيح بقرون ، كقصة صلب المسيح ونهايته عند النصارى(٢) .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٣) .

---

(١) العقائد الوثنية (٤٣ / ٥٥ / ٦٨ – ٦٩) والمسيحية – شلبي (١٨١ / ١٨٧) .

(٢) المسيحية – شلبي (١٣٥ / ١٨٢ – ١٨٣) وأورد جدولاً بالمقارنة بين ما يقوله البابليون في قصة صلب إلههم من أحداث ووقائع وما يقوله النصارى في قصة صلب المسيح . فإذا القصتان متطابقتان .

(٣) سورة التوبة – جزء من الآية رقم (٣٠) .

المبحث الرابع

عقائد وطقوس النصرانية

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : اعتقادهم في الله

جاء المسيح عيسى عليه السلام مبشراً بدين الله ، داعياً إلى وحدانية الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة ، كسابقيه من إخوته من الأنبياء عليهم السلام .

لكن الذين يزعمون الانتساب إليه من النصارى غيَّروا وحرفوا وبدلوا ، وظهرت فيهم الاعتقادات الباطلة والمقولات الفاسدة . ومع أن بقيةً من أتباع عيسى عليه السلام لازموا التوحيد(١) بعده فترةً إلا أن الكثرة الكاثرة والجمهرة العظمى هم أولئك الذين سلكوا مسالك التحريف والضلال ، وأصبحوا في أعين الخلق الممثِّلين الشرعيين لهذه الديانة المعروفة بـ : **النصرانية** . والعجيب أن هؤلاء النصارى يعدُّون أسفار العهد القديم مصدراً من مصادرهم المعتمدة ، مع أن تلك الأسفار تؤكد الدعوة إلى التوحيد وتُفصح عنه بقوة ، لكن النصارى حين يتعاملون مع تلك النصوص يسلكون مسالك التأويل ، ويبحثون في تلك الأسفار السابقة للإنجيل على ما يمكن أن يصلح شاهداً لاعتقاداتهم في باب الإلهية ، ولو كان ذلك بِلَيِّ أعناق تلك النصوص ، وحملها على ما لا يمكن أن تحتمله .

أما أسفار العهد الجديد فقد صاغوها بأنفسهم ، فلا تعجبْ إن رأيت فيها ما ينقض معتقد التوحيد ، أو ما يدعو إلى تلك الأفكار المخترعة .

---

(١) من هؤلاء برنابا صاحب الإنجيل المعروف باسمه . وآريوس المصري الذي أصبح في نظر المجامع النصرانية الرسمية صاحب بدعةٍ تُعرف : بالآريوسية ، لقوله بالتوحيد .

ومع هذا ففي تلك الأناجيل والرسائل الملحقة بها ما يدعو إلى الوحدانية ويؤكدها[١] .

مثل ما في متى « للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد »[٢] .

وكان بولس هو واضع هذا الانحراف ، بل هو مؤسس هذا الدين الجديد . فهو الذي دعا إلى فكرة تأليه المسيح عيسى عليه السلام ، واخترع فكرة البنوة (القول ببنوة عيسى وأنه ابن الله) .

وهكذا حُرِّفت رسالة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام إلى ديانة تثليث . توحيدٌ - حسب زعمهم - في ثالوث، وثالوثٌ في توحيد . الأب ربٌ ، والابن ربٌ، والروح القدس ربٌ . لكنهم ليسوا ثلاثة أرباب ولا ثلاثة آلهة . بل ربٌ واحد وإلهٌ واحد .

أما كيف تُفهم هذه الأحجية ؟ فتلك كما عُلِمَ عند جميع العقلاء معضلة العقل النصراني في أبهى صور اشتطاطه ، وتغافله أو تعاميه عن الحقائق[٣] .

وهم بعد هذا كله يزعمون أنهم يستنكرون عبادة الأوثان مع الله أو من دون الله . ويزعمون أنهم استنقذوا الشعوب الوثنية من وثنيتها حين أدخلوها في النصرانية . مع أنهم يمارسون تلك الوثنية بحذافيرها . فعلى غرار عبادة أولئك الوثنيين لأصنامهم المجسَّمة المحسوسة ، ها نحن نرى النصارى في كنائسهم يُصوِّرون صوراً يزعمون

---

(١) انظر كتاب المستشار محمد عزت الطهطاوي : النصرانية في الميزان (٣٧٠ - ٣٧٢) فقد جمع عدداً من تلك الشواهد . وانظر كذلك : النصرانية من التوحيد إلى التثليث للدكتور محمد أحمد الحاج (٧٣ - ٧٤) .

(٢) متى (٤ : ١٠) .

(٣) انظر مبحث : الله في الفكر المسيحي . من كتاب : المسيحية للدكتور أحمد شلبي (٢٨٩ - ٢٩٦) وانظر كذلك : اليهودية والمسيحية للأعظمي (٤١٩ - ٤٢٣) .

بعضها لله الأب ، وبعضها لله الابن ، وبعضها لمريم أم المسيح . ثم يسجدون لهذه الصور سجود عبادة ، ويصومون لها تديناً[١] .

ويعتقدون كذلك أن ما قرره مطارنتهم وقساوستهم ، وما أحلّوه يُحلّه الله في السماء ، وما حرموه حُرِّم في السماء[٢] .

وهو مصداق قول الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٣] الآية .

ويمكننا فيما يلي إيجاز أهم المشكلات الاعتقادية التي وقعوا فيها في هذا الباب . فنقول :

١ - القول بأن لله شريكاً في الربوبية (القول بالتثليث) .

٢ - القول بأن لله شريكاً في الألوهية (شرك العبادة بالسجود وتوجيه العبادة لغير الله / وشرك الطاعة باتباعهم لأقاويل رهبانهم فيما يُحلّون ويُحرِّمون) .

٣ - القول بالتشبيه .

٤ - القول بالحلول والاتحاد (ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة) .

---

(١) انظر : الفصل لابن حزم (٢ : ٢٠٥) .

(٢) انظر : الفصل (٢ : ٨٥ - ٨٧) وكتاب أبي عبيدة الخزرجي (٧٧) واليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام للدكتور : فرج الله عبد الباري (٢٢١) .

(٣) سورة التوبة - جزء من الآية رقم (٣١) .

المطلب الثاني : اعتقادهم في عيسى عليه السلام

معتقد النصارى في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، يدور على ثلاثة محاور هي : القول بالخطيئة والتكفير ، ثم القول بالبنوة ، ثم القول بالتجسد . وينتج عن ذلك : النقاش حول طبيعة المسيح .

١ – أما القول بالخطيئة والتكفير فيراد به : خطيئة آدم عليه السلام أبي البشر حين عصى أمر الله سبحانه وتعالى وخالف نهيه وأطاع إبليس لعنه الله فيما أشار به عليه . وأن صلب عيسى عليه السلام وتعذيبه وقتله على حسب اعتقادهم كان تكفيراً لتلك الخطيئة . وأن الصلب كان كذلك لتطهير بني آدم من الخطايا والآثام لتخليصهم من الجحيم . وأنه لولا خطيئة آدم لَمَا تجسَّد كلمة الله (عيسى عليه السلام) وأن التجسد جاء لأجل التكفير عن الخطيئة بالفداء[١] .

٢ – القول بالبنوة : ويراد به أن عيسى هو ابن الله الوحيد مع كونه في نفس الوقت إلهاً تامّاً وأقنوماً ثانياً من الأقانيم الثلاثة[٢] .

ويستشهدون لذلك بقول عيسى كما في إنجيل يوحنا : « ما زال أبي يعمل »[٣] ولذا ثار عليه اليهود وقالوا : إنه يزعم أن الله أبوه . ولأنه جعل نفسه « ابن الله »[٤] .

وقد رفض برنابا في إنجيله هذا التوجه من يوحنا وغيره من أتباع بولس إلى القول بأن عيسى ابن الله . يقول في مقدمة إنجيله : « والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعةً لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليمٍ شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ... الذين ضلَّ في عدادهم أيضاً بولس »[٥] .

---

(١) التجسد للأب فرنسيس فرييه – تعريب الأب : لويس أبادير (١٣٧ – ١٤٢) منشورات المعهد – المعادي – ١٩٦٢ م / طبعة : بدون ، واليهودية والمسيحية للأعظمي (٤٣١) .

(٢) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي (٧٩) .

(٣) إنجيل يوحنا (٥ : ١٧) .

(٤) إنجيل يوحنا (٥ : ١٨) و (١٩ : ٧) .

(٥) إنجيل برنابا – المقدمة (٣٧ – ٣٨) .

٣ - القول بالتجسد : وهو القول بألوهية المسيح . وأنه الأقنوم الثاني من الأقانيم الثلاثة . أو هو القول بحلول اللاهوت في الناسوت .

وقد جاء تقرير ذلك أول ما جاء ، في أخطر عبارةٍ تضمنها إنجيل يوحنا أحد أتباع البدعة البولسية ، والتي وردت في أول الإنجيل . يقول يوحنا : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة هو الله »[١] . ووضع يوحنا بذلك الأساس اللاهوتي الفلسفي لهذا الاعتقاد في نصه الديني المعتمد عند جميع النصارى .

ومن ذلك الحين أصبح المسيح في نظر النصارى إلهاً تاماً له جميع صفات اللاهوت، وإنساناً كاملاً له جميع صفات الناسوت في وقتٍ واحد . ولم يفارق اللاهوت الناسوت لحظة واحدة . فالمسيح إله وإنسانٌ معاً[٢] .

أما دليل ألوهيته - أي عيسى عليه السلام - كما زعموا من كلامه . فهو فيما نقله يوحنا في إنجيله عنه أنه قال : « أنا والأب واحد » وأن اليهود قرروا قتله بعد ذلك على حد قول يوحنا . وفيما نقله عنهم أنهم قالوا لعيسى : « نرجمك ... بسبب تجديفك : لأنك تجعل نفسك الله ، وأنت إنسان »[٣] .

وهم يزعمون بعد ذلك أنهم يُثبتون ألوهيته بأمورٍ يذكرونها[٤] .

أما كيف يُفهم التجسد ؟ وكيف يجتمع اللاهوت والناسوت معاً في شخصٍ واحد وفي وقتٍ واحد ؟ وكيف يكون عيسى عليه السلام إنساناً كاملاً وإلهاً تاماً

---

(١) إنجيل يوحنا (١ : ١) .

(٢) الدر الثمين في إيضاح الدين للقديس الأنباساويرس (٦٢) طبعة وتاريخ : بدون / وحقائق أساسية للقس : فايز فارس (٨٥) .

(٣) إنجيل يوحنا (١٠ : ٣٠ / ٣٣) .

(٤) حول ذلك . انظر : شرح أصول الإيمان (٤٨) وحقائق أساسية (٨٠ - ٨٣) و: برهان يتطلب قراراً - براهين تاريخية على صحة الإيمان المسيحي لجوش مكدويل - ترجمة القس : منيس عبد النور (١١٥ / ١٢٠ / ١٢٣ - ١٢٤) دار الثقافة المسيحية - القاهرة / ط. ثانية / تاريخ : بدون .

وابن الله ؟ فهذا كما يقولون يجب الإيمان به قبل فهمه لأنه « فوق إدراك العقل » . وهم معترفون بأنهم لا يستطيعون تقديم « براهين عقلية » لإثبات ذلك . لأن ذلك « فوق قدرة العقل البشري » . لكنهم لا يجعلون من ذلك مدخلاً للانتقاص من سلامة اعتقاداتهم . بل يجعلونه دليلاً على تميزها وارتفاعها عن مستوى الإدراك البشري ، في مغالطةٍ واضحة فاضحة ، مقررين أن « مثل هذه الأمور ينبغي أن يسبق الإيمان فيها الفهم » وأنها « أمور لا يمكن تفهيمها للبشر ولا بالبشر » .

ثم يحاولون استجداء العقلانية قائلين : « العقل والمنطق لا يدعونا أن نرفض كل ما لا نستطيع إدراكه »[(١)] . ليخرجوا بذلك سالمين فيما يظنون من هذه المتاهة العقلية التي أدخلوا أنفسهم فيها .

أما سِرُّ هذا التجسد ، وكيف يتم ؟ وما الغاية منه ؟ فإنهم يزعمون : أن التجسد كان لخداع الشيطان الذي دنَّس آدم بالخطيئة . وأن الله أخفى عنه اللاهوت في جسد المسيح عليه السلام . وأن ذلك التجسد بقي سراً لم يكتشفه الشيطان . وأن عيسى عليه السلام أخفى لاهوته حتى وقت بعثته مدة ثلاثين عاماً .

أما التجسد فقد تم بالتقاء الروح القدس بمريم العذراء . وأخذ الابن الإله - حسب تعبيرهم - جسداً من مريم ثم اتحد بالروح . الجسد على الأرض ، والروح متحدة بالإله الكلمة .

والغاية من ذلك التجسد إظهار مجد الله وإعطاء المثل الأعلى للإنسان . وتخليص الإنسان من الجحيم وسيطرة الشيطان عليه بتخليصه من الخطيئة الأولى وما تبعها من خطايا وآثام . ولكي يكون وسيطاً بين الله والناس[(٢)] .

(١) حقائق أساسية (٧٨) .

(٢) انظر: الدر الثمين (٣٧ / ٤٠ / ٤٢ / ٥٥ - ٥٦) والتجسيد (١٣٦) وشرح أصول الإيمان (١٥٣) .

٤ – طبيعة المسيح : نتج عن الحديث عن تجسد اللاهوت في الناسوت وبنوته لله وقيامه بالفداء ، نقاشٌ حادٌ بين فرق النصارى حول طبيعة المسيح . وخلاصة معتقد النصارى في طبيعة المسيح عليه السلام يتقاسمه فريقان شهيران منهم :

الأول : مذهب الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانت وبعض طوائف الكنيسة الأرثوذكسية[١] . أن للمسيح عليه السلام طبيعتين (لاهوتية وناسوتية) وأقنوم واحد بين أقنومين ، ومجموع الأقانيم ثلاثة (الأب / الابن / الروح القدس) .

الثاني : مذهب بعض طوائف الكنيسة الأرثوذكسية : الكنيسة المصرية القبطية وتتبعها كنيسة الحبشة ، والكنيسة السريانية ، والكنيسة الأرمنية . وهذه الطوائف الثلاث من الأرثوذكس تُقرُّ بالأقانيم الثلاثة . وللمسيح عليه السلام عندهم طبيعة واحدة ، هي اللاهوتية . ويقرون أن اللاهوت والناسوت اتحدا في طبيعةٍ واحدة ، ولا يمكن التفريق بينهما .

فالمسيح على هذا هو الله وابن الله والروح القدس .

أما الموحدون القائلون بأن للمسيح عليه السلام طبيعة بشرية (ناسوتية) فحسب ، كآريوس وغيره فقد انقرضوا[٢] .

---

(١) القائلون بذلك من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية من أهم طوائفها ، وهم أتباع الكنيسة الشرقية اليونانية أو كنيسة الروم الأرثوذكسية .

(٢) شرح أصول الإيمان (١٥١ - ١٥٢) ، والأسفار المقدسة للدكتور علي وافي (١٣١ - ١٣٥) والنصرانية للحاج (٢٠٤) .

المطلب الثالث : اعتقادهم في الروح القدس

الأقنوم الثالث : الروح القدس . زعموا أنه سمي بذلك « لكونه يمتاز بقداسته عن الأقنومين الأول والثاني ، .. وإشارة إلى نوع فعله ، لأنه هو مصدر القداسة في كل الخليقة » . أما وظيفته - كما يقولون - فهي : تجديد قلوب الخطاة من الخلق وتقديسهم ، أو بعبارة أخرى : تطهيرهم .

والروح القدس عندهم متصفٌ بالصفات وملقبٌ بالألقاب الإلهية ، وتنسب إليه الأعمال الإلهية[١] .

والقول بتأليه الروح القدس لم يتقرر في النصرانية بادىء ذي بدء . فبينما تقرر القول بأن المسيح إله وابنٌ للأب في مجمع نيقية (٣٢٥ م) . فإن تقرير ألوهية الروح القدس لم يصدر إلا في المجمع القسطنطيني الأول (٣٨١ م)[٢] .

والخلاف بعد ذلك بين طوائف النصارى في الروح القدس : هل هو منبثق من الأب فقط ؟ أم من الأب والابن معاً ؟

فالكنيسة الأرثوذكسية والقبطية تقرر أن الروح القدس منبثق من الأب وحده . أما غيرهم فيعتقد أنه منبثق من الأب والابن معاً[٣] .

ويعتقدون أن الروح القدس يحلّ في بعض الأشخاص . وأنه حلّ في التلاميذ الاثني عشر وبولس وأصحابه . وأنه يحلّ في الصالحين من الباباوات والأساقفة والرهبان . وهو نفسه الذي حلّ مِنْ قبل في مريم ثم في المسيح عيسى عليه السلام[٤] .

---

(١) انظر : شرح أصول الإيمان (٥١ / ٥٧ - ٥٨) .

(٢) انظر : محاضرات في النصرانية - أبو زهرة (١٦٢ - ١٦٣) .

(٣) شرح أصول الإيمان (٥٧ - ٥٨) والأسفار المقدسة - وافي (١٣٥ - ١٣٧) والنصرانية للحاج (٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٤) المسيح للدكتور وصفي (١١٣) والمسيحية - شلبي (١٥٦ - ١٥٨) .

وقد ذكر الله في كتابه الكريم أنهم اتخذوا مريم وابنها إلهين من دون الله .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١] .

قال الشيخ محمد رشيد رضا[٢] في تفسيره : « اتخاذهم المسيح إلهاً .. تقدَّم بيانه ... وأما أمه فعبادتها كانت متفقاً عليها في الكنائس الشرقية والغربية بعد قسطنطين ، ثم أنكرت عبادتها فرقة البروتستانت التي حدثت بعد الإسلام بعدة قرون » .

إلى أن قال : « إن هذه العبادة التي توجهها النصارى إلى مريم والدة المسيح (عليهما السلام) منها ما هو صلاة ذات دعاء وثناء واستغاثة واستشفاع ، ومنها صيام ينسب إليها ، ويسمى باسمها ، وكل ذلك يقرن بالخضوع والخشوع لذكرها ولصورها وتماثيلها ، واعتقادهم السلطة الغيبية لها ، التي يمكنها بها في اعتقادهم أن تنفع وتضر في الدنيا والآخرة بنفسها أو بواسطة ابنها ، وقد صرحوا بوجوب العبادة لها ، ولكن لا نعرف عن فرقةٍ من فرقهم ، إطلاق كلمة (إله) عليها ، بل يسمونها (والدة الإله) ويصرح بعض فرقهم بأن ذلك حقيقة لا مجاز ، والقرآن يقول هنا إنهم اتخذوها وابنها إلهين »[٣] .

إلى أن قال : « وأول نصٍ صريحٍ رأيته في عبادة النصارى لمريم عبادةً حقيقية ما في كتابٍ .. من كتب الروم الأرثوذكس ، وقد اطلعت على هذا الكتاب في ديرٍ ... »

---

(١) سورة المائدة - جزء من الآية رقم (١١٦) .

(٢) هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني البغدادي الأصل ، الحسيني النسب . ولد سنة ١٢٨٢ هـ بالقلمون بالقرب من طرابلس الشام بلبنان . ونشأ بها . ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ وتتلمذ على الشيخ محمد عبده . واشتغل بالصحافة . وأصدر مجلة المنار . توفي ودفن بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ . أشهر آثاره : مجلة المنار في ٣٤ مجلداً . كان يبث فيها آرائه في الإصلاح الديني . وله تفسير لم يكتمل في اثني عشر مجلداً . طالع ترجمته في (الأعلام للزركلي / ٦ : ١٢٦) .

(٣) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - لمحمد رشيد رضا (٧ : ٢٦٢ - ٢٦٣) ط. ثانية / تاريخ : بدون / دار الفكر .

قال : « وطوائف الكاثوليك يصرحون بذلك ويفاخرون به » .

وأثبت غيرهم « عبادة الكنائس الشرقية لمريم كالكنائس الغربية » .

قال بعضهم : « إن تعبد الكنيسة الأرمنية (أرثوذكسية) للبتول الطاهرة أم الله لأمرٌ مشهور » . وقوله : « امتازت الكنيسة القبطية بعبادتها للبتول المغبوطة أم الله » . وصرح بعضهم بأن لعبادة مريم العذراء أصلاً في العهد العتيق[١] .

والحاصل من ذلك كله : أن كثيراً من النصارى بل جلّهم عظموا مريم كتعظيم ابنها عيسى تعظيماً بلغ حد العبادة عند أكثر طوائفهم .

ولربما استثنينا من ذلك طوائف البروتستانت الحرفيين ، الذين أنكروا ذلك ، كما أنكروا غيره من المعتقدات على طوائف الكاثوليك والأرثوذكس .

---

(١) انظر : تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٧ : ٢٦٣) بتصرف .

المطلب الرابع : القول بالتثليث

محصلة اعتقاد النصارى في الله سبحانه وتعالى ، ثم في النبي الذي أرسله الله إليهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم قولهم في الروح القدس ، هو القول بالتثليث : فضيحة النصرانية الكبرى ، وطامتها العظمى ، وباقعتها التي لا ينقضي العجب منها ما بقي الزمان .

وهم يعدُّون في مصادرهم المقدسة : التوراة (أسفار موسى الخمسة) وباقي أسفار العهد القديم ، ثم أسفار العهد الجديد . وبين هذين القسمين من المصادر (العهد القديم / العهد الجديد) في هذه المسألة التناقض البحت الصارخ . إذ ليس في التوراة وأسفار العهد القديم إلا القول بالتوحيد فحسب ، ولم يرد للتثليث أو ما يقاربه ذكرٌ في تلك الأسفار .

أما أسفار العهد الجديد فمع أنها لم تحتوِ نصوصاً صريحة تدعم القول بالتثليث وترسخه بصريح العبارة ، باستثناء إنجيل يوحنا ، فإنها مع ذلك تضمنت نصوصاً يتوكأ عليها هؤلاء المثلِّثة في تحبير مقالاتهم .

ولرد مثل هذا الاعتراض طفقوا يُنقِّبون في كل نصوص العهد القديم حرفاً حرفاً عسى ولعلَّ أن يجدوا شيئاً يمكن إيراده - ولو على سبيل الاحتمال الضعيف - فيه شيء من الانتصار لمقالتهم في التثليث . وحين أعيتهم الحيلة زعموا أن التثليث موجود في التوراة لكنه غير واضح[١] .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : « شُغِف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث ، ... (و) لعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتاباً مقدساً عندهم ، وهي تصرح بالتوحيد ، وتدعو إليه ، وتحث عليه ، وتنهى عن الشرك ... (فلذا نراهم) يحاولون (جاهدين) أن يُرجعوا التثليث إلى الوحدانية ، لتلتقي التوراة مع الإنجيل ...

---

(١) المسيحية - شلبي (١٤٤) .

(ولذلك أيضاً) يجتهد كُتَّاب (النصرانية) في إثبات أن عقيدة التثليث وألوهية المسيح قد وردت بها كتبهم المقدسة »[١] .

ولذلك نراهم يجتهدون في إثبات صيغة « تثليث في توحيد وتوحيد في تثليث » حتى لو اصطدمت بالعقل والمنطق والفطرة .

أما مستند تلك الدعوى في نصوص العهد الجديد ، فإنها ترد في عباراتٍ كتلك العبارة التي تضمنها إنجيل متى منسوبة للمسيح عليه السلام مخاطباً تلاميذه وحوارييه : « فاذهبوا إذن ، وَتَلْمِذُوا جميع الأمم ، وعمِّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس »[٢] وهم يقولون : إن هذا النص يقرر أن الله واحدٌ في ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر والمجد والكرامة والقدرة . وأن الأب هو الله ، والابن هو الله ، والروح القدس هو الله[٣] . ومثل هذا التفصيل لم نجده في ذلك النص ، لذلك نرى بعض باحثيهم المتأخرين يقررون أن : عقيدة التثليث .. لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد .. ولا في أعمال الآباء الرسوليين ، ولا عند تلاميذهم الأقربين ، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي التقليدي يدعيان أن هذه العقيدة كانت مقبولة عند النصارى في كل زمان[٤] .

ومثل هذا الاستدلال لا يُبنى عليه اعتمادٌ في أبواب الاعتقاد ، بل هو أوهى من بيت العنكبوت .

ومع ذلك تقرر التثليث واعتمد . وقرر النصارى أنهم يعبدون إلهاً واحداً في ثالوث وثالوثاً في إله واحد ، فالله هو الأقنوم الأول ، والابن هو الأقنوم الثاني ،

---

(١) محاضرات في النصرانية (١٢٥ - ١٢٦) .

(٢) إنجيل متى (٢٨ : ١٩) .

(٣) النصرانية للطهطاوي (٢٩٥) .

(٤) هذا ما قرره باحثو دائرة معارف لاروس الفرنسية للقرن التاسع عشر - بواسطة النصرانية للطهطاوي (٢٧ - ٢٨) .

والروح القدس هو الأقنوم الثالث[١] . وأصبحت عقيدة التثليث أهم ركن من أركان النصرانية ، ولا يعتبر الشخص نصرانياً إلا إذا آمن بهذا الثالوث . وخرجت الديانة النصرانية من ظلال التوحيد إلى بيداء الوثنية[٢] .

ومع أن التثليث عقيدة طارئة على رسالة التوحيد التي جاء بها المسيح ، إلا أنها ترسخت ونمت ، وحين عارضها بعض أتباع المسيح عليه السلام من الموحدين ، هزمهم دعاة التثليث وألغوا وجودهم ، وتسيَّد القائلون بألوهية المسيح والتثليث ، وأصبحوا هم القادة الروحيين لأولئك الأتباع المنتسبين زوراً إلى المسيح عليه السلام . أما من أين جاءت هذه العقيدة ؟ فمن المجزوم به عند الباحثين أن هذه العقيدة ليست من دعوة المسيح ولا عقيدته بإطلاق ، بل هي نتاج أثرٍ فلسفي أو وثني سابق[٣] .

وأما مدى تطابقها مع العقل وانصياعها لمنطقه ، فإن أمر مناقضة هذه العقيدة للعقل وخروجها على مقتضياته مما يعترف به حتى الباحثون من النصارى . ثم يوردون بعد ذلك تعليلاتٍ لا يُلتفت إليها .

و لم تنتشر هذه الفكرة لأن الناس تلقوها بالقبول ، أو لأن العقل يشهد بصحتها . بل سادت بقوة الحديد والنار وسلطة الدولة الرومانية وأوامر إمبراطورها .

والنصارى أنفسهم لا يدركون حقيقة عقيدة التثليث . ويعترفون بعدم قبول العقل لها .

---

(١) كلمة أقنوم يونانية الأصل . تستخدم بدلاً من كلمة « شخص » غير المحبذة عند علماء اللاهوت النصراني في الحديث عن الله والابن والروح القدس . وهي تقابل كلمة : شخص رئيسي أو أساسي بالسريانية . ويستعملها علماء اللاهوت النصراني للتعبير عن شخصية كل من الأب والابن والروح القدس للدلالة على اشتراكهم في الجوهر بدلاً من كلمة شخص التي لا تحتمل مثل هذا الاتحاد حسب تعبيرهم . انظر (شرح أصول الإيمان / ٤٦) (اليهودية والمسيحية / ٤١٧ - ٤١٨) .

(٢) انظر : النصرانية للحاج (٢١٩) والنصرانية للطهطاوي (٢٩٣) .

(٣) النصرانية للحاج (١٢٣) واليهودية والمسيحية (٤١٥) .

يقول أحدهم : « الثالوث سرٌّ يصعب فهمه وإدراكه » ويقول آخر : « التثليث فوق إدراكنا ، .. لكنَّ عدم إدراكه لا يبطله »[١] .

بل زعم بعض متحذلقيهم أن عقيدة التثليث فيما يظهر مضادة للعقل البشري ، أما الحقيقة كما زعم فهي أنها لا تضاد العقل البشري بل تفوقه[٢] .

ولذا اخترع لهم بعض معلميهم عبارة « أؤمن ولا أفهم » فراراً من هذه المعضلة العقلية وتجاوزاً لها . لكن تجاوزها في الحقيقة لا يلغيها . ولهذا نجد كثيراً من الباحثين النصارى المتأخرين يشعرون بحرجٍ شديد حين يتناولون بالدرس المنصف مثل هذا المعتقد . وقد حمل ذلك عدداً منهم على إعلان براءة المسيح عليه السلام وبراءتهم من مثل هذا المعتقد الباطل[٣] .

---

(١) النصرانية للحاج (٢٠٧) .

(٢) شرح أصول الإيمان (٤٧) .

(٣) المسيحية - شارل جينيبير (١١) واليهودية والمسيحية للأعظمي (٤١٦ / ٤١٨) .

المطلب الخامس : عقائد وطقوس نصرانية

من أشهر العقائد والطقوس والشعائر الدينية في النصرانية : التعميد / ولبس الصليب والتبرك به / والرهبنة / واتخاذ يوم الأحد عيداً / وإقامة القداس الأسبوعي في ذلك اليوم / والعشاء الرباني / وعيد الميلاد / وأسلوب الخطاة والعصاة في: الاعتراف، وفي المقابل أسلوب البابوات ومن في حكمهم في منح من شاءوا : صكوك الغفران .

وهذه - في نظري - أهم الطقوس النصرانية ذات الصبغة العقدية ولاشك ، فكان من الضروري - حسب اعتقادي - استكمال الحديث عن عقائد النصرانية بالتعرض لها ، وذكر نبذة موجزة تكفي في الإبانة عنها ، وتوضيح السمات الرئيسة للنصرانية بالتعريف بها .

وسنتناولها بالذكر واحدةً بعد الأخرى على ما يأتي :

١ - التعميد : ويُسمَّى أيضاً : العماد والمعمودية والاصطباغ والتغطيس ، وينعتونه بـ: السر المقدس ، وسبيل الخلاص ، والميلاد الثاني ، ويعدونه شرطاً للدخول في النصرانية ، لا يدخل المتنصِّر في النصرانية حتى يُعمَّد ، ولا يُعمَّد إلا من آمن بالمسيح ، ولا يدخل الجنة في اعتقادهم إلا مَنْ عُمِّد ، ويقولون : إنه فريضة فرضها المسيح عليه السلام - زعموا - يجري فيها الغسل بالماء ، باسم الأب والابن والروح القدس ، علامة الدخول الظاهري إلى دائرة الكنيسة ، حلَّت محل الختان في اليهودية كما زعموا[1] .

ويزعمون أن مستندهم فيه تعميد يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) لعيسى

---

(١) انظر : تحفة الأريب لعبد الله الترجمان (١٣٤ - ١٣٥) وشرح أصول الإيمان (٤٩٢) والكنيسة المسيحية في عصر الرسل للأنبا يؤانس (٢٣٢ - ٢٣٣) وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي (٢٢٥ / ٢٢٩ - ٢٣٠) والأعظمي (٤٠٤) .

عليه السلام الواردة في الإنجيل(١) .

أما كيفية التعميد ، فإنه يُطلب ممن أراد الدخول في النصرانية الاستعداد للعماد . ويُسمَّى مثل هؤلاء « طالبي العماد » أو « موعوظين » . ويكون الاستعداد لذلك بالصلوات وقراءة التراتيل . ثم يدخل طالب العماد غرفةً فيتجه إلى المغرب ، ويُعلن البراءة من الشيطان ، ثم يتجه إلى المشرق فيعلن إيمانه بالنصرانية ، ثم يدخل غرفةً ثانية ويخلع ثيابه ، ويحضر القس أو الأسقف أو غيرهما للضرورة ، فيغطس المتنصِّر في ماءٍ أو يغسله به أو يسكبه على رأسه ، أو يرش به وجهه ، لضرورةٍ تُوجب ذلك . ويقرأ القس التراتيل ، ويغطس المتعمِّد في الماء ثلاثاً . ويضعون لأجل ذلك في الكنائس أحواض ماءٍ ممتلئةً دائماً . ويتمُّ في أي وقتٍ وأي مكان . وربما مسحوا المعمَّد بالزيت ، وألبسوه أبيضاً .

ولربما تأخر بعض النصارى عن الدخول في سلك الكنيسة والتعميد ، حتى يحضره الموت فيتعمد ليتخلص من الخطايا والذنوب ، بعد أن كان يُؤجِّل التعميد خشية أن تلزمه فرائض الكنيسة وتلحق به مطالبها وأعباؤها الثقيلة .

أما من وُلِدَ لأبٍ نصراني فيتم تعميده في اليوم الثامن من ولادته(٢) .

٢ – الصليب : كان اتخاذ الصليب رمزاً دينياً أو اختراعه – إن صح التعبير – متأخراً في الظهور عن زمن المسيح عليه السلام . وفي عصر المسيح وما قبله وما بعده كان الصليب أداةً من أدوات الشنق لا غير(٣) . وحين وُجِدَت قصة الصلب التفت

---

(١) إنجيل متى (٣ : ١٣ – ١٧) .

(٢) شرح أصول الإيمان (٤٨٥ / ٤٨٨ / ٤٩٢) وتاريخ الكنيسة (١ : ٦٨ / ٧١) والكنيسة المسيحية (٢٣٣ – ٢٣٥) وحقائق أساسية (٢٣١ – ٢٣٢) والمسيحية لشارل جينيبير (١٩٥) واليهودية والمسيحية للأعظمي (٤٠٤ – ٤٠٥) . وراجع : تحفة الأريب للترجمان (١٣٦ – ١٣٨) .

(٣) انظر (إنجيل مرقس / ٨ : ٣٤) حيث ذكر أن عيسى دعا من أراد أن يتبعه من تلاميذه حين اقتربت نهايته أن ينكر نفسه ويحمل صليبه . دلالةً على الاستماتة والزهد في الحياة . ذلك أن عادة حمل الصليب على الأكتاف كانت في أيام الدولة الرومانية آنذاك ذات دلالة خاصة . إذ كان المحكوم عليهم بالإعدام يحملون الصليب الذي سيشنقون عليه إلى ساحة الإعدام (التفسير التطبيقي / ١٥٤) .

النصارى إلى تلك الأداة المجردة ، وبمرور الأيام جعلوا من تلك الأداة رمزاً دينياً وأسطورة .

وكان المخترع لتلك الدلالة الإمبراطور الروماني الداخل في النصرانية مطلع القرن الميلادي الرابع قسطنطين أو زوجته[١] . وكما اخترع ذلك الامبراطور الكثير من العُقَد العقدية وأدخلها في صلب النصرانية ، فلقد كان كذلك صاحب دورٍ أكبر في ظهور وبروز هذا الرمز الحسي . ثم زعم مؤلفو النصرانية بعد ذلك أنهم تسلَّموا شارة الصليب من رسل المسيح ضمن التقاليد غير المدونة[٢] . وتلك حجة عاجزٍ عن إيجاد دليل .

و لم يكتفوا باختراع الصليب ، بل اخترعوا له كذلك عيداً خاصاً به[٣] . وعظَّموه وقدَّسوه وعدُّوا حمله علامةً على اتِّباع المسيح ، ويصلون له ويناجونه قائلين : السلام عليك أيها الصليب . ويعلقونه في الكنائس وعلى صدورهم .

ويعدُّون من لا يحمله أو لا يقبله أو لا يُصلِّب (يرسم علامة الصليب على وجهه) مرتداً خارجاً عن دينهم .

أما سر حمله وتعليقه وتقديسه والرمز المعنوي الذي يشير إليه ذلك ، فإنهم يقولون : إن المراد من حمل الصليب اقتفاء خطوات المسيح عليه السلام في إنكار الذات ، والرضا بالفداء في زعمهم واتباع تعاليمه ، هذا هو السبب المعنوي .

أما السبب المادي فهو لأن الصليب أي صليب ، يشبه ذلك الصليب الذي لامس جسم المسيح - فيما زعموا - ، وهذا عجبٌ في تخصيص الصليب دون غيره مما لامس جسد المسيح[٤] .

---

(١) انظر : هداية الحيارى (١٧٢ - ١٧٣) والأجوبة الفاخرة لأحمد بن إدريس القرافي (١٣٠) .

(٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل (٢٥٥) .

(٣) الأجوبة الفاخرة (١٣٠) .

(٤) محاضرات في النصرانية - أبو زهرة (١٣٣ - ١٣٥) والمسيح - د. محمد وصفي (١٢١ - ١٢٢) والنصرانية للطهطاوي (٢٥) .

أما كيفية التصليب على وجوههم فإنهم إذا أرادوا التبرك بالصليب أو التعوذ به من شيءٍ رفعوا أصابعهم مضمومةً إلى جباههم ، ثم أشاروا بعلامة الصليب ، ثم نزلوا بأصابعهم إلى الكتف الأيمن ثم الكتف الأيسر ثم نزلوا بها إلى أواسط صدورهم[١] . ولربما وضعوها على جباههم أولاً ، ثم على أسافل صدروهم ، ثم الكتف الأيمن فالأيسر .

والعجب أن الكنيسة التي تزعم أنها تحارب الوثنية وتعلن الحرب على الأصنام ، هي بذاتها تعبد صليباً مصنوعاً من معدن أو خشب بدعوى أنه كشف سر التثليث[٢] ، أو لامس شبيهه جسد المسيح .

٣ - **الرهبنة** : نظام اجتماعي ذو أساس ديني ابتدعته النصرانية ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾[٣] . وجعلته قيداً تُقيِّد به الحريات الشخصية وتهدم به النظام العائلي الاجتماعي ، جاعلةً منه شرطاً صارماً أمام كل من أراد الالتحاق بالسلك الكنسي ذكراً كان أو أنثى . وبعد أن أثقلوا كواهلهم بأغلالٍ ما أنزل الله بها من سلطان ، إذا هم يقعون في محظورٍ أعظم من الشر الذي فروا منه . فلقد كان مرادهم بتلك العزلة الإجبارية والتبتل البائس استدامة الحزن والعبادة ، فإذا بطبائعهم البشرية ورغباتهم الجسدية تتمرد عليهم حين اصطدمت بتلك العوائق التي لم يفترضها الله عليهم ، لعلمه بعدم صلاحيتها لبني الإنسان وعدم توافقها مع ما أودع الله فيه من رغبات . وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ .

وكان ما كان منهم من الوقوع في الانحرافات والخروج عن سلك الأخلاق الفاضلة والغدر بأتباعهم بانتهاك أعراضهم وحرماتهم .

---

(١) انظر : تحفة الأريب للترجمان - تعليق : عمر وفيق الداعوق (٧٥) هامش رقم ٢ .

(٢) النصرانية للطهطاوي (٢٥) .

(٣) سورة الحديد - جزء من آية رقم (٢٧) .

وكما أحدث هذا القيد الذي لم يطالبهم بتطبيقه أحد خللاً أخلاقياً عند فريقٍ من الرهبان والراهبات ، أحدث ذلك ردة فعلٍ عند فريقٍ آخر رأى أن ذلك الحظر لم يكن مبرراً ولا مستند له، ثم هو بعد ذلك مخالفٌ لنواميس الطبيعة وحاجات الإنسان وغرائزه التي أودعها الله فيه لحكمةٍ بالغة .

٤ - الأحد : يوم الأحد عند النصارى كيوم الجمعة عند المسلمين . وهو يوم العطلة الرسمية الأساسي . وينعتونه بأنه « يوم الرب » قديماً وحديثاً ، واليوم الأول من الأسبوع ، ويزعمون أنه يوم بدء الخليقة ، ويوم ميلاد المسيح ، ويوم قيامته حياً من بين الأموات ، ويزعمون أن بركة الرب تلحق من يُقدِّس يوم الأحد ، وأن النقمة تلحق من لا يُقدِّس يوم الأحد ، ولذا يتركون فيه العمل ويتفرغون للعبادة وزيارة الكنيسة وقراءة كتبهم المقدسة ، وأن من لا يفعل ذلك فالهلاك لا محالة حائقٌ به[1] . والتزموا بذلك وألزموا به أتباع الكنيسة مع أن المسيح عليه السلام لم يلتزم الأحد . يقول ابن حزم « المسيح وتلاميذه لم يزالوا ... يلتزمون السبت إلى أن ماتوا ، وهم قد بدلوا هذا كله ، وجعلوا مكان السبت الأحد ... بعد أزيد (أي أكثر) من مائة عام بعد رفع المسيح »[2] .

٥ - القُدَّاس : يجتمع النصارى يوم الأحد لإقامة القداس في الكنيسة . ويتضمن القدَّاس صلوات وقراءات وتضرعات (دعوات) . ويحضره المعمَّدون وغيرهم من طالبي العماد ، والقبلة في الصلوات تكون إلى الشرق[3] ، زعموا أنها الجهة التي وُجِّه إليها المسيح حال الصلب .

---

(١) الدر الثمين للأنبا ساويرس (١٢٣ - ١٢٥ / ١٢٨ / ١٣٢) وتاريخ الكنيسة (١ : ١٠ / ٧٨) .

(٢) الفصل (٢ : ٤٩) .

(٣) صخرة بيت المقدس هي قبلة اليهود . فإذا كانوا خارج القدس أو في غيرها ، فبيت المقدس المدينة هي قبلتهم . يستقبلونها أو يتوجهون إليها في صلاتهم . والنصارى تستقبل المشرق . أي مطلع الشمس أو جهة الشرق عموماً ، لما ذكرناه . فهم أشبه بعباد الشمس والوثنيين الذين يُصلون إلى الشرق منهم إلى أهل الأديان . والنبي ﷺ صلى أول ما صلى إلى الكعبة . وكانت قبلة إبراهيم عليه السلام قبله . وصلّت

=

أما المسيح عليه السلام فقد كانت قبلته بيت المقدس ، فتركوا سنته إلى هذه البدعة بهذه الدعوى الباطلة .

أما القراءة فتكون بتلاوة نصوصٍ من العهد القديم ثم الإنجيل ، ويقف عندها الجميع ويرسمون إشارة الصليب على جباههم وشفاههم وصدورهم . ويجيب الحضور بعد الدعاء بترديد كلمة « كيرياليسون » أي : يا رب ارحم[1] . ثم يرددون بعدها كلمة « آمين » مفخمين الهمزة بشكلٍ مميز .

٦ - **العشاء الرباني** : ويسمونه كذلك « عشاء الرب » و« مائدة الرب » و« كسر الخبز » و« الذبيحة » و« الأفخارستيا » ومعناها : الشكر . و« التناول » . ويسمونه هذه الأيام « الشركة المقدسة » . ويزعمون أنه فريضةٌ فرضها المسيح[2] عليه السلام بنفسه لتلاميذه في تلك الليلة التي أُخِذَ فيها . وأنه كسر رغيفاً وأعطى تلاميذه وقال : « كلوا . هذا هو جسدي » وسقاهم خمراً . وقال : « اشربوا .. فإن هذا هو دمي »[3] .

يتكون العشاء من عنصرين فقط هما : الخبز والخمر . وصفته : أن يصوم الواحد منهم قبل ذلك الوقت تسع ساعات ، ولا يجتمع بامرأته ذلك اليوم ، ثم يحضر إلى

= الأنصار قبل مهاجر النبي ﷺ إلى المدينة ثلاث حجج أو حولين إلى بيت المقدس . وصلى نبي الله ﷺ بعد قدومه المدينة مهاجراً ، نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً . أو نحواً من ذلك (قيل : ٩ / ١٠ / ١٣ / ١٦ / ١٧ / وقيل : بضعة عشر شهراً) . ثم صرف إلى الكعبة ثانيةً قبل بدرٍ بشهرين .

حول قبلة اليهود والنصارى والمسلمين - راجع تفسير الطبري عند تفسير الآيات في أول الجزء الثاني من سورة البقرة (تفسير الطبري / ٢ : ٥ - ٧ / ٢٧ / ٢٩) . طبعة دار الكتب العلمية - بيروت / ط. ثالثة / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

(١) الأجوبة الفاخرة (١٢٦) وتاريخ الكنيسة (١ : ٧٤ - ٧٥ / ٧٨) .

(٢) شرح أصول الإيمان (٤٩٩ - ٥٠٠) والمسيحية - شلبي (١٧٣) وحقائق أساسية (٢٣٥) وانظر كذلك : هامش : تحفة الأريب للترجمان - لعمر وفيق الداعوق (١٦٣) هامش ١٤ .

(٣) إنجيل متى (٢٦ : ٢٦ - ٢٨) .

الكنيسة ، فإذا فرغ القس من الصلاة وإقامة القداس ، كسر الخبز وسكب عليه الخمر ، ثم ناوله للحاضرين واحداً بعد الآخر . ويجتهد الآكل في تناول ما أكل عاجلاً ، ثم يمتنع عن البصاق ما أمكنه ذلك مهلة يومٍ كامل[1] .

وزعم بعضهم أن المسيح يحضره بروحه[2] . فهي كدعوى بعض أصحاب الموالد عندنا .

ولا يُسمح لغير النصراني بحضور القداس ، بل لا يحضره رجلٌ من أتباع كنيسةٍ معينة في كنيسةٍ أخرى ، وإن حضر لم يعطوه من تلك اللقمة شيئاً لأنه من كنيسةٍ أخرى[3] .

وزعموا أن في فريضة العشاء الرباني سراً ، ففي كسر الخبز رمزٌ إلى جسد المسيح المكسور ، وفي الخمر المسكوب إشارةٌ إلى دمه المهراق .

وزعم بعضهم أن الخبز يستحيل إلى جسد والخمر إلى دم ، الجسد جسد المسيح والدم دمه ، والذين يشتركون في تناول العشاء الرباني باستحقاق يتناولون جسد المسيح ودمه فعلاً وحقاً . - كذا زعموا - . ثم زادوا فقالوا : لا يكون ذلك جسمياً ولا جسدياً ، بل روحياً ، وهذا اعتقاد فريقٍ عظيم منهم ، أو جمهورهم ، وعلى رأسهم الكنيسة البابوية بروما ، والكنائس الشرقية .

ويُسمَّى اعتقادهم هذا: الاستحالة ، وتنعت الكنيسة من لا يعتقد هذا الاعتقاد السمج الفج ، مهرطقاً . لأنه ينكر عطية الله بإنكاره وجود جسد المسيح في الأفخارستيا .

---

(١) شرح أصول الإيمان (٥٠٠ / ٥٠٣ - ٥٠٥) وحقائق أساسية (٢٤١) والمسيح - وصفي (١٢٩) .

(٢) حقائق أساسية (٢٤١) .

(٣) حقائق أساسية (٢٤٤) وتحفة الأريب (١٦٨) هامش ٧ .

وزعموا أن هذا التحول يكون بوساطة الروح القدس الذي يحلّ في الخبز والخمر فيحوِّلها إلى جسد المسيح ودمه ، وهذه باقعةٌ ثانية هي : القول بالحلول .

وباقعةٌ ثالثة تُخَرَّجُ منها هي : القول بأن كل واحدٍ ممن تناول ذلك العشاء الرباني أوشك أن يصبح مسيحاً إلهاً . أما تضمُّنه لجزءٍ من المسيح الإله فهذا محققٌ ثابتٌ بكلامهم ، وناتج هذا أن فاعل ذلك يكون ممن اختلط فيه الناسوت باللاهوت كحال المسيح في اعتقادهم . وهو كالقول بتعدد الآلهة بلا حصر ، فليس الآلهة ثلاثة فحسب ، بل عددٌ لا يحصى .

وباقعةٌ رابعة تنتج عن اعتقادهم هذا هي : القول بأن المسيح لا يزال يُذبح كل أسبوع ، بيد كل كاهن ، في كل كنيسةٍ في العالم[١] .

ومستندهم في هذا الاعتقاد ما أورده يوحنا في إنجيله على لسان عيسى عليه السلام أنه قال : « الحق أقول لكم : إذا لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم في داخلكم . مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياةٌ أبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير ، لأن جسدي هو الطعام الحقيقي ، ودمي هو الشراب الحقيقي . وكل من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه . وكما أني أحيا بالأب الحي الذي أرسلني ، فكذلك يحيا بي من يأكلني »[٢] .

أما الغاية منه فهي :

١ - التذكير بموت المسيح وصلبه وقيامته - كما زعموا - .

٢ - الحصول على البركة الروحية بتناول جسد المسيح ودمه .

٣ - حمل أتباع المسيح على التبشير به .

---

(١) شرح أصول الإيمان (٥٠٤ / ٥٠٧ / ٥١١ / ٥١٥) والكنيسة المسيحية - يؤانس (٢٣٨) والمسيح - وصفي (١٢٧ - ١٣٠) .

(٢) إنجيل يوحنا (٦ : ٥٣ - ٥٧) .

٤ - الإشارة إلى المجيء الثاني للمسيح[1] ، على حد قول بولس في إحدى رسائله « كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس ، تعلنون موت الرب ، إلى أن يرجع »[2] .

٧ - عيد الميلاد : يحتفل النصارى بيوم مولد المسيح كل عام ، وتقام أعياد الميلاد في أنحاء البلدان النصرانية . غير أن الذي يجب معرفته بهذا الصدد ثلاثة أمور هامة :

أولها : أن ذلك الاحتفال ليس محدداً بيومٍ معينٍ عند جميع النصارى . فبينما يحتفل به أتباع الكنيسة الغربية في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر الميلادي من كل عام . فإن الكنيسة الشرقية تحتفل به في السابع من يناير . وحاصل ذلك أن أحد الموعدين على أقل تقدير غير صحيح . وقد أثبت بعض الباحثين أن كلا الموعدين خطأٌ يقيناً .

الثاني : أن الاحتفال بذلك اليوم لم يتقرر إلا في القرن الرابع الميلادي . وقد حرَّم الاحتفال به طائفةٌ من النصارى المتقدمين . وحينما قرر الفريق الأول الاحتفال بعيد الميلاد كلَّفوا أحد الرهبان باستخراج ذلك اليوم . وأعمل ذلك الراهب حساباته فاستنتج أن المولد كان يوم ٢٥ ديسمبر . وثبت فيما بعد أنه أخطأ في حساباته . ومع ذلك فقد تم الاحتفال بعيد الميلاد رسمياً منذ العام ٣٥٤ م أيام الإمبراطورية الرومانية .

الثالث : لم يكن اختيار ذلك الموعد بالتحديد على ما يبدو خاضعاً للحسابات والاستنتاجات . بل كان المقصود به صرف جمهور النصارى عن حضور عددٍ من أعياد الوثنيين التي تقع في مثل ذلك اليوم . ويميل الجمهور إلى الذهاب إليها للاستمتاع بها . وحينها اخترعت الكنيسة عيداً مماثلاً في نفس التاريخ ، يذهب إليه النصارى

---

(١) شرح أصول الإيمان (٤٩٨) والكنيسة المسيحية - يؤانس (٢٣٩) وأبو زهرة (١٤٠) .

(٢) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس (١١ : ٢٦) .

كما يذهب غيرهم من الوثنيين إلى أعيادهم ، حمايةً لهم من الاختلاط بالوثنيين والتأثر بهم .

ومن تلك الأعياد التي كان الوثنيون يقيمونها في مثل ذلك اليوم : يوم المنقلب الشتائي ومولد الذي لا يقهر في رومية القديمة / عيد زحل ، عيد الخلاعة والشهوات / يوم مولد الشمس في ديانة مثرا / عيد الإله ديونسيين عند اليونان / عيد أويزيريس عند المصريين (عيد الغطّاس)[1] / .

٨ - **الاعتراف وصكوك الغفران** : سر الاعتراف أو سر التوبة هو : الإقرار أمام القس بما قاله الإنسان وفعله فيما مضى . وللقس السلطة الكاملة في قبول هذه التوبة[2] وصدق الله القائل : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3] .

وصفته : أن يحضر طالب الغفران إلى الكنيسة فيجلس في خلوةٍ مع القس ، فيعترف له بكل ذنوبه وخطاياه فيغفر له القس ، أو يبعث إلى القس إذا مرض وخاف الموت فيعترف له فيغفر له القسيس ، وينال طالب الغفران الغفرانَ - على ما زعموا - بفعل الروح القدس الذي يستدعيه الكاهن أثناء ذلك . ويعتقدون أن كل ذنبٍ يغفره القسيس فإنه مغفورٌ عند الله تعالى .

وكان الاعتراف يتكرر عدة مراتٍ مدى الحياة . وحين انعقد المجمع الثاني عشر سنة ١٢١٥ م أقر بشكل نهائي هذا المبدأ وجعله لازماً ، ولو مرةً واحدة في العمر[4] .

---

(١) المسيح للعقاد (٩٠) ولمحات من التاريخ في الإنجيل (٣٢ - ٣٣) والنصرانية للحاج (٩٦) .

(٢) الكنيسة المسيحية (٢٤٠) واليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام (٢٢٣) .

(٣) سورة التوبة - جزء من الآية رقم (٣١) .

(٤) تحفة الأريب للترجمان (١٦٩) والكنيسة المسيحية (٢٤٠) وأبو زهرة (١٨١) والمسيحية - شلبي (١٠٠ - ١٠١ / ٢٥٦) .

ويقولـون : إن الفـائدة مـن مثـل هـذه الممارسـات (الاعـتراف أمـام القسـيس) الحصول على الغفران ، والحصول على السلام الداخلي والسكينة والراحة النفسية[١] . وهذا من طبائع النفس البشرية ، فإنها متى أهمَّـها وغمَّـها أمرٌ ، لم تـهدأ حتـى تبـثَّ سرها إلى من تثق فيه . وهؤلاء جعلـوا ذلـك للقسـيس . ولربمـا كـان ذلـك القسـيس ماكراً خبيثاً ، فحينئذٍ تراه يلوي ذراع صاحب السر ويبتزه حتـى لا يفشـي سـره مـن أجل أن يحصل منه على ما يريد . وهذا هو الذي منح الكنيسة قدراً كبيراً من السلطة في تلك البلاد . فهي لا كالدول تبحث عن أسرار شعوبها ، بل تأتيها الشعوب باسم الدين لتفضي إليها بأسرارها .

وإن كان المعترف امرأةً فلربما هددها ذلك القسيس بإفشاء سرها لأهلها فنال مـن شرفها وسكتت عن ذلك خشية فشـو سـرها . وهـذا ممـا اشـتهر وعُـرِفَ عـن بعـض رجالات الكنيسة .

وزادت الكنيسة فوق ذلك وسيلة نفوذٍ أخرى ، تتضمن جباية المال من المعـترفين بإصدار وثائق براءة أو صكوك غفرانٍ لهم بمبلغٍ من المـال لقـاء ذلـك . فـأصبح بيدهـا سلطتان سياسية ومالية ، تأتي إليها من جماهيرها طوعاً لا كرهاً . وأصبح البابا أو من ينوب عنه يعطي من شاء براءةً أو صكاً بغفران الذنوب ، ودخول الجنـة والنجـاة مـن النار ، فجعلوا من الجنة إقطاعاً يمنح البابا منه ما شاء لمن شاء ، مقابل مبلـغٍ كبـير مـن المال[٢] . فإذا أدركت الوفاة مشتري ذلك الصك أوصى ذويه أن يدفنوه معه ، وأصبح البابا متى احتاج لمالٍ لبناء كنيسـة أو لتجييـش جيـوش (كمـا حـدث أثنـاء الحـروب

---

(١) اليوم الآخر لفرج الله عبد الباري (٢٢٣) .

(٢) زعموا أن يهودياً مثرياً ماكراً ذهب إلى أحد البابوات الذين يبيعون صكوك الجنة فعرض عليه شراء النار . فاستغفله البابا وباعها له . فأعلن اليهودي بين الناس أنه قد اشترى جهنم من البابـا وأنـه سيغلقها . فـلا داعي إذن لشراء صكوك الجنة من البابا ، لأن الناس سيدخلونها رغماً عنه . ففطن البابا لحيلتـه وفاوضـه حتى استعاد منه جهنم بأضعاف ثمنها الذي اشتراها اليهودي به (معاول الهدم والتدمير/ إبراهيم الجبهان / ٦٥ / ط. خامسة / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م) .

الصليبية) أصدر سندات صكوك الغفران ، وطَرَحها للبيع على الجمهور مقابل مبلغٍ معين (كما تفعل الآن الشركات عند طرح أسهمها ، أو الدول عند طرح سندات خزينتها) ويضع مكان الاسم فارغاً يملؤه القس أو الراهب المفوّض بالبيع باسم المشتري عند الشراء[1] ، وبالغوا في ذلك ، فأصبح الصك شاملاً لغفران الذنوب ما تقدم منها وما تأخر ، كأنهم يأذنون لصاحبه بعد أن يشتري هذا الصك بأن يعبَّ من الذنوب والشهوات عبّاً بلا حسيب ولا رقيب ، لأنه قد دفع الحساب مُقدَّماً[2] .

وأصبحت تلك الطريقة تجارةً رابحةً تُدِرُّ أموالاً هائلةً على الكنيسة ، وتُشغِّل المتعطلين عن العمل من منسوبيها .

على أنه مما يجب الإشارة إليه هنا أن هذه الطريقة كانت من نصيب الكنيسة البابوية الغربية ، أما الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية فانتقدت هذا التصرف بشدةٍ ورفضته[3] .

وكذلك الكنيسة البروتستانتية التي لم ترفضه فحسب ، بل رفضت مبدأ الاعتراف أمام القس كله .

وفي مقابل صك الغفران هذا : كان هناك قرار الطرد والحرمان الذي يصدره البابا بحق من يخالف آراءه أو يعارضه ، وبموجبه يعتقدون أن الرب قد غضب على هذا الشخص ، ويمتنعون - أي النصارى - عن معاملة ذلك الشخص ومعاشرته ، ويزعمون أن مآله إلى الجحيم والسخط الدائم والعذاب المقيم[4] .

---

(١) وفتحت وكالات لبيع هذه الصكوك تضع إعلانات عن أسعار الصكوك ونوعها : شهادة الزور (٩ جنيه) / السرقة (١٢ جنيه) / الزنا بالبكر (٩ جنيه) بالثيب (٧,٥) . انظر (اليهودية والمسيحية للأعظمي / ٤٠١ - ٤٠٢) .

(٢) انظر : تحفة الأريب للترجمان (١٧٠ - ١٧١) والمسيحية - شلبي (٢٥٥) .

(٣) انظر : محاضرات في النصرانية - أبو زهرة (١٨١) والمسيحية - شلبي (٢٥٦) .

(٤) الأجوبة الفاخرة للقرافي (٦) .

المبحث الخامس

فرق النصرانية

جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « تفرَّقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة »[١] .

يبلغ عدد النصارى في العالم اليوم قرابة المليارين (ألفي مليون) أو بتحديدٍ أدق ، حسب أحدث الإحصائيات : ملياراً وتسعمائة وسبعة وعشرين مليون نسمة[٢] .

وبناءً على هذا التعداد ، نجزم بأن النصرانية هي الديانة الأولى في العالم من حيث العدد وكثرة المنتسبين إليها . إلا أن من الملاحظ عليها : كثرة التفرق وتعدد الفرق ، ثم انقسامها وتشعبها إلى فرقٍ أخرى ، وهكذا دواليك .. كل طائفةٍ تنبز الطائفة الأخرى وتنابذها ، وربما كفَّرتها . يقول ابن القيم رحمه الله : « لا نعلم أمةً أشد اختلافاً في معبودها ونبيها ودينها منكم (يخاطب النصارى) ... لو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً »[٣] .

ولئن كانت المصالح السياسية للعالم الغربي قد فرضت عليه التوحد في الاتجاه العام . فإن الانقسامات المذهبية تبقى قائمةً موجودةً لا يلغيها هذا التضامن السياسي الذي فرضته الأهداف الاستراتيجية لتلك المجتمعات ، التي فطنت مبكراً إلى أن طريق الغد لا يمكن العبور إليه إلا عبر جسر الوحدة والتكاتف .

ولهذا لا نعجب حين نسمع بعض الإحصاءات التي تتحدث عن وجود : أكثر

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني (٣ : ٨٦٩) كتاب السنة - باب شرح السنة / وورد بلفظٍ آخر في صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢ : ٣٦٤) كتاب الفتن - باب افتراق الأمم .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية - ص (٦٥) العدد ١٣١٤ (٣ جمادى الأولى ١٤١٩هـ) (٢٥/ ٨ / ١٩٩٨م) .

(٣) هداية الحيارى (١٦٤) .

من خمسمئة مذهب للنصارى في أمريكا وحدها / أو ألف وأربعمائة طائفة نصرانية في أفريقيا (حسب إحصاء ١٩٥٧ م) / أو أربعة آلاف طائفة منبثقة عن الفرقة البروتستانتية وحدها[١] . أو أن عدد طوائف الأرثوذكسية في روسيا قد وصل إلى مئتين[٢] .

وإنْ أردت أعجب من هذا وأغرب . فاقرأ ما نشرته الموسوعة المسيحية العالمية للأديان التي صدرت مؤخراً . واستغرق إعداد طبعتها الأولى عشر سنوات . وعمل فيها ٤٤٤ خبيراً وباحثاً . وكان الهدف من تأليفها إنشاء قاعدة معلوماتية للعمل الإرسالي النصراني (التنصير) .

تقول الموسوعة : إن عدد معتنقي الديانة النصرانية قد بلغ في كل أنحاء العالم حتى عام (٢٠٠١ م) . ألف وتسعمائة مليون نسمة تقريباً . أي (٣١ ٪) من سكان العالم . ينقسمون على ٣٣٨٢٠ (أي نعم : ثلاث وثلاثين ألف وزيادة) من الطوائف والفرق والمنظمات والتجمعات المذهبية . منهم ٣٨٦ مليوناً لا يتبعون الكنائس التقليدية الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية والإنجيلية . بل يتبعون كنائس أخرى مستقلة أو مستحدثة . مثل الكنيسة العلمية والمنهجية والمعمدانية والمورمونية والمشيخية واللوثرية والخمسينية[٣] .

---

(١) شهود يهوه – التطرف المسيحي في مصر – أبو إسلام أحمد عبد الله (١٢٦) بيت الحكمة – القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون . واليهودية والمسيحية للأعظمي (٣٩٨) ومجلة المجتمع – ص (١٨) العدد ١٣١١ (١١ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ / ٤ أغسطس ١٩٩٨ م) .

(٢) محاضرات في النصرانية – أبو زهرة (٢٠١) .

(٣) حول هذا : راجع ملحقاً سنوياً أصدره : حسن قطامش مع مجلة البيان مطلع العام (١٤٢٣هـ) . (سماه : العالم في عام – رصد رقمي لأحوال العالم) . طبعة أولى / ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م / الصفحات (٨ / ١٠٨) .

وانظر كذلك : مجلة النيوزويك الأمريكية الصادرة باللغة العربية عن دار الوطن بالكويت / العدد رقم (٩١) (١٢ – مارس – ٢٠٠٢ م) . صفحة (٥٢) .

وليس مرادنا هنا الحديث عن كل طوائف وفرق النصرانية . فهذا مجالٌ من الاتساع بحيث لا يمكننا في مثل هذا المقام الذي يتطلب الإيجاز ، سرد أسمائها فحسب ، فضلاً عن انعدام فائدة ذلك التوسع في مثل هذا البحث المخصص لبحث قضيةٍ محددة .

ولذا فسنتناول بالذكر أهم تلك الطوائف وأشهرها ، وأمهات الفرق وأكبرها ، التي تشعبت منها ما بعدها من الطوائف والمذاهب ، على النحو التالي :

١ - الآريوسية : الآريوسيون الموحدون . من أقدم الفرق النصرانية المنقرضة . أتباع « آريوس » أحد قساوسة الإسكندرية في أوائل القرن الرابع الميلادي أيام الإمبراطورية الرومانية . كان يقول بالتوحيد ، وأن عيسى عليه السلام عبدٌ مخلوق . ويعدُّهم النصارى فرقةً خارجةً عن النصرانية ، ويسمونهم بالهراطقة (أي الزنادقة) . وعندما اشتد الخلاف بين آريوس وأتباعه من الموحدين وبين المثلّثة من عامة النصارى ، عقد الإمبراطور الروماني قسطنطين مجمع نيقة سنة ٣٢٥ م ، وأقر القول بتأليه المسيح وفرضه على الناس ، وحكم على آريوس وأتباعه باللعنة والحرمان ونفاهم من البلاد وحرَّق كتبهم . وبعد وفاة آريوس لاحقت الكنيسة الكاثوليكية أتباعه بالقتل والتعذيب والتشريد ، حتى قضت على هذه الطائفة تماماً[(١)] .

٢ - النسطورية : ويعرفون اليوم بالكلدانيين أو الآشوريين . كانت فيما مضى ثالث أكبر الطوائف النصرانية . أما اليوم فهم قلةٌ لا يُعتدُّ بهم . أتباع « نسطور » بطريرك القسطنطينية في أوائل القرن الخامس الميلادي . وينتشر أتباعها حتى الآن في العراق وفارس والهند . يقولون : إن مريم لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط . (وعلى هذا فمريم ليست والدة الإله) وأن اللاهوت اتحد بعيسى بعد ولادته . وأن للمسيح طبيعتين : لاهوت وناسوت . وقد انعقد مجمع أفسس الأول (٤٣١ م) وقرر لعن نسطور وطرده ، وعزله من منصبه ، ونفي إلى مصر إلى أن مات[(٢)] .

---

(١) حول هذه الطائفة . راجع : الفصل (١ : ١٠٩) وهداية الحيارى (١٦٦) والنصرانية للحاج (١٦٧ / ١٧٥ / ١٧٩ / ١٨٠ / ١٨٨) .

(٢) حول هذه الطائفة . راجع : الفصل (١ : ١١١) هداية الحيارى (١٦٥) أبو زهرة (١٦٧ / ١٩١ - ١٩٤) والمسيحية - شلبي (١٩٢ - ١٩٣) .

٣ - الكاثوليك : يُعرفون قديماً باسم « الملْكانية » نسبةً إلى مذهب الملك أو الإمبراطور قسطنطين الروماني الذي تقرر على يديه وبواسطة نفوذه أهم عناصر مذهبهم . ويُعرفون كذلك بأتباع الكنيسة البطرسية لأنهم يزعمون أن بطرس كبير الحواريين هو الذي وضع أساس كنيستهم الأم : كنيسة روما . وتُعرف كنيستهم كذلك باسم : الكنيسة الغربية اللاتينية ، نظراً لأن أكثر أتباعها من تلك الأصقاع الغربية في البلاد الأوروبية المتحدثة باللاتينية أو مشتقاتها .

وكلمة كاثوليك معناها : العام أو العالمي . فهم بزعمهم أصحاب الكنيسة أو الديانة العامة العالمية . وهم أكبر الطوائف النصرانية على الإطلاق ، وأكثرها عدداً ، وأعظمها نفوذاً ، والبابا سيد كنيسة روما وحاضرتها الفاتيكان (دولته المغلقة) أعظم زعيمٍ ديني نصراني في العالم على الإطلاق .

ويقرر الكاثوليك في عقائدهم : أن مريم ولدت الإله . وأن المسيح إلهٌ تام وإنسانٌ كاملٌ معاً ، له طبيعتان لاهوتية وناسوتية ، وأن القتل والصلب وقع على الناسوت . وأن له مشيئتين ، ومذهبهم أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً . والبابا في اعتقادهم ممثِّل الله وخليفة المسيح والتلميذ الأكبر للمسيح على الأرض . وهو في اعتقادهم معصومٌ لا يجوز عليه الخطأ . ويُصدر أو من ينوب عنه صكوك الغفران ، ويُغيِّر ويُبدِّل في الدين بحسب ما يراه ، ولهذا استطاع خلال المجمع المسكوني العام المنعقد ما بين (١٩٦٢ - ١٩٦٥ م) إصدار وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام ، ناقضاً بذلك كل ما قررته أناجيلهم المعتمدة عندهم . وأعلن قرار التبرئة هذا البابا بولس السادس في ٢٨ نوفمبر ١٩٦٥ م .

ويبلغ عدد الكاثوليك - حسب أحد الإحصائيات غير الحديثة - ما يزيد على ستمائة مليون . ينتشرون في بعض دول أوروبا الغربية (إيطاليا / فرنسا / أسبانيا) / دول أمريكا الجنوبية / الولايات المتحدة الأمريكية . ولهم أتباعٌ في كثيرٍ من أنحاء العالم

بسبب نشاطاتهم التنصيرية الكثيفة[١] .

٤ - الأرثوذكس : يُعرفون قديماً باسم « اليعاقبة » أو « اليعقوبيين » نسبةً إلى يعقوب البرادعي ، أحد مقرري أهم مقالاتهم والمنافحين عنها قديماً (القرن السادس الميلادي) . وتُعرف كنيستهم باسم « الكنيسة الشرقية » ، لأن معظم أتباعها من سكان المناطق الشرقية في أوروبا وبلدان شرق البحر المتوسط .

وكلمة أرثوذكس معناها : الرأي المستقيم والمذهب الحق . فهم بزعمهم أصحاب الرأي المستقيم والمذهب الحق[٢] والمحافظون عليه .

وتأتي الكنيسة الشرقية من حيث المرتبة والأهمية وعدد الأتباع بعد الكنيسة الغربية اللاتينية . ولهذه الكنيسة فروع كبيرة كثيرة مميزة . وأكبر وأهم طوائفها :

أ - أتباع الكنيسة الشرقية اليونانية أو كنيسة الروم الأرثوذكسية . وهي التي كان مقرها أيام الدولة الرومية بالقسطنطينية . ويتبعها كل الأرثوذكس في روسيا وشرق أوروبا وقبرص وبلاد الشام . ومقالة هؤلاء في المسيح عليه السلام كمقالة الكاثوليك والبروتستانت في أن للمسيح عليه السلام طبيعتين ومشيئتين ، ويفارقونهم في القول بأن الروح القدس منبثقٌ من الأب وحده ، على عكس مقالة الكاثوليك والبروتستانت الذين يقررون أن الروح القدس منبثقٌ من الأب والابن معاً .

ب - ومن فروعها الكنيسة القبطية المصرية ويتبعها أرثوذكس مصر والحبشة ، ويُسمِّي هؤلاء كنيستهم : الكنيسة المرقسية ، نسبة إلى مرقص صاحب الإنجيل ، ويعدُّونه منشيء كنيستهم المصرية الأرثوذكسية ، ويعدُّون بابواتهم خلفاءه .

---

(١) حول هذه الطائفة . انظر : (الفصل / ١ : ١١٠ - ١١١) (الملل والنحل للشهرستاني / ٢٢٣ - ٢٢٥) (هداية الحيارى / ١٦٥) (الأسفار المقدسة - لعلي وافي / ١٣٦) (المسيحية - شلبي / ١٩٤ / ٢٣٨ - ٢٣٩) (اليهودية والمسيحية للأعظمي / ٣٩٨ - ٤٠٤) .
وجملة المجتمع الكويتية - ص (١٩) من العدد : ١٣١١ (١١ ربيع الآخر ١٤١٩هـ - ٤ / ٨ / ١٩٩٨م) .

(٢) الأسفار المقدسة - علي وافي (١٣١ - ١٣٢ / ١٣٥) .

جـ - ومن فروعها الكنيسة الأرثوذكسية السريانية.

د - والكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية .

وهذه الكنائس الثلاث الأخيرة من كنائس الأرثوذكس ، تُقرر أن للمسيح عليه السلام طبيعة[١] واحدة لاهوتية ، ومشيئة واحدة ، ويقولون مع باقي الأرثوذكس بأن الروح القدس منبثقٌ من الأب وحده[٢] .

٥ - المارونية : ويُقال لأتباعها كذلك : الموارنة . طائفةٌ صغيرةٌ أسسها راهبٌ سوري يُدعى : القديس مارون (ت ٤١٠ م) . تقوم مقالتهم على القول بأن للمسيح عليه السلام طبيعتين ومشيئة أو إرادة واحدة هي الإلهية . اضطهدهم باقي النصارى لمقالتهم هذه ، فاعتصموا بجبال لبنان وأصبحت مستقراً لهم حتى يومنا هذا . وفي جبل لبنان أشهَرَ مقالتهم وأظهرها مجدداً أول بطريرك اختاروه لطائفتهم ويدعى : يوحنا مارون . وكان ذلك سنة ٦٦٧ م . فتداعى باقي النصارى على إثر ذلك إلى المجمع العام السادس بالقسطنطينية ٦٨٠ م . وأصدروا قراراً بتكفيرهم وحرمانهم . وبعد ذلك بقرون بدأ التقارب بين الفريقين ، وتُوِّج بإعلان المارونيين خضوعهم لبابا روما مع انفرادهم بمقالتهم هذه عام ١١٨٢ م . واشترك الفريقان معاً في الحروب الصليبية ضد المسلمين . وفي القرون الأخيرة حظيت هذه الطائفة برعاية بابا روما الخاصة ورعاية عدد من الدول النصرانية الكبرى - لاسيما فرنسا - وكانوا ينافحون عنهم أيام الدولة العثمانية ويحصلون لهم على الامتيازات تلو الامتيازات ، لوجودهم بين ظهراني المسلمين . وكانوا طابوراً خامساً ساهم في نسف تلك الدولة . ولا يزال نفوذهم قائماً وعددهم طاغياً في لبنان . وساهموا بقوةٍ في الحرب الأهلية اللبنانية

---

(١) ربما عبروا عن ذلك بقولهم : طبيعة واحدة من طبيعتين .

(٢) حول هذه الطائفة . انظر : (الفصل / ١ : ١١١) (الملل والنحل / ٢٢٦ - ٢٢٧) (هداية الحيارى / ١٦٤) (محاضرات في النصرانية / ١٧٠ - ١٧٣) (الأسفار المقدسة - لعلي وافي / ١٣١ - ١٣٢ / ١٣٥ - ١٣٧) (النصرانية للحاج / ٢٠٣) .

الأخيرة (١٩٧٥ - ١٩٩١ م) ونفَّذوا أبشع المجازر بحق خصومهم من المسلمين وباقي طوائف اللبنانيين والفلسطينين . ومنصب رئاسة الجمهورية اللبنانية من نصيبهم دائماً ، حكرٌ عليهم لا ينافسهم فيه أحدٌ من الطوائف الأخرى منذ عهد الاستقلال . واللغة المستخدمة في الكنيسة عندهم حتى يومنا هذا هي : اللغة السريانية[1] .

٦ - **البروتستانت** : أي المحتجون أو المعارضون . أكبر ثورةٍ في التاريخ قامت داخل الكنيسة ضد بعض انحرافاتها وضد النفوذ الطاغي لبابا روما وكنيسته العالمية . ونتج عن تلك الثورة مولد ثالث أكبر طائفةٍ نصرانيةٍ في العالم .

تُسمَّى كنيستهم « الإنجيلية » لأنهم يجعلون من الكتاب المقدس - الإنجيل - مصدراً وحيداً لتعاليمهم ، ولا يعتدُّون بما سواه من تعليمات الكنيسة واجتهاداتها أبداً . وليس لكنيستهم رئاسةٌ عامة كالكاثوليك والأرثوذكس .

انطلقت هذه الحركة أوائل القرن السادس عشر الميلادي (١٥٢١ م) .

منشيء هذه الطائفة هو : مارتن لوثر (١٤٨٢ - ١٥٤٦ م) في ألمانيا .

لا تختلف البروتستانتية عن الكاثوليكية في جوهر الاعتقاد . فهي تُقرُّ بالتثليث وألوهية المسيح وبنوته لله وصلبه وقيامته وصعوده ودينونته للناس . لكنها تستنكر على الكنيسة أموراً أخرى ، كاتخاذ رئاسةٍ عامةٍ للنصارى ، ممثلةٍ في البابا بدعوى أنه خليفة المسيح وكنيسته البطرسية ، واحتكار تلك الكنيسة لفهم الكتاب المقدس ، والبروتستانت يرون أن من حق أي نصراني قراءة وفهم وتفسير الكتاب المقدس . كما يرفض البروتستانت الأخذ بغير الإنجيل مصدراً لاعتقاداتهم وتعاليمهم . ويُنكرون نظام الرهبنة ويسمحون بالزواج ، وينكرون نظام الاعتراف وصكوك الغفران ، ووضع الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها ، وينكرون خرافة تحول خبز وخمر

---

(١) حول هذه الطائفة . انظر : تاريخ الكنيسة (٢ : ١١٠) وأبو زهرة (١٧٥ - ١٧٦/ ١٩٥ - ١٩٦) والأسفار المقدسة لعلي وافي (١٣٤ - ١٣٦) والموسوعة الميسرة (٤٣٩ - ٤٤٣) .

العشاء الرباني إلى جسد ودم المسيح ، ويقولون : إن ذلك الاحتفال ليس إلا تذكيراً بما قام به المسيح من الفداء .

ينتشرون في ألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والبلاد الإسكندنافية . ولهم جمعيات تنصيرية نشيطة ساهمت في زيادة أعداد أبناء هذه الفرقة في أنحاء العالم(١) لاسيما في القارة الأفريقية .

وفي أحضان هذه الطائفة نشأت في العصر الحديث الحركات الأصولية النصرانية المعاصرة ، فهم في الأصل من هؤلاء الإنجيليين البروتستانت ، ويُسمُّون أنفسهم : الإنجيليين الجدد . ولهم نفوذٌ هائل وأتباعٌ كثيرون ونشاطٌ ضخم في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الراهن(٢) .

ورغم تعدد فرق النصارى وكثرتها فإن لهم مع ذلك أصولاً يتفقون عليها جميعاً ، ولا يختلفون . فهم متفقون على : القول بالتثليث / وألوهية المسيح / والصلب / وبنوة المسيح لله / واعتماد الأناجيل الأربعة المعروفة / والقول بضرورة التعميد(٣) .

---

(١) محاضرات في النصرانية - أبو زهرة (٢٠٤ - ٢٣١) والأسفار المقدسة لعلي وافي (١٤٠ - ١٤٦) وأضواء على المسيحية - للدكتور رؤوف شلبي (١٣٢ - ١٣٧) والأعظمي (٤٠٧ - ٤١٠) والغفران بين الإسلام والمسيحية لإبراهيم خليل أحمد (٣٥) .

(٢) الأصولية الإنجيلية - صالح بن عبد الله الهذلول (٣٨) دار المعلم - الرياض / ط. أولى / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م . ويقال إن عدد أتباع الإنجيليين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية يبلغ الآن قرابة الأربعين مليون . وأن الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان الذي حكم أمريكا ما بين (١٩٨٠ - ١٩٨٨ م) وخَلَفُهُ الرئيس السابق جورج بوش (١٩٨٨ - ١٩٩٢ م) من أبرز أتباعهم .

(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني (٢٢٧) وهداية الحيارى لابن القيم (١٦٤) والمسيحية - شلبي (١٠٢) والأعظمي (٤٠٤) .

الفصل الأول

دعوة المسيح عيسى عليه السلام
حسب الرواية النصرانية

الفصل الأول

دعوة المسيح عيسى عليه السلام حسب الرواية النصرانية

هذا الفصل مختصٌ بالحديث عن دعوة المسيح عيسى عليه السلام وأتباعه حسب رواية الأناجيل . على ما يرويه النصارى ويعتقدونه في هذا الباب .

ويتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عن دعوة المسيح عيسى عليه السلام عندهم . نتحدث فيه عن بداية الدعوة كما ترويها الأناجيل ، وموعظة الجبل التي كانت بمثابة حجر الأساس لانطلاق الدعوة وانتشارها ، ومن ثَمَّ بثِّ الدعاة والرسل ، يضاف إلى ذلك الحديث عن المعجزات كما أوردتها الأناجيل . وكان ختام تلك المرحلة إعلانه أمام اليهود أنه المسيح ، ودخوله أورشليم في حشدٍ من أتباعه .

المبحث الثاني : عن الحواريين الاثني عشر ، نورد فيه أسماءهم وسيرهم حسب ما أوردتها الأناجيل ، وانطلاقتهم في الدعوة والتبشير .

المبحث الثالث : عن شخصية يهوذا بن سِمْعَان الإسْخَرْيوطي الخائن الأكبر ، وأحد الاثني عشر ، وقصة تلك الخيانة حسب ما أوردتها الأناجيل .

المبحث الأول

دعوة المسيح

بعد أن بلغ المسيح عيسى عليه السلام الثلاثين من العمر تقريباً[١] ، انطلقت دعوته من منطقة الجليل . وكانت البداية على شاطيء بحيرة الجليل ، والتحق بالدعوة عدد من الصيادين ، ثم انتشرت الدعوة وأخبارها ، وتنقّل المسيح بنفسه في كل أنحاء منطقة الجليل داعياً ، « يُعلِّم في مجامع اليهود ، وينادي ببشارة الملكوت » وذاع صيته حتى وصلت أخباره إلى سورية ، وتبعته الجموع الكثيرة من أهالي الجليل وأورشليم وغيرها من المدن[٢] .

ورغم إقبال الناس عليه وكثرة الباحثين عنه للتداوي أو التبرك أو الالتحاق بالدعوة ، فإن أهالي مدينة « الناصرة » حيث مسقط رأسه قد رفضوه ، وحين دخل المدينة ذات مرةٍ ثار ضده أهلها وقاموا بإخراجه منها . وكانت « كفر ناحوم » إحدى مدن الخليل البديل الأمثل للناصرة دينياً وسياسياً . فقد كانت مدينةً كبرى ، وفيها يقع مقر رئاسة القوات الرومانية ، وفيها الكثير من الأتباع المخلصين ، وأبواب الدعوة فيها مفتوحة[٣] .

وهناك على سفح الجبل بالقرب من كفر ناحوم ، ألقى عيسى عليه السلام على الجموع المحتشدة من أتباعه ومشايعيه ، موعظةً شهيرةً عُرفت باسم « موعظة الجبل » . الكلمات الواردة في ثناياها أشبه ما تكون بالدستور الذي يضعه المسيح لأتباعه. قيل : إن هذه العظة استغرق إلقاؤها عدة أيام[٤] ، حدَّد فيها المسيح موقفه والموقف الذي يجب أن يقفه أتباعه من بعده أمام عددٍ من القضايا الهامة .

---

(١) إنجيل لوقا (٣ : ٢٣) .

(٢) انظر : إنجيل متى (٤ : ١٧ - ٢٥) .

(٣) انظر : إنجيل لوقا (٤ : ١٦ / ٢٨ - ٣٢) . وانظر كذلك : التفسير التطبيقي للعهد الجديد (٢٢٠) .

(٤) التفسير التطبيقي (٢٢) .

وقد استفتح المسيح عليه السلام موعظته تلك بقوله : « طوبى للمساكين ... طوبى للحزانى ... طوبى للجياع والعطاش ... طوبى لأنقياء القلب .. طوبى لصانعي السلام .. طوبى للمضطهدين .. »(١) .

ثم خاطب تلامذته قائلاً : « طوبى لكم أيها الجائعون الآن، فإنكم سوف تشبعون. طوبى لكم أيها الباكون الآن ، فإنكم سوف تضحكون »(٢) « أنتم ملح الأرض .. أنتم نور العالم ... فليضيء نوركم أمام الناس .. »(٣) .

وقد تضمنت الموعظة بياناً لحقيقة دعوة المسيح ، وتضمنت كذلك التأكيد على كثيرٍ من التشريعات . كما تضمنت جوانب خلقيةً متعددة .

يقول المسيح عليه السلام - حسب رواية متى - مخاطباً تلامذته : « لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء . ما جئت لألغي ، بل لأكمل » .

ثم تتوالى التوصيات التشريعية : « لا تقتل » ، « لا تزن » ، وأحكام « الطلاق » ، « لا تخالف قَسَمَك » . لتتبعها التوصيات الخلقية والزهدية : « من لطمك على خدك الأيمن ، فأدر له الخد الآخر ، ومن أراد محاكمتك ليأخذ ثوبك ، فاترك له رداءك أيضاً ، ومن سخَّرك أن تسير ميلاً ، فسر معه ميلين . من طلب منك شيئاً ، فأعطه . ومن جاء يقترض منك ، فلا ترده خائباً »(٤) .

« أحبُّوا أعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم ، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم »(٥) .

---

(١) إنجيل متى (٥ : ٣ - ١٠) .

(٢) إنجيل لوقا (٦ : ٢١) .

(٣) إنجيل متى (٥ : ١٣ - ١٤ / ١٦) .

(٤) إنجيل متى (٥ : ١٧ / ٢١ / ٢٧ / ٣١ - ٣٢ / ٣٣ / ٣٩ - ٤٢) .

(٥) إنجيل متى (٥ : ٤٤) .

« إذا تصدَّقت على أحد ، فلا تنفخ أمامك في البوق ، كما يفعل المراؤون في المجامع والشوارع ، ليمدحهم الناس » .

« لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ، حيث يفسدها السوس والصدأ ، وينقب عنها اللصوص ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء » .

« لا يمكنكم أن تكونوا عبيداً لله والمال معاً » « لا تهتموا لمعيشتكم بشأن ما تأكلون وما تشربون، ولا لأجسادكم بشأن ما تكتسون » « لا تدينوا لئلا تدانوا .... » « لماذا تلاحظ القشة في عين أخيك، ولكنك لا تتنبه إلى الخشبة الكبيرة في عينك ؟ »[١].

وبعد هذه العظة دعا تلاميذه الاثني عشر ، وانتدبهم للدعوة بين جموع اليهود فقط « لا تسلكوا طريقاً إلى الأمم ، ولا تدخلوا مدينةً سامرية . بل اذهبوا بالأحرى إلى الخراف الضالة ، إلى بيت إسرائيل . وفيما أنتم ذاهبون ، بشِّروا قائلين : قد اقترب ملكوت السماوات » .

ثم حذرهم مما سيصادف دعوتهم من عقبات ، مبيناً لهم ماذا يفعلون عندئذٍ ، قائلاً في وصيته لهم : « ها أنا أرسلكم مثل الخراف بين الذئاب ، فكونوا متنبهين كالحيات ومسالمين كالحمام . احذروا من الناس ! فإنهم سيسلمونكم إلى المحاكم ، ويجلدونكم في مجامعهم ، وتساقون للمثول أمام الحكام والملوك من أجلي .... وتكونون مكروهين لدى الجميع من أجل اسمي . ولكن من يثبت إلى النهاية هو الذي يَخْلُص . فإذا اضطهدوكم في مدينةٍ ما ، فاهربوا إلى غيرها »[٢] .

ثم واصل تحذيراته لهم قائلاً : « لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاماً على الأرض . ما جئت لأرسي سلاماً ، بل سيفاً . .... ومن لا يحمل صليبه ويتبعني ، فهو

---

(١) إنجيل متى (٦ : ٢ / ١٩ - ٢٠ / ٢٤ / ٢٥) (٧ : ١ / ٣) .

(٢) إنجيل متى (١٠ : ٥ - ٧ / ١٦ - ١٨ / ٢٢ - ٢٣) .

لا يستحقني . من يتمسك بحياته يخسرها، ومن يخسر حياته من أجلي فإنه يربحها »[١] .

وتسوق الأناجيل عدداً كبيراً من المرويات حول كثيرٍ من المعجزات مثل : إحياء الموتى / شفاء المرضى / وشفاء ذوي العاهات الدائمة من عاهاتهم كرد البصر إلى الأعمى / والكلام إلى الأخرس / والبركة في الطعام القليل حتى طعم منه الألوف / وزجر الريح العاصفة حتى سكنت / والمشي على الماء / وشفاء الأبرص / وشفاء المشلول[٢] .

ووصلت مرحلة الدعوة إلى نهايتها ، حين أعلن عيسى عليه السلام أمام اليهود أنه المسيح ، بعد دخوله إلى أورشليم على رأس حشدٍ من أتباعه في انتصارٍ معنوي سلمي .

سار عيسى عليه السلام على رأس الجموع ، والناس يفرشون له الطريق بالثياب وأغصان الشجر حتى دخل أورشليم (القدس) حيث اتجه إلى الهيكل . وهناك في ساحة الهيكل وجد الباعة يعرضون بضائعهم أمام المشترين ، والصيارفة يتربعون في أركان ذلك الموقع ، فما كان منه إلا أن طرد الباعة والمشترين من تلك الساحة ، وقلب موائد الصيارفة ومقاعد باعة الحمام ، وقال لهم : « مكتوب : إن بيتي بيتاً للصلاة يُدعى . أما أنتم فجعلتموه مغارة لصوص » . ودخل الهيكل وبدأ في تعليم الناس ودعوتهم ، وهنا اعترض طريقه رؤساء الكهنة والأحبار ، وكأنهم تخوفوا أن يسلبهم سلطاتهم الدينية . ومن تلك اللحظة اشتد الصدام وازداد عنفاً[٣] .

---

(١) إنجيل متى (١٠ : ٣٤ / ٣٨ - ٣٩) .

(٢) انظر على سبيل المثال : إنجيل متى (٨ : ١ - ٣٣) و(٩ : ١ - ٨ / ١٨ - ٣٤) و(١٥ : ٢٩ - ٣٨) . وإنجيل مرقس (٤ : ٣٥ - ٤١) و(٥ : ١ - ٤٣) و(٦ : ٤٥ - ٥٦) .

(٣) انظر : (إنجيل متى / ٢١ : ١ - ٢٧) (مرقس / ١١ : ١ - ١٨) (لوقا / ١٩ : ٢٨ - ٤٨) (يوحنا / ١٢ : ١٢ - ١٦) .

وفي إحدى المرات كان عيسى يتمشّى في الهيكل فتجمّع حوله اليهود يسألونه إن كان هو المسيح أم لا ؟ وقالوا له: حتى متى تُبقينا حائرين بشأنك ؟ إن كنت أنت المسيح حقاً ، فقل لنا صراحة » فأجابهم : « قلت لكم ، ولكنكم لا تصدقون . والأعمال التي أعملها ... تشهد لي . ولكنكم لا تصدقون لأنكم لستم خرافي . فخرافي تصغي لصوتي ، وأنا أعرفها وهي تتبعني »[١] .

وانتهت مرحلة الدعوة السلمية، وبدأت مرحلة الصدام . والحديث فيها ليس هنا. ولكننا سنتبع الحديث عن الدعوة بالحديث عن من يزعم النصارى أنهم رجال الدعوة ، وهم المسمَّون بالحواريين ، أو الرسل الإثني عشر كما يسميهم النصارى بذلك .

---

(١) إنجيل يوحنا (١٠ : ٢٢ - ٢٨) .

المبحث الثاني

الحواريون

يسميهم النصارى : التلاميذ الاثني عشر ، أو الرسل ، ويطلقون على كل واحدٍ منهم لقب « قديس » .

ويسرد النصارى أسماء هؤلاء الاثني عشر على اختلافٍ بين الأناجيل في تسمية بعضهم . والثاني عشر هو : يهوذا الخائن . وحين خان المسيح عليه السلام ووشى به ، أسقطوه من العدد وجعلوا مكانه واحداً آخر .

وتذكر الأناجيل عن هؤلاء الصفوة المقدَّمين الاثني عشر الذين تسميهم ، أنهم سرعان ما تخلَوْا عن المسيح عليه السلام بعد أن أخذه اليهود . وأن بعضهم أنكره وأنكر أن يكون من أتباعه فضلاً عن أن يكون أحد أقرب المقربين منه ، مما سنفصله في سيرهم .

وهذا هو الذي حدا بالإمام أبي محمد بن حزم ، أن يجزم بأن هؤلاء الاثني عشر الذين يسميهم النصارى في أناجيلهم ، ليسوا بالحواريين الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز وأثنى عليهم .

يقول : « لِيَعْلَمْ كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى ، ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام كباطرة (بطرس كبير الحواريين عند النصارى) ومتَّى الشرطي (متى صاحب الإنجيل جابي الضرائب للرومان) ويوحنا (صاحب الإنجيل) ... لم يكونوا قط مؤمنين ، فكيف حواريين ؟ بل كانوا كذابين كفاراً مستخفِّين بالله . إما مقرين بألوهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك غالين فيه ..... وإما مدسوسين من قبل اليهود - كما تزعم اليهود - لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام وإضلالهم ، .... وأما الحواريون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقاً ندين الله تعالى بمحبتهم ولا ندري أسماءهم ، لأن الله تعالى لم يُسمِّهم لنا . إلا أننا

نَبُتٌّ ونوقن ونقطع أن باطرة الكذاب (يقصد بطرس) ومتى الشرطي ويوحنا المستخف ... ما كانوا قط من الحواريين . لكنْ من الطائفة التي قال الله تعالى فيها (وكفرت طائفة) »[1] يشير إلى قول الله تعالى ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾[2] .

والحواريون المعظمون في اعتقاد أهل الإسلام هم أولئك الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ونصروه وما خذلوه وأوذوا معه في سبيل الله ، ولم يُبدِّلوا بعده ، وكانوا معتقدين لظهور نبي الإسلام محمد ﷺ بعده كما بشرهم بذلك نبي الله عيسى عليه السلام . وتعظيم هؤلاء - بلا تسمية أحدٍ منهم - لا نزاع فيه بين المسلمين[3] .

والذي يشهد لقول ابن حزم ويؤيده مما تضمنته أناجيلهم ، ما ذكروه من أن المسيح عليه السلام ، سأل الله أن لا يجعل للشيطان سبيلاً على أولئك التلاميذ . ثم جاء في نفس الإصحاح بعد قليل ، أن عيسى قال : إن بطرس سينكره ويجحده . هذا وبطرس في نظرهم كبير الحواريين[4] .

ومما يشهد له من أناجيلهم ما ذكره يوحنا في إنجيله أن المسيح سأل الله لهؤلاء التلاميذ أن يحفظهم من الأشرار[5] . ومع ذلك فقد تعرض أكثر أولئك بعد المسيح عليه السلام حسب ما يرويه النصارى في سيرهم للقتل والتشريد والنفي والتعذيب[6] .

فدل ذلك على أن أولئك ليسوا هم الحواريين المقصودين .

---

(١) الفصل (٢ : ٨٩ - ٩١) .

(٢) سورة الصف - جزء من الآية التي ختمت بها السورة - آية رقم (١٤) .

(٣) انظر : الأجوبة الفاخرة للقرافي (٢٠) .

(٤) إنجيل لوقا (٢٢ : ٣١ - ٣٤) .

(٥) إنجيل يوحنا (١٧ : ١٥) .

(٦) اهتم ببيان ذلك والحديث عنه أحد قساوسة النصارى المهتدين إلى الإسلام في القرن التاسع الهجري : أبو محمد عبد الله الترجمان الميورقي (ت ٨٣٢ هـ) وسطَّر ذلك في كتابه : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (٢٢٣ - ٢٢٩) .

ومع أن المسيح عليه السلام طلب من هؤلاء التلاميذ أو الرسل الاثني عشر التوجه بالدعوة إلى اليهود فقط ، فإن أولئك التلاميذ حين ذاقوا طعم الفشل وحصلت لهم النكبات على أيدي اليهود والسلطات الرومانية الغاشمة ، قرروا التوجه بدعوتهم تلك إلى بقاع الدنيا الأخرى .

انطلق أولئك الرسل بعد أن سقط من عدتهم الخائن إلى أنحاء الأرض فراراً من الاضطهاد، وبحثاً عن أماكن جديدة يمكن من خلالها الانتشار ، إذ أن أعداد الأتباع لم يكن عدداً كبيراً ، حين كانت دعوة أولئك الاثني عشر محصورةً بفلسطين . وحين وقع الصدام فرت تلك الجموع المراقبة السائرة خلف بريق المعجزات دون أن يخالط الاقتناع الحقيقي شغاف قلوب أربابها . ولولا ذلك الشتات القسري والانتشار الإجباري وما لحق بالأتباع من اضطهادٍ استلزم فرارهم وتفرقهم في البلدان ، لاندثرت ملة هؤلاء الاثني عشر ودعوتهم سريعاً في ربوع فلسطين في وقت قصير .

غير أن مما يجب التذكير به أن الدعوة التي انطلقت على يد التلاميذ والأتباع بعدئذٍ في أنحاء البلدان ، وبعد أن تركت رسالة المسيح الحقيقية وراءها ظهرياً ، وخالطها ما خالطها من تحريفٍ وتغييرٍ بعدما حصل من تدخلاتٍ أجنبية عبر ضغوطٍ وممارساتٍ خادعة ، كانت تستقبل المزيد من التلاعب والتحريف ، في نفس الوقت الذي تستقبل فيه المزيد من الأتباع في المهَاجِر (نموذج بولس كمثال ، والتدخلات الرومانية من جانب آخر) .

وتفرَّق التلاميذ في أنحاء الأرض : بطرس في روما ، ومتى في الحبشة ، وتوما في جزر الهند الشرقية كما قيل ، وأندراوس في آسيه الصغرى (تركيا حالياً)[1] .

وسنتناول بالذكر هؤلاء التلاميذ الاثني عشر ومحاولاتهم في نشر فكرتهم وملتهم ، ومصير أولئك الرسل - كما يُسمُّونهم - في أماكن اغترابهم ، كلاًّ على حدة ، لمزيدٍ من البيان والوضوح . فإلى ذلك .

---

(١) انظر : الكنيسة المسيحية (١٣٥) ومحاضرات في النصرانية (٥١ - ٥٢) ، والمسيح للعقاد (١٦٤) .

التلاميذ الاثني عشر :

سنتناول سيرهم حسب ما تورده المصادر النصرانية ، مخصصين هذا الموضع لعرض وجهة نظر النصارى حول : مَنْ هم التلاميذ أو الحواريون الاثني عشر ؟ وماذا عملوا بعد المسيح عليه السلام ؟ وليس ذلك أخذاً بما يقولونه في هذا الباب أو تصديقاً وإقراراً بما يزعمونه في هذا الخصوص . وإنما لعرض تطور أفكار هذه الديانة وانتشار ضلالاتها في جهات الدنيا الأربع . حتى أصبح الوضع على ما هو عليه الآن كما نراه حاضراً أمام أعيننا . وليتبين لنا أثر ذلك بوضوح في الواقع الراهن .

والتلاميذ الاثني عشر بزعمهم هم على ما يأتي :

الأول بطرس : اسمه الأصلي سِمْعَان ابن يونا . وسماه عيسى كما يزعمون : بُطْرُس[1] أي صخرة ، أو صخر . ولد في إحدى بلدات الجليل قبل المسيح عليه السلام بسنوات ، وامتهن صيد السمك في بحر الجليل (بحيرة طبرية) . يعدُّونه من أوائل أتباع المسيح . يقولون : إن المسيح لقيه بعد انطلاقة الدعوة على شاطيء البحيرة فدعاه هو وأخوه أندراوس فتبعاه على الفور . وتقدم بين أتباع المسيح حتى أصبح أحد الثلاثة المقربين جداً للمسيح . يذكره أصحاب الأناجيل كأول التلاميذ ، ويلقبونه : الرسول ، وينعتونه بالقديس ، ويذكرون له رسالتين ضمن رسائل العهد الجديد . تنبأ المسيح – كما يروون – بأن بطرس سيجحده وينكره إذا سُئِلَ عنه بعد وقوع الصدام بين السلطات الرومانية واليهود من جانب ، والمسيح وأتباعه من جانبٍ آخر ، وحصل ذلك بالفعل – على ما رَوَوْا – ، فقد جحد معرفته بالمسيح واتِّباعه إياه خوفاً من العقوبة ثم عاد فتاب عن ذلك بعدئذٍ كما يقولون .

---

(١) يسميه ابن حزم : باطرة (الفصل / ٢ : ١٢١) والترجمان في تحفة الأريب : بتروا (٢٢٣) ومنه الاسم الحديث بين النصارى : بيتر .

دعا بعد مرور خمسين يوماً على رفع المسيح أتباع المسيح إلى أول عظةٍ كنسيةٍ ألقاها بنفسه . وسُمِّيَ ذلك اليوم (يوم الخمسين) ، واعتُبر عمله هذا إنشاءً للكنيسة ويوم مولدها في أورشليم .

وحينما اشتد الاضطهاد غادر أورشليم وجال في البلدان فدخل أنطاكية وبعض مقاطعات آسيا الصغرى . وقبِل في سلك الدعوة غير اليهود . وختم حياته في روما ، حيث قتل وصلب على عهد نيرون الطاغية في الاضطهاد العام الأول . وكان ذلك حوالي سنة ٦٧ م .

ويزعم الكاثوليك أنه هو الذي أسس كنيسة روما . ولذلك يسمون كنيستهم البابوية هناك « الكنيسة البطرسية » ، ويزعمون أنه كبير الحواريين الذي « لا يزل في الإيمان » بل يسعى إلى « تثبيت إخوته » فيه. وأنه « الأساس . وكل من لا يستند عليه ، ليس من الكنيسة » . ثم يزعمون أن بابوات روما خلفاء بطرس وحاملو الأمانة من بعده ، وإليهم تنتقل مميزاته (غفران الخطايا / ومفاتيح مملكة السماوات – حسب تعبيرهم) ومن ثَمَّ فالبابا في روما في نظر الكاثوليك هو الزعيم الأوحد الأعلى للنصارى في كل العالم تبعاً لذلك .

وينكر ذلك عليهم من عداهم من الطوائف النصرانية الأخرى ، ويقررون أن بطرس لم يؤسس كنيسة روما . بل سبقه إلى تأسيسها بولس الرسول(١) .

<u>الثاني أندراوس</u> : أخو بطرس . ويسمونه كذلك أندراوس الرسول . صياد سمكٍ كأخيه . يعدونه من أوائل أتباع المسيح . وغادر فلسطين إلى بلاد العجم (فارس) ثم آسيا الصغرى (تركيا) ثم القسطنطينية ثم إلى اليونان حيث اعتقل وعذب وصلب حتى مات .

---

(١) عن بطرس . انظر : (إنجيل متى / ٤ : ١٨ – ٢٠) (لوقا / ٢٢ : ٣١ – ٣٤) (يوحنا/ ١٣ : ٣٦ – ٣٨) (أعمال الرسل / ٢ : ١٤ – ٣٦) والتفسير التطبيقي للعهد الجديد (١٠٧ / ١٣٤ – ١٣٥) وتاريخ الأمة القبطية (٥٦ – ٥٧) والكنيسة المسيحية في عصر الرسل للأنبا يؤانس (٥٠ / ٥٢ / ١٣١ – ١٣٢ / ١٣٥ – ١٣٧ / ٣٠٨ – ٣١١) .

وكان قبل التحاقه بدعوة المسيح عليه السلام من أتباع يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان)[١] .

الثالث يعقوب : يعقوب بن زَبَدِي . وقد يُسمُّونه : جيمس (وهو تصحيف يوناني لكلمة يعقوب)[٢] من أهالي الجليل . وقد أطلق عيسى - كما يقولون - على يعقوب وعلى أخيه يوحنا لقب « ابني الرعد » . كان صياد سمك . لقيه المسيح - كما يروون - عندما انطلق في دعوته في بحيرة الجليل فدعاه هو وأخوه يوحنا فلحقا به . وكان أحد الثلاثة المقربين من المسيح عليه السلام - على ما زعموا - . وأول من قُتِلَ من التلاميذ الاثني عشر .

وبعد المسيح انطلق إلى اليهودية والسامرة . وقيل إنه غادر المشرق إلى أسبانيا ، وبنى فيها كنيسةً ومارس التنصير هناك . ثم عاد إلى فلسطين حيث حرَّض اليهودُ الواليَ الروماني على القبض عليه وقتله . وكان ذلك في سنة ٤٣ أو ٤٤ م . ويلقبونه يعقوب الكبير تمييزاً له عن أحد التلاميذ : يعقوب بن حلفي (يعقوب الصغير) . ويذكرون أنه عاش طوال حياته متبتلاً لم يتزوج . وأن جسده نقل بعد قتله إلى إحدى المدن الأسبانية كما يزعمون[٣] .

الرابع يوحنا : هو يوحنا بن زبدي . الذي ينسبون إليه الإنجيل المعروف باسمه . (إنجيل يوحنا) شقيق يعقوب السابق ذكره .

يلقب بيوحنا الحبيب . زعموا أنه كان أحب الحواريين إلى المسيح ، وأوصاه المسيح بأمه مريم قبل رفعه لصلة قرابةٍ تجمع أم يوحنا بمريم ، وأطلق عليه (أي المسيح) لقب « ابن الرعد » لقوته في الإنذار والنكير .

---

(١) عن أندراوس . انظر : التفسير التطبيقي (١٣٤ - ١٣٥) وتاريخ الأمة القبطية (٥٩) والكنيسة المسيحية (٣١٢) .

(٢) المسيح للعقاد (١٦٢) .

(٣) إنجيل متى (٤ : ٢١ - ٢٢) (مرقس / ٣ : ١٧) والتفسير التطبيقي (١٣٤ - ١٣٥ / ٢٤٧) وتاريخ الأمة القبطية (٦٠) والكنيسة المسيحية (٣١٢ - ٣١٣) .

كان يمتهن صيد السمك قبل أن يلتقي هو وأخوه يعقوب بالمسيح في بحيرة الجليل في أول انطلاقة دعوته . حيث تبعاه و لم يفارقاه بعد ذلك . وهو ثالث الثلاثة المقربين إلى المسيح جداً (هو وأخوه يعقوب وبطرس على ما زعموا) .

ينسبون إليه رابع الأناجيل المعتمدة عندهم . وله بعد ذلك ضمن إصحاحات العهد الجديد ثلاث رسائل وسفر الرؤيا . ويزعمون أنه كان من تلاميذ يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) قبل أن يلتحق بالمسيح .

وبعد عهد المسيح باشر التنصير في أورشليم وما حولها ، ثم رحل إلى آسيا الصغرى وأقام بمدينة أفسس ، ومارس فيها التنصير منطلقاً منها إلى عددٍ من مدن آسيا الصغرى ، فثارت ثائرة الرومان عليه فأرسل مقيداً إلى روما ، ثم نفي إلى جزيرة بطمس (بالموسا) إحدى جزر بحر إيجه . ثم سمح له بعد عام ٩٥ م بالعودة إلى أفسس . وبها توفي ما بين ٩٨ = ١٠٠ م تقريباً[(١)] .

الخامس متَّى الرسول : أو البشير . أو متَّى العشَّار . كان يعمل جابياً للضرائب في السلطة الرومانية في الجليل بفلسطين . وهو الذي ينسبون إليه الإنجيل المعروف باسمه . ذكره مرقص في إنجيله وسماه « لاوي بن حلفي » . وهو من أهالي الجليل . وبعد صعود المسيح عليه السلام مارس التنصير في فلسطين . وقيل إنه ذهب إلى بلاد فارس وبلاد العرب . وأنه ذهب بعد ذلك إلى النوبة والحبشة . وأقام بالحبشة على ما قيل ثلاثةً وعشرين عاماً حتى قتل بها سنة ٦٢ أو ٧٠ م[(٢)] .

السادس فِيلِبُّس : صياد من أهالي الجليل . وبعد عهد المسيح عليه السلام مارس التنصير في بلاد فارس . ثم انتقل إلى آسيا الصغرى . وبها قتل مصلوباً سنة ٨٧ م[(٣)] .

---

(١) التفسير التطبيقي (١٣٤ - ١٣٥ / ٣٦١) وتاريخ الأمة القبطية (٥٣ - ٥٤) والكنيسة المسيحية (٣١٤ - ٣١٧) والأسفار المقدسة لعلي وافي (٧٨ - ٧٩) والمسيح للعقاد (١٦٢) .

(٢) إنجيل مرقص (٢ : ١٤) والتفسير التطبيقي (٤١ / ١٣٤ - ١٣٥) وتاريخ الأمة القبطية (٤٥ / ٥٢ - ٥٣) والكنيسة المسيحية (٣٢٤) .

(٣) تاريخ الأمة القبطية (٥٨) والكنيسة المسيحية (٣٢١ - ٣٢٢) .

السابع بَرْثُلْمَاوس : من أهالي الجليل . وبعد عهد المسيح عليه السلام مارس التنصير في أرمينيا وبعض جهات آسيا الصغرى والهند واليمن على ما قالوا . وقضى آخر حياته في أرمينيا حيث قتل بها بوشاية بعض اليهود المقيمين بها وكيدهم له . وله مكانة عند نصارى الأرمن(١) .

الثامن توما : من أهالي الجليل . يُدعى « توما المتشكك » لأنه شك في قيامة المسيح من القبر على اعتقادهم . وبعد عهد المسيح جال في العراق وبلاد العرب والحبشة وفارس والصين ثم استقر أخيراً بالهند . وأسس كنيسة الهند . وثار عليه الوثنيون فقتلوه . ودفن هناك .

وفي القرن السادس عشر الميلادي غزا البرتغاليون سواحل الهند فأقاموا عند قبره مدينةً سموها باسمه « سان توما » . ومعنى اسمه « توما » : التوأم .

ولا يزال نصارى الهند يعدُّون أنفسهم من أتباع كنيسته . وهم تابعون للكرسي الأنطاكي للسريان الأرثوذكس(٢) .

التاسع يعقوب بن حَلْفَي : ويطلق عليه: يعقوب الصغير. تمييزاً له عن يعقوب بن زبدي الكبير أخو يوحنا المنسوب إليه الإنجيل . ويعقوب بن حلفي هذا أخو متى المنسوب إليه الإنجيل ، يُعرف بيعقوب البار كذلك . ويزعمون أنه ابن خالة المسيح . بل زعم بعضهم أنه ابنٌ ليوسف النجار من مريم ، ولذلك عُرِف بلقب « أخ الرب » وهو قول البروتستانت .

وقال الأرثوذكس اليونان والسريان : إنه ابنٌ ليوسف من غير مريم .

وقال الأقباط الأرثوذكس ، والكاثوليك : إنه ابن خالة المسيح . وأخذ بذلك بعض البروتستانت . فهو قول جمهورهم إذاً .

---

(١) تاريخ الأمة القبطية (٤٥ / ٥٨) والكنيسة المسيحية (٣٢٢ - ٣٢٣) .

(٢) التفسير التطبيقي (١٣٤ - ١٣٥ / ٣٨٧) وتاريخ الأمة القبطية (٤٥ / ٥٩ - ٦٠) والكنيسة المسيحية (٣٢٣) .

ويذكرون أنه أول أسقف لأورشليم واستمر في رئاسة كنيسة القدس حتى وفاته.

ورأَس أول مجمعٍ كنسي بعد رفع المسيح في أورشليم سنة ٥٠ م . وكـان لـه شأنٌ في إصدار عدة قرارات كان لها أعظم الأثر في النصرانية لاحقاً .

ومن تلك القرارات التي تبناها يعقوب وأقرها المجمع : قبـول دخـول غـير اليـهود والتوجه بالدعوة للأمم للدخول في الدين الجديد / إلغـاء الختـان / تحليـل أكـل لحـم الخنزير (بقصر ما يحرم أكله على الدم والمنخنقة والمذبوح للأوثان) / .

وقد مارس التنصير على ما يقولـون في غـزة وصـور وبـلاد العـرب . لكنـه كـان مستقراً في القدس طـوال حياتـه . مشـهوراً بشـدة النسـك بينـهم . وقـد قتلـه اليـهود بالقدس سنة ٦٢ م . وقيل ٦٣ / ٦٩ م .

وله رسالة باسمه ضمن رسائل العهد الجديد . وله كذلك : صلاة القداس (أدعية وتراتيل) باسمه أيضاً تأخذ بها الكنائس الشرقية[١] .

العاشر سِمْعَان الغيور القَانَوي : سمّاه متى ومرقص « سمعان القـانوي » . وذكـره لوقا فسماه « سمعان الغيور » . والقانوي نسبة إلى قانا إحـدى بليـدات الجليـل . وهـو غير سمعان أحد إخوة الرب كما يقولون وأخو يعقوب البار وخليفته في رئاسة كنيسة أورشليم . فقد ترك سمعان القانوي هذا فلسطين بعد المسـيح إلى مصـر وإفريقيـا . ثـم رحل إلى بريطانيا – كما يقولون – ثم عاد إلى سوريا والعراق وفارس حيث قتل بـها أثناء معركةٍ بين العجم والهنود ، على يد بعض كهنة الوثنيين لقيامه بالتنصير والدعـوة إلى دينه بين صفوف مقاتلي العجم[٢] .

---

(١) تـاريخ الأمـة القبطيـة (٤٥ / ٥٦) والكنيسـة المسـيحية (٣١٧ – ٣٢١) والأسـفار المقدسـة – علـي وافي (٨٠ – ٨١) .

(٢) إنجيـل متـى (١٠ : ٤) مرقـس (٣ : ١٨) لوقـا (٦ : ١٥) وتـاريخ الأمـة القبطيـة (٥٨ – ٥٩) والكنيسة المسيحية (٣٢٥) .

الحادي عشر تَـدَّاوُس : وسماه لوقا « يهوذا أخا يعقوب » . زعموا أنه أخو يعقوب الصغير المعروف بالبار . وأن تداوس لقبٌ له . ويدعى كذلك « لبّاوس » . وجعله بعضهم : يهوذا ابن يعقوب ، على غير ما قرره لوقا .

وكان مقامه ودعوته لمذهبه في فلسطين والأردن وسوريا والعراق وبلاد العرب . ثم ذهب إلى بلاد فارس ، وبها قتل . وله رسالة باسمه « رسالة يهوذا » بين رسائل العهد الجديد[1] .

الثاني عشر يهوذا الإسخريوطي وبديله القديس مَتِّياس : يهوذا الإسخريوطي هو الحواري الثاني عشر في اعتقاد النصارى . ذكره أصحاب الأناجيل[2] . وهو الذي خان عيسى عليه السلام ووشى به وسلّمه لخصومه . وسنفرد المبحث الثالث الأخير من هذا الفصل للحديث عنه وعن خيانته .

أما حديثنا هنا فسيكون عن الثاني عشر البديل ، الذي جعله النصارى مكان يهوذا الإسخريوطي . ذلك أن يهوذا الإسخريوطي كان الثاني عشر ، فلما فعل ما فعل ، وصعد المسيح . اجتمع الحواريون الأحد عشر وخطبهم بطرس كبير الحواريين وذكر خيانة يهوذا الإسخريوطي ، ثم أعلن إسقاطه ودعاهم إلى انتخاب بديلٍ له ، فرشح الحاضرون رجلين أحدهما : مَتِّيَاس ، « ثم ألقوا القرعة ، فوقعت على متياس ، فضموه إلى الرسل الأحد عشر » على حد عبارة لوقا في السفر الأول من أعمال الرسل . ومتياس من أهالي بيت لحم . ومارس التنصير في فلسطين وآسيا الصغرى . وقتل على يد اليهود بعد ذلك[3] .

---

(١) إنجيل لوقا (٦ : ١٦) وتاريخ الأمة القبطية (٤٥ / ٥٧) والكنيسة المسيحية (٣٢٤ - ٣٢٥) والأسفار المقدسة لعلي وافي (٨١) .

(٢) انظر : (متى / ١٠ : ٤) (مرقس / ٣ : ١٩) (لوقا / ٦ : ١٦) . وقد أسقط لوقا فيما بعد : يهوذا الإسخريوطي من عدة الاثني عشر ، وذكر اسم البديل في السفر الأول من أعمال الرسل له . انظر (أعمال الرسل / ١ : ١٣ - ٢٦) .

(٣) تاريخ الأمة القبطية (٤٥ / ٥٧ - ٥٨) والكنيسة المسيحية (٣٢٥ - ٣٢٦) .

هؤلاء هم الحواريون الاثني عشر في اعتقاد النصارى . وهذه سيرتهم في نشر الدعوة إلى الدين الذي اعتنقوه على ما يرويه النصارى . غير أن الذي نؤكد عليه في ختام هذا المبحث ، هو ما سقناه في أول هذا المبحث من كلام الإمام ابن حزم ، من أن هؤلاء الذين يُسمُّونهم بالحواريين ، غير أولئك الذين مدحهم القرآن الكريم وأثنى عليهم .

أما هؤلاء الذين يذكرهم النصارى فهم كما رأينا ، كلٌّ له دوره في تحريف الدعوة الحق التي بُعث بها المسيح عليه السلام . بل هم في الحقيقة دعاةٌ إلى دينٍ خاصٍ بهم ، وبدعةٍ وضلالةٍ ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان ، نسبوها ظلماً وزوراً إلى نبي الله عيسى عليه السلام الذي ما بعثه الله إلا بالدين الحق دين الله الإسلام ، والدعوة إلى إفراد الله بالعبادة كما هي دعوة سابقيه من إخوانه من الأنبياء عليهم السلام .

والذي يُلاحَظُ هنا أن اثنين من هؤلاء الحواريين – حسب زعم النصارى – كان لهما أثرٌ عظيمٌ في المزيد من الانحراف داخل النصرانية يقارب دور بولس .

أولهما : كاتب إنجيل يوحنا . يوحنا بن زبدي المنسوب إليه الإنجيل – حسب زعمهم – . ذلك أن هذا الرجل خدم بإنجيله المعتمد عند النصارى ، فكرة ألوهية المسيح – حاشاه من ذلك – وقدَّمها في إطارٍ فلسفي . وكان جُلُّ اهتمامه في إنجيله ذلك من فاتحته ، الدعوة إلى تأليه المسيح .

فهل يُعقل أن يكون كاتب أحد الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم ، وأحد كبار الحواريين – على حد زعمهم – وأحد الأتباع المتقدمين المقدمين . وثالث ثلاثةٍ في اعتقادهم ، هو المتأثر المتابع لأحد الملتحقين الجدد بالديانة (بولس) في هذه الفكرة .

أم أن الحقيقة التي يجب أن تقرر هنا ، هي أن يوحنا كان متشبعاً بالفكرة . لكنه لم يجد الجرأة ولا الفرصة ولا الوقت والمكان المناسبَيْن ليستعلن بفكرته تلك .

وجاء بولس بعده فكان أكثر جرأةً منه ، وسبقه إلى إعلان الفكرة (تأليه المسيح) والمناداة بها . فكتب يوحنا عندئذٍ إنجيله ، وأبرز مكنونات نفسه ، بعد أن خمدت ثورة المعارضين وكُسرت شوكتهم .

هذا هو الأقرب إلى التصور الصحيح من الزعم بأن يوحنا هو المتأثر ببولس .

ويشهد لِمَا قررناه هنا ، كلام بولس نفسه ، الذي اعترف أنه حين توجَّه بدعوته إلى باقي الأمم من غير اليهود ، وأسقط شرط الختان عن الداخلين الجدد ، أثار ذلك ضده موجة اعتراضات مِنْ قِبَل بعض النصارى ، وحينئذٍ توجَّه إلى القدس وتقدَّم إلى « أعمدة الكنيسة » فيها كما نعتهم .

وهم بطرس كبير التلاميذ ، ويعقوب الصغير البار ، ويوحنا صاحب الإنجيل .

فأقروه على فعله وجعلوه رسول المسيح - زعموا - إلى الأمم الأخرى من غير أهل الختان[1] .

وثانيهما : يعقوب بن حَلْفَى . أو يعقوب الصغير البار . أول أسقفٍ لكنيسة أورشليم . وقد قضى في منصبه الديني هذا وقتاً طويلاً مكَّنه مع ما يشفع له من قرابته بالمسيح ، وكونه أحد أقرب المقربين إليه (على ما زعموا) ، من إدخال تعديلاتٍ جوهرية ذات أثرٍ عظيم في زيادة انحراف النصرانية لاحقاً .

فلقد رَأَسَ هذا الرجل أول مجمعٍ كنسي في أورشليم سنة ٥٠ م . وأصدر قراراتٍ كان لها عظيم الأثر في ذلك التغيير والانحراف . وكان هو أول الداعين إلى تلك التغييرات والمنادين بإقرار تلك القرارات . وأهم تلك القرارات : إلغاء الختان ، وتحليل لحم الخنزير ، وعالمية الدعوة . وكان لتلك القرارات آثارها .

صحيحٌ أن بولس سبقه إلى المناداة بهذه الأفكار . لكنَّ يعقوب هذا هو الذي أكسب تلك القرارات صبغتها الدينية الرسمية باعتمادها وتقريرها في أول مجمعٍ

---

(١) للاستيضاح حول هذا . طالع كلام بولس في : الرسالة إلى مؤمني غلاطية (٢ : ١ - ١٠) .

كنسي . وكانت قبل ذلك مجرد آراء انفرد بها بولس وافقه عليها أناس ، وعارضه بسببها كثيرون . وحين اشتد الخلاف رفع أفكاره الجريئة تلك إلى القيادة الروحية العليا في أورشليم ممثلةً ببطرس كبير الحواريين ، ويوحنا المنسوب إليه الإنجيل ، ويعقوب بن حَلْفَى هذا - أخي الرب كما يقولون - ، وهناك حصل على الموافقة ، فانطلقت تلك الأفكار من عقالها ، وطفق بولس بما عرف عنه من حماسٍ وقوة إقناعٍ وكثرة أسفارٍ يُردد على مسامع الجميع أن أفكاره لقيت القبول عند الثلاثة الكبار ، صفوة حواريي المسيح وسادة تلامذته - على زعمهم - .

وكان لذلك فعل السحر في قلوب الجماهير المتذبذبة بين رأي بولس ورأي مخالفيه .

ولو أن تلك الهيئة الثلاثية العليا رفضت أفكار بولس لماتت في مهدها . ولانقرض ذكر الرجل حتى كأنْ لم يكن . لكنَّ تلك الموافقة كانت سبباً في سرعة نشر تلك الأفكار وتقريرها بين جموع النصارى في أنحاء الأرض .

وانطلق بعدها بولس يشق عنان السماء ويُسابق الزمن ، ليصبح الرجل الأول في هذه الملة الضالة الجديدة ، والديانة المبتدعة العتيدة .

وصدق والله أبو محمد - ابن حزم - ، فوالله ما هؤلاء بحواريي المسيح ، بل هم حواريو بولس الذين منحوا أفكار هذا الرجل المخرِّب صيغتها القانونية ، وسمحوا له أن يقيم الديانة البولسية على أنقاض دين المسيح الحق .

ولا والله ، لا يتعبدنا الله بمحبة من يُقرُّ الشرك ويرتضيه ويجعله ديناً . فإن صدق النصارى في حق بعضهم أنهم كانوا من أتباع المسيح وتلامذته ، فإنهم ولا ريب من تلك الطائفة التي كفرت بالمسيح بعد فراقه على حد قول الله تعالى : ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ ﴾[1] .

---

(١) سورة الصف - جزء من الآية رقم (١٤) .

والعجيب أن أناجيلهم تذكر أن المسيح عليه السلام تنبأ بذلك . وأشار إلى أن يهوذا الإسخريوطي سيسلمه . وأن بطرس سينكره ويجحده . بل ذكر أن الإثني عشر المذكورين كلهم سيشكُّون في أمره(١) . وسمَّى بطرس شيطاناً(٢) .

ثم إذا هم بعد خمسين يوماً من فراقهم للمسيح يُقدِّمون بطرس الجاحد ، ويجعلونه كبير الحواريين .

هذا والله دليلٌ على أن الحواريين الخلَّص غير هؤلاء الجاحدين المتشككين أولاً ، المشركين المخالفين لأوامر المسيح والخارجين على عقيدته لاحقاً .

---

(١) انظر : إنجيل متى (٢٦ : ٢٠ - ٢٥ / ٣١ - ٣٥) .

(٢) إنجيل متى (١٦ : ٢٣) .

المبحث الثالث

يهوذا الإسخريوطي

١ - شخصية يهوذا : هو يهوذا بن سِمْعان الإسخَرْيُوطي . اختاره عيسى عليه السلام - كما يقولون - واحداً من الإثني عشر تلميذاً . وهو الوحيد من بين الإثني عشر الذي لم يكن من أهالي الجليل . وكان « أمين الصندوق » لمصاريف جماعة المسيح عليه السلام ، حسب عبارة يوحنا . وكان يختلس مما يُودع فيه . أي أنه « كان لصاً » كما صرح بذلك يوحنا أيضاً . وقد وصفه المسيح في بعض المواضع قبل وقوع خيانته بأنه « شيطان » . ووصفه كذلك بأنه « ابن الهلاك »[1] .

ومن الأساطير الحاضرة المتعلقة بهذه الشخصية ما نراه في البلاد الغربية اليوم من التشاؤم بالرقم ١٣ ، حيث يُرجعون مثل ذلك التشاؤم إلى أمرين :

الأول : أنه في اليوم الثالث عشر من شهر نيسان كما يقولون تمت خيانة يهوذا للمسيح .

الثاني : أن عدد المجتمعين ليلة القبض على المسيح كانوا ثلاثة عشر : المسيح عليه السلام وتلاميذه الاثني عشر . والثالث عشر منهم هو يهوذا الإسخريوطي[2] .

ويُسمُّون النعجة الضالة المفارقة للقطيع في بعض البلدان : نعجة يهوذا[3] .

---

(١) عن يهوذا . انظر : إنجيل يوحنا (٦ : ٧٠ - ٧١) (١٢ : ٦) (١٣ : ٢٦ / ٢٩) (١٧ : ١٢) والتفسير التطبيقي (١٨١) وكتاب : واحد من الإثني عشر - للقس : أمير جيّد (١١ / ١٥) ط. ثانية / دار الثقافة المسيحية - القاهرة / ١٩٧٩ م .

(٢) شكك ديدات في كتابه (مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء) في هذا الرقم . وقال : إن عدد الحاضرين كان أربعة عشر رجلاً ، عيسى وتلاميذه الاثني عشر والمضيف (ديدات / ٢٤) ترجمة : علي الجوهري / دار الفضيلة - القاهرة / طبعة وتاريخ : بدون .

(٣) واحد من الإثني عشر - القس أمير جيّد (٩) .

٢ - قصة الخيانة حسب الأناجيل : يبدأ حديث الأناجيل عن قصة الخيانة بالإشارة إلى السبب الرئيس الخفي وراء ما حدث . فتآمرُ رؤساء الكهنة اليهود للقبض على عيسى هو السبب غير الظاهر لتلك الخيانة[١] ، وجاء يهوذا الاسخريوطي أحد التلاميذ الاثني عشر فكان السبب المباشر واليد الظاهرة في تلك المحاولة .

أما كيف انتقل يهوذا من هذا الصف إلى ذاك الصف ، فتعزوه الأناجيل إلى إغواء الشيطان[٢] ، لذلك التلميذ القريب من المسيح جداً . وانقلب الإغواء إلى إغراءٍ حين وعد « رؤساء الكهنة وقواد حرس الهيكل » يهوذا الخائن ببعض المال حتى يشاركهم في تلك المؤامرة . بل أعطوه بالفعل « ثلاثين قطعةً من الفضة »[٣] .

وبدأ يهوذا « يتحيَّن الفرصة » لتسليم المسيح إلى أعدائه حسب تصوير الأناجيل ، واشْتَمَّ عيسى عليه السلام رائحة الخيانة وتنبأ بوقوعها ، وأخبر تلاميذه بذلك ويهوذا جالسٌ بينهم ، وأصابع الاتهام في حديث المسيح تتجه إليه بكل وضوح . يقول متى في روايته لتلك الوقائع : « عند المساء اتكأ (أي المسيح) مع الاثني عشر . وبينما كانوا يأكلون ، قال : الحق أقول لكم : إن واحداً منكم سيسلمني . فاستولى عليهم الحزن الشديد ، وأخذ كلٌّ منهم يسأله : هل أنا ..؟ » (أي الذي يُسلِّمك) ثم أضاف المسيح : « .. الويل لذلك الرجل الذي على يده يُسلَّم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد . فسأله يهوذا .. (عندئذٍ) : هل أنا هو يا معلِّم ؟ أجابه : أنت قلت »[٤] .

واقتربت ساعة الحسم ، ووجد يهوذا الفرصة ، وذهب إلى الأشقياء الذين استأجروه لهذه المهمة القذرة ، وانطلقت جموعهم خلف يهوذا تبحث عن المسيح ، والدليل الخائن هو أمين الصندوق لجماعة المسيح وأحد أقرب المقربين إليه .

---

(١) انظر (متى / ٢٦ : ٣ - ٤) (مرقص / ١٤ : ١ - ٢) .

(٢) لوقا (٢٢ : ٣) .

(٣) متى (٢٦ : ١٤ - ١٦) (لوقا / ٢٢ : ٤ - ٥) .

(٤) متى (٢٦ : ٢٠ - ٢٥) وانظر كذلك (مرقص / ١٤ : ١٨) .

وفي تلك اللحظات تنبأ المسيح بقرب وقوع المعركة الفاصلة بين الزيف والنفاق وبين الصدق والإخلاص . وقال لبقية التلاميذ « ها قد اقترب الذي يُسلِّمني » ووصل يهوذا بالفعل على رأس « جمعٍ عظيم يحملون السيوف والعصي .. أرسلهم رؤساء الكهنة » والكتبة والشيوخ[١] . ومبالغةً في المكر والخداع والتضليل لم يشأ يهوذا أن يبادر المسيح بالهجوم عليه ، وإعلان الخيانة بكل صراحة ووضوح ، رغم وجود ذلك الجمع الممالىء له ، لكنه اختار طريق الزيف والنفاق واللطف المسموم .

قال يهوذا للجموع قبل أن يصلوا إلى المسيح : إنه سيجعل بينهم وبينه علامة ، ألا وهي أنه متى رأى المسيح فسيتقدم إليه ويُقبِّله ، وحينئذٍ على تلك الجموع أن تفهم أن هذا الرجل هو المقصود بتلك الحرب الماكرة . وبالفعل وصل يهوذا إلى المكان الذي يقيم فيه المسيح . وحين رآه بادره بذلك العناق الحميم المزيَّف وقبَّله « قبلة الموت » حسب التعبير الرائج . يقول مرقس : إن يهوذا تقدم إلى المسيح وقال : « سيدي . وقبَّله بحرارة » أيْ نعم . بكل تهذيبٍ ورقةٍ ولطف ، وبكل أسلوبٍ رائعٍ مؤدبٍ تصرَّف هذا الخائن قولاً وفعلاً . لكن النتيجة التي يرمي إليها كانت على العكس تماماً من كل تصرفاته الظاهرة هذه[٢] . ويذكر لوقا أن المسيح أدرك حقيقة ما يجري رغم كل التصرفات المهذبة التي افتعلها يهوذا ، وأنه قال ليهوذا : « يا يهوذا ، أَبِقُبْلَةٍ تُسلِّم ابن الإنسان ؟ »[٣] .

وحدث بعدئذٍ ما حدث حسب تصوير الأناجيل وزعمها .

أما يهوذا فكانت له جزاء خيانته خاتمةٌ سيئةٌ للغاية ، حسب رواية الأناجيل ، غير تلك الخاتمة التي نعرفها .

---

(١) متى (٢٦ : ٤٦ - ٤٧) (مرقص / ١٤ : ٤٣) (لوقا / ٢٢ : ٤٧) .

(٢) الظاهر أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن الغربيين اليوم - وساستهم على الأخص - يُعيدون تأدية دور يهوذا هذا ، ويستلهمون تلك التصرفات في تعاملاتهم ، لاسيما مع الشعوب المغلوبة على أمرها . ويحاولون الظهور بمظهرٍ لطيفٍ ناعمٍ مزوقٍ منمقٍ ، لكنَّ حشوه السم الناقع . ومع هذا فكثيرون لا يصدقون هذه العبارة ويردونها .

(٣) عن ذلك انظر: (متى / ٢٦: ٤٨ - ٤٩) (مرقس / ١٤ : ٤٤ - ٤٥) (لوقا / ٢٢ : ٤٧ - ٤٨).

يقول متى : إن يهوذا ندم بعد أن استلم « الثلاثين قطعةً من الفضة » مقابل تلك الخيانة ، وحاول أن يردها على رؤساء الكهنة معترفاً بالخطأ والجرم الذي ارتكبه ، لكنَّ رؤساء الكهنة لم يُلقوا له بالاً ، لاسيما وقد حصل مرادهم .

وأن يهوذا انطلق بعدئذٍ ورمى بالمال كله في صندوق الهيكل وذهب ، ثم شنق نفسه ، وأن رؤساء الكهنة رفضوا دخول ذلك المال في صندوق الهيكل وأخرجوه منه واشتروا به حقلاً جعلوه مقبرةً للغرباء سُمِّيَ بعدئذٍ « حقل الدم » لأنه اشتري بمالٍ كان « ثمن دمٍ »[1] .

أما لوقا في سفر أعمال الرسل فيذكر أن يهوذا هو الذي اشترى بالمال ذلك الحقل . وبينما هو يسير فيه « وقع على وجهه فانشق من وسطه واندلقت أمعاؤه كلها »[2] .

وعلى كلا الروايتين المزعومتين فقد كانت نهاية الخائن نهايةً مشينة .

والعجيب أن « برنابا » في إنجيله الذي استبعدته الكنيسة ، لم يذكر تلك المرويات المزعومة على الإطلاق ، بل ذكر صراحةً ما يوافق ما ينقله القرآن الكريم حول نهاية هذا الخائن .

يقول برنابا : إن المسيح قال له : « إعلم يا برنابا أنه ... سيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعةً من نقود . وعليه فإني على يقينٍ من أن من يبيعني يُقتل باسمي ، لأن الله سيُصعدني من الأرض وسيُغيِّر منظر الخائن حتى يظنه كل أحدٍ إياي . ومع ذلك فإنه لّما يموت شر ميتةٍ أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم . ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تُزال عني هذه الوصمة »[3] .

---

(١) متى (٢٧ : ٣ - ٨) .

(٢) أعمال الرسل (١ : ١٨) .

(٣) إنجيل برنابا (١١٢ : ١٣ - ١٧) .

أما عامة النصارى فيرفضون هذا القول ، ويُنكرون أن يكون يهوذا صُلِبَ بدلاً من عيسى عليه السلام ، بل يعدُّون ذلك القول تجديفاً ، أي كفراً[١] .

٣ – المبادلة : بعد أن حدث ما حدث اجتمع مئةٌ وعشرون ممن يزعمون أنهم من أتباع المسيح عليه السلام في أول اجتماعٍ لهم بعد صعود المسيح عليه السلام . وترأس الاجتماع بطرس كبير الحواريين وأحد الرسل الاثني عشر بل المقدَّم بينهم .

خاطب بطرس المجتمعين وأشار إلى يهوذا وخيانته ، وأعلن إسقاطه من عداد التلاميذ داعياً المجتمعين إلى انتخاب بديلٍ له « فرشح الحاضرون رجلين هما : يوسف الذي يُدعى بارسابا ويُلقَّب بيُسْتُس ، ومَتِّياس » . ثم استخاروا الله في أيهما يختارون لهذا المقام الرفيع ، واقترعوا بعد ذلك « فوقعت (القرعة) على متِّياس ، فضموه إلى الرسل الأحد عشر »[٢] .

وانتهت بذلك مسيرة هذا الخائن الأكبر بالطرد والخاتمة الشنيعة ، وكان ذلك خاتمة فصلٍ من فصول النصرانية ، وبداية فصولٍ أخرى من تاريخها .



(١) انظر : هل المسيح هو الله – للقس لبيب ميخائيل (١٢٠) ط. ثانية / ١٩٧٢ م / المطبعة التجارية الحديثة بمصر .

(٢) أعمال الرسل (١ : ١٥ – ٢٦) .